الفيصل

مجلة ثقافية شهرية - العدد ٢٦٠ - صفر ١٤١٩ هـ - يونيو ١٩٩٨ م
ALFAISAL MAGAZINE - ISSUE 260 - JUN 1998

مقاربة من إشكالية الحداثة والتراث

تريتونا: اسم جديد في عالم الحواسيب

كيف نربي الفطرة الإنسانية

المذنبات
في كتابات بعض المؤرخين المسلمين

التنقيح فيما يرد على التصحيح

جمال الدين عبدالرحيم بن الحسن بن علي الإسنوي الشافعي
٧٠٤-٧٧٢هـ

كتاب «التنبيه» في فروع الشافعية، لأبي إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي (ت٤٧٦هـ)، من الكتب الخمسة المشهورة بين الشافعية وأكثرها تداولاً، كما ذكر الإمام أبو زكريا يحيى بن شرف النووي (ت٦٧٦هـ). ولأهمية هذا الكتاب، فقد تناوله كثير من العلماء شرحاً وتعليقًا وتهذيبًا واختصاراً، ومنهم جمال الدين الإسنوي، الذي خصّه بأكثر من كتاب؛ منها هذا الذي سماه «التنقيح فيما يرد على التصحيح»، نبه فيه على بعض المسائل الواردة في كتاب «تصحيح التنبيه» للإمام النووي.

وهذه النسخة من المخطوط كُتبت سنة ٧٧٥هـ، وهي قريبة العهد بالمؤلف حيث كُتبت بعد وفاته بثلاث سنين من قِبَل أحد تلاميذه، وخطها نسخي واضح وجميل، وقد قوبلت بعد النَّسْخ بنُسَخ أخرى، وصُحِّحَ ما كان فيها من أخطاء النسخ. ونلاحظ وجود كثير من قيود التملكات والتقييدات في بداية المخطوطة ونهايتها.

يقع المخطوط في ٧٥ ورقة، ومسطرته ١٩ سطراً، ومقاسه ٢١X١٦سم.



والمخطوط من مقتنيات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية برقم ٣٨٠٥.

إعداد: إبراهيم باجس عبدالمجيد





في العدد القادم

- راقبوا بذور الإبداع في أطفالكم
- دول الخليج العربي.. والتعليم المفتوح
- المسرح الحي والأدب الدرامي

الفيصل

مجلة ثقافية شهرية تصدر عن دار الفيصل الثقافية

رئيس التحرير

د. زيد بن عبدالمحسن الحسين



عن العدد الماضي

شيء صعب جداً، أن تعبر في خاطرة موجزة عن مجلة الفيصل المتميزة دائماً بموضوعاتها المنتقاة وكتّابها المرموقين. ذلك أن تقديم وصف عن المجلة يماثل تماماً وصف رحلة طويلة ممتعة بين مروج خضراء وأنهار زرقاء وأشجار باسقة، تملأ نفسك إعجاباً وبهجة؛ فتصبح الحاجة إلى التعبير بحجم هذا الانطباع الواسع. لكنني أمام المساحة المقننة أجد أن الاختصار هو خياري الوحيد لاغير.

فعند تصفحي للعدد (٢٥٩) وجدت نفسي كالعادة أمام بحر زاخر بالموضوعات والمقالات الجميلة، التي ترتقي بالذوق إلى قمم الثقافة والأدب والمعرفة. وقد امتلكت ذهني وورقتي جميع موضوعات المجلة لكنني توقفت كثيراً عند موضوعين مهمين:

الأول: منتدى الفيصل مع صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن سلمان بن عبدالعزيز. ذلك أن سموه يمثل نموذجاً رائعاً للشباب الطموح الذي يسعى إلى تشريف سمعة الوطن من خلال الأعمال الريادية والمبادرات الشجاعة.

فابتداء من رحلته التاريخية على مكوك الفضاء، ووصولاً إلى أعماله الإنسانية في خدمة فئة اجتماعية حرمتها الإعاقة من الاندماج في حياة الناس، تتجمع لدينا في الإطار صورة معبرة عن قدرة الشباب على الإبداع والعطاء متى توافرت في نفوسهم أسس العزيمة والإصرار والطموح.

وقد أظهر الحوار مع سموه، سعة التجربة، ونضج التفكير، وتأصل الاتجاهات العلمية والإنسانية في فكر قادة هذه البلاد وأبنائها.

الثاني: موضوع «الوقت قيمة إسلامية في حياة المسلم» الذي يعد موضوعاً حيوياً مهماً في زمن أصبحت الإنجازات فيه تسجل بالدقيقة والثانية. وقد جاء تناول هذا الموضوع من زاوية إسلامية ليبين أن الإسلام بشموليته وكماله قد سبق جميع النظريات والطروحات العلمية الحديثة التي تدعو إلى الاهتمام بالوقت، حيث تفرع من علم الإدارة موضوع «إدارة الوقت» كطرح جديد بين أساسيات ومبادئ علم الإدارة الحديثة.

هذا والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

د. سليمان بن عبدالرحمن الزهير

مدير عام الثقافة والتعليم بالحرس الوطني

ملاحظات عامة :

مع تقديرنا لكل من يسهم في الكتابة في المجلة، فإننا نرجو من كُتّابنا الكرام أن يضعوا في حسبانهم الملاحظات التالية:

١ - أن يتسم الموضوع المقدم للنشر بالجدّة والموضوعية، مع توثيق المراجع إذا اقتضى الأمر ذلك.

٢ - ألا يكون الموضوع منشوراً من قبل، أو مرسلاً إلى أي جهة أخرى ناشرة.

٣ - حين تردّ المجلة على كاتب ما بأن موضوعه «غير مناسب للنشر» فإن هذا لا يعني أنه «غير صالح للنشر» في غيرها، وإنما يعني عدم مناسبته لسياسة النشر فيها.

٤ - أن يرفق الكاتب (الذي لم يسبق له الكتابة في المجلة) مع موضوعه، الاسم والمؤهلات العلمية والإنتاج الفكري - إن وجد - وعنوان المراسلة، في ورقة مستقلة، إضافة إلى صورة ملونة حديثة.

٥ - الموضوعات المنشورة في هذه المجلة تعبّر عن آراء أصحابها، ولا تعبّر بالضرورة عن رأي المجلة.

العنوان ص.ب (٣) الرياض ١١٤١١ - المملكة العربية السعودية

هاتف ٤٦٥٣٠٢٦ - ٤٦٥٣٠٢٧ - ٤٦٤٧٨٨٤ - فاكسملي: ٤٦٤٧٨٥١

ردمد ١١٤٠-٠٢٥٨ رقم الإيداع ١٤/٠٥٤٢

الاشتراكات السنوية :

للأفراد ١٥٠ ريال سعودي، للمؤسسات ٢٥٠ ريال سعودي.

الإعلانات :

يتم الاتفاق عليها مع إدارة المجلة.

الأسعار

السعودية ٨ ريالات - الكويت ٦٥٠ فلس - الإمارات ٧ دراهم - قطر ٧ ريالات - البحرين ٧٥٠ فلس - عُمان ٧٥٠ بيسة - الأردن ٥٠٠ فلس - اليمن ٦٠ ريالاً - مصر جنيهان - السودان ١٥٠ جنيه - المغرب ٨ دراهم - تونس دينار واحد - الجزائر ١٠ دنانير - العراق ٤٠٠ فلس - سورية ٣٠ ليرة - ليبيا ٨٠٠ درهم - موريتانيا ١٠٠ أوقية - الصومال ٢٠٠٠ شلن - جيبوتي ١٥٠ فرنك - لبنان مايعادل ٤ ريالات سعودية - الباكستان ٢٠ روبية - المملكة المتحدة جنيه استرليني واحد.



متجددة كعادتها..

كعادتها دائمًا: متجددة في موضوعاتها، موفقة في اختيارها لقضاياها الفكرية، متفردة في صياغتها.. جاءت الفيصل في عددها رقم ٢٥٨ بمجموعة من المقالات والقضايا والتحقيقات والحوارات المتنوعة في شتى فروع المعارف الثقافية التي فرضت علينا التوقف عندها؛ بل الإشارة إليها.

لا نبالغ إذا قلنا إننا ننتظر إطلالة د. زيد الحسين رئيس تحرير المجلة من شهر إلى شهر لما تتسم به من طرح وتحليل يجذبان القارئ ويزيدان الترابط مع الكاتب.

د. زيد من خلال إطلالته يتناول أبرز القضايا المطروحة على الساحة الفكرية، وهي صراع الحضارات؛ مؤكدًا أن الدراسة الموضوعية للحضارة الإسلامية توضح أن هذه الحضارة تميزت بانفتاحها الواعي على الحضارات الأخرى. وقد تفاعلت الحضارة الإسلامية مع هذه الحضارات وأخذت منها ما يناسبها ويوافق منظومتها القيمية، كما أن لديها القدرة على حماية نفسها من الذوبان نظرًا للخصائص والقيم والمبادئ التي تميزها من غيرها.

وتحت عنوان: الحج منافع متجددة، تم تغطية تلك الفريضة من النواحي كافة، حيث طُرحت بعض المقالات التي توضح فوائد الحج ومنافعه، كما أنه إصلاح للنفس وتطهير للروح؛ بجانب أنه أكبر مؤتمر إسلامي يُعقد في وقت محدد ومكان محدد على وجه الأرض في كل عام.

ومن الأبواب الممتعة أيضًا الحديث عن إحدى المدن السياحية أو الأثرية، حيث يأخذنا هذا العدد إلى مدينة طبرية مستعرضًا تاريخها على مر العصور، وهي المدينة التي شهدت على أرضها حضارات سادت ثم بادت، حتى آل بها الحال إلى كبوتها المعاصرة التي تعانيها في ظل الاحتلال الإسرائيلي.

وكما عودتنا المجلة دائمًا أن تقدم كل ما هو جديد ومثير في عالم الثقافة والفكر، فقد قدمت لنا عرضًا لكتاب الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية الذي ألفه روجيه جارودي، وأثار ضجة كبيرة عندما نُشر مع نهاية عام ١٩٩٦م. هذا الكتاب رد على مزاعم الديمقراطية وحرية الرأي التي تتغنى بها فرنسا، وفيه يوضح جارودي هرطقة الصهيونية السياسية التي تحاول استبدال إسرائيل بإله اليهود.. بل إن شجاعته وصلت إلى حد مهاجمة إحدى الدول العظمى؛ ويُقصد بها الولايات المتحدة لمساندتها الدولة اليهودية وحمايتها لها.

هذا فضلاً عن الأبواب والزوايا الثابتة المتنوعة التي يطول الحديث عنها.

يقال: إن الاعتراف بالحق فضيلة، والحق أن «الفيصل» بفضل غناها الفكري والثقافي واللغوي تعد من أفضل المجلات الثقافية؛ ليس على المستوى السعودي فقط، بل على المستوى العربي أيضًا.

هالة عبدالعال السيد

وزارة العدل، القاهرة، مصر.

باب «تباشير» يدفع بدماء جديدة في شرايين الأدب

لقد سررت غاية السرور عندما تصفحت العدد ٢٥٧، ووجدتكم تفضلتم بنشر القصة القصيرة التي بعثت بها إليكم بعنوان «تلافيف الزمن العوسجي»، وسرني أكثر توجيهاتكم وملاحظاتكم النقدية، والتقويم الموضوعي للأسلوب والمعالجة، وهي في الحقيقة ملاحظات قيمة، وستكون لي خير معين عندما أقدم على محاولات أخرى. ويسعدني أن أشيد، في هذه السانحة، بباب تباشير الذي يعد متنفسًا للمواهب الشابة، وإذا صحت العبارة؛ فهذا الباب هو تأشيرة دخول الشباب إلى عالم الأدب والكتابة الأدبية من شعر وقصة ومقالة، فإنكم بإفساحكم المجال للشباب تسدون لهم خدمة جليلة، كما أنكم تخدمون الأدب، فهؤلاء الشباب ينشطون الحركة الأدبية، ويدفعون بدماء حارة متجددة في شرايينها وأوردتها.

وقبل أن أختم رسالتي هذه أود أن أشير إلى ملاحظة تكررت من قراء سودانيين، وهي أننا نحصل على «الفيصل» بشق الأنفس، فالنسخ المخصصة لبلدنا غير كافية، ومن الصعب أن تحصل على نسخة من أي عدد دون حجزها مسبقًا، والمحظوظ من يجدها بلا مشقة أو تكرار السؤال عنها في المكتبات و«أكشاك» بيع الصحف والمجلات.

عبدالباسط آدم مريود

وزارة الزراعة، الإرشاد الزراعي

ص.ب ٣٦١ ود مدني، السودان.

نتطلع إلى قراءة تجربة الدكتور الخويطر

الزاوية التي يكتبها الدكتور عبدالعزيز الخويطر بعنوان «أقوال الماضي للحاضر» فيها كثير من الإمتاع، ويستخلص منها القارئ عبرًا ومواعظ، ولاسيما أن د. الخويطر يكتبها بأسلوب محكم. ولكن على الرغم من تَميُّز هذه الزاوية، فقد كنت أود أن يعرج د. الخويطر على تجاربه الثرة، ويغني بها الفيصل وقراءها، فكما أن الماضي غني بالأحداث التي تفيد في تصحيح مسارات الحاضر، عندما يُقرأ التاريخ في سياقه الصحيح، ويُستخرج منه الحكم بطريقة ذكية؛ فإن هناك رجالاً لديهم ذخيرة من التجارب التي يقومون بتسجيلها أو يستظهرونها، خلال مضيهم في مسالك الحياة، وتعاملهم مع أحداثها ووقائعها.

ليت د. الخويطر يطلع قراء الفيصل على جوانب من ذكرياته وتجربته في الحياة بكل ما تحتويه تلك التجربة من عمق وشمول.

فيصل عبدالماجد الضو

الرياض.

وردت رسائل كثيرة من الإخوة القراء لم تتسع لها المساحة المحددة للبريد، وسيتوالى نشرها في الأعداد القادمة

جامعة لتعميق الفكر

أسمى معاني الود والإخاء مشوبة بأزكى التمنيات وأطيب التحيات أزفها إليكم من ربوع الجزائر، وذلك للدور النبيل الذي تضطلعون به مخلصين في سبيل توعية الشباب العربي خاصة، وشباب العالم الإسلامي قاطبة، وتعميق فكره وترقية ذوقه. لقد جاءت مجلة «الفيصل» جامعة لكل ألوان الثقافة والفكر والأدب.. فهي تزداد شمولاً في كل عدد جديد.. لهذا أحيي جهود الذين يقفون وراء صدور هذه المجلة بهذا الشكل والمضمون العميقين والجميلين في الوقت نفسه.

رفاب ميلود

العريشة ١٣٢١٠، تلمسان، الجزائر.

الباحثون عن الثقافة الرصينة

تحية عطرة إلى طاقم مجلة «الفيصل»، هؤلاء الذين يسهرون على إخراج هذه المجلة المعطاء والحفاظ على استمرارها في التألق، وتقديم الثقافة الجادة للمتعطشين للعلم والمعرفة.

اسمحوا لي أن أبدي إعجابي الشديد بالموضوعات والقضايا الحيوية التي تُطرح على صفحات «الفيصل»؛ حتى أصبحت مجلتنا من أقوى المطبوعات الثقافية في الساحة، وهذه حقيقة يلمسها الباحثون عن الثقافة الرصينة، فنرجو أن تحافظوا على هذا المستوى المرموق.. وفقكم الله.

عاشور عبدالكريم

ص.ب ٤٠٣ أولاد جلال، ولاية بسكرة (٧)، الجزائر.

نطلب زيادة النسخ المرسلة إلى اليمن

كنت حريصاً على متابعة «الفيصل» في أثناء وجودي في مدينة صنعاء قبل أن أتخرج في جامعة صنعاء، ثم بعد التخرج عدت إلى مدينة البيضاء حيث أعمل الآن مدرسًا لمادة اللغة العربية، وقد حرصت على ألاّ يفوتني أيّ عددٍ من «الفيصل». وقبل عام تقريبًا ذهبت إلى المكتبة لشراء «الفيصل» فأخبرني صاحب المكتبة أنها انقطعت عن اليمن. ومنذ ذلك الوقت و«الفيصل» غائبة عن قرائها في مدينة البيضاء، وربما في المدن اليمنية غير الكبيرة. بعد هذه المدة الطويلة استمعت، قبل أيام قلائل، إلى برنامج ثقافي يذاع من إذاعة صنعاء، وإذا بالمذيعة تخبرنا بصدور العدد الجديد من مجلة الفيصل، عندها دُهشت وأدركت أن المجلة لم تنقطع وإنما كانت تستولي المدن الرئيسية (صنعاء، عدن، تعز، الحديدة) على كل الأعداد. لذلك نرجو إعادة النظر في أسلوب التوزيع، وزيادة الكمية المرسلة إلى اليمن.

وفقكم الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

عبدالرحمن عبدالله الهُصيصي

ص.ب ٣٨٠٤١، البيضاء، اليمن.

حتى يكون تقويم «العدد الماضي» أكثر موضوعية

من متابعتي لـ«الفيصل»، أذكر أنه مضى عام أو يزيد منذ أن خصصتم الزاوية التي عنوانها «عن العدد الماضي»، بالصفحة الثالثة من المجلة، لإتاحة الفرصة لقارئ محايد ليعرض نتيجة قراءته لموضوعات العدد.. وهو اتجاه طيب، وقد أخذت به مطبوعات عدة.

ولكن، في رأيي أن نجاح مثل هذه الزاوية يكمن في عدم جنوح الناقد نحو المبالغة في المدح والثناء على الموضوعات، واتباعه منهجًا علميًا في تقويمها بطريقة مختصرة ومفيدة.

وحتى تكون هذه الزاوية أكثر جذبًا للقراء، ويكون مضمونها صادقًا، من حيث التعبير عن العدد دون مجاملة، أتمنى لو تم توسيع الزاوية إلى صفحة، وأن تُتاح الفرصة لأكثر من كاتب ليعرض رؤيته للعدد.. فرؤية الأديب تختلف عن رؤية عالم الفيزياء، كذلك فإن تقويم المؤرخ لأي موضوع يختلف عن منظور الناقد الأدبي.. وهكذا.

وإمعانًا في توخي موضوعية التقويم أقترح أن تخصصوا، في العدد الأخير من كل عام، بعض الصفحات ليعرض النقاد والعلماء ـ كل في مجاله ـ آرائهم في مسيرة المجلة خلال عام كامل، ومجموع هذه الآراء سيكون بمنزلة رسم بياني يوضح اتجاه الموضوعات صعوداً أو هبوطًا أو استقراراً.. والله الموفق.

عادل هاشم أحمد الخطيب

الكرك، الأردن.

خطر ينبغي تداركه

في العدد ٢٥٩ من «الفيصل» أتحفنا د. زيد الحسين في «إطلالته» بالحديث عن قضية على درجة عالية من الأهمية.. فعندما تحدث عن ضرورة الاهتمام بالترجمة من اللغات الأخرى إلى لغتنا الأم نبه على قضية مهمة هي «المواكبة». وإذا كانت مواكبة ما يستجد في ميدان العلوم ـ على مختلف تخصصاته ـ من الأمور الضرورية؛ إلا أن العودة بالأمة العربية والإسلامية ولغتها العربية إلى مصاف الريادة كما كانت في سالف العصور تصبح من القضايا الملحة والمهمة. ولا يمكننا الوصول إلى ذلك ـ كما أشار الدكتور في مقالته ـ إلا باعتماد العربية في بحوثنا ودراساتنا في معاهدنا وجامعاتنا ومؤسسات تعليمنا العالي في العالمين العربي والإسلامي، وهذا ما يمكن أن نطلق عليه التأصيل؛ وذلك حتى ننشئ جيلاً يعتد بلغته العربية ويتمسك بها وينحاز إليها الانحياز التام والكامل، دون إغفال للغات الأجنبية الأخرى، وحتى تبرز العربية بحجمها الحقيقي وتدحض افتراءات المفترين القائلين: إن العربية لغة تقصر عن الوفاء بأغراض العلم واستيعاب مفرداته. فالحقيقة تؤكد سعة العربية، وذلك من منطلق أن القرآن الذي هو دستور المسلمين قد أنزل على رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم باللغة العربية.. ونحن نعلم، وهذه بديهية، أن أعداء العربية عندما يستهدفون هذه اللغة إنما يستهدفون العقيدة الإسلامية، ومن هنا فإنني أحسب أن الدكتور زيد قد نبه على خطر ينبغي للجميع تداركه قبل وقوعه.. والتحية لمجلة الفيصل [الفيصل بين الحق والباطل] وهي تتعرض لمثل هذه القضايا الحيوية المهمة والملحة.

نجم الدين محمد أحمد علي

الرياض.

إذن الله ـ، فمعذرة للذين تأجل نشر رسائلهم، ومرحبًا بآراء الإخوة القراء ووجهات نظرهم واقتراحاتهم.

إطلالة

هكذا بدأت



حظي موضوع العولمة بحيِّز كبير من الاهتمام والتناول. وعلى الاختلاف حول وضع تعريف دقيق له، إلا أن ثمة اتفاقًا على أنه نتاج لتطور تقنيات الاتصال والمعلومات، وما أدى إليه هذا التطور من تغيُّر في أساليب التفكير والأداء، وتقريب المسافات بين دول العالم أو تلاشيها حتى أصبح في مقدور الإنسان أن يعقد الصفقات التجارية عبر القارات من غير أن يبرح أحد مكانه؛ كما أن متابعة أي حدث في العالم لحظة وقوعه أصبح أمرًا طبيعيًا، بل غدا من غير المستساغ فوات الأحداث التاريخية من غير نقلها صوتًا وصورة.

ولم يبرز مفهوم العولمة بهذا الشكل إلا بعد التغيُّرات الحادة في موازين القوى في العالم إثر سقوط الاتحاد السوفييتي وانهيار الكتلة الشرقية، وانقضاء عصر الحرب الباردة. ويرى بعضهم أن هذا المفهوم لا يعني أكثر من إتاحة حرية الحركة للناس والسلع والخدمات والمعلومات بين الدول من غير أية حواجز، بوصفها حقًا طبيعيًا للإنسان، عليه أن يتمتع به دون أي حجر من أية جهة، وأن على الدول أن تتخذ من السياسات ما يشجع على ذلك، وأن يقف دورها عند حدود تأمين الأجواء المناسبة لهذا التبادل.

وتبدو صياغة القصد من هذا المفهوم على هذا النحو اختزالاً مخلاً، يقصر عن كشف أبعاده وآثاره العميقة في المجتمعات، إذ إن ترك المجال مفتوحًا لانتقال السلع والخدمات ورؤوس الأموال من دون قيود في ظل ماتفرضه العولمة من أنظمة وقوانين، يعني أن تسيطر الدول الكبرى والشركات المتعددة الجنسيات المنتمية إليها على اقتصاد العالم، ليتحول هذا العالم إلى سوق كبيرة لا تضع حدودًا للإنتاج أو الاستهلاك؛ مما يهدد تطور صناعات الدول التي تعرف بالنامية - إذ لا تملك قدرات التنافس مع الصناعات المتطورة القادمة عبر المحيطات - وينذر بتوقفها، لتتحول بذلك الدول المتخلفة إلى مصدر للمواد الخام والأيدي العاملة الرخيصة، وسوق لاستهلاك ما تنتجه الدول المتقدمة وشركاتها، وذلك ما يعمق التبعية، ويقضي على آمال الانعتاق منها.

وبازدياد الضغط على الدول المتخلفة اقتصاديًا من المؤسسات الاقتصادية العالمية المدعومة من الدول الصناعية - مثل صندوق النقد الدولي والبنك الدولي - يزداد اندماجها في النظام الرأسمالي العالمي، من موقع المستهلك لا المنتج، وهو ما يعد إهدارًا لمواردها الطبيعية وطاقاتها البشرية؛ ولا يمثل ذلك إلا وجهًا جديدًا للاستعمار القديم الذي كان يقوم على أساس التواجد العسكري في المستعمرات، والاستنزاف المباشر لخيراتها. أما هذا الشكل الجديد من الاستعمار فيعتمد على استغلال تقنيات الاتصال في ربط أسواق العالم به، وتحويلها إلى «سوبر ماركت كبير»، يتم إغراقه بمنتجاته تحت دعاوى العولمة، وما يتعلق بها من مفاهيم الحرية الاقتصادية والاعتماد المتبادل بين الدول.

وينطوي هذا المفهوم على أبعاد ثقافية خطيرة، لأن امتلاك الدول الصناعية لقدرات الإنتاج الثقافي المكثف والعالي التقنية يتيح لها ترويج قيمها؛ بل تصويرها على أنها القيم الإنسانية المثلى التي ينبغي أن تسود.

ولا يخفى ما يحمله هذا التصور من تهميش للثقافات الأخرى وقيمها، وهو ما يتعارض مع مبدأ حرية التبادل التي يقوم عليها مفهوم العولمة. ويصاحب تنميط القيم الإنسانية وقولبتها في إطار قيمي محدد ازدواجية المعايير في تطبيق القوانين الدولية، والمزاجية في تفسير بعض المفاهيم الإنسانية، مثل الحرية وحقوق الإنسان؛ مما يؤدي إلى تباين المواقف، وترسيخ الخلاف، وانقطاع الحوار البنّاء القائم على مبدأ التثاقف، لا الإرغام. وليس الخاسر في مثل هذه الحالة هو العالم المتخلف حسب، وإنما قد تكون خسارة العالم الغربي أكثر فداحة، لأنه بتعنته في فرض منظوره القيمي على الآخرين يفقد ميزة الإفادة منهم في صياغة مفاهيم أكثر إنسانية، تضمن له استمرار تفوقه المادي، بدلاً من تلك الفردية التي تهدد حضارته، إذ أصبح الفرد فيه يختزل العالم كله في نفسه، فلا ينظر إلى أي شيء إلا من منظور مصالحه ورغباته، لينعتق بذلك من نسيجه الاجتماعي، ويتمحور بشكل مرضي حول ذاته، فيكون همه الإنتاج الكثيف والاستهلاك الشره والإشباع غير المحدود للرغبات متحررًا من أي إطار قيمي؛ مما ينذر بتفاقم المشكلات الاجتماعية وزيادة العنف، وسيادة الانحلال الأخلاقي والاجتماعي، كما هو ملاحظ اليوم في الواقع.

ويمكن القول إن العولمة الثقافية أصبحت تتمثل بشكل رئيسي في ثقافة الصورة، التي يروج لها من يمسكون بزمام الإنتاج الكثيف في مجال الإعلام المرئي، بما لديهم من إمكانات فنية هائلة، يسَّرها لهم التقدم التقني في مجال الاتصال، إضافة إلى القدرات المادية الكبيرة والطاقات البشرية المؤهلة في التخصصات المختلفة في هذا المجال الحيوي، والقدرة على التنسيق المنضبط في العمل الجماعي؛ مما يهيئ لهم الإبداع في إخراج القوالب الفنية القادرة على الإغراء والإقناع، ليترتب على ذلك تراجع الثقافة المكتوبة، وبخاصة في المجتمعات المتخلفة التي تزداد فيها الأمية الهجائية، ليؤدي الإقبال المتهافت على ثقافة الصورة - بما تتسم به من ضحالة المضمون، وفقر الفكر، والاهتمام الواضح بالشكل والقالب على حساب المحتوى - إلى إفقار الوعي الجمعي إلى حد التغييب، وإشاعة سلبية التلقي وعدم فهم المضمون لتضاف الأمية الثقافية إلى الأمية الهجائية السائدة في تلك المجتمعات.

ويبدو مثل هذا الواقع شديد الوطأة على تلك المجتمعات بعد تضاؤل دور الأسرة في ظل تزايد أعباء الحياة، وسيطرة التفكير المادي على العقول، وتفكك أواصر الصلة بين أفرادها. وما يزيد هذا الواقع تفاقمًا ما تعانيه المدرسة من قصور النظام التعليمي والتربوي، وعجزه عن ترسيخ القيم الاجتماعية في وجدان النشء، أو الارتفاع بمستوى التحصيل العلمي والمعرفي له كيفًا لا كمًا.

وبما أن هاتين المؤسستين التربويتين تمثلان أهم خطوط الدفاع عن هوية المجتمع وأصالته، فإن عجزهما عن المشاركة الفاعلة في تشكيل الوجدان الثقافي للنشء، وإيجاد الصيانة الداخلية له، وتهيئته

لي العولمة!

لمواجهة التحديات الثقافية والفكرية القادمة من كل صوب وحدب، والتي تتمثل بشكل أساسي في ثقافة الصورة التي تنشرها قنوات التلفاز والفضائيات على مدى ساعات اليوم، والتي تتجاوز حواجز اللغة، مركزة اهتمامها على القشور، ومهددة القيم الأخلاقية والخصوصيات الثقافية لمن لا يملكون قدرات الدفاع عن قيمهم وخصوصياتهم؛ فإن ذلك العجز يعني قابلية الذوبان في هذه الثقافة الغازية التي تفتقد قوة الطرح، وإن كانت تعتمد على قوة أدواتها.

وتقصد صناعة الصورة إلى تسطيح الوعي، وحجب العقل، والسيطرة على الإدراك، وتنميط الأذواق، وترسيخ أنماط استهلاكية معينة تستجيب لمعدلات الإنتاج العالية للسلع والخدمات الكمالية. وقد استطاعت هذه الصناعة تحقيق كثير من أهدافها، ولا أدل على ذلك من سيادة الذوق الغربي - ولاسيما الأمريكي - في فنون الإعلام المرئي المختلفة، من أفلام ومسلسلات وبرامج ترفيهية، حتى أصبحت غالبية المشاهدين - وبخاصة الشباب منهم - تحفظ أسماء نجوم تلك الفنون، وتتعلق بها، وتحاول تقليد النمط الغربي - والأمريكي بوجه خاص - في المأكل والمشرب وأسلوب الحياة.

وأكدت دراسات تناولت تأثير وسائل الإعلام المرئي في جمهور المشاهدين أن لهذه الوسائل أثرًا سلبيًا في الاقتصاد، بسبب ساعات المشاهدة الطويلة التي تمتد إلى وقت متأخر؛ مما يترتب عليه عدم التزام العاملين مواعيد عملهم، إضافة إلى ما ينجم عن ذلك من تأثيرات سلبية في صحتهم، فضلاً عن ضحالة المضمون الفكري لما يشاهدونه.

وتزايد جرائم القتل التي يرتكبها الأطفال في الغرب، والتي كان آخرها ما قام به طفل من قتل والديه وطالبين وإصابة ٢٥ آخرين في ولاية أوريجون الأمريكية، ليس إلا عَرَضًا لمرض، ودليلاً على ما لثقافة الصورة السائدة اليوم من آثار سلبية في التفكير والسلوك.

إن تفعيل التعليم من أهم الأسلحة التي يعول عليها لمواجهة مخاطر العولمة الثقافية، وهو أفضل استثمار تقدم عليه الدول، لأنه الكفيل بتوفير الطاقات الفكرية القادرة على تحليل واقع العالم، وما يعتمل فيه من أفكار وأحداث، لاستنباط المعالجات الضرورية لمواجهته، بما يحقق مصلحة المجتمع، مع استقراء ما سيتمخض عنه المستقبل، للإعداد له وفق منظور واضح لا يقوم على ردود الأفعال، وإنما يأخذ زمام المبادرة، لاستجلاء الحقائق ووضع الاحتمالات، ورسم صورة واضحة لهذا المستقبل، بالاعتماد على التخطيط العلمي لتحقيق أكبر قدر من الفائدة للمجتمع.

ولا تتوافر مثل هذه الطاقات الفكرية لمجتمع ما، ما لم يكن هناك اهتمام واضح بالبحث العلمي، وقناعة تامة بأهميته في دفع المجتمع إلى مرحلة المواجهة الحقيقية لمشكلاته، في ضوء المعلومات الثابتة والحقائق المجردة، من غير الاعتماد على استنتاجات الآخرين وتحليلاتهم، وذلك من منطلق ما لكل مجتمع من خصوصيات تؤثر في توجيه البحث العلمي، وفي صياغة غاياته وأهدافه.

ووجود فهم عميق لأهمية البحث العلمي مرتبط بفاعلية النظام التعليمي الذي يطبقه المجتمع، وبقدرة القائمين عليه على تجديد بناه، وتوجيهه نحو ما يحقق غايات المجتمع في التقدم والعيش في قلب العصر. وفي ظل ما يشهده العالم من تطورات تقنية واسعة على كل المستويات، فإن التعليم الفاعل هو ذلك الذي يكسب الفرد مهارات التكيف مع المستجدات، والقدرة على فهم ما يطرأ من تطور في مجال تخصصه واستيعابه، والاستعداد لاكتساب مهارات جديدة من خلال التعلم الذاتي.

وتأهيل الفرد على هذا المستوى من الكفاءة والقدرة على الفهم والاستيعاب وتجديد القدرات الذاتية يعد ضرورة ملحة في عصر قادم سوف يشهد تغيرات جذرية في المهن والصناعات؛ إذ سيختفي بعضها تمامًا، كما ستطرأ تحولات على بعضها الآخر، وذلك كله يحتاج إلى مهارات وقدرات جديدة. وما لم يكن الإنسان مؤهلاً لاكتساب مثل هذه المهارات والقدرات من طريق تعليم فعال يرسخ قيم الانضباط والإتقان ويمنح مرونة الحركة لمنتسبيه، لتطوير إمكاناتهم وصقل مواهبهم، فإن البطالة ستكون شبحًا يطارد كل من تقعد به قدراته، وما اكتسبه من علوم ومعارف عن تطوير مهاراته وزيادة معارفه، وتوسيع مداركه من أجل فهم أعمق؛ لا لمجال تخصصه حسب، وإنما للتفاعلات التي تحيط بهذا العالم، والتطورات المتلاحقة في العلوم والتقنية، وما لها من آثار بعيدة في تحديد مستقبل المهن والصناعات.

وافتقار أي مجتمع لبناء تعليمي قوي يستمد مقوماته من إرثه الحضاري، ومن خصائص هويته الذاتية يعني افتقاده البوصلة التي توجهه إلى غاياته الأصيلة، والتسليم بما يُفرض عليه من تصورات قد تتناقض مع مثله وقيمه؛ بما يهدد بانقطاعه عن جذوره الحضارية، ليصبح كنبتة غُرست في غير تربتها، وتكون عرضة للاقتلاع من جذورها الواهية في أي وقت؛ ذلك أن التعليم الفعال، بقدر ما ينال مقوماته وأسباب وجوده من ثقافة المجتمع وما تراكم لديه من تراث حضاري ثر، فإنه يعد الوسيلة المثلى لترسيخ تلك الثقافة، ورفد ذلك التراث بمكونات جديدة متشبعة بروح العصر، ومتسقة - في الوقت نفسه - مع النسيج الحضاري للمجتمع. ويقتضي ذلك انفتاحًا حضاريًا واعيًا، وتفاعلاً إيجابيًا مع الحضارات الأخرى أخذًا وعطاءً. وباستمرار هذا التفاعل تترسخ العلوم والمعارف الحديثة في المجتمع، من خلال منظوره القيمي.

أما التسليم بأن قطار العولمة قد تحرك، وأن علينا اللحاق به بأي ثمن، من غير إعداد الأدوات والوسائل اللازمة لمواجهة ما يفرضه علينا من تصورات وقيم يمكن أن تتناقض مع ثوابتنا، فهذا لا يعني سوى الإذعان للأمر الواقع، والاستهانة بإرث حضاري ممتد الجذور، وسريان روح الانهزام التي هي نهاية المطاف لأية أمة، والتفريط في مستقبل أجيال قادمة، لا ذنب لها إلا أنها لم يتم إعدادها جيدًا لمواجهة تحديات حضارية جارفة يفرضها مثل هذا المفهوم بأبعاده الخطيرة على المستويات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية.

هكذا بدت لي العولمة، والله سبحانه وتعالى أعلم.

د. زيد بن عبدالمحسن الحسين

إن تفعيل التعليم من أهم الأسلحة التي يُعَوَّل عليها لمواجهة مخاطر العولمة الثقافية، وهو أفضل استثمار تُقدم عليه الدول، لأنه الكفيل بتوفير الطاقات الفكرية القادرة على تحليل واقع العالم

الفيصل
العدد ٢٦٠ - السنة ٢٢ - صفر ١٤١٩ هـ - يونيو ١٩٩٨م

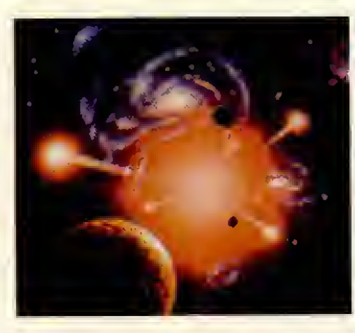


العالم إلى أين؟

أصبحت الجرائم التي يرتكبها الأطفال تشكّل ظاهرة في كثير من المجتمعات، ولاسيما المجتمعات الغربية. وكان قيام صبيين بإطلاق النار على رفاقهما من الحوادث البشعة التي أشارت بقوة إلى تفاقم هذه الظاهرة الخطيرة.
وما كان لهذه الجريمة الشنعاء أن تصرف الانتباه عن قضية أخرى أكثر خطورة، تتجسد فيما يمارسه بعض الكبار ضد الأطفال من عنف، لأن التلازم بينهما يبدو واضحًا، وهو ما يثير سؤالا ملحًا: العالم إلى أين؟ كما يدعو إلى طرح سؤال آخر: كيف لمجتمعاتنا أن تنأى بنفسها عن هذا الذي يصيب القيم الإنسانية من تفسخ وانهيار؟

طالع ص١٤

المذنَّبات: عالم يكتنفه الغموض!



مع أن البحوث الحديثة عن المذنبات كشفت كثيرًا من أسرارها؛ إلا أن هناك كثيرًا من الغموض لا يزال يكتنفها، وأصبح الفلكيون أكثر حذرًا وتجنبًا لإطلاق تنبؤات قد تخيب.
ولا ينكر أحد أن التراث الإسلامي في مجال الفلك لا يزال حافلاً بالعديد من الإنجازات التي تدل على قيمة ما قدمه علماء المسلمين في هذا المجال العلمي.
د. شذى الدركزلي تدعو إلى ضرورة الاستفادة من التراث العلمي الإسلامي.

طالع ص٦٧

تريتون: الحاسوب الخارق



الحاسوب «تريتون» يوصف بأنه أسرع حاسوب في أوربا، ولذا يتم توظيفه في حل المسائل المعقدة المرتبطة بعلوم ديناميكا الموائع، والزلازل، والفيزياء الذرية والنووية، والبلازما.
وقد تمكن المهندسون الألمان من استخدام هذا الحاسوب الخارق في نمذجة عملية الاحتراق ضمن المحرك الانفجاري للسيارات، ويُتوقع أن يؤدي هذا التطور إلى حدوث ثورة جديدة في هندسة تصميم المحركات الانفجارية. وباستخدام هذا الحاسوب في برامج التصميم، يعمل العلماء على تصميم محطة فضائية كاملة ستدور حول الأرض في المستقبل.
عدنان عضيمة قدَّم معلومات وافية عن هذا التطور في عالم الحاسوب والمعلوماتية.

طالع ص٨٤

أدب وفكر

لغة

اجتماع

تربية

تراث وتاريخ

شخصيات

شعر وقصة

الأبواب والزوايا الثابتة

من كتاب العدد

د. علي بن عبدالعزيز العبدالقادر

- من مواليد الأحساء، السعودية ١٣٥٨هـ/١٩٣٨م.
- حصل على الدكتوراه في علوم التربية، تخصص إدارة الجامعات من جامعة كنساس لورنس، الولايات المتحدة ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.
- عمل بالتعليم العام والتعليم الجامعي مدة أربعين عامًا؛ فقد عمل مدرسًا ثم وكيل مدرسة ابتدائية بوزارة المعارف ١٣٧٥-١٣٨٢هـ، وأمينًا لمكتبة جامعة الملك سعود ١٣٨٢-١٣٨٥هـ، ومديرًا لثانوية الأحساء ١٣٨٥-١٣٩٨هـ، ومديرًا لثانوية الدمام، وأستاذًا زائرًا في كلية المعلمين بالدمام ١٣٩٩-١٤٠١هـ، وعميدًا لشؤون المكتبات بجامعة الملك فيصل ١٤٠٠-١٤٠٣هـ، وأستاذًا مساعدًا وأستاذًا مشاركًا بكلية التربية، جامعة الملك فيصل من ١٣٩٨هـ حتى أحيل إلى التقاعد في ١٤١٥هـ.
- أشرف على عدد من رسائل الماجستير والدكتوراه، وشارك في عدة مؤتمرات وندوات، وهو عضو عدد من الجمعيات والهيئات العلمية والمهنية.
- له بحوث علمية محكمة ومقالات منشورة في الصحف والمجلات في التربية والثقافة والإدارة والشؤون الاجتماعية، وله لقاءات تلفازية ومشاركات إذاعية.

د. حسن البنا مصطفى عز الدين

- من مواليد مصر ١٩٥٢م.
- حصل على الدكتوراه في الآداب من قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة عين شمس، وعلى ماجستير في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها من الجامعة الأمريكية بالقاهرة، وعلى ماجستير في الآداب من جامعة عين شمس.
- عمل أستاذًا مساعدًا بقسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة الزقازيق ١٩٨٧-١٩٩٤م، فأستاذًا مشاركًا ١٩٩٤م، وأستاذًا زائرًا بالجامعة الأمريكية ١٩٩٣-١٩٩٤م، وفي جامعة صنعاء ١٩٨٩م، وفي جامعة قطر ١٩٨٩-١٩٩١م، وفي جامعة روتشستر الأمريكية ١٩٩١-١٩٩٢م.
- شارك في عدد من المؤتمرات العلمية وقدم فيها بحوثًا، كما ألقى محاضرات بجامعات أمستردام وليدن ونيمخن في هولندا ١٩٨٧م.
- من مؤلفاته: شعرية الكتابة: ذو الرمة وتطور الوعي الكتابي في الشعر القديم، الطيف والخيال في الشعر العربي القديم، قصيدة الظعائن في الشعر الجاهلي، الكلمات والأشياء: التحليل البنيوي لقصيدة الإطلالة في الشعر الجاهلي، مقالات المستشرقين: مختارات في النقد الأدبي بالإنجليزية.
- ترجم عددًا من الكتب والمقالات، وله مقالات منشورة في الصحف والمجلات المحكمة.

شوكت علي يوسف

- من مواليد سورية ١٩٤٧م.
- ماجستير في اللغة والأدب الروسي من جامعة بطرسبرج (لينتغراد سابقًا) ١٩٧١م.
- عمل في لجنة التأليف والترجمة في وزارة الثقافة السورية بين عامي ١٩٨٠-١٩٩٤م، وصدر له خلال هذه المدة بضعة عشر كتابًا مترجمًا في الأدب والدراسات الأدبية والعلوم الإنسانية منها: الواقعية النقدية في الأدب، الإبداع الفني والواقع الإنساني، مختارات من الأدب الإفريقي، النقوش العربية في أرمينيا.
- له اهتمام خاص بتاريخ حركة الترجمة وقضاياها النظرية والتطبيقية، وله إسهامات في هذا المجال في شكل أبحاث منشورة في الدوريات العربية ومشاركات في ندوات.
- يعمل الآن مدرسًا للغة الروسية في كلية اللغات والترجمة بجامعة الملك سعود بالرياض.

سلوى محمد عبادي

- من مواليد السودان.
- حاصلة على بكالوريوس اللغة العربية، وعلى ماجستير في التربية تخصص مناهج وطرق تدريس اللغة العربية، وعلى ماجستير في تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها.
- عملت في معهد التأهيل التربوي في السودان، وفي معهد الدراسات الإفريقية والآسيوية.
- شاركت في مؤتمرات خاصة باللغة العربية في داخل السودان وخارجه، وأعدت بحوثًا ودراسات في مجالات تخصصها، منها: اللغة والسلوك الإنساني، قضايا تعليم اللغة العربية بمناطق التداخل اللغوي بالسودان، دراسة تحليلية نقدية لمنهج القراءة بالمرحلة الابتدائية بالسودان.



النمور الآسيوية: هل من عودة للإبهار؟!



إندونيسيا.. الدولة الأكثر تضرراً في دول النمور

الاضطرابات الكبيرة التي تجوس خلال ديار النمور الآسيوية، في أعقاب الأزمة المالية التي هزت أركان المنطقة، وتزامنت مع حريق هائل في الغابات المطيرة الكثيفة، جعلت كثيرين يتساءلون: هل كان ازدهار اقتصاد النمور ازدهاراً زائفاً وهشيماً اشتعل مع أول شرارة؟! كما تساءل آخرون عمَّا إذا كان النموذج الآسيوي، الذي أدار الرؤوس في الغرب، سراباً أكثر منه معجزة، وعمَّا إذا كان ينبغي للمنطقة أن تجد لنفسها نموذجاً جديداً بديلاً.

الاضطرابات مستمرة، والتوقعات لمستقبل المنطقة لا تتوقف. وعلى الرغم من أن أصابع الاتهام في ما حدث للمنطقة تشير إلى أسباب ذاتية؛ أي قصور ذاتي في النظم الاقتصادية لتلك الدول، وضعف في الإشراف، وسوء توزيع الموارد؛ إلا أن هناك من يرى وجود أسباب خارجية أدت أو ساعدت على تفاقم أزمة النمور. ومن ذلك أن معهداً غربياً - هو معهد موري لخدمات المستثمرين - هو الذي قدح زند تفجير الأزمة في اليابان، وقامت إحدى شركات التسليف - التي وُصفت بأنها مجردة من العواطف - بإحداث تدهور في قيمة سندات سوق يامايشي، وهذا التصرف أجبر سوق يامايشي - رابع أكبر أسواق السمسرة - على إشهار إفلاسها، ونتيجة لذلك سرت موجات عنيفة هزت اليابان بأكملها، وامتدت إلى الدول المجاورة.

إن مظاهر أزمة النمور أكثر وضوحاً في إندونيسيا لأنها الأكثر تضرراً، ولأن الرئيس سوهارتو اتخذ إجراءات حادة لمواجهة الأزمة؛ مما ألهب مشاعر الإندونيسيين، الذين ساءهم أن يروا بلدهم، الذي كان منطلقاً كالسهم، يسقط خائر القوى.. وهو ما انعكس على الأوضاع الاقتصادية في بلدهم، وتمثل في تزايد البطالة وارتفاع الأسعار.

وقد وصف رئيس وزراء سنغافورة «لي كون يو» الأوضاع في جارتهم إندونيسيا في حوار أجرته معه «نيوزويك» بأنه «الكابوس الذي أصبح حقيقة»، ولم يستبعد أن تتأثر بلاده بما يحدث في الأرخبيل المجاور، وقال: «يجب أن نأخذ في الحسبان الفقدان العام للثقة بالمنطقة، حيث سيقل الاستثمار، ومن ثم يقل التفاؤل. إن مصاعب أندونيسيا لن تمس سنغافورة وماليزيا فحسب، بل ستمتد أيضاً إلى تايلاند والفلبين». ويرى رئيس وزراء سنغافورة أن الأزمة «ستكون نكسة كبيرة للاتجاه الذي كان يبشر بمزيد من النمو والاستقرار والاتجاه إلى تعاون متنامٍ وتجارة حرة وتنسيق عالمي أفضل. فكل دولة قد تنكفئ نحو الداخل وتصارع مشكلاتها الاقتصادية والاجتماعية الخاصة بها. ولكن بعد مدة تراوح بين عامين وأربعة أعوام لا يوجد أي سبب يمنعنا من أن نتغلب على المأساة التي هي من صنع الإنسان». وهو يرى أن الأزمة جاءت نتيجة حماقة بشرية جعلت الضرر أسوأ مما ينبغي، وذلك بعدم الاستجابة لأسلوب يفرض الثقة بالسوق. فالضعف الأساسي يكمن في الأنظمة غير القادرة على استيعاب تدفق رؤوس الأموال الضخمة في السنوات الثلاث الأخيرة؛ أي خلال ذروة النشاط بالنسبة للمعجزة الآسيوية.

ويعبر لي كوان عن خيبة أمله للتطورات المفاجئة التي انهارت معها الآمال الوردية لشعوب دول النمور. وفي اعتقاده «لم يكن يوجد أي سبب يجعل المشكلات تتفاقم بهذه الطريقة. ففي إندونيسيا - على سبيل المثال - كانت الأرقام المالية الضخمة في وضع سليم، ولا يوجد عجز في الميزانية أو مشكلات كبيرة في الحسابات الجارية، والتضخم المالي كان تحت السيطرة. لكن لعدم وجود إشراف كاف على المصارف (٢٤٠ مصرفاً)، فإن أوضاع كثير منها لم تكن سليمة، والبنك المركزي الإندونيسي لم يكن يعرف أن القطاع الخاص كان قد اقترض ٧٠ مليار دولار. وعندما تعرضت الروبية للهجوم رفض البنك المركزي - بكل حكمة وتصرف صحيح - الدفاع عنها وسمح بتعويمها. وعندما هبطت قيمتها اندفع المدينون من دون أي وقاء إلى السوق لتغطية أنفسهم، وهو مما تسبب في غرق الروبية».

إن أسلوب لي كوان، الذي ينم على الصراحة والخبرة في تفسير ما حدث، وتقويم الأوضاع الحالية والمستقبلية للمنطقة، يعبر عن كثير من الثقة بقدرة مجموعة النمور على تجاوز الأزمة الحالية. فهو على الرغم من إقراره بصعوبة الأوضاع «إننا نعد أنفسنا لمواجهة أسوأ الظروف»، يصر على تأكيد «التغلب عليها».

التكالب الغربي الجديد على إفريقية: هل يعيد إليها الحقب العجاف؟

من الملاحظ أن الإعلام الدولي عاد يسلط أضواءه على إفريقية، بعد ما أهمل هذه القارة عقوداً طويلة؛ مكتفياً بنتف من أخبار الصراعات والانقلابات العسكرية والمجاعات.

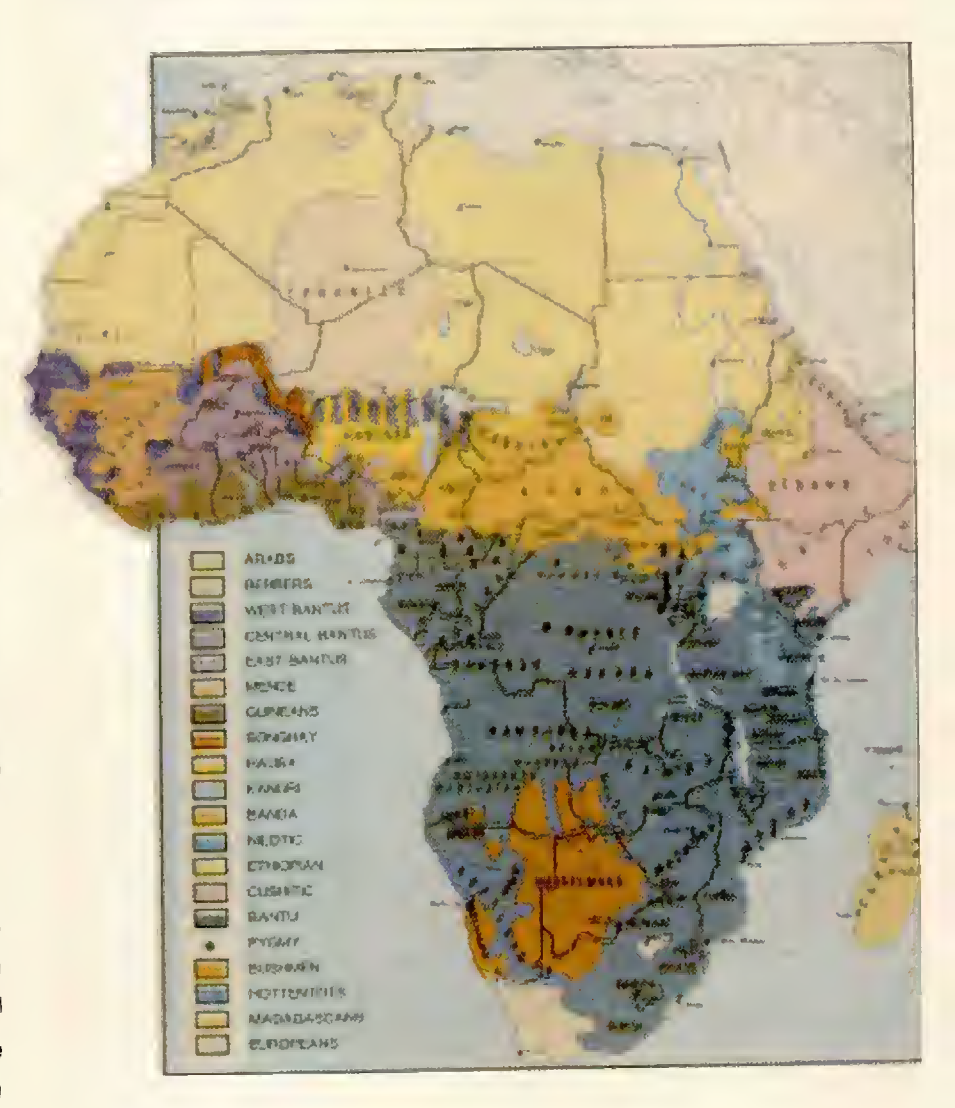
فقد شهدت مرحلة الحرب الباردة انحساراً ملحوظاً للإعلام عن ثاني أكبر قارة - بعد آسيا - يقطنها ما يزيد على ٧٥٠ مليوناً من البشر. لقد هيمن أصحاب النفوذ من دول الاستعمار التقليدي على المساحات والمناطق التي استحوذوا عليها عسكرياً، إبّان المد الاستعماري، ثم وثقوا علاقاتهم بها - بعد الاستقلال - بضمها في تجمعات تابعة ثقافياً، مثل الفرنكفونية، والكمنولث.

وقد بدأ الاهتمام الإعلامي الدولي، الذي يتحدث بلغة الأرقام، في حصر المواطن البكر لأنواع الموارد الزراعية والمنجمية، ومنافذ التسويق في قارة تعادل مساحتها ثلاثة أمثال مساحة أوربا، وكذلك معرفة الإمكانات الاستثمارية التي تزخر بها؛ مما يسيل له لعاب رجال الأعمال والمجموعات الاحتكارية ومشجعي الخصخصة.

ويتزامن هذا التطور المفاجئ مع تحولات جذرية يشهدها العالم المتأهب لدخول القرن الحادي والعشرين، واستكمال متطلبات «العولمة» التي تعد أبرز ظواهر القرن الجديد.

وهناك سؤال محوري ينبغي أن يستحضره أبناء إفريقية، في حومة هذه التغيرات والتحولات والاهتمام النوعي الذي بدأ الغرب يوليه قارتهم، هو: إذا كان معظم الأفارقة ما يزالون يعانون جراح الاستعمار، واستنزافه مقدرات شعوبهم، وبذره بذور الفتن التي أنهكت دولاً عديدة، فهل سيتجاوز الغرب هذه المرة المنظور المصلحي الذي خلخل التجانس العرقي الكبير بين سكان إفريقية؛ فأحدث الانشطار الثقافي بإقامة الحدود الوهمية بين معظم أقطار القارة وقبائلها، حتى إنك لتجد القبيلة الواحدة مقسمة - أحياناً - بين ثلاث وحدات سياسية وإقليمية مصطنعة؟!

إن المؤتمر الذي عُقد في برلين ١٨٨٤-١٨٨٥م، وهو المحفل المشهور الذي أقر الحدود الاصطناعية في إفريقية، والتي قام الأوربيون المستعمرون بتخطيطها ورسمها، لم يأخذ في الحسبان المواطن الأصلية للشعوب والقبائل؛ وهو ما تسبب في كثير من القلاقل والصراعات والحروب الأهلية.





أرامكو السعودية

يسرّ أرامكو السعودية ممثلة في إدارة العلاقات العامة أن تقدم تهانيها الحارّة إلى الأطفال الفائزين في مسابقتها السنوية التاسعة عشرة لرسوم الأطفال . وتتقدم في الوقت ذاته بخالص الشكر والتقدير لجميع الأطفال الذين شاركوا في المسابقة وذويهم ومدرسيهم وكل من شجّعهم وشرح لهم أهمية الإقتصاد في استخدام المياه وحثهم على المشاركة في هذه المسابقة . الجدير بالذكر أن عدداً كبيراً من الأطفا مختلف أنحاء المملكة قد شاركوا في هذه المسابقة . والشركة إذ تكرّر شكرها وتهانيها للفائزين . يسعدها أن توجه الدعوة إلى جميع الأ في المملكة للمشاركة في المسابقة العشرين التي أعلن عنها مؤخراً وموضوعها " **المملكة في عيون أطفالها** " احتفاء من أرامكو السعودية بمرور مائة سنة على تأسيس المملكة العربية السعودية . في ما يلي أسماء الأطفال الفائزين بجوائز المسابقة :

أبرار محمد صالح المونس
أحمد أسامة محمد مصطفى القدح
أحمد راشد محمد الراشد الحميد
أحمد رأفت أحمد عبد العزيز
أحمد سعيد مرجّى
أحمد عبد الرحمن الجفيمان
أحمد عبد العزيز الزغيبي
أحمد عبد الله باحداد
أحمد ماجد سلامة
أحمد محمد سعيد بازيد
أحمد مصطفى المصطفى
أحمد نافذ الجعبري
أريج أحمد عبود سالم بن زقر
أسماء عبدالله راشد بن دايل
أشواق محمد عبد الله الدريس
أفراح إسماعيل الصومالي
أكوب انترانيلو اسينجيان
الافا هشام أحمد يوسف زينل علي رضا
البتول محمد يوسف محمد صلاح جمجوم
الجوهرة ناصر سعود الدغيثر
أنس عبد القادر العباسي
أنفال علوش مشعل تومان
إيمان أحمد أبو بكر العامودي
إيمان علي حسن البادي
بسمة بنت منصور بن مشعل بن عبد العزيز آل سعود
بشرى ناصر صالح العجاجي
بلال نزار حسين فقيها
بنان عبد الله محمد المقرن
بندر فهد عبد الرحمن زعير
بيضاء شخص العصيمي
حادي محمد عبدالهادي بنجك
حسام كايد صالح
خالد عبد الكريم سالم الرشيدي
خلود خالد سراج الدين
خليل إبراهيم خليل الدوسري
دانة حسين عيسى الملا
دانية فوزان عمر محمود شمس
ديمة سعود الخريتق
رابية قيس إبراهيم جليدان
راضي غافل حمد العنزي
رؤى رشاد عايد الثقفي
رجائي محمد إبراهيم العلي
رحاب صالح الخضير
رزقان محمد ناصر
رشاد أحمد محمد مباركي
رضوان سعيد مرجّى
رفال كامل محمد علي
رهام هشام سالم عطاس
ريهام محسن القحطاني
زكي سليمان الحفظي
زهراء باقر محمد الهاشم
سالم ناصر هزاع السبيعي
سحر جمعان الشهراني
سحر مبارك القحطاني
سكران أحمد سكران
سلطان تركي عبد الله التركي
سلمان محمد عبيد الحازمي
سليم سليمان الغريض
سليمان محمد الحبش
سليمان محمد سليمان الجربوع
سمية إبراهيم زيد الدوسري
سندس علي عبد الله الشبعان
سهى فلاح عبد الكريم الحرز
سيماء محمد عمر ناصر
شذى أحمد محمد بكر
شروق أحمد محمد بكر
شريف إسماعيل عبد العزيز حسن
شهد جعفر عبد الله آل سليم
شهد علي محمد الخليفة
صالح خليفة صالح الغريب
صالحة محمد حسن علي الحربي
طارق كمال الدين حسين شرقوب
عادل محمد سالم العصيفير

مدارس الرياض
العزيزية الأهلية
مدارس الرياض - الروضة
المصيف الخاصة
متوسطة عثمان بن عفان
عمار بن ياسر الابتدائية بالهفوف
الدفي الابتدائية
يحي بن أكثم الابتدائية
العزيزية الأهلية
عقبة بن غزوان
عمار بن ياسر الابتدائية بالهفوف
العزيزية الأهلية
الابتدائية الثانية لتحفيظ القرآن
مدارس الرياض للبنين والبنات
الرواد الأهلية
مركز التعليم الخاص - جمعية فتاة الخليج
النموذجية الأهلية
دار الفكر
دار الفكر
مدارس الرياض
الحويلات الابتدائية
مركز سعد الصانع لتقويم السمع والنطق
دار الفكر
المتوسطة الأولى
دار الفكر
منارات القصيم
مزدلفة الابتدائية
الابتدائية ٣٥
مدارس الرياض - الروضة
أم كلثوم بنت عقبة
مركز سعد الصانع لتقويم السمع والنطق
الدفي الابتدائية
الإمام البخاري الابتدائية

طارق بن زياد الابتدائية
مدارس الرياض
دار الفكر
التربية النموذجية
دار الفكر

الرواد الأهلية
المقداد بن عمرو
التربية النموذجية
الشيخ محمد بن عبد الوهاب
الحويلات الابتدائية
الحمدية النموذجية
رياض الإسلام
الابتدائية ١٤
أم كلثوم بنت عقبة
متوسطة منذر العوص
السابعة عشرة الابتدائية
العزيزية الأهلية
الابتدائية ٥٤
مركز التعليم الخاص - جمعية فتاة الخليج
الشيخ محمد بن عبد الوهاب
مدارس الرياض
عمر بن عبد العزيز الابتدائية
الشيخ محمد بن عبد الوهاب
عمار بن ياسر الابتدائية بالهفوف
دار العلوم الأهلية
مركز رعاية المشلولين
التربية النموذجية
الابتدائية ٤٨
دار الفكر
الزهور الابتدائية
الزهور الابتدائية
أكاديمية رحيمة

الرواد الأهلية
روضة حي الإسمنت الخيرية
معهد الأمل للصم والبكم
الشاطئ الأهلية
الأزهري المتوسطة

الرياض
الخبر
الرياض
الطائف
المدينة المنورة
الأحساء
الجبيل الصنا
جدة
الخبر
الرياض
الأحساء
الخبر
الخبر
الرياض
الرياض
الخبر
الخبر
جدة
جدة
الرياض
الجبيل الصنا
الخبر
جدة
القطيف
جدة
بريدة
مكة المكرمة
الرياض
الرياض
الرياض
الخبر
الجبيل الصنا
القريات
المدينة المنورة
الدمام
الرياض
جدة
الرياض
جدة
القريات
الرياض
الظهران
الرياض
عرعر
الجبيل الصنا
المدنية المنورة
الدمام
مكة المكرمة
الرياض
رجال ألمع
القطيف
الخبر
جدة
الخبر
عرعر
الرياض
طريف
عرعر
الأحساء
الرياض
الرياض
الرياض
الدمام
جدة
الخفجي
الخفجي
الخبر
الظهران
الرياض
بقيق
جدة
جدة
الرياض

الماء هو الحياة...
فاقتصد في استعماله

بمسابقة رسوم الأطفال السنوية

للعام

19

على التوالي

عاصم محمد الملحم	عمار بن ياسر الابتدائية بالهفوف	الأحساء
عاطف معيض الزهراني	الحويلات الابتدائية	الجبيل الصناعية
عالية عبد المنعم لطفي هاشم	دار الفكر	جدة
عبد الكريم مدالله الدخيل	الشيخ محمد بن عبد الوهاب الابتدائية	عرعر
عبد الرحمن ثامر الشرمان	الدفي الابتدائية	الجبيل الصناعية
عبد الرحمن عادل العامر	عمار بن ياسر الابتدائية بالهفوف	الأحساء
عبد العزيز إسماعيل الصومالي	الدفي الابتدائية	الجبيل الصناعية
عبد العزيز سامي الملحم	عمار بن ياسر الابتدائية بالهفوف	الأحساء
عبد العزيز مشاري الجغيمان	عمار بن ياسر الابتدائية بالهفوف	الأحساء
عبد الفتاح حسن عوالي	الدفي الابتدائية	الجبيل الصناعية
عبد الله حمد عبد الله العبود	أحد الابتدائية	الدمام
عبد الله عائض الثبيتي	اليرموك المتوسطة	الطائف
عبد الله عادل المويجد	عمار بن ياسر الابتدائية بالهفوف	الأحساء
عبد الله فلاح عبد الكريم الحرز	التهذيب الأهلية	الظهران
عبد الله محمد عبد الله العنزي	دار العلوم الأهلية	الرياض
عبد المجيد إبراهيم الشعيبي	عمار بن ياسر الابتدائية بالهفوف	الأحساء
عبد المجيد ناصر صالح العجاجي	منارات القصيم	بريدة
عبير صالح محمد الحقباني	دار الفكر	جدة
عصام سعد المطلب	الشيخ محمد بن عبد الوهاب الابتدائية	عرعر
علي حسين الشريف	الدفي الابتدائية	الجبيل الصناعية
علياء أحمد عطية أصيل	منارات القصيم	بريدة
عمر محمد علي	الشيخ محمد بن عبد الوهاب الابتدائية	عرعر
عهود السويح	مدارس الرياض	الرياض
عواد سليمان العواد	الشيخ محمد بن عبد الوهاب الابتدائية	عرعر
عيسى عبد الله الدوسري	العزيزية الأهلية	الخبر
غدير علي عبد العزيز السعيد	التاسعة والعشرون	عنيزة
فارس أبو بكر محمد بشير	الإمام النووي الابتدائية	ينبع
فاطمة عدنان العبد الكريم	التربية النموذجية	الرياض
فاطمة محمد عمر العيساني	دار الفكر	جدة
فايز عوض مرحي العنزي	عبد الله بن عباس الابتدائية	عرعر
فراس معتز حجاوي	الحويلات الابتدائية	الجبيل الصناعية
فهد ناصر السبيعي	العزيزية الأهلية	الخبر
فواز محمد الرويلي	الشيخ محمد بن عبد الوهاب الابتدائية	عرعر
فيصل معتز حجاوي	الحويلات الابتدائية	الجبيل الصناعية
قاسم أحمد نزار غيدة	العزيزية الأهلية	الدمام
لمى سمير عبد القادر نصير	دار الفكر	جدة
لمى حامد عبد الله الشارخ	مدارس الرياض	الرياض
مجاهد أحمد صالح الحجيلان	محمد بن مانع الابتدائية	بريدة
محمد صالح محمد الكثيري	متوسطة مصعب بن عمير	عرعر
محمد طارق محمد علي محمد	روضة جدة النموذجية	جدة
محمد عبدالقادر الحاج العاقب	عمار بن ياسر الابتدائية بالهفوف	الأحساء
محمد عبده متعب	الحويلات الابتدائية	الجبيل الصناعية
محمد عثمان الجندي	عمار بن ياسر الابتدائية بالهفوف	الأحساء
محمد علي عيسى حسن	متوسطة منذر العوص	رجال ألمع
محمد فهد عبد المحسن الملحم	عمار بن ياسر الابتدائية بالهفوف	الأحساء
محمد فيصل السعيد	الدفي الابتدائية	الجبيل الصناعية
محمد مالي فينج كستي	الإمام أحمد بن حنبل الابتدائية	مكة المكرمة
محمد يحيى حسين حمدان	رجاء بن حيوة	الرياض
محمود حسين عبد الله جبر	الشيخ محمد بن عبد الوهاب الابتدائية	عرعر
مشاعل بنت فهد بن سعود آل سعود	مدارس الرياض	الرياض
مشاعل محمد العنزي	أم كلثوم بنت عقبة	الرياض
مشاعل مقبل عمير الشمري	مركز سعد الصانع لتقويم السمع والنطق	الخبر
مصطفى سعيد مرجي	متوسطة عثمان بن عفان	المدينة المنورة
معالي حمد صالح علي البار	التربية النموذجية	الرياض
منال فلاح عبد الكريم الحرز	الابتدائية ٤٨ بالدمام	الدمام
منصور فراج محمد الفراج	واحة المعرفة الأهلية	عرعر
منى محمد عدنان المغربي	الرواد الأهلية	الرياض
مهند جميل عبد المجيد عطية	الأنجال	جدة
مي إبراهيم عبد الله الصغيان	التربية النموذجية	الرياض
مي سراج علي محمد الحمراني	دار الفكر	جدة
ميرال صالح محمد السويلم	التربية النموذجية	الرياض
ناصر محمد منصور القحطاني	روضة جدة النموذجية	جدة
ناصر مضحي عبد الله	عبد الله بن عمر الابتدائية	عرعر
نجلاء بنت سعود بن عبد الله آل سعود	مدارس الرياض	الرياض
نجلاء مد الله سعيد السيالي	التربية النموذجية	الرياض
ندى رأفت أحمد عبد العزيز	المصيف الخاصة بالطائف	الطائف
نهى محمود ناجي النبريص	مركز سعد الصانع لتقويم السمع والنطق	الخبر
نورة محمد سلطان المعجل	الصرح الإسلامية	الرياض
نوف أحمد حمد الحمودي	مدارس الرياض	الرياض
هاجر سامي أحمد موصلي	دار الفكر	جدة
هادي علي هادي	متوسطة منذر العوص	رجال ألمع
هاني محب الله روشن	الدفي الابتدائية	الجبيل الصناعية
هاني محمد شريف فتحي	العروبة	الرياض
هدى خيرالله الراشد	مركز الأمير سعود بن نايف لتأهيل الإناث	الدمام
هدى محمد أسامة القباني	دار الفكر	جدة
هشام عبد العزيز عبد الله عدوان	مدارس الرياض -روضة	الرياض
هشام قاسم علي الغامدي		الظهران
هنادي سعود عبد الله الحزمي	التربية النموذجية	الرياض
هيفاء عبد الرحمن العجاجي	مدارس الرياض	الرياض
وائل بابكر أحمد الحاج	ابن الأثير الابتدائية	عرعر
وفاء إبراهيم أحمد الزيد	مركز التعليم الخاص - جمعية فتاة الخليج	الخبر
وفاء سعود عبد الله الصالح	الابتدائية ١٥٥	الرياض
ياسر محمد أنور عبد الحي البياضي	الحمدية الابتدائية	الخبر
ياسمين محمد يوسف محمود زاهد	دار الفكر	جدة
ياسمين يوسف إبراهيم أمين بخاري	دار الفكر	جدة
يوسف سمير يوسف الشيخ	العزيزية الأهلية	الخبر
يوسف محمد أحمد العثمان	مدارس الجامعة	الظهران



الماء ثروة...
فلا تهدر ثروة بلادك

من يغتال البراءة؟!

المعادلة الصعبة في معالجة ظاهرة العنف ضد الأطفال

إعداد: قسم التحرير

يقول المتنبي: وبضدها تتميز الأشياء! ويبرز التضاد ويتضح عندما يكون العنصران جنبًا إلى جنب بصفاتهما المتناقضة.. وفي بعض الأحيان يظهر هذا التباين صارخًا، ومن ثم تبدأ الموازنة بين الأضداد، فيبرز ما لم يكن في الحسبان، ويتعمق مفهوم كل من الضدين: الحَسَن في حُسْنه، والقبيح في قبحه؛ فتنفسح في الذهن فضاءات لتقليب الأمور على وجوهها المختلفة، لإيجاد العلاقات بينها، أو محاولة تفسير العلاقة التي وجدت من خلال الظاهرة التي جمعت الأضداد.



صبي دون سن الثامنة عشرة يعمل في مجال محرم على الكبار أنفسهم: جمع المخدرات ونقلها!

إن ظاهرة انتشار العنف بين الأطفال وضدهم في كثير من المجتمعات، ولاسيما الغربي منها، وتناول أصداء هذه الظاهرة ومضاعفاتها بصورة مكثفة في وسائل الإعلام، جسَّد تناقضات الأضداد: العنف بكل ما ينطوي عليه من قسوة وبشاعة وفظاظة ورعونة، والطفولة بكل معانيها الجميلة: البراءة والرقة والرحمة واللطف..

لقد قفزت هذه الظاهرة إلى بؤرة الاهتمام الإعلامي والاجتماعي نتيجة للحادثة البشعة التي وقعت - مؤخرًا - في إحدى مدارس ولاية أركنساس الأمريكية. لقد ذهل العالم للنبأ الذي تناقلته وسائل الإعلام. ففي غضون أربع دقائق جندل صبيان - عمرهما ١٣عامًا، و١١ عامًا - خمسة أشخاص داخل المدرسة. لقد صوَّب التلميذ ميشيل جونسون - برفقة ابن عمه أندرو غولدن - سلاحين نارين، وأطلقا ٢٧ رصاصة على رفاقهم، فصرعا خمسة من بينهم إحدى المعلمات. وقد أكد شهود أن جونسون - الذي عُرف بتعاطيه المخدرات - قام بالتخطيط لهذه الجريمة، وذكروا أنه في اليوم السابق هدَّد «بأن هناك شيئًا كبيرًا سيحدث. وغدًا ستعلمون إذا كنتم ستعيشون أم لا؟». أما جوشوا رينولدز (١٣عامًا) فقد وصف جونسون بأنه: «معروف بوصفه صبيًا كثير المفاخرة ويقتني المدى، وقد أخبر الناس بأنه سيقتلهم ولكن لم يصدقه أحد».

وفي اليوم التالي قدم جونسون وابن عمه إلى المدرسة، وشرع جونسون في إطلاق الأعيرة النارية على التلاميذ يتبعه ابن عمه. وقد وصف أحد التلاميذ (براندي جورج) الحادث بقوله: «في البداية اعتقدنا أنها مجرد فرقعة نارية، ثم سمعت أحد المعلمين يصيح: طلقات نارية.. فأخذت أجري». أما عامل البناية الذي شهد الحادث فقد طلب الرقم ٩١١ الخاص بالطوارئ وأخبرهم بالواقعة فحضرت شرطة أركنساس، ولكن المذبحة كانت قد انتهت. وقد قالت المدرِّسة جنيفر غوركين: «لقد سمعت الطلقات. كان الناس يركضون في كل مكان، والدماء كذلك في كل مكان، كانت مثل الاستمرار في الحركة



الضجيج والوحدة والتلوث والظروف المعيشية السيئة من أسباب انحراف الأطفال: صبيَّان يعيشان في أحد مناجم استخراج الفحم في يوغوسلافيا السابقة

البطيئة، كأنه حلم ما كان يجب أن يحدث».

وبعد خمس عشرة دقيقة كان الولدان في الحجز بعد ما تم القبض عليهما داخل الغابة التي اختفيا فيها، كما أنهما لم يقاوما الشرطة لحظة الاعتقال. وقد أُغلقت المدرسة، ونُكس العلم الأمريكي، ووضع كثير من الناس أكاليل الورود في الموقع الذي سالت فيه دماء الضحايا..

وما تزال محاولات تفسير الجريمة مستمرة، وهناك أسئلة تتردد: ما الذي يمنع تكرار مثل هذه الحادثة أو وقوع ما هو أكبر منها؟ ولاسيما أن القانون في ولاية أركنساس لا يحرم على صغار السن (أقل من ٢١سنة) اقتناء السلاح، كما هو الحال في ولايات أمريكية أخرى.

لقد انحسرت انعكاسات حادثة أركنساس، وفصَّلت وسائل الإعلام أسبابها، وما وراء تنامي ظاهرة العنف بين الصغار، فذكرت مجلة TIME أن جذور هذه الظاهرة تتغذى من الأفلام السينمائية الهابطة والمثيرة وألعاب الفيديو التي تعلم الأطفال فنون الإرهاب، وسهولة حصول الأطفال على السلاح، وأخيرًا الحرمان العاطفي والأسري.

هذه الأسباب وغيرها مما أصبح جزءًا من

نسيج المجتمعات الغربية، يمكن أن نعدها محفزات أو مثيرات مباشرة لحوادث العنف بعامة، وعنف الأطفال بخاصة. ولكن هذه الأسباب نفسها هي نتيجة وانعكاس لظواهر أخرى تعج بها المجتمعات التي تشهد تصاعداً للعنف، وتتجذر في البيئة التي ينبت فيها الانحراف. ومن تلك الظواهر: إهانة الأطفال والقسوة عليهم، وتحطيم قلوبهم الصغيرة، بممارسات بشعة لا يقرها الدين والأخلاق الكريمة؛ فيشب الطفل ناقمًا على مجتمعه، وفي أول صدام بينهما سرعان ما يستدعي من ذاكرته مخزون القسوة، فيكون رد الفعل عنيفًا.

جاء في تقرير رسمي وضعته منظمة الأمم المتحدة لرعاية الطفولة والأمومة (يونيسيف): «إن آلافًا من الأطفال يُسْتَغَلّون يوميًا أو يُستدرجون، أو يُباعون في سوق تجارة الجنس العالمية.. وإن هذه السوق تشهد اتساعًا متزايداً ويُقدَّر رقم أرباحها بمليارات عدة من الدولارات..».

هذا التقرير جعله أول مؤتمر دولي لمكافحة الاستغلال الجنسي للأطفال والمراهقين، عُقد في العاصمة السويدية (ستكهولم) خلال المدة من ٢٧-٣١ أغسطس/ آب ١٩٩٦م، وثيقة عمل أساسية له. وكانت منظمة أهلية تطلق على نفسها اسم «أوقفوا دعارة الأطفال في السياحة الآسيوية» قد دعت - بالتضامن مع الحكومة السويدية - إلى عقد ذلك المؤتمر الأول من نوعه في التاريخ الدولي الحديث والمعاصر، وقال منظمو المؤتمر: «إن هناك أكثر من مليون طفل يدخلون كل سنة في سوق الجنس غير المشروعة!».

وهناك تقارير دولية أخري ذات قيمة تتناول ما يمكن أن نطلق عليه: «مأساة أطفال ما بعد الحربين»، أو مأساة أطفال الدول التي تدور بينها حروب إقليمية أو أهلية في وقتنا الحاضر. ومن تلك التقارير - على سبيل المثال - تقرير أصدره مكتب العمل الدولي وتناقلته وكالات الأنباء العالمية يوم ٣١ أغسطس/ آب ١٩٩٦م، جاء فيه أن «٢٥٠ ألف طفل تراوح أعمارهم بين ٥- ١٤ سنة مضطرون للعمل، ومن لا يعمل منهم يكون عُرضة للتشرد



ميشيل جونسون: صبي في الثالثة عشرة من عمره، جندل - برفقة ابن عمه - خمس ضحايا (من بينهم معلمة) في أربع دقائق!!



الضحايا الخمس الذين قضوا نحبهم: ناتالي بروكس (١٢عامًا)، بريتني فارنر (١١عامًا)، ستيفاني جونسون (١٢عامًا)، شانون رايت (٣٢عامًا)، آن هيرنج (١٢عامًا)

والاستغلال الوحشي في أعمال من بينها الدعارة..». وأوصى التقرير بوضع معاهدة جديدة تُخَصَّص - تحديداً - لمكافحة أشكال التشغيل السيئ للأطفال واستغلالهم، ولاسيما تلك الأعمال التي تقوم على السخرة أو العمل لتسديد الديون أو ممارسة البغاء.

وفي باريس قرر «المكتب الدولي لحقوق الأطفال» في اجتماع له يوم ٢٢ نوفمبر/ تشرين الثاني ١٩٩٦م البدء في حملة دولية لمكافحة الاستغلال الجنسي للأطفال..

وذكرت رئيسة المكتب الكندية «أندريه ريفو» في مؤتمر صحفي أن المكتب أُنشئ في

عام ١٩٩٤م، وأن محكمة دولية حول حقوق الطفل ستدافع أمام شخصيات ومسؤولين في عدد من الدول عن قضيتها الأولى المتمثلة في التجاوزات الجسدية ضد الأطفال.

وتتألف هذه المحكمة من خمسة قضاة يمثلون أمريكا الشمالية، وأمريكا الجنوبية، وآسيا، وإفريقيا، وأوربا، وسيسعون إلى تأكيد أن التجاوزات الجسدية ضد الأطفال تتكرر من بلد إلى آخر بمساعدة شبكات عديدة.

ولم تقتصر المبادرات المتعلقة بمكافحة دعارة الأطفال - في شتى أشكالها وصورها - على الكبار من القلة الخيرة التي تعمل - كمنظمات وهيئات - لمكافحة هذه الآفة الخطيرة؛ بل امتد الإحساس بالخطر إلى الضحايا أنفسهم.. إلى الأطفال الذين يقاسون من الأسباب التي جعلت منهم بضاعة رخيصة في سوق الدعارة العالمية.

ففي ديسمبر/ كانون الأول ١٩٩٦م، وفي قضية تكاد تكون الأولى من نوعها في فرنسا والمجتمع الدولي، وافقت الجمعية الوطنية الفرنسية (البرلمان) بالإجماع على أول مشروع قانون وضعه الأطفال الفرنسيون يتعلق بما أسموه «حق الأخوة لهم». وهذا المشروع القانوني الذي قدمته مجموعة من أطفال المدارس الصغار السن يخص حياتهم، ويتعلق بارتباطاتهم الأخوية من الناحيتين الإنسانية والاجتماعية القانونية.

وكان الدافع لهذه المجموعة من أطفال المدارس إلى صياغة هذا المشروع القانوني هو وجود ١٢٥ ألف طفل فرنسي - وهو رقم قابل للزيادة - يعانون في المجتمع الفرنسي من التشتت والشعور بالوحدة وقسوتها والحنين للأخ أو الأخت، وذلك بسبب العيش إما مع زوج الأم وإما مع زوجة الأب.

والأطفال المعنيون بذلك القانون يطالبون بموجبه بحق لمّ الشمل بين الإخوة والأخوات للعيش معًا؛ أي أن يكون هناك «حل اجتماعي إنساني وقانوني يمنع التفريق بين الإخوة والأخوات عند طلاق الوالدين وانفصالهما

SCHOOL OF DEATH

Construction fence

Administration building

Under construction

Classrooms

Gymnasium

Andrew Golden and Mitchell Johnson

According to police:

1 At 12:35 p.m., Andrew Golden, 11, pulls a fire alarm inside Westside Elementary, then joins Mitchell Johnson, 13, in the woods

2 Students and teachers file out of the school into an open area. The doors lock behind them

3 The two boys open fire from their position in the woods 100 yds. (91 m) away. Armed with three rifles and seven guns, they get off 22 shots in about four minutes. They wound nine students and one teacher and kill four girls and one teacher

4 At 12:38 p.m. the first 911 call is received. Police arrive in three to four minutes, and workmen on the roof point them toward the spot where they saw smoke from the firing guns

Within 15 minutes of the shooting the police capture the two boys

مسرح الجريمة البشعة التي راح ضحيتها خمسة أبرياء (عن التايم الأمريكية)

من يغتال البراءة ؟!

بعضهما عن بعض، لأن الإخوة والأخوات يمكن أن يساعد بعضهم بعضًا على حل مشكلاتهم في غياب رعاية الأب أو الأم أو كليهما معًا. وهي مشكلات تنشأ عادة في ظروف ما بعد انفصال الوالدين واستقلال كل منهما بحياته الخاصة قبل أن تكتمل إجراءات طلاقهما، لأن ذلك يعني انهيار الأسرة التي كان يُظلّ أفرادَها سقفُ بيت واحد».

وقد أجازت الجمعية الوطنية الفرنسية مشروع القانون كما قدمته لها مجموعة الأطفال، وهو - أي القانون - ينص - ضمن مواده - على أن جمع الإخوة والأخوات في مكان واحد يمكن أن يشيع بينهم قدرًا كبيرًا من الشعور بالأمان والطمأنينة والثقة؛ مما يخفف عنهم جميعًا - ذكورًا وإناثًا - آلام اليُتم، والشعور بالحرمان من حنان الأم وعطف الأب.

وفيما يلي نماذج واقعية من المجتمعات الغربية بصفة خاصة بوصفها المصدر الرئيسي لهذه الآفة المهينة لكرامة الإنسان أيًا كان دينه وجنسه ولونه وموقعه:

* في العاشر من نوفمبر/ تشرين الثاني ١٩٩٦م زجَّت الشرطة في مدينة كاليه بشمالي فرنسا بتسعة أفراد من عائلة واحدة في السجن بتهمة اغتصاب أطفالهم من أصلابهم وأطفال إخوانهم وأخواتهم!! وأعلنت النيابة العامة أن المتهمة الأولى والأساسية في هذه القضية البشعة هي الجدة! وقالت النيابة في سياق تحقيقاتها: «إن الأشخاص المتهمين في القضية سُجنوا بتهمة إساءة المعاملة والاغتصاب والتحرش الجنسي، وتحريض الأطفال القُصَّر الأبرياء دون سن الخامسة عشرة على الفجور وممارسة الرذيلة»!!

وقال باتيست هاكيه نائب المدعي العام: «إنه لأمر مرعب!»، وأضاف: «أن الجدة التي تبلغ من العمر ٦٠ عامًا متهمة بالتدبير والتحريض على الاغتصاب، وأن ما بين ١٦-٢٣ طفلاً كانوا ضحايا هذه الجدة!».

* في ٢ ديسمبر/ كانون الأول ١٩٩٦م أُلقي القبض على راكب كمبودي في مطار روما. إذ بينما كان واقفًا أمام ضابط الجوازات الذي كان يفحص جوازه صاحت طفلة كانت برفقته: «إنه ليس أبي». وكان مع هذه الطفلة طفلان آخران ادَّعى ذلك الراكب - الذي اتضح أنه قوَّاد دولي يعمل في دعارة الأطفال - أن الأطفال الثلاثة أولاده. وكان يحمل جواز سفر بلجيكيًا مزوَّرًا، وعُثِر في حقيبته على مئات من الصور الفوتوغرافية الملونة للأطفال الذين يريد أن يتاجر بهم من طريق شبكة دولية لدعارة الأطفال ينتمي إليها ويتعامل معها في أوربا.

ورجحت الشرطة يومئذ أن يكون الكمبودي عضوًا في شبكة دعارة الأطفال البلجيكية الشهيرة التي كان يتزعمها ويديرها البلجيكي «بارك دوترو» الذي احتُجز آنذاك للتحقيق معه في أضخم فضيحة لدعارة الأطفال القُصَّر اكتُشفت حتى الآن، وبلغ عدد المتهمين فيها باغتصاب الأطفال الضحايا وقتلهم عشرة متهمين!

* في ١٨ مايو/ آيار ١٩٩٦م أعلنت السلطات المكسيكية أنها بدأت التحقيق جنائيًا حول شكاوى تتعلق بتعرض ٥١ طفلاً من أصول هندية تراوح أعمارهم بين ٦- ٩ سنوات لعمليات اغتصاب في مدرسة داخلية!

وذكرت وزارة الداخلية المكسيكية أن التحقيق بدأ إثر تلقي شكاوى من أهالي تلاميذ قُصَّر في مدرسة زاكا باكستالا الداخلية في ولاية بيولا التي تبعد ١١٠ كيلات إلى الشرق من مدينة مكسيكو! وأن النيابة العامة أجرت تحقيقًا لأن المدرسة تابعة للحكومة المركزية وليس لسلطات الولاية.. وقد تم إبعاد مديرة المدرسة.

* في ٢١ يونيو/ حزيران ١٩٩٧م أصدرت محكمة أمريكية في نيويورك حكمًا بإعدام رجل في السادسة والثلاثين من عمره أُدين باغتصاب طفلة في السابعة من عمرها وقتلها في عام ١٩٩٤م. هذه الجريمة سببت صدمة كبيرة داخل الولايات المتحدة، وأدت إلى تعديل القانون الجنائي الأمريكي.

وأصدر قضاة محكمة ترنيتون في ضاحية نيوجيرسي بنيويورك بالإجماع حكمًا بإعدام جيسي تيمينديكاس الذي اتُّهم في ٣٠ مايو/ آيار ١٩٩٧م بخطف الطفلة ميغان كانكا واغتصابها ثم خنقها في ٢٩ يوليو/ تموز ١٩٩٤م. وقد حدد القاضي، الذي أعلن الحكم مباشرة على شاشات التلفزة المحلية، اليوم الأول من أغسطس/ آب ١٩٩٧م موعدًا لتنفيذ الحكم في المتهم الذي سبق له أن سُجن في عامي ١٩٨٠ و١٩٨١م، بعد أن اغتصب فتيات صغيرات، وتم إعدامه بالحقن وفقًا للقانون المطبق في الولاية.

* في ١٩ يونيو/ حزيران ١٩٩٧م، أعلن مصدر قضائي في مدينة ليما عاصمة البيرو أن المدعي العام لمحكمة إيكا في جنوبي البلاد طالب بإنزال عقوبة السجن ١٢٠ عامًا على متهم بقتل ثمانية أطفال واغتصاب أربعة عشر طفلاً آخرين.

وكان نيكولاس غوتيريز - الذي يعدّ أكبر قاتل أطفال بالجملة في تاريخ البيرو - ملاحَقًا مع ثلاثة شركاء آخرين في بعض الجرائم وعمليات الاغتصاب.

النماذج والأمثلة كثيرة لانتشار ظاهرة العنف ضد الأطفال، ولاسيما في المجتمعات الغربية. ولكن يبقى السؤال الملح: ما أسباب الظاهرة؟ أقرب الإجابات إلى الدقة يكمن في بؤرة الظاهرة؛ أي في مصدرها الأول، وهو المجتمعات الغربية (أوربا والولايات المتحدة).

ويمكن القول: إن ما أصبحت عليه المجتمعات الغربية عمومًا من تحلل أخلاقي وتفسخ وفجور، بعد طغيان الحضارة المادية وتراجع القيم وانهيار ما قام عبر التاريخ من روابط ووشائج إنسانية بين البشر؛ سواء على مستوى الأسرة الصغيرة أو المجتمع الكبير، كل هذا أدى إلى ظهور أشكال جديدة للعلاقات الثنائية والجماعية بين الأفراد.

وعليه يمكن القول أيضًا: إن هذه الظاهرة هي نتيجة منطقية ومحصلة طبيعية لمعطيات لا يمكن أن تنتج إلا عنفًا وكراهية.. فالظاهرة إفراز لتلك البيئات التي ترسخ إهانة الأطفال، وتنشئهم على كراهية المجتمع.. وعلى الغرب الذي يُسوِّق إعلاميًا أي حادثة من هذا القبيل، أن يتمهل قليلاً، ويدرس هذه الظاهرة بعناية، ويجد لها العلاج الناجع، بقطع الموصلات التي تغذي جذورها.. وهو أمر قد يبدو بعيد الحدوث - في الوقت الحاضر على الأقل - لصعوبة المعادلة، ولأن منشطات هذه الظاهرة هي جزءٌ أساسي في تركيبة المجتمعات المادية.

قصيدة

إني رغبت إليكم

شعر: قمر الزمان حبيك

لقد ذهبت منك المنى كُلَّ مذهبِ ... وهاج لك الأشجان طولُ الترقُّبِ
قُصاراك أن تسعى وربك إن يشأ ... يُقَدِّر لك التوفيق في كل مسربِ
متى تُبلِ عذرًا لا تُصبكَ ملامةٌ ... وإن أنت لم تبلغ مدًى لم يُقَرَّبِ
لعمرُك ما يغني فتيلاً عن الفتى ... على ما قضى الرحمنُ طولُ التحوُّبِ
يكاد عسيرُ الأمر يأتيك طالبًا ... إذا الله سَنَّاه ولَمَّا تسبَّبِ
ومهما يؤمِّل من مناه مؤمِّلٌ ... إذا الله لم يكتب لها الصدق تَكذبِ
آلَ سعودٍ رغَّب الناس فيكم ... أثارٌ لكم في كل شرقٍ ومغربِ
تشيد بمعروفٍ وتثني عليكم ... بكل لسانٍ أعجميٍّ ومُعرِبِ
تُحببكم حبًّا إلى الناس صادقًا ... ومن يبذُل المعروف لا ريب يُحْبَبِ
وما قرت الأرضُ المباركةُ التي ... محط الهوى بالبيت منها ويثربِ
وكم مستغيثٍ جاء يطلب رفدكم ... وراج نوالاً آب غير مُخَيَّبِ
وأخلاقُ فتيانٍ إذا ذُكر الندى ... محا ذكرهم فجرًا سنا كل كوكبِ
إذا ارتاح قومٌ للممالك والثرا ... فراحتهم جبرُ الكسير المعذَّبِ
وإحياءُ أمجادٍ وإعلاءُ رايةٍ ... أبى الله إلا أن تكون بمرقبِ
نظرتُ فما آنستُ شرقًا ومغربًا ... نظيرًا لكم يا خير عونٍ ومنكبِ
فهل أنا يومًا إن رجوتُ فَعالكم ... أو الفضل مما تبذلون بمُسهبِ؟
ومخطئتي أيد كأن نَوالها ... أهاضيبُ ثَجَّاجٍ من الغيث طيِّبِ
آلَ سعودٍ قد رغبتُ إليكم ... وبُحتُ لكم بعد الدعاء بمطلبي
وسألتكم نورًا من العلم مُبصرًا ... وكم قابسٍ من نوركم لم يُخيَّبِ
فهل أنا مسرورُ الغداة بمنحةٍ ... فَمُثنٍ بها خيرًا ثناء مُثوِّبِ؟
فلا انقطعت يومًا من الناس حاجةٌ ... إليكم ولا زلتم حيًا غير خُلَّبِ
ولا فتئت أخرى الليالي ربوعكم ... محطّ رحالٍ من رجالٍ وأركُبِ

أقوال الماضي الحاضر





د. عبدالعزيز بن عبدالله الخويطر

عندما يسيطر الجهل، وتضعف الأنفس، يتعلق الناس بالوهم، يداوون به ما يشكون منه حقيقة أو وهمًا؛ ولأن في هذا الوهم خداعًا للنفوس، وتخديرًا للعقول، يجد أصحاب الوهم فيه سوقًا رائجة بين الجهلة، يتعلقون بسرابه، ويلجؤون إلى ظله الزائف، يتقون ببرده حرارة ما يصادفونه من مشقة الحياة.

وقد خيَّم الجهل، في عصر الجاهلية، على بعض العقول، وعلى بعض جوانب التفكير فيها، فازدهرت الخرافة، ومن بين أنواعها الطِّيَرَة، وكثر اتّباع طرق مهينة للعقل، مسخرة له في تقرير الأشياء، أو ترجيح بعضها على بعض؛ والناس سريعون إلى وضع مَرْفِقِهم على ما يسندهم ويريحهم، ووجدوا ضالتهم في الطيرة، من زجر الطير، واستقسام بالأزلام، واستنطاق السهام والأحجار، وتنفير الوحش؛ وهم بهذا يضحكون على أنفسهم، ويهزؤون بعقولهم، وفي هذا خديعة لهم، ومع هذا يجدون في ذلك راحة، وطمأنينة يركنون إليها.

وهؤلاء القوم لا يلتفتون للنتائج التي تأتي مخالفة لما تنبأت إيحاءات الودع به، ولا ما دلتهم عليه سوانح الطير وبوارحها؛ ولا يخطر ببالهم أن يتدبروا أمر كذبها، ولا يجرؤون على ذلك؛ لأنها قاعدة ثابتة في مجتمعهم، ولا يقدم أحدهم على نقد الثابت، إلا من وطّد نفسه، من بينهم، على تحمل الأذى المتوقع، من نقد لاذع، ومن مقاطعة أو هجر، ومن احتقار وازدراء ونبذ؛ وفرحتهم عظمى عندما يصدق الحدس مصادفة، ويأتي الأمر عرضًا بما أملوا، بعد أن تيامن الطير أو تياسر في طيرانه، أو عندما خرج السهم آمرًا أو ناهيًا.

يريد أحدهم أن يسافر، أو يتزوج، أو يبرم صفقة، أو يقوم بغارة، فيستقسم بالأزلام، ويستشير السهام، ويلجأ إلى الطير فيزجرها، فإن تيامنت أقدم، وإن تياسرت أحجم، فيكون في هذا: افعل، أو لا تفعل، ويجد من يفعل هذا راحة بال، وطمأنينة نفس، ولا يلام على هذا إن أحجم عن واجب، ويشتد عزمه إن جاءت النتيجة بحثّه على العمل، فالنتيجة في ظنه مضمونة، والغاية سوف يصل إليها دون شك أو ريب. وعلى هذا فالأحجار والأشجار، والحيوان الأعجم - وهي لا تضر في الحقيقة ولا تنفع - تصبح، مع الجهل، ذات قوى خارقة، تفوق ما قد يأتي من ذي عقل وفهم. وكم من عمل خاطئ ارتُكب بسبب استشارتها، وكم حق استُلب، أو أُضيع نتيجة أخذ رأيها، وكم من أذى حَلَّ بسبب تنصيبها قاضيًا، يحكم فيُطاع، ويقول فيُسمَع لقوله.

ومع هذا فلم تكن كل البصائر عمياء، ولا كل العقول مغلقة، ولا كل الأذهان مقفلة، فهناك من تمرد على هذه العادة، وهناك من كفر بجدواها، وهناك من رفض حكمها، وهناك من لم يخضع لتأثيرها، ولم يأبه لنصحها؛ وهناك من ثار عليها وعلى قولها وحكمها، فلما نهته عن أخذ ثأر والده، كسرها، وقال: لو كان أبوك ما نهيتني، ورمى بنصحها عرض الحائط، وما أظنه ندم.

ويتضاعف الإيمان بفضل العقل، ويأتي رجل أنار الله فكره، وبصيرته، فَهَزَأَ بوسائل الطيرة، على إلحاحها بتكرار ظواهر إقناعها، فلم يتزعزع إيمانه بعدم جدواها، لقوة إيمانه بما دله عليه عقله النير، وبصيرته الثاقبة، وبقي على هذا جاحدًا لدورها، هازئًا

بفعلها، ساخرًا من حكمها، رافضًا لرأيها، ومضى في سبيله مرفوع الرأس، لم يثنه عن عزمه خرافة، ولم يفتّ في عضده وهْمٌ، ولم يغلبه باطل، غذّى الحقيقة في نفسه، فأصبحت عملاقة غطت على ما خالفها، وطرد الوهم، فقضى على أسبابه، تبع نور الفكر، وصدّ عن ظلمة العادة، فبرز عملاقًا بين أقزام، وتقدم على من رضوا لأنفسهم أن يتأخروا، بتقليدهم الأعمى، وتخدير عقولهم، وتعصبهم لعادات بالية.

وهذا الجهل في الاعتقاد، والتعلق بالأوهام، والخنوع للخرافة، لم يكن وقفًا على عصور الجاهلية، أو على المجتمعات المتأخرة، بل تغلغل، أحيانًا، في مجتمعات تُوصف بأنها راقية، فهناك من ينصاع لضارب الودع، وهناك من ينثر حبات الأرز على موكب العرس، لتهنأ حياة العروسين، وهناك من يعلق حذوة حصان على باب داره، جلبًا للسعادة، وطردًا للشقاء، وهناك من يتشاءم من صوت الغراب، ومنظر البومة، وغير ذلك من أمور يتعلق بنفعها أو ضرها القلب، وهي لا تضر ولا تنفع حتى نفسها.

والنور الذي يشع من النفوس الصافية، والعقول الرزينة، والسليقة السليمة تمثله القصة الآتية:

«حَدَّث سعيد بن سلم بن قتيبة عن أبيه أنه كان يعجب ممن يصدّق بالطيرة، ويعيبُها أشد العيب، وقال:

فرقت لنا ناقة، وأنا بالطّفّ، فركبت في إثرها فلقيني هانئ ابن عتبة، من بني وائل، يركض، وهو يقول:

والشَّرُّ يَلْقَى مُطَالِعَ الأكَمِ

ثم لقيني رجل آخر من الحي، فقال، وهو للبيد:

وَلَئِنْ بَعَثْتُ لَهُمْ بُغَا
ةً مَا البُغَاةُ بِوَاجِدِينَا

ثم دُفعتُ إلى غلام قد وقع في صِغَرِه في نار، فأحرَقَتْهُ، فقبح وجهه، وفسد، فقلت له:

هل ذكرت من ناقة فارق؟

قال: ههنا أهل بيت من الأعراب، فانظر.

فوجدناها قد نُتجت، ومعها ولدها».

(عيون الأخبار: ١/٢٣١).

فلا شطر البيت الذي يتحدث عن الشر، ولا البيت الذي يوئس من العثور على الضالة، ولا الوجه المشوّه حالوا دون العثور على الناقة؛ بل إن سلمًا عثر عليها وقد ولدت، ومن دلّ عليها، أو كان سببًا في العثور عليها، هو المشوّه الوجه، ومن كان عند غير سلم وجه شؤم، يمنع الخير.

من أجل غد أفضل

إلى أين نتجه؟!

سعد البواردي

مجرمة

تلك الحضارة المادية التي غزتنا في عقر دارنا دون أن نستعد لمواجهتها بما يكفي حفاظًا على خصائصنا وقيمنا الاجتماعية التي بدأت تتآكل وتتبخر شيئًا فشيئًا..

المصارحة مع أنفسنا ولأنفسنا ضرورة من أجل تقويم الخطأ، ومن أجل تصحيح المسار. قبل نعمة الذهب الأسود أو نقمته ـ لا أدري ـ كانت وشائج علاقتنا الأسرية والاجتماعية محكومة بروابط التواصل والحب؛ لا شيء يكدرها، ولا شيء يغيّرها.. كانت القرية أسرة واحدة.. كانت المدينة مجموعة أسر منفتحة يشد بعضها بعضًا، ويسأل بعضها عن بعض.. ثم تغيَّر الزمن مع طفرة المادة التي اجتاحت تلك الخصائص النبيلة وهمشتها، ولم يعد لها في واقعنا إلاّ النزر اليسير من بقايا البقايا..

والمادة التي أغرقتنا بسلبيتها لم تكن هي المسؤولة عن التداعيات الأسرية والاجتماعية من حولنا.. نحن المسؤولون أولاً وأخيرًا عن كل ما حصل بتخلّينا عن أهم ما يميِّز مجتمعنا المسلم المترابط.. وقد اخترنا لهاث السباق المحموم من أجل الاكتناز.. وقد اخترنا الجفوة.. وقد اخترنا التباهي والمظهرية فيما نسكن، وما نركب، وما يحيط بنا من أُطُر كذابة.. وأغفلنا، عن سابق عمد وإصرار، إنسانية الدار، وإنسانية الجوار، وإنسانية الخيار والأخيار..

نعم.. نحن الذين نتحمل تبعة التغيير الذي طرأ على سلوكنا، وشكّل خطواتنا دون اتزان.. وهذا ما يمكن أن يلمسه الفرد في علاقته بأهله، وبأقربائه، وبجيرانه الذين لم يعد لهم في ذاكرته ما يستحقون من تواصل ووصل.

أخشى أن يأتي زمن نتخلى فيه عن خصوصيتنا التي نتميز بها.. وعن خصائصنا التي نعتز بها.. ونردد مع الشاعر أبياته التي تقول:

نعيب زماننا والعيب فينا
وما لزماننا عيب سوانا
وقد نهجو الزمان بغير جرم
ولو نطق الزمان بنا هجانا
فدنيانا التصنع والترائي
ويأكل بعضنا بعضًا عيانا

وأرجو ألاّ يكون...

الشعر اليهودي القديم:

مشكلات ومسائل

د. حسن ظاظا

تمثل الكفاية من الماء للإنسان شغلاً شاغلاً، ومصدر نزاع لا ينضب معينه بين القبائل القديمة. فالماء صديق ودود، ولكنه أيضًا - وفي ظروف معينة - عدو لدود. وكانت أكثر الشرائع القديمة ترى الماء نعمة، لضرورته للحياة، ونقمة لما يلازمه من أخطار. إذا غاض الماء في جوف الأرض واختفى فذلك نذير موت لما فوق هذه الأرض من حياة، وإذا استنقع فوق سطحها أسنَ، وتغيّر لونه وطعمه ورائحته، وقد يكون مصدر وباء فتّاك على من يردونه ويستخدمونه. وإذا ضفا أغرق، واكتسح الأخضر واليابس! ولكن الإنسان عرف كيف يتقي شر الماء إذا زاد على الحد، ولكن بقيت حيَل الناس عاجزة أمام جبروت الماء إذا زاد على القدر الضروري، أو انقطع عن إقليم من الأرض على مسيس الحاجة إليه، واهتدى الإنسان بعقله إلى جميع نظم الري التي نعرفها من الجداول والروافد والقنوات والترع والسدود والخزانات، وما يتصل بها، حتى ينعم الناس - حيثما وجدوا - بالعيش في حماية من العطش والذبول والجفاف؛ ولذلك اقترنت مصادر الماء في كل مكان بأساطير وخرافات كثيرة. من ذلك أن التوراة تروي في الكتاب الأول منها (سفْر التكوين) أن إبراهيم عليه السلام حفر بئراً اشترى مكانها من أبي ملك، الحاكم الفلسطيني لتلك المنطقة. لكن السِّفْر يوشح القصة بخرافة مفادها أن الطرفين أشهدا على صحة التعاقد سبعة من المخلوقات العلوية (آلهة؟ ملائكة؟ شياطين؟) فحملت هذه البئر اسم «بئر سبع» أي بئر الأرواح السبعة التي تحمي الصدق في القَسَم والتعاقد من اللغو والعبث!! والفكرة نفسها نجدها في سفر التكوين أيضًا بخصوص السيدة هاجر بعد ولادة إسماعيل، عندما عطش ولم تجد له ماء في المكان الذي أقامت بابنها فيه حتى انبجست بئر «زمزم» بفضل الله تعالى. والقصة ذكرها المفسرون المسلمون، ورواها الإمام البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما. قال الإمام ابن كثير في التفسير: «.. فلم تزل - أي أم إسماعيل - تتردد في هذه البقعة المشرفة بين «الصفا والمروة» متذللة خائفة وجلة حتى كشف الله كربتها، وآنس غربتها، وفرَّج شدتها وأنبع لها زمزم التي ماؤها طعام طعم، وشفاء سقم..». والقصة موجودة في سفر التكوين، لكن راويها يأبى إلا أن يوشحها بثوب من المبالغة بذكر احتفال ديني بحصول العشيرة المقيمة في هذه القفار على ماء قد يكون عذبًا، وقد يكون أقل عذوبة؛ بل قد يكون مرًا مثل البحيرات المُرَة، التي وصفها بنو إسرائيل بالمرارة عندما شربوا منها فاستبشعوا مذاقها وهم مع موسى في سيرهم إلى شبه جزيرة سيناء.

الماء يلهم الشعراء

وكان الإنسان القديم لا يستطيع العيش إلا بالقرب من الماء، فعلى شطوط الأنهار وحيث تكثر الآبار العذبة قامت أقدم الحضارات. وكان الناس يعتقدون أن فضائل الماء لا تُعدّ ولا تُحصى؛ فهو طاهر مطهِّر، وهو سائل شاف لكثير من الأمراض، لأنه يغسل الجسم ظاهراً وباطنًا، وهو أرخص مزيل للأوساخ والأدران ومصادر الروائح الكريهة، وهو الشراب الوحيد الذي يُجمع على حبه والحاجة إليه الإنسان والحيوان جميعًا. ثم إنه في كثير من الشرائع يدخل في واجبات النظافة الدينية المطلوبة من فئات كثيرة من عباد الله. ولقد سمّى فقهاء اليهود ما توارثوه من الشريعة الموسوية باسم «ينبوع الحياة = مقُورْ حيِّيم»، وكثير من كتبهم التي يرجعون إليها في أحكام دينهم تُوصف بأنها «مقُورْ حيِّيم» وأشهرها «شُلْحَان عارُوخ ومقُورْ حيِّيم» وترجمة هذا العنوان «المائدة المرتبة، وينبوع الحياة» للفقيه اليهودي الإيطالي يوسف كارو، وهو مدوَّنة ضخمة رتب مؤلفها أحكام الدين بحسب الموضوعات، ولا يكاد يخلو منه مكتب حاخام لليهود؛ بل ولا دار أهلها متمسكون بدينهم.

والماء، بوصفه مادة للحياة، وضرورة للنظافة، وشرطًا أساسيًا للطهارة من النجاسات قد اقترن بإعظام واحترام لا يوصفان، حتى أصبح من لوازم النزهة، والترويح عن النفس وراحة الأمزجة المكدودة، ومن ثمّ أصبح ملهمًا للشعراء عندما يتغنون بالربيع من الشاعر القديم الذي قال:

ألا يا حبّذا نفحاتُ نجد
وريّا روضه بعد القطار!

إلى «أنشودة المطر» للشاعر العراقي المعاصر بدر شاكر السياب.

نظريات يدحض بعضها بعضًا!

ونعود فنكرر السؤال: أين الشعر العبري، وهو شعر أمة من الرعاة، والمحاربين، وأتباع أجيال من الدعاة والخطباء والرسل والأنبياء في كل عصر وقطر وجيل؟ ما زال العلماء والباحثون من اليهود والنصارى يتوهمون أن كل شاعرية معجزة موجودة في التوراة وأسفار أنبياء بني إسرائيل، وباختصار في (العهد القديم)، الذي يضم بين دفتيه وحي الله إلى موسى عليه السلام، وخلفائه من بعده على مدى ما يناهز ألفًا وخمسمئة عام.. إلى بعثة يحيى (يوحنا المعمدان) نبيّ الصابئة، وابن خالة عيسى بن مريم عليهما السلام، وأنصت كثير من الباحثين إلى «طنين رؤوسهم» وهم يترنمون بجمل من كتبهم، وإذا هي تدخل في نسق إيقاعي على نحو ما، فتوهموا ذلك أجزاءً وأوتادًا وفواصل وتفاعيل، ثم قسموا وخططوا وقاسوا، ووزنوا. ولأقوامهم (نظريات) كثيرة، بعضها يدحض بعضًا أو يكذّبه أو يشكك فيه أقربهم إلينا الفرنسيان: الأب الكاثوليكي كوندامان، والعلاّمة المتبحّر الرؤوب إدوارد دورم، والباحث المتحمس - الواسع الخيال - أندريه شوراقي، وهو يهودي

صهيوني تائب عن الصهيونية ومصدق لطنين رأسه في شاعرية التراث اليهودي، وله فيه ترجمة فرنسية رفضها علماء اليهود والنصارى من الناطقين بالفرنسية على حدّ سواء! وقبله سبق إلى تلمس إيقاع شعرى اللغوي الصهيوني التشيكي «طورتشبنر» الذي سمّى نفسه بعد هجرته إلى فلسطين «طور سيناي» أي «طور سيناء» تلبية لمطالب الاستعمار الصهيوني، ومات منذ بضع سنين وهو رئيس المجمع اللغوي الإسرائيلي، وعليه درس كاتب هذه السطور نظريته في موسيقى الشعر اليهودي القديم في كتب التراث عندهم، وفي مقدمتها سِفْر أيّوب، ولم يخرج في ذلك عن رأي أستاذه الفرنسي «إدوار دورم» حول تداعي الأصوات، مع تداعى المعاني والصور. فالذي يذكر السماء لا بد وأن يذكر بعدها الأرض، والذي يشير إلى الشمس يتبع ذلك بالقمر، والشتاء يستدعي الصيف بالضرورة.. إلخ، وكأنّ الشعر انحصر عنده في بعض فنون المحسّنات المعنوية واللفظية المعروفة في علوم البلاغة عندنا من الطباق والمقابلة وجناس الاشتقاق، وما إلى ذلك مما ذكره في كتابه عن «الشعر التوراتي»! وسبق هذا الرعيل الباحث الألماني «كينل، الذي حاول في نشرة علمية لنصوص «العهد القديم» باللغة العبرية أن يذكر ما صحّ عنده من نصوص شعر (مقطَّعة) إيقاعيًا مما يضع القارئ تحت وهم هذا التقطيع الاستبدادي التحكمي! الذي لا قاعدة له، ولا تعليل. وكيف نسي هذا العالم المدقق أن موسى عليه السلام - في أول كلامه إلى الله تعالى - قد شكا من عقدة في لسانه باتفاق التوراة والقرآن الكريم، فكيف يؤول أمره إلى أن يكون شاعرًا بلغة لم يكن يعرفها ولا يحسنها؟ لكن طمأنينة الإيمان تمحو الصعاب.

نصوص مدسوسة في العهد القديم

والأدلة لا تكاد تُحصى على أن (النصوص) الشعرية في العهد القديم لبست من وضع قائليها. وعندنا كتاب كامل في العهد القديم اسمه «مزامير داود». وكان المفهوم من اسمه، والمفروض فيه أنها قصائد ومقطوعات شعرية غنائية من تأليف «الملك داود» الذي كان هو وابنه سليمان عليهما السلام أعظم الوجوه السياسية - والدينية - في التاريخ اليهودي كله بعد موسى عليه السلام. وكان داود راعي غنم في البوادي الجنوبية من فلسطين من قبيلة يهودا، أي إنه لم يكن - عندهم - من اللاويين (قبيلة ليفي)، ولا من الكهنة (ذرية هارون أخي موسى) ولذلك حرمهما العهد القديم من صفة النبوّة؛ وسمّى لكل منهما نبيًا - أو أكثر - معاصرًا لهما! وكان المفروض أن تكون «مزامير داود» أرقى مستويات الشعر في العالم أجمع، ولم تفز المزامير بهذه الصفة حتى في الشعر اليهودي فقط، وفاز بها عمل شعري منسوب إلى سليمان اسمه «نشيد الأناشيد» أو «شعر الأشعار» أو «ترنيمة الترانيم» أو ما شاء القارئ من هذه المبالغات! أما مزامير داود فعددها مئة وخمسون؛ ولكن ثلاثة وسبعين فيها فقط منسوبة في الكتاب إلى داود، ومعها خمسون مزمورًا أخرى مجهولة المؤلف، وجاءت البقية منسوبة إلى مؤلفين مختلفين! فالمزمور رقم ٩٠ منسوب إلى موسى عليه السلام، وهو في الترجمات الكاثوليكية يحمل رقم تسعة وثمانين، يبدأ بقوله: «صلاة لموسى رجل الله! أيها السيد! إنك كنت لنا موئلاً، جيلاً فجيلاً، من قبل أن تولد الجبال، وقبل إنشائك الأرض المعمورة. من الأزل إلى الأبد وأنت الله. تعيد الإنسان إلى التراب قائلاً: عودوا إليه، يا بني آدم! إذ إنّ ألف سنة في عينيك كيوم أمس العابر، وكإغفاءة من ليل قد جرفتها، وإنما هي سِنَةٌ. عشب يزول في الضُّحى، في الضحى يزهر، ويزول عند المساء، يذبل ويجف، لقد فنينا بغضبك، وروّعنا سخطك. جعلت ذنوبنا أمامك، ونشرت خفايانا في نور وجهك فزالت أيامنا كلها بسخطك. أضعنا زماننا كالوهم، أيام عمرنا سبعون سنة، وإن كانت - مع القوة - فثمانون سنة، رغدها ما هو الأ شرّ وباطل، تمرّ سريعًا كما يمر الطير..» إلخ (مزامير داود، رقم ٨٩ ورقم ٩٠). ولا ندري أكانت هذه مجهورة أم مهموسة؟ وهل هي من الفرائض أو السنن والنوافل؟ وهل كان المحتوى الفكري لها مألوفًا لدى أتباع موسى وأكثرهم من غير المؤمنين به، ساروا معه مضطرين؟ ثم بأية لغة قال موسى هذا النص؟ وهو بتمامه نص فلسفي مركب غير بسيط؛ لا يمكن أن يكون خطبة في جماعة متفاوتة الثقافات والأجناس والملل. ثم إن تلك الخطبة، أو الصلاة، أو الدعاء، بأية لغة صيغت؟ وكيف تخلص موسى من عقدة اللسان أمام الجمهور ولم يتخلص منها وهو يكلم الله تعالى؟ كما قرأنا في التوراة وفي القرآن الكريم. والنص بكامله يحمل الكثير من الأسئلة، ولكن هذا ليس همّنا الآن. ومهما يكن من شيء فإن نص تلك الصلاة الموسوية أقرب إلى خواطر الزُّهاد في الدنيا، لا المحاربين الأشداء، والشجعان الذين يخوضون غمار معركة الطرف الآخر فيها فرعون ذو الأوتاد! وهناك مزمور واحد منسوب لمن يُدعى «إيتان الإزراحي»، وعنوان هذا النص: تعليم لإيتان الإزراحي، برحمات الرب الغني إلى الأبد، هكذا يبدأ القائل. ويبدو عند القراءة الدقيقة لهذا النص - الطويل إلى حدٍّ ما - أنه نص متأخر جدًا عن عصر داود وسليمان، ربما أكثر من ثلاثة قرون، فهو في آخر تعليمه يشير إلى أمجاد قبل الكوارث التي حلّت باليهود فيقول مخاطبًا الله: «أين مراحمك الأُوَل، أيها السيّد! التي لأجلها حلفت لداود بأمانتك؟ أُذكُرْ، أيها السيد! عارَ عبيدك الذي حَمَلْتُهُ في حضني من شعوب كثيرة؟! الذي عيّر به أعداؤك يارب! عيّروا بإبطاء مسيحك! تبارك الرب إلى الأبد، آمين ثم آمين - آخر النص» (الأرقام ٥٠، ٥١، ٥٢ من المزمور ٨٨). وهو ينطق بأن «شعب الله المختار»! لم يكن في ذاك الوقت في حالة يُحسد عليها، ويستعجل مجيء «المسيح المخلّص المنتَظر» لإنقاذ اليهود مما لحقهم بعد داود من عار شعوب كثيرة: الفرس، واليونان، وبطالسة الإسكندرية، وروم أنطاكية السوريين، وربما الرومان أيضًا، ففي عصرهم بُعث عيسى بن مريم عليه السلام فكذّبوه وفسّقُوا أمه، ونكروا نسبه إلى داود، وحكموا بصلبه. ولا أذكر أن كثيرين من الباحثين وقفوا وقفة متأنية لوضع هذا «المزمور» في إطاره التاريخي.

اليهود يحاربون غيرهم بالأكاذيب!

والآن، وشعر اليهود يثير اهتمامي، أعود فأسأل نفسي: لماذا لأن اليهود شعب لعوب طروب، يجيد البكاء كذبًا والضحك الهازئ الساخر من الآخرين ظلمًا وعدوانًا. وأتصور أن اليهود - على طول تاريخهم - حاربوا بالأكذوبة بما هو أشد فتكًا من جميع الأسلحة، ثم إن اهتمام اليهود بالشعر - وسنرى طرفًا من ذلك قريبًا إن شاء الله - ينبع من إيمان منهم بأنه سلاح ناجع في كسب المؤيدين، وإسكات المعارضين! وهذه المزامير المنسوبة إلى داود عليه السلام كان المفروض أن تكون معزوفات أو أدوارًا أو أصواتًا غنائية. ولكنها وصلت إلينا (منثورة) أي خالية من أي وزن أو إيقاع، مع أن قصة مجيء داود إلى البلاط الملكي (الأول في إسرائيل) كان لمعالجة الملك شاؤول - أول ملك لليهود قبل داود مباشرة - من خلل في أعصابه، وكان داود قد اشتهر بأنه يشفي من هذه العلل بإذن الله؛ فدُعي لعلاج الملك، ثم انعقدت بينهما منافسة على العرش انتهت بأن شاؤول، المريض بأعصابه، انتحر عقب هزيمة باء بها من الفلسطينيين، وهكذا استطاع داود، بإذن الله، أن يرقى إلى سدّة الملك. أما الصفة التي أحضرته من صحراء النقب، في أقصى الجنوب من فلسطين، إلى مدينة

النظريات التي تفترض وجود شعر في التراث اليهودي كثيرة، بعضها يدحض بعضًا، أو يكذّبه، أو يشكك فيه. ومنها ما يدور حول تداعي الأصوات مع تداعي الصور والمعاني!



حبرون - الخليل - أولا، ثم أورشليم - القدس - أخيراً فهي كونه شاعراً وموسيقياً وملحناً يشفي مرضى الأعصاب. وكانت مزاميره قطعاً من روائع الشعر وبدائع الألحان يُستعمل فيها الناي والأرغول والمعزف والجنَّيَّة والجلاجل المعدنية والطبل والطنبور، وقد اشتهرت عشيرتان من أفراد حاشية داود بالبراعة في الأداء هم بنو قُورَح، وآساف، ولهم في هذه المجموعة مجموعة من المزامير منسوبة إليهم، كما أن لسليمان بن داود مزمورين هما رقم ٧٢ و١٢٧. وهكذا تكون نصوص المزامير، ومجموعها ١٥٠ مزموراً، أقل من نصفها منسوب إلى داود (٧٣)، ولبني قُورَح ١٠، ولبني آساف ١٢، والبقية - وهي خمسون مزموراً - غير منسوبة ومجهولة المؤلف. والظاهر أن براعة سيدنا داود في هذا الفن الغنائي الشعري جعلت هذا الفن يصبح بفضله من الأنواع الأدبية المنتشرة بين اليهود، كما انتشر بفضل ابنه سليمان نوع من قصص الحكمة على ألسنة الطير والحيوانات، فصار هذا الفن يُنسب إليه.

تسلط كهنة اليهود على الأمة!

لكن كاتب هذه السطور مضطر إلى تعليل هذه الوقفة الطويلة أمام الشعر اليهودي وما تركب عليه من غناء، لأن هذا الفن في اتجاهاته العرقية والصهيونية قد فرض نفسه على كل أذن، وسجل نصراً (إعلامياً) في عالم الفنون لعله أعمق أثراً في الجماهير العريضة من شعوب العالم من امتلاك القنبلة أو الوصول إلى القمر أو المريخ. والذي سهل نشر الشعر اليهودي القديم في العالم النصراني، هو أن هذا العالم لم يكن في يده «شريعة» كاملة متكاملة أنزلت من الله على سيدنا عيسى بن مريم، بل أكد للملأ أنه لم يُبعث لإلغاء «الناموس» أي شريعة موسى، بل لإتمام هذه الشريعة. ومع الفحص الدقيق فيما جاء به المسيح يتبيَّن أنه - كله تقريباً - لتطهير العقيدة، وتجديد الثقة بالله، والقضاء على أسطورة الامتياز العرقي وما يترتب عليها من تسلط في الدنيا والآخرة بالنسبة للأمم الأخرى. وباختصار (لم يكن المسيح عليه السلام صهيونياً) فجحد اليهود نسبه إلى داود، واتهموه بالخروج على دين آبائهم، وما غيَّر فيه كهنتهم وبدَّلوا؛ مع أن تلك الحوادث كانت تقع من مفكرين يهود خصوصاً بعد ثلاثة قرون من الهيمنة الفكرية اليونانية والرومانية على الشرق الأوسط: قرنين قبل المسيح وقرن بعده تقريباً. وكان الكهنة قد توصلوا في معاهدتهم مع الفاتح اليوناني الإسكندر الأكبر إلى الاستيلاء على حق القضاء في المحاكم اليهودية إذا كانت كل أطراف النزاع يهودية، ويسقط هذا الحق عندما يدخل في القضية أي طرف غير يهودي. وادعاء

سِفْر إستير في الكتاب المقدس - في نسخته اليهودية - حافل بالتلاعب في النصوص، وهو ما لا ينكره الباحثون - من اليهود والنصارى - في دراساتهم على «أصالة» نصوص الكتاب المقدس!

النبوة كان من شأن بني إسرائيل وحدهم، فكلما ضاق ذرعهم بواحد من أولئك الدعاة المتذمرين تجمعوا، وساقوه إلى «السَّنْهَدرين» (المحكمة اليهودية) فتحكم بقتله، وشهد مؤرخون يهود معاصرون لتلك الحقبة الرهيبة تسلط كهنة اليهود على الأمة، وامتلاكهم حق الحياة والموت خارج سلطة الدولة الحاكمة. وكان أولئك المتمردون يُصلبون علناً، ويُتركون من ساعة التنفيذ (الصباح الباكر) إلى ساعة الدفن (غروب شمس اليوم نفسه). وقد أشار إلى هذا المؤرخ اليهودي «يوسيفوس» المعاصر للمسيح عليه السلام، وقال في شهادته إن الشمس ما كانت تغرب عن بلد من بلاد «اليهودية» إلا وأنزل منها مصلوب ليُدفن. ومن المؤكد أن الإسكندر الأكبر، وخلفاءه من البطالسة، والأنطاكيين، ثم الرومان، لم يحتاطوا الاحتياط الواجب لحماية الناس من «السَّنْهَدرين»؛ بدليل أن الحاكم الروماني لمدينة القدس أراد أن يعفو عن سيدنا عيسى بن مريم فتدخلت السلطة الكهنوتية ومنعت عنه هذا العفو، ثم لجأ اليهود إلى الاستفتاء - على طريقة بنيامين نتن ياهو الآن - فجاءت الفتوى بقتل المسيح (لولا أن الله عز وجل رفعه إليه كما ذُكر في القرآن الكريم) والعفو عن قاطع طريق قاتل ومجرم اسمه برَّابَّا (ويُنطق اسمه باليونانية براباس). ويُروى أن الحاج أمين الحسيني مفتي القدس الشريف، والمطالب باحترام قدسية المدينة للمسلمين والنصارى واليهود، قامت الصهيونية تصرخ ضده، فألقت بريطانيا القبض عليه، وعيَّنت النيابة اليهودية أحد قضاتها ليقوم بدور المدَّعي العام ضد مفتي القدس، فطلب المدافعون عنه قاضياً غير منحاز، فأرسلت بريطانيا قاضياً من لندن، وبدأت المحاكمة في مدينة القدس الشريف، وبعد سماع التقارير والمرافعات والمناقشات التفت القاضي القادم من لندن إلى الحاج أمين الحسيني وسأله إذا كان عنده شيء يضيفه إلى القضية، فأجاب المفتي: نعم! أريد أن أذكِّر عدالتكم بأن قضية أخرى سبق عرضها على مثل تلك المحكمة، وكان المدعي اليهودي قد طالب بقتل المتهم، وكان هذا المتهم بريئاً؛ فحكمت عليه المحكمة بالقتل. فصاح القاضي: وما اسم هذا المتهم المظلوم؟ فصاح المفتي: عيسى المسيح. فتنحَّى القاضي عن النظر في قضية المفتي، وعاد إلى بريطانيا. وما زال قتل الأبرياء وتلفيق أبشع التهم لكل من يجرؤ على إعلان الحق أو

كشف الباطل مصير كل من يقف في وجه الباطل الصهيوني: عبر كل النظم السياسية والعصور والمجتمعات والحضارات.

تآمر اليهود على أهل فارس

في عهد أكاسرة الفرس القدماء أطلق قورش ملك إيران اليهودَ الذين كانوا محتجزين في العراق منذ تدمير القدس وفلسطين على يد بختنصر الكلداني، وكان قورش قد نجح في الانتصار على الكلدانيين واحتل الفرس العراق ألف سنة، ولم يتم تحرير تلك البلاد إلا بدخول الإسلام إليها في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وبعد سقوط الدولة الكلدانية أمام قورش، وعلى وجود دعاة يهود لإعادة إنشاء دولة لهم في فلسطين، لم يترك العراق من اليهود إلا قلة لا وزن لها، مع قيادة نبيَّين من بني إسرائيل هما عزرا (العُزَيْر) ونحميا؛ ذلك أن اليهود طاب لهم المقام في العراق، والانتشار في بقية الإمبراطورية الفارسية؛ فكان منهم الحرس والخدم والحشم والجواري وكبار الأثرياء في التجارة والصناعة؛ حتى تأفف كثير من الإيرانيين من وقاحة الترف الذي انتهى إليه اليهود في داخل إيران. وكان في عهد الإمبراطور أرطاكسركسيس تاجر ثري من اليهود اسمه مُردخاي. وفي يوم النيروز، وهو عيد الربيع في إيران، زيَّن مردخاي إحدى الجميلات اليهوديات من قريباته - وكان عمَّها أو خالها - وألبسها أثمن الثياب والحلي وأوقفها على طريق الموكب الرسمي للإمبراطور، وكان اسمها «هَدَاسَه» ففُتن بها الإمبراطور، ودعته هي إلى الدخول إلى قصر مُردخاي، فقبل الدعوة، ودخل، وقدَّم مردخاي إليه - مع هَدَاسَه - أنواعاً من أفخر الخمور وأندرها. وعند انصرافه مسروراً دعاها إلى العشاء معه في قصره، وبإشارة من مردخاي قبلت الدعوة، وفي انتظار الساعة الموعودة تآمر مردخاي مع قريبته - التي غيَّر الإمبراطور اسمها من هداسَه إلى إستير أي النجمة التي تضيء في السماء. واتفق مردخاي وإستير على أن تحاول إرضاء الشاه العظيم ولا ترد له طلباً؛ خصوصاً أن تصب له الخمر بيد كريمة لا تعدُّ الكؤوس؛ وأن تعطي إشارة إلى مردخاي حتى يبدأ العمل. وصدرت الإشارة بضحكة ماجنة، فدقَّ مردخاي باب الغرفة، فأسرعت هي نحو الباب وأخذت في يدها ورقة فيها أمر بقتل جميع أعداء اليهود في

الشعر اليهودي القديم:
مشكلات ومسائل

المملكة وقالت للشاه: مولاي! إن أحد الكتبة يريد توقيعك الكريم على هذا الأمر السلطاني، ثم تظاهرت بالقراءة وقالت: إن أعداء اليهود قد كثروا جداً في مملكتكم العظيمة؛ مما يوجب إبادتهم جميعا احتفالاً بهذه الليلة المباركة، وتخليداً للغرام الذي ربطني بك. فأخذ الإمبراطور الصك على عجل، ووضع عليه خاتمه وحملته إستير إلى الواقف بالباب. وفي تلك الليلة ـ كما يروي (سفر إستير) في الكتاب اليهودي ـ تم قتل عشرات الآلاف من الإيرانيين أعداء اليهود في جميع أنحاء المملكة، وفي مقدمتهم الوزير الأول وزوجته وأبناؤه العشرة، وكان القائمون بالمذبحة سكارى، يخفون وجوههم وراء أقنعة أسطورية. وهكذا تقدست ذكرى هذه المرأة الماجنة وجاء اسمها «الملكة إستير» أو «إستير النبية!!». وأصبح يومها عيداً دينياً وقومياً وصهيونياً، تُصنع فيه تماثيل من الورق أو القش أو النسيج وتُلوَّن بأشكال تُذكِّر بأعداء اليهود المعاصرين لمناسبة العيد، وتضاف إليها تماثيل لأعداء اليهود المعاصرين لهم في كل جيل؛ فمن الشخصيات التي نالتها هذه السخرية: ستالين وأدولف هتلر وموسوليني، وكثير غيرهم، تُنصب لهم المشانق في الشوارع وشرفات البيوت والنوافذ وتُعلَّق هذه الدُّمى في حبال المشانق، ثم يسير موكب الجميلة إستير، وشاه إيران المعاصر لها، وأوعية الخمر على عربات تغطيها الخضرة والأزهار وتصحبها أجمل بنات كل مستوطنة صهيونية أو قرية يهودية في ملابس متهتكة، ويلبس الجمهور أقنعة تنكرية يزفهم الطبل والزمر، وهو عيد الكرنفال اليهودي الذي كان مؤرخو المسلمين يسمونه «عيد المسخرة»!

تصحيح التلاعب بتلاعب آخر!

وقصة إستير في الكتاب المقدس عند اليهود ـ والنصارى أيضاً ـ في نسخته اليهودية تعمَّد كاتبه ألا يذكر فيه اسماً من أسماء الله تعالى، لعلمه أن هذا العيد يتطلب من اليهود أن يسكروا سكراً شديداً «حتى لا يميز اليهودي بين مردخاي عم إستير وهامان وزير الشاه، حسب ما وصل إليه الشاه من الغيبوبة في سكره الذي صار عندهم سُنَّة في تلك الليلة»، فاحتاط الكاتب للكتب (المقدسة)، وكتب قصة إستير خالية من أي اسم من أسماء الله حتى لا يدنسه السكارى في هذا العيد الصاخب. ثم جاءت الديانة النصرانية، ولم يكن فيها سنَّة للسكر الخطير مثل عيد إستير (عيدالبوريم، أي الأقدار) فأضافوا إلى سفر إستير عدداً من الفصول المملوءة بذكر الله «تصحيحاً» للتلاعب اليهودي، وهكذا صححوا التلاعب بتلاعب آخر! وأهل الدينَيْن «يعترفون» بذلك في دراساتهم على «أصالة» نصوص الوحي المقدس!! والجزء الملحق بالنص أصوله أربعة فصول تبدأ من بعد آخر النص الذي جاء فيه: «حتى إذا هبط أولئك الناس إلى الجحيم في يوم واحد، إلى مملكتنا السلام الذي زعزعوه»، ثم يدخل النص فجأة في الكلام المكذوب على الله، ويبدأ بقوله: «فأمَّا مُردخاي فتضرَّع إلى الرب، متذكراً كل أعماله، وقال: اللهم يا رب، يا قادر، أنت الملك على الجميع، وكل شيء في طاقتك، من الذي يقاوم مشيئتك إذا شرعت في إنقاذ إسرائيل. أنت خلقت السماء والأرض، وكل ما تحت السماوات، أنت رب الجميع، ولا مقاوم لعزتك. إنك وسعت كل شيء علماً. أنت تعرف أنني، لا تكبُّراً ولا احتقاراً، ولا طمعاً في شيء من الكرامة فعلت هذا (دبَّر مؤامرة هلك فيها ثمانون ألف إيراني.. فقط!) إني لم أسجد لهامان العاتي مع أنني مستعد أن أقبِّل حتى تراب قدميه عن طيب نفس في سبيل نجاة إسرائيل! ولكني خفت أن أنحرف بكرامة إلاهي، ولكني خفت أن أحوِّل كرامة إلاهي إلى إنسان، أو أمجِّد أحداً سوى إلاهي. فالآن، يا رب، يا ملكُ، يا إله إبراهيم! ارحم شعبك، لأن أعداءنا يسعون إلى هلاكنا، وقطع دابر عترتك!..» إلخ (إستير١٣:٨ إلى آخر السِّفر). ولعلنا لسنا بحاجة إلى أن نشير إلى أن تفكير هذا اليهودي الذي واجه مشكلة يزعم أنها اللاسامية ـ أي ظلم اليهود ـ منذ قرابة ألفين وخمسمئة من السنين، هو تفكير بنيامين نتن ياهو الآن أيضاً، فهو يرفض جميع الحلول وكل التنازلات من الجوانب العربية الواقعة في مرمى قوته الرهيبة رافعاً شعار أمن إسرائيل ومبصراً بعينيه جميع وجوه البشر ـ حتى الأمريكان ـ أعداء لإسرائيل، متآمرين عليه؛ باستثناء شيعته من يهود الكونغرس الذين يحكمون أمريكا سياسياً ومالياً! ناسياً أن كل دولة تحت سماء الله فيها جيش وسلاح ورجال؛ لا لتفرض على من حولها من الأمم سلام القبور، بل لمجرد ردع المعتدين. وكل أمه لا تتخيل أن جميع الدول تتحرش بها أو تتآمر عليها أو تسعى إلى إزالتها من الوجود، إلا أن يكون رئيس هذه الأمة وقائدها هو «الدونكيشوت» أو أحد خلفائه العباقرة من معدن نتن ياهو؛ مع أن في اليهود من هم أذكى من ذلك بكثير وأكثر إنسانية! وإن كانت منهم ـ أحياناً ـ انتفاضات تعصبية عرقية شمشونية مثل الحاخام البلجيكي (كان) دافيد بيرمان، في تعليقه على قصة إستير في كتابهم برأي في كتابه هو: شرح أركان الدين اليهودي (بالفرنسية).

لفائف البحر الميت تكشف الأكاذيب!

وإذا كنا وضعنا أيدينا على نصٍّ عرف اليهود والنصارى أنه منحول منذ القدم، ولأن آخره حافل بتقوى الله ولا أثر فيه لما كان بين إستير وأحشويروش شاه إيران ـ أرطاخششتيا عند الفرس ـ، فكم من نصوص مُضافة لا نعرف عنها شيئاً. على سبيل المثال صُفُنْيا نبي في إسرائيل، له نص صغير يتألف من ثلاثة فصول صغيرة فقط، وقد عُثر على أصل من أصوله في إحدى لفائف البحر الميت التي عُثر عليها في منتصف هذا القرن. وكان مفسِّر «حول مولد المسيح والشروع في قتله» كتب شرحاً على سفر صُفُنْيا، فسَّر فيه الفصلين الأول والثاني، ثم لم يشر إلى أن السِّفر يحتوي على فصل ثالث فضلاً عن أن يستمر في تفسيره. وفي دراسة للموضوع ترجع إلى أكثر من ثمانين سنة كان العلامة المستشرق فلْهاوزن قد نشر في ألمانيا مقالاً حول (أسلوب) الفصل الثالث من سفر صُفُنْيا قال فيه: إن هذا الفصل الأخير لا يشبه أسلوب الفصلين الأولين، وأنه يرجح عنده أنه أضيف ونُحل إلى صُفُنْيا! وهاجت الأوساط الدينية في عصره وماجت، ووصموه بكل الريبة وعدم التصديق! والآن عُثر على أصل لسفر صُفُنْيا وقف فيه عند آخر الفصل الثاني، وأنهى واجبه، ولم يشعر أن السياق في حاجة إلى هذا الفصل الثالث. والمفسر رجع إلى هذا النص في القرن الأول قبل المسيح، وكان كتاب العهد القديم قد تكامل، وصُفُنْيا لم يقل للناس كلمة واحدة من الفصل الثالث!

الفساد يستشري في المجتمع اليهودي!

ومن الأنماط الحائرة بين الشعر والنثر: سفْر إشعيا، وكان واحداً من أشهر أنبياء بني إسرائيل في غضون الأزمة التي واكبت سقوط الدولتين اليهوديتين اللتين احتلتا فلسطين بعد موت سليمان عليه السلام: الأولى مملكة يهوذا؛ أما المملكة الأخرى فهي مملكة إسرائيل،

سفْر إشعيا ليس من إلهاماته وحده؛ بل كان نوعاً أدبياً ابتكره هو، واستمر على غراره كثيرون. وقد وقعت فيه تحريفات كثيرة، كما وُجدت منه نسخة كاملة في وثائق البحر الميت!

مشكلات ومسائل

وكانت في شمال فلسطين، أقامها اغتصابًا بعد موت سليمان أحد أعوانه المتمردين عليه، هو «يُربعام بن نباط». وعندما بدأت الأزمة كانت دول الشرق الأوسط قد ضاقت ذرعًا باليهود المحتلين في فلسطين جنوبًا وشمالاً، بالإضافة إلى الفلسطينيين الذين لم يكفوا عن المطالبة بوطنهم وأرضهم المغتصبة، وكان قد مضى على داود وسليمان ويُربعام بن نباط وسلالتهم من بعدهم أكثر من ثلاثة قرون. وكان الفساد قد استشرى في المجتمع اليهودي والإسرائيلي، وفقدوا كل شيء، حتى التوراة! وعاش إشعيا مرحلة الأزمة التي أدت إلى سقوط المملكتين، فلم تقم قائمة لأي منهما على مدى ما يربو على ألفي سنة.

وظهر في تلك الأزمة أشهر أنبياء بني إسرائيل، ليصلحوا ما أفسد الدهر، ولكن هيهات! وكثير من أولئك الأنبياء كانوا متعاصرين، وعاصرتهم أيضا أفواج لا حصر لها من الأنبياء الكذّابين، فيهم الخونة، ومن يعمل لحساب دولة أجنبية أخرى، وفيهم الانتهازيون، والمجانين المتطرفون، ومن يدَّعون أنهم مبعوثو الإنقاذ الإلهي المفجر لشعبه المختار، وفيهم من يعيشون على اجترار الأمجاد القديمة، وفيهم الدجالون، والباحثون عن غنيمة في هذا المهرجان. في هذا الجو عاش نبيان يهوديان من أبلغ الأدباء في الفكر العبري: إرميا، وقد ألمعنا إلى أعماله في مقالات سبقت في مجلة «الفيصل» الغراء، وإشعيا. وهذا النبي عُرف بأنه بشّر بظهور نبي آخر من بني إسرائيل هو المسيح عليه السلام، ولكن اليهود كفروا به، وأشاعوا ما أشاعوا عنه وعن أمه، لأنه بكل بساطة: لم يكن صهيونيًا.

سفر إشعيا ليس له وحده!

ومع ذلك فإن الإنسان يحار إذا قرأ سفْر إشعيا، وهو نبي كريم مخلص وبليغ. عدّه بعض الباحثين خطيبًا من أفصح خطباء بني إسرائيل، وعَدّه غيرهم شاعرًا من أوسعهم خيالاً وأشدهم أسرًا، بينما رآه فريق ثالث إمامًا في نوع من الرؤية النورانية النبوية، ورأس مدرسة في الأدب العبري، وذكروا أن ما يُسمّى سفر إشعيا لم يكن من إلهامات هذا النبي وحده؛ بل كان نوعًا أدبيًا ابتكره هو، واستمر على غراره كثيرون، فعدّوا منهم في نصوص سفْر إشعيا المنسوبة إليه أربعة أنبياء متعاصرين، أو متعاقبين؛ فإذا قرأنا كتبًا متعمقة حول أنبياء إسرائيل، علينا ألا نستغرب إذا وجدناهم يتحدثون عن إشعيا واحد أو اثنين أو ثلاثة أو حتى أربعة. وإشعيا كان نبيًا سائحًا في الشرق الأوسط، رأى - أو عرف بالسماع - عن مصر وإيران وبابل وأشور والصحراوات المترامية الأطراف في الشرق الأوسط، ورأى الأديان والمعابد والعمائر والآثار المعمارية والزخرفية. له نَفَس الشاعر الأسطوري الملحمي القديم، وحرارة الخطيب المؤمن بما يقول، وبأنه يجب عليه أن يقوله، وفي ندائه إيقاع داخلي يجعله قريبًا من الشعر، وهو في كل هذا متألق يأخذ بمجامع القلوب، لا بالمضمون الديني، بل بالمضمون الإيقاعي والفني، وأجتزئ من «شطحاته» قوله: «وَيْلٌ لتاج كبرياء السُّكارى من إفرايم (سبط من بني إسرائيل) وللزهرة الذابلة، أبهة فخاره التي على رأس الغلاظ المضروبين بالخمر! إنه لجبارٌ قوي من أرسله الرب كعاصفة ذات بَرَد، وزوبعة مهلكة، كإعصار ذي مياه غزيرة غامرة، تصرعُ إلى الأرض من تصله صرعًا عنيفًا، فيوطأ بالأقدام تاج كبرياء السكارى من إفرايم. وتكون الزهرة الذابلة، أبهة فخاره على رأس وادي الغلاظ كباكورة التين قبل الصيف، يراها الرائي فيبتلعها، وهي في يده! في ذلك اليوم يكون ربُّ الجنود تاج بهاء، وإكليل فخر لبقية شعبه، وروح كلمة لمن يجلس للحُكم، وبأسًا للمدافعين عن الباب بالقتال، وهؤلاء أيضًا ضلّوا بالخمر، وتاهوا بالمسكر: الكاهن والنبي غَوَوْا بالمسكر! وغرقا في الخمر! ضلا من المسكر، وغويا في الرؤيا! وتعثرا في الحكم. كل الموائد امتلأت من القيء القذر، فلم يبق موضع! لمن يا تُرى يُعلِّم العلم، ولمن يُفقّه في الخطاب؟ أللمفطومين عن اللبن؟ المحرومين من الثدي؟ شريعة على شريعة، ثم شريعة على شريعة، وفَرْض على فَرْض، ثم فرض على فرض؟ شيء من هنا وشيء من هناك؟ إن الرب سيكلم هذا الشعب؛ بشفاه عجيبة، وبلسان غريب! ولأنه قال لهم: هذه هي الراحة، فأريحوا المُتعَب، وهذه هي الرفاهية فأبوا أن يسمعوا، لذلك سيكون كلام الرب لهم شريعة على شريعة، ثم شريعة على شريعة، فرضًا على فرض، شيئًا من هنا وشيئًا من هناك، لكي يندموا، ويسقطوا إلى الخلف فيُحطمون ويُصطادون فيُؤخذون. فاسمعوا كلام الربِّ أيها القوم الساخرون المتسلطون على هذا الشعب الذي في أورشليم. ثم قلتم قد قطعنا عهداً مع الموت، وعقدنا حلفًا مع الجحيم، فسوط الطاغية لن يغشانا، لأنّا جعلنا الكذب حصنًا لنا، واستترنا بالإفك!! لذلك قال السيد الرب: إنني واضع حجرًا في صهيون...» إلخ (إشعيا ٢٨:١-١٦).

بعض المترجمين ترجم هذا السِّفر شعرًا، وبعضهم أعدّ له أسلوب الرمز الصوفي، وبعضهم التزم حرفيته في لغته العبرية - الفخمة جداً - وترجمه على ظاهره. وما يزال هذا السفر محور نقاش في كل جيل. وقد تناقله النُّسَّاخ ووقعت فيه تحريفات كثيرة، كما وُجدت منه نسخة كاملة في وثائق البحر الميت، نشرها قبل وفاته البروفيسور سولنيك من الجامعة العبرية بالقدس، وأحصى ما بهذه النسخة من خلافات مع النسخة (الشرعية) المعروفة. ومهما يكن من شيء فإن تأملات إشعيا - مع غياب أي إيقاع نغمي فيها - أبعد ما تكون من القصص النثري التاريخي أو الديني أو التشريعي.

أما «نشيد الأناشيد» (حَرْفيًا: شعر الأشعار) فقد جاءت فرصة أمطنا فيها اللثام عن الواضح من أسراره، واتفقنا مع باحثين كثيرين من الأوربيين - يهوداً ونصارى وغيرهم - على أن نسبة هذا السِّفْر إلى سليمان مشكوك فيها، فهو يقول حَرْفيًا: شعر الأشعار الذي لسليمان، وكأنه قيل في سليمان، ولم يقله سليمان. والراجح مما يُفهم من ذكر جمال الحبيبين أن هذه الأغنية كانت أغنية شعبية يترنم بها اليهود القدماء في مناسبات الزفاف، وببساطة كانت «زفة عرس»، وربما تكرر سماعها في زيجات سليمان. ولأن اليهود - بعد السبي البابلي - كانوا يحرصون على الاحتفاظ بأدنى أثر يبقى من مُلك سليمان، فقد حافظوا بقدر الإمكان على نشيد الأناشيد بعد أن تعرَّض - بدوره - لكثير من عوامل التعرية، فوصل إلينا أشوه خاليًا من الإيقاع.

وإليكم - في النهاية - مثالاً واضحًا على أن هذا الحبَّ لم يكن روحيًا أو صوفيًا بقدر ما هو غزل عادي بين العاشقين: «في الليالي، على مضجعي التمستُ من تحبه نفسي فما وجدته، أقوم، وأطوف في المدينة، في الشوارع وفي الساحات، ألتمس من تحبه نفسي، ألتمسه فما أجده، صادفني حرس الليل في المدينة: هل رأيتم من تحبه نفسي؟ فلمّا تجاوزتهم قليلاً، وجدت من تحبه نفسي، فتمسكت به، ولن أطلقه حتى أدخله بيت أمي، وخدر من حملتني. أستحلفكنَّ يا بنات أورشليم بظباء الصحراء وأيائلها ألاّ تنبهن الحبيبة ولا توقظنها حتى تشاء. من هذه الطالعة من الفلاة كدخان البخور معطَّرة بالمرِّ واللبان، وجميع ما عند التجار من العطور؟! ها هو ذا سرير سليمان، وحوله ستون بطلاً من أبطال إسرائيل، جميعهم قابضون على السيوف، مدرّبون على الحرب، كل منهم سيفه على فخذه، لأهوال الليل. الملك سليمان صنع لنفسه سريرًا من خشب لبنان، صنع أعمدته من الفضة ومقابضه من الذهب وحشيته من الأرجوان، ووسطه مرصّع بالمحبة، لأجل بنات أورشليم. اخرجن يا بنات صهيون، وانظرن الملك سليمان بالتاج الذي توجّته به أمه يوم عرسه، ويوم فرح قلبه» (نشيد الأناشيد، الفصل الثالث بتمامه).

ولنا - إن شاء الله - نظرة في شعر اليهود بعد العهد القديم.



اللغة في أبسط معانيها رموز تواضع عليها الناس للتفاهم فيما بينهم، وللتعبير عن حاجاتهم المادية والمعنوية. وهي في ذلك وليدة الجماعة لا الأفراد. وقد يبتدع فرد أو جماعة بعض الألفاظ، ولكنها لا تكتسب صفة اللغة إلا إذا شاعت على الألسنة وتبناها الجمهور، فيكون في ذلك جواز مرورها إلى صلب اللغة.



د. عون الشريف قاسم

واللغة مستويات ومراتب. ونفرق في هذا المقام بين اللغة العامة التي يستعملها الناس، وأنواع أخرى من اللغة يمكن أن نصفها بالاصطلاحية، وهي الخاصة بالمجموعات المهنية والفنية المتخصصة، ولكل منها قاموسها الخاص الذي ربما لا يشاركها فيه الآخرون. ويدخل في هذا الإطار معظم المصطلحات العلمية والتقنية والحرفية، وتلك الخاصة بمجموعات منغلقة على ذواتها؛ مما يصعب فهمه على غير المجموعات المعنيّة. ونموذج ذلك واضح في المصطلحات الشائعة على ألسنة الباعة المتجولين في الأسواق والطرقات ومن إليهم. وهذه لا تعنينا في هذا المقام إلا بقدر دلالتها الثقافية والاجتماعية، وأثرها في الحياة العامة. وسنركز الحديث على اللغة العامة.

اللغة واللسان

وفي حديثنا عن مدلول اللغة نشير إلى أن كلمة «لغة» لم ترد في القرآن الكريم، بل وردت كلمة «لسان» للإشارة إلى لغة القوم. فما من رسول إلا وأرسل بلسان قومه(١)، ولذا فإن القرآن الكريم أنزل بلسان عربي مبين(٢). ولكن القرآن الكريم استعمل الفعل لغا يلغو ومنه اللغو. وقد وردت في استعمالاتها القرآنية في مقام الذم والدلالة على الباطل وما لافائدة من ورائه من الكلام(٣). وقد يُستفاد من ذلك أن اللسان يشير إلى جوهر اللغة، في حين تشير لفظة اللغة إلى الممارسة اللغوية على ألسنة الناس. وهذا واضح في حديث اللغويين والمفسرين وعلماء القراءات عن لغات العرب، أي لهجاتهم. وفي معاجم اللغة إشارات كثيرة إلى ذلك مثل قولهم: أيْلك لغة في عيْلك(٤)، وأصاب بمعنى أراد لغة تميم، وعلى ذلك جاء تفسيرهم لقوله تعالى: *فَسَخَّرنا لَهُ الرِّيحَ تجري بأمرِه رُخَاءً حَيثُ أصابَ*. **ص:٣٦**(٥).

اللغة والتفكير

ويبدو أن كلمة لغة من الكلمات السامية القديمة التي انتقلت إلى اللغات الأوربية، وجاءت منها كلمة اللوغوس LOGOS بمعنى: الكلمة والعقل عند الإغريق القدماء(٦) ومنها جاءت الكلمات المعبرة عن اللغة عند الأوربيين، مثل الكلمة الإغريقية LEGEIN: يتكلم، وكلمة LANGUE اللاتينية، التي تفرعت منها كلمة LANGUAGE في مختلف صيغها عند الأوربيين المعاصرين. ومن كلمة لوغوس بمعنى الكلمة والعقل جاء مصطلح المنطق LOGIC. ومثلما اشتملت الكلمة الإغريقية على هذين المعنيين، فقد ترجمها العرب إلى المنطق؛ أي الكلام، وأصبح علم الكلام عند العرب دالاً على مناقشة القضايا العقلية والفلسفية، وعرّفوا الإنسان بأنه حيوان ناطق (وهو تعريف يوناني)، لا بمعنى متكلم باللغة فحسب، بل عاقل أيضاً، ومن ذلك جاء مصطلح المنطق عند العرب. وفي هذا الربط الوثيق بين الكلام والعقل في أصل اللغة عند العرب واليونان إشارة إلى الوظيفة المزدوجة للغة: فهي أداة للتفاهم بين الناس، وأداة عقلية للتفكير.

والواقع أن اللغة هي الخاصية التي يمتاز بها الإنسان من الحيوان، وهي ناجمة عن كبر العقل. ومن ثمّ جاء تكريم الله سبحانه وتعالى للإنسان باللغة في أكثر من مقام، مثل قوله تعالى: *خَلَقَ الإنسانَ. عَلَّمهُ البَيانَ*. **الرحمن**:٣، ٤، وقوله الكريم: *وعَلَّمَ آدمَ الأسماءَ كُلَّها*. **البقرة**:٣١. وعلى هذا فإن اللغة في جوهرها تعبير عن إنسانية الإنسان في ذاته، وفي علاقته بغيره من الناس في مجتمعه وفي غيره من المجتمعات. ولولا اللغة لما كان تاريخ، ولما كانت حضارة، ولما كانت ثقافة. ومن هنا تجيء علاقة اللغة الخاصة بالثقافة.

وإذا رأينا أن الثقافة هي ما يدخل من الحضارة في عقل الإنسان ووجدانه؛ مما نسميه بالآداب والفنون والمعارف وما ينجم عنها من ذوق وأخلاق وقيم، وكل هذه لا تنتقل في معظمها إلا من طريق اللغة، أدركنا أن اللغة ليست مجرد أداة للتفاهم الاجتماعي العابر فحسب، بل هي مخزون التراث الإنساني على مدى الزمان. وهي في ذلك السجل الحقيقي لحركة الإنسان في التاريخ، الذي تنطبع على صفحته كل الأحداث، وكل التغيرات الاجتماعية والثقافية والسياسية وما إليها في شكل كلمات تحمل في طيّاتها كل هذه التراكمات، التي تنتقل من جيل إلى جيل. ولكن نقل اللغة لتجربة الإنسان في حركته الدائبة لا يتم بطريقة آلية، كما تفعل أداة التسجيل، ولكنه يتم بالتفاعل بين الإنسان وبيئته الخاصة والعامة، بمعنى أن

الإنسان، وهو يستعمل اللغة لا يستعمل ألفاظها مجردة كما تنقلها المعاجم؛ بل يستعملها ممزوجة بتجربته الذاتية، وبتجربة مجتمعه العامة، وتصبح للألفاظ - من ثم - على معانيها العامة المتفق عليها، ظلال ومعان مضافة نابعة من هذا التفاعل بين الإنسان وبيئته.

ومن هنا نتبين أن الإنسان، وهو يستعمل اللغة، يتأثر بتجاربه الذاتية، وبتجربة مجتمعه المتمثلة في ثقافة هذا المجتمع، ومن ثم فإن فهم أية لغة فهمًا صحيحًا يتطلب فهم ثقافة مجتمعها. فإن للفظة الشمس مثلاً، من الإيحاءات وظلال المعاني لساكن القطب الشمالي مثلاً، ما ليس لساكن خط الاستواء.

ويتضح من كل ذلك بجلاء أن العلاقة بين اللغة والثقافة علاقة جدلية، بمعنى أن الثقافة تغني اللغة بما تضفيه عليها من هذا التفاعل بين الإنسان ومجتمعه، والذي يتجدد بتجدد الزمان والمكان، فيكون بذلك للألفاظ والعبارات حياة جديدة تحمل دلالات ومعاني جديدة تعبّر عن تطور الإنسان خلال الزمان. وتغني اللغة في الوقت ذاته الثقافة بما تضيفه إلى حصيلتها من معارف وخبرات تُعبّر عنها في شكل كلمات ومصطلحات، تنتقل بها هذه المعارف والخبرات إلى العقول والقلوب والثقافة. ومن هنا كان غنى اللغة واتساعها دليلاً على عمق ثقافة الأمة، وكان فقرها وقلة حصيلتها اللغوية دليلاً على ضمور الحضارة وضعف الثقافة. وذلك ملحوظ في لغات الشعوب البدائية، التي تكثر فيها الألفاظ المعبرة عن الحس، وتقل فيها تلك المعبرة عن المعاني المجرّدة.

مستويات اللغة

ذكرنا آنفًا أن للغة مستويات ومراتب يتسع فيها القول، ولكننا نركز في ذلك على علاقة اللغة بمستعملها. فهناك علاقة بين لغة الحديث العامة واللغة الفصيحة؛ مما اصطُلح عليه بالعامية والفصحى. وهذه الازدواجية ظاهرة عامة في كل لغات العالم. والعامية بشيوعها بين عامة الناس تتوخى السهولة، وتسقط بذلك معظم القيود النحوية والتركيبية التي تحول دون التفاهم السريع، وهي في ذلك تحتوي على الحدّ الأدنى من المعارف التي يحتاج إليها الإنسان في حياته اليومية، ولكنها تظل مفتوحة على مصراعيها لاستقبال الجديد، بعكس الفصيحة التي تتمنع في قبول هذا الجديد.

وكلما قربت المسافة بين اللغة العامة واللغة الفصيحة ازداد وعي الناس وتعمقت ثقافتهم، وتغلغلت بين الجماهير، واتسعت بذلك رقعة الثقافة بتفاعل قدر كبير من المجتمع مع معطياتها، والإسهام في تطويرها وإغنائها. وذلك لا يتم إلا بنشر التعليم بين جمهرة المواطنين، بحيث يصل معظم المجتمع إلى الدرجة التي تقرب فيها لغة الحديث من الفصيحة، مثلما هو الحال بين المثقفين العرب في أوطان العروبة، الذين يتفاهمون، حيثما التقوا، في حديثهم بلغة لا هي بالعامية المفرطة ولا هي بالفصيحة القحة، وإنما هي بين بين. وهي أقرب إلى لغة الصحافة المعاصرة ولغة الأخبار في وسائل الإعلام المسموعة والمرئية، مع إغفال لعلامات الإعراب، والاكتفاء بتسكين أواخر الكلمات، اعتماداً على الرتبة في تركيب الكلام.

وأهمية تقريب هذه الشقة بين لغة العامة ولغة الخاصة واللغة الفصيحة أمر حيوي للغة والثقافة؛ لما في ذلك من فتح لباب التطور اللغوي، وإغناء اللغة بالجديد الذي ينسال من طريق اللسان العام دون حواجز، من ناحية، ولما فيه من وصل عامة الناس بالتيار الحضاري والثقافي العام للأمة، الذي تعبر عنه لغتها القومية، من ناحية أخرى؛ مما يغني الثقافة بإسهام معظم المجتمع في صناعتها، والانفعال بها، والتفاعل معها.

مستويات الفصيحة

وإذا تجاوزنا هذا التفريق بين لغة الخطاب العامة، ولغة الثقافة والعلم، التي عبرنا عنها بالفصيحة، فإن هذه الأخيرة أيضًا ذات مستويات يجسد كل مستوى منها وظيفة من وظائف اللغة. فهناك مستوى التفاهم، الذي يستعمل فيه الناس اللغة للتواصل اليومي. وتمتزج في هذا المستوى العامية والفصيحة في معظم الأحوال، وفي معظم اللغات، إن لم يكن جميعها. وهناك مستوى اللغة الأدبية الفنية، التي يستعملها الأدباء والشعراء والفلاسفة ومن إليهم في إنتاج روائعهم. وثالث المستويات: لغة العلم التي تنقل المعارف الكونية والطبيعية وما إليها، وهي في معظم الأحوال لغة دقيقة لا زخرف فيها ولا تزويق. واللغة في كل هذه المستويات تعبير عن ثقافة الأمة في كل أبعادها الأدبية والعلمية والاجتماعية.

ولكن اللغة على مستوى التفاهم والتواصل هي القاسم المشترك بين الناس على اختلاف مستوياتهم الفكرية والاجتماعية، وهي تشكل ما نسميه باللغة الإعلامية(٧)، ومن طريقها يمكن تبسيط ما تعبر عنه اللغة في مستواها الأدبي الفني، وفي مستواها العملي ونقله. وكلما انفتحت اللغة الإعلامية على فروع المعرفة المختلفة، وبسطتها ونقلتها إلى عامة الناس؛ ازداد وعيهم بثقافتهم في كل أبعادها،



الشيخ علي يوسف

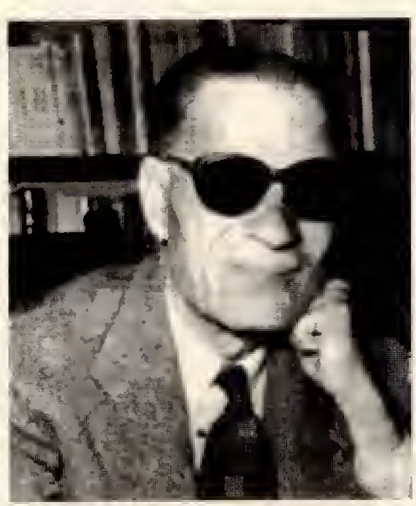
وتعمقت في عقولهم ونفوسهم القيم والأفكار التي ترتكز عليها حضارة الأمة في حركتها الدائبة إلى الأمام. وبذلك يتكامل دور اللغة بوصفها أداة للتعبير عن شتى العلوم والفنون، ورسالة للتوعية والإعلام.

ولأهمية هذه اللغة الإعلامية في حركة الثقافة العامة، برز إلى الوجود علم جديد، هو علم اللغة الإعلامية(٨). وهو علم يهتم بدراسة اللغة من الناحية اللسانية والنفسية والاجتماعية والإحصائية، ويستفيد في ذلك من كل الدراسات في حقول المعرفة المختلفة، ليطّور لغة الإعلام؛ بحيث تؤدي رسالة التثقيف العام في عالم متغير. وهو في ذلك لصيق بعلوم الاتصال الجماهيري، يستفيد من معطياتها كما تستفيد هي من معطياته.

والغاية من كل ذلك الوصول إلى لغة عصرية، تأخذ في إطارها ما صمد على الزمن من ألفاظ الماضي، وتنفتح بوعي على مكتسبات الحاضر، وقد ينجم عن ذلك ما يمكن تسميته باللغة الوسيطة(٩) التي تتجافى عن الحوشي والغريب، وتستثمر ما انتهى إليه التطور اللغوي من ذخائر في الألفاظ والتراكيب.

التطور اللغوي المنشود

وكان التطور اللغوي ديدن العربية على اختلاف عصورها. فالعربية في الإسلام تطورت كثيرًا عما عهده الجاهليون؛ فقد انقرضت ألفاظ كثيرة، وجاءت ألفاظ لا حصر لها. وكان الأمر كذلك في العصر العباسي وما تلاه من عصور.



طه حسين

وقد انتقلت اللغة في عصرنا هذا نقلة بعيدة بُعد ما بين أسلوب الجاحظ (ت:٢٥٥هـ)، وأسلوب طه حسين، وبُعد ما بين أسلوب الصحفي الشيخ علي يوسف (ت:١٣٣١هـ/١٩١٣م) صاحب جريدة المؤيد في مطلع هذا القرن، وأسلوب الصحفيين المعاصرين في الصحف والمجلات التي نقرؤها اليوم(١٠).

ولكن تطوير اللغة بهذه الصورة وتنميتها، لا يتم إلا بالتعمق في فهم اللغة في نماذجها الأصيلة في القرآن الكريم والحديث الشريف وأدب الجاهلية والإسلام، والاطلاع على قواعدها النحوية والصرفية والبلاغية، لندرك الآليات التي تتطور بها اللغة على الزمان، ونحافظ بذلك على سلامتها؛ فتنمو سوية دون تشويه أو تعويق. لأن تحديث اللغة وتطويرها لايعني التخلي عن الطبيعة الذاتية للغة، المتمثلة في قواعدها وطرائق أدائها وأصواتها وتراكيبها. فالحفاظ على ذلك حفاظ على روح الأمة الممثلة في لغتها، التي تنقل صورتها وحضارتها للآخرين، وبها تنتقل صور الآخرين وحضاراتهم إليها. ولذلك كانت اللغة أهم مرتكزات الكيان القومي لأية أمة من الأمم.

والصراع المحتدم الآن في جوهره صراع حضاري لغوي، تقوم فيه اللغات مقام الأسلحة (إلى أن تندلع الحرب الساخنة لا قدَّر الله)، مثلما هو الحال بين الإنجليزية والفرنسية الآن، وهو صراع دفع بالأكاديمية الفرنسية إلى محاولة اجتثاث كل الكلمات المستعارة من الإنجليزية في اللغة الفرنسية، وإلى إطلاق أقمار صناعية تنطق بالفرنسية في مواجهة الأقمار الأمريكية. وآخر أخبار المعركة سعي الفرنسيين إلى إقامة شبكة إنترنت فرنسية موازية للشبكة الأمريكية التي تبث ما يزيد على التسعين بالمئة من برامجها بالإنجليزية.

اللغة الوسيطة

والهدف البعيد أن تصبح هذه اللغة الوسيطة الحاملة لكل ما تمتاز به لغة العرب من وضوح، وتفريق دقيق بين المعاني، وسلامة في النطق وبناء الكلام، لغة التفاهم العامة بين الناس؛ فيتم التواصل بين حاضر الناس الممتلئ بالجديد، وماضيهم اللغوي الذي يحمل أصالة الأمة وقيم حضارتها التي تعبر عنها كلمات اللغة. وبذلك تصبح اللغة ـ بفضل هذا التفاعل بين الحاضر والماضي ـ جسرًا ثقافيًا يصل حاضر الثقافة بماضيها، فيحيا الماضي في إطار الحاضر، وتستعيد الشخصية القومية فاعليتها بوصلها بجذور ماضيها، التي وهنت أو اجتُثَّت بفعل عصور الجهالة ومخططات المستعمرين، التي أدت إلى هذا الانفصال بين حاضر الناس وماضيهم. وهذا الانفصال يضعف من أثر الثقافة في عقول الناس وحياتهم، ويفتح الباب واسعًا للاستلاب الثقافي والغزو الفكري والحضاري المحتدم(١١).

علم اللغة الإعلامي

ولعلم اللغة الإعلامي دور كبير في ترقية هذه اللغة الوسيطة ـ لغة الإعلام ـ وتطويرها لتحمل رسالة التوعية والتثقيف والإعلام على أفضل الوجوه. ومن ذلك الاستفادة من الدراسات الإحصائية حول أكثر الألفاظ شيوعًا، للتركيز عليها في حمل الرسالة الإعلامية. وفي كل اللغات الحية، ومن بينها العربية، قوائم متدرجة تبدأ بالألف كلمة الأولى، فالألف الثانية، وهكذا. وقد اتضح من هذه القوائم أن ما يستعمله الكتاب والصحفيون لا يكاد يتعدى عشرة الآلاف كلمة؛ في حين أن معجم لسان العرب لابن منظور يحوي ثمانين ألف مادة، بينما يشتمل معجم تاج العروس على ما يزيد على مئة وعشرين ألف مادة(١٢).

ولا بد لهذه اللغة الوسيطة ـ لغة الإعلام ـ أن تتجافى عن الغموض، وعن ألفاظ الدعاية الفجَّة التي لا تحمل معلومات موجهة إلى عقل المتلقي، بقدر ما تحمل من شحنات عاطفية تغذي الأوهام، وتحول بينه وبين الوصول إلى الحقائق المجردة.

وعلى وجه العموم فإن اللغة السليمة في تركيبها وأدائها ووضوح معانيها خير أداة لنقل الثقافة، وهي في الوقت نفسه خير معين على تطوير الثقافة، لأنها بما تركزه في عقول الناس من ألفاظ محددة المعاني، شاملة لألوان المعرفة، تصبح أداة فاعلة لنشر الفكر وتزويده بالمعطيات التي تساعد العقل على أداء وظيفته على أكمل الوجوه. وهكذا يتبين أن علاقة اللغة بالثقافة علاقة جدلية: تنفعل اللغة بالثقافة، وتنفعل الثقافة باللغة، وكلما تعمقت هذه العلاقة ازدهرت اللغة وازدهرت الثقافة.

الهوامش:

١ـ سورة إبراهيم، الآية: ٤.
٢ـ سورة النحل، الآية: ١٠٣، وسورة الأحقاف، الآية: ١٢، وسورة الشعراء، الآية: ١٩٥.
٣ـ سورة البقرة، الآية: ٢٢٥، وسورة المائدة، الآية: ٨٩، وسورة مريم، الآية: ٦٢، وسورة فصلت، الآية: ٢٦، وسورة المؤمنون، الآية: ٣. وانظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم لمحمد فؤاد عبدالباقي، مادة: لغو.
٤ـ ابن منظور: لسان العرب، مادة: أيك وعيك.
٥ـ انظر: تفاسير الطبري وابن كثير والجلالين وغيرها.
٦ـ معجم أكسفورد الكبير للغة الإنجليزية، تحت هذه المادة. وانظر كذلك: دائرة المعارف البريطانية لهذه المادة.
٧ـ د. عبد العزيز شرف: اللغة الإعلامية، دار الجيل، بيروت.
٨ـ المصدرالسابق.
٩ـ د. أنيس فريحة: نحو عربية ميسرة، ومحمود تيمور: ألفاظ الحضارة.
١٠ـ د. عبد العزيز شرف: المصدر السابق.
١١ـ د. عون الشريف قاسم: في معركة التراث، دار الجيل، بيروت.
١٢ـ د. حسين نصار: المعجم العربي.





في التراث العربي

محمد العودات

يحظى العلاج النفسي بأهمية كبيرة في إعادة تكيّف الفرد وتحقيق شعوره بالرضا عن ذاته وعن المجتمع الذي يعيش فيه، وإشعاره بالسعادة، وتحريره مما يكبل طاقاته من الصراعات والأزمات والتوترات والآلام والمشكلات والضغوط النفسية؛ تلك التي تبدد طاقاته وتصرفها عن الإبداع والإنتاج والعمل والعطاء. ويتطلّع العلاج النفسي إلى تحرير الفرد من الأعراض المرضية.

وللعلاج النفسي أهمية إنسانية كبيرة من حيث استهدافه تحرير المريض من مشاعر البؤس والتعاسة والشقاء والألم والحزن والكآبة والضيق والضجر والتبرم والسخط، والشعور بأن حياته لم يعد لها قيمة تذكر، وقد يدفعه اليأس إلى الإقدام على التخلص من حياته بالانتحار.

ولا يسبب المرض النفسي أو العقلي التعاسة للمريض فحسب، وإنما يسببها لكل المحيطين به من أفراد أسرته أو أقاربه أو أصدقائه، وبذلك يمكن أن يؤدي المرض النفسي أو العقلي إلى التفكك الأسري.

إن الاهتمام بالمرض النفسي أو العقلي ليس بدعةً عصرية، أو هو مقصور على الحضارة الحديثة والطب المعاصر، فقد أدرك العرب منذ عدة قرون - كغيرهم من الحضارات القديمة - ضرورة الاهتمام بنفسية المريض توطئة لاستخدام الدواء، وكان لهم أساليب ومناهج في العلاج النفسي لا زال الطب الحديث يلجأ إليها في علاج بعض الأمراض النفسية، مما يدلل على عظمة الحضارة الإسلامية وريادتها في ميادين كثيرة.

فما أهم هذه الطرائق والأساليب؟ وكيف طبقوها على مرضاهم؟

العلاج بالإيحاء النفسي

أدرك الأطباء العرب أهمية العلاج بالإيحاء النفسي - أو الوهم والتخييل كما كانوا يطلقون عليه - في علاج بعض الحالات المرضية، وكتاب ابن أبي أصيبعة (ت:٦٦٨هـ) زاخر بالشواهد على ذلك، ففي سنة ١٧٥هـ «تمطت حظيه الرشيد ورفعت يدها فبقيت منبسطة لا يمكنها ردها، والأطباء يعالجونها بالتمريخ والأدهان ولا ينفع ذلك شيئًا.. فقال جبرائيل بن بختيشوع الطبيب للرشيد: إن لم يسخط عليّ أمير المؤمنين فلها عندي حيلة.. تخرج الجارية إلى ههنا بحضرة الجمع حتى أعمل ما أريده، وتمهّل عليّ ولا تعجل.. فخرجت، وحين رآها جبرائيل عدا إليها ونكّس رأسه ومسك ذيلها كأنه يريد أن يكشفها، فانزعجت الجارية، ومن شدة الحياء والانفعال استرسلت أعضاؤها وبسطت يدها إلى أسفل ومسكت ذيلها، فقال جبرائيل: قد برأت يا أمير المؤمنين، فقال الرشيد للجارية: ابسطي يديك يمنة ويسرة ففعلت ذلك، وعجب الرشيد وكل من كان بين يديه»(١).

ومن الأطباء الذين عالجوا بالوهم الطبيب هبةالله بن عليّ بن ملكا البلدي، أبو البركات المعروف بأوحد الزمان (ت: نحو: ٥٦٠هـ)، وكان أحدهم مصابًا بعلة الماليخوليا ويعتقد أن على رأسه دنًا لا يفارقه أبدًا، فكان كلما مشى يتحايد المواضع التي سقوفها قصيرة، ويمشي برفق ولا يترك أحدًا يدنو منه حتى لا يميل الدن أو يقع عن رأسه. وبقي بهذا المرض مدة وهو في شدة منه، وعالجه جماعة من الأطباء ولم يحصل لمعالجتهم تأثير ينتفع به، وانتهى أمره إلى «أوحد الزمان» ففكر أنه ما بقي شيء يمكن أن يبدأ به إلا بالأمور الوهمية، فقال لأهله: إذا كنت في الدار فأتوني به. ثم إن أوحد الزمان أمر أحد غلمانه بأن ذلك المريض إذا دخل إليه وشرع في الكلام معه وأشار إلى الغلام بعلامة بينهما، أن يسارع بخشبة كبيرة فيضرب بها فوق رأس المريض على بعد منه كأنه يريد كسر الدن الذي يزعم أنه على رأسه، وأوصى غلامًا آخر، وكان قد أعد معه دنًا في أعلى السطح أنه متى رأى هذا الغلام وقد ضرب فوق رأس صاحب «الماليخوليا» أن يرمي الدن الذي عنده بسرعة إلى الأرض. ولما كان أوحد الزمان في داره وأتاه المريض، شرع في الكلام معه وأنكر عليه حمله الدن، وأشار إلى الغلام عنده من غير علم المريض فأقبل وقال: والله لا بد لي أن أكسر هذا الدن وأريحك منه. ثم أدار تلك الخشبة التي معه وضرب بها فوق رأسه بنحو ذراع، وعند ذلك رمى الغلام الآخر الدن من أعلى السطح وتكسر قطعًا كثيرة؛ فلما عاين المريض ما فعل به ورأى الدن المتكسر تأوه لكسرهم إياه، ولم يشك أنه هو الذي كان على رأسه بزعمه، وأثّر فيه الوهم أثرًا برئ به من علته(٢).

أما أبو بكر محمد بن زكريا الرازي (ت: ٣١١هـ) فقد ركز على العامل النفسي الذي يتداخل مع تركيب الجسم، فمزاج البدن تابع لأخلاق النفس، وبرأيه أن المزاج يتحكم به مناخ البلد وعاداته وتقاليده، لذلك يختلف الدواء وتتباين معالجته تبعًا لظروف البدن. وقد ذُكر أن الرّازي دُعي إلى ترانسوكيانا لمعالجة الأمير منصور من أمراض روماتيزمية في مفاصله أعجزت أطباء المنطقة جميعهم، ولما وصل الرازي إلى بخارى جرب طرقًا عديدة لعلاج الأمير دون أن ينجح، فقال له آخر الأمر: سأجرب في غد طريقة جديدة ولكنها ستكلفك خير حصانٍ وخير بغلٍ في حظيرتك، فوافق الأمير

وأعطاه ما أراد. وفي اليوم التالي ذهب الرازي بالأمير إلى حمام ساخن خارج المدينة، وربط الحصان والبغل خارجه، بعد أن أسرجهما وألجمهما، ثم دخل الحجرة الساخنة وحده مع مريضه الذي وضعه تحت الدش الساخن عدة مرات، وسقاه جرعة كان قد أعدها ليسقيها له عندما يحين الوقت الذي تنضج فيه الأخلاط التي في مفاصله، ثم خرج ولبس ثيابه ودخل ثانية وفي يده سكين، ووقف برهة يشتم الأمير قائلاً: لقد أمرتَ أنْ أُقيَّدَ وأُلقى في القارب متآمراً بذلك على حياتي، وإن لم أقتلك عقاباً لك على هذا، فليس اسمي محمد بن زكريا، فغضب الأمير غضباً شديداً وثارت ثائرته، وهبَّ واقفا على قدميه مدفوعاً بالغضب من جهة، والخوف من جهة أخرى، فأسرع الرازي بالفرار من الحمام، وقصد إلى حيث كان غلامه ينتظره في الخارج مع الحصان والبغل، وركب حصانه وانطلق به راكضاً بأقصى سرعة، ولم يتوقف في هربه حتى عبر نهر «أوكس» ووصل إلى «مرو»، ومن هناك كتب إلى الأمير يقول: أطال الله حياة الملك متمتعاً بالصحة والسعادة والسلطان، لقد بذلت في علاجك أقصى ما لديّ من قدرة وفقاً لما تقتضيه مهنتي، ولكن نظراً لنقص الحرارة عندك، كانت مدة العلاج ستطول إلى حد بعيد، لهذا عدلت عن العلاج الطويل إلى العلاج النفساني، ولما تعرضت الأخلاط الفاسدة للحرارة في الحمام الساخن إلى الحد الكافي، أثرتُكَ عامداً حتى أزيد في حرارتك الطبيعية، وبذلك اكتسبت من القوة ما يكفي لإذابة الأخلاط الفاسدة التي كانت قد لانت، ولكن ليس من الخير أن نتقابل بعد الآن. ولما عرف الأمير السر الذي من أجله قام الرازي بهذا العمل، وعادت إليه صحته، سامحه وقرر له رزقاً سنوياً(٣). والمهم أن الرازي قد عالج الأمير بفعل الصدمة؛ كما أُثِرَ عنه أنه كان يعالج داء السكتة بالضرب بالسياط، ويعالج الشلل بمغلي الحنظل في اللبن.

العلاج بالموسيقى

لاحظ القدماء منذ عهد فيثاغورس في القرن السادس قبل الميلاد، الصلة الوثيقة بين الموسيقى والنفس البشرية، فكانوا يتخذون منها أنواعاً للعلاج، وأخرى للّهو والطرب، وثالثة للحماسة والحرب، ورابعة للإيقاع والرقص، وهكذا. وعند العرب كان الحُدَاء أول السماع والترجيع، ثم اشتق الغناء من الحُدَاء.

وفي أيام العباسيين مال الأطباء إلى استعمال الموسيقى في علاج بعض الأمراض عندما لم تكن تنفع الأدوية، وأشهر من عالج مثل هذه الحالات بالموسيقى الطبيب يحيى بن عيسى بن جَزْلة (ت:٤٩٣هـ) في كتابه «تقويم الأبدان» حيث يقول: «إن الموسيقى من الأدوات النافعة في حفظ الصحة، وتختلف بحسب اختلاف طباع الأمم، وقديماً وُضعت هذه الصناعة لحث النفوس إلى السنن الصحيحة، ثم استعملها الأطباء في شفاء الأبدان المريضة، فمَوقع الألحان من النفوس موضع الأدوية في الأبدان، وأفعاله في النفس ظاهرة من مَشْي الجمال عند الحداء، وشُرب الخيل عند الصفير، ومرح الأطفال لسماع الغناء، وهو يحدث أريحية ولذة، ويعين على طول الصلاة والدراسة، والأطباء يستعملونه في تخفيف الآلام، على مثال ما يستعمله الحمالون لتخفيف الأثقال»(٤).

وقد استفاد يعقوب بن إسحاق الكندي (ت: نحو:٢٦٠هـ) من التراث المأثور عن الهنود والفرس وطبَّقه على الموسيقى العربية والشعر العربي، فاستخدم الموسيقى في العلاج، وحكى في كتابه «المصوتات الوترية» أنه ليست كل الألحان تناسب جميع أوقات اليوم، ففي أول النهار يناسبه الإيقاعات المجدية والكرامية والجودية، وفي أوسطه وعند قوة النفس الإيقاعات الإقدامية والبأسية، وفي أواخره عند انبساط النفس الإيقاعات الطربية والسرورية، وعند النوم ووضع النفس الإيقاعات الشجوية»(٥).

والمعالجة بالموسيقى استعملها الأطباء العرب في البيمارستانات إلى جانب المعالجة بالأدوية، فأورد إخوان الصفا في رسائلهم أنهم كانوا يثون لحنًا خاصًا في البيمارستانات، فقالوا: «إن من الموسيقى لحنًا خاصًا كانوا يستعملونه في المارستانات وقت الأسحار، يخفف ألم الأسقام والأمراض عن المريض، يكسر سورتها ويشفي من كثير من الأمراض والعلل»(٦).

العلاج باللون والطيب

لقد لجأ الأطباء العرب إلى اللون والطيب في معالجة مرضاهم، وأكثر من استعمل هذه الطريقة: ابن سينا (ت:٤٢٨هـ) والكندي، وعلي بن عباس المجوسي (ت: نحو٤٠٠هـ)، وجبرائيل بن بختيشوع.

أما ابن بختيشوع فاستعمل الأطياب والروائح الزكية في علاجه للأمين ابن الخليفة الرشيد بعدما ظنوه ميتاً وبعد حجامته، قال الطبيب: «غديناه بصدر دراج وسقيناه شراباً، وما زلنا نشممه الروائح الطيبة ونجعل في أنفه الطيب حتى تراجعت قوته، وأدخل الناس إليه ثم وهب الله عافيته»(٧).

أما الكندي فتكلم في كتابه «المصوتات الوترية» عن مزاجات الألوان فقال: «إذا قرنت الحمرة بالصفرة تحركت القوى العزّية، وإذا قرنت الصفرة بالسواد تحركت القوة اللذية، وإذا قرن السواد بالحمرة والصفرة والبياض معاً تحركت القوة الكرمية..» وقال في مزاجات الأراييح: «إن رائحة الياسمين تحرك القوة العزّية واللذية..»(٨).

العلاج في المارستانات

ويُعزى إلى الأطباء العرب الفضل في أنهم أول من عالج الأمراض العقلية والعصبية بطريقة إنسانية، فبدؤوا منذ القرن الأول الهجري بعمارة مستشفيات للمجانين والبلهاء، لأنهم عَدُّوهم عاجزين عن القيام بحاجاتهم، ومن واجب الدولة أن تقوم بخدمتهم، ويُحكى أن المنصور كان يزورهم ويتفقد أحوالهم، ولم ينقطع عن زيارتهم إلا بعد أن أوذي من أحدهم، فاكتفى بعد ذلك بالسؤال عن أحوالهم.

ويقول «ريسلر» بهذا المعنى: إن أول بيمارستان للأمراض العقلية في بغداد أنشئ منذ القرن الثاني الهجري، وكان المجانين يُعامَلون برأفة ومحبة على يد اختصاصي في الأمراض العقلية، في الوقت الذي كان الغرب فيه يرزح تحت وطأة الكنيسة التي تعالج بالصلوات والتعاويذ، وتعامل المجانين على أنّ بهم مَسّاً من الشيطان وأنهم مجرمون، أما العلاج الوحيد لهم بعد تقييدهم بسلاسل حديدية فكان الضرب عندما ترتفع أصواتهم بالصراخ، وسموا هذا المرض بالمرض الإلهي أو المرض الشيطاني لأنهم كانوا يحسبونه من إصابات الأرواح الشيطانية(٩).

وكان للمجانين أدوية خاصة يحضرها الأطباء، وتكلم داود بن عمر الأنطاكي (ت:١٠٠٨هـ) في «تذكرته» عن معجون كان يستعمل في المارستان لتثبيت العقل، وهو «جالينوس» وقد عرفه قديماً حنين بن إسحق (ت:٢٦٠هـ)، ودُعيَ معجون النجاح، وعند اشتداد هيجان المجانين كانوا يداوونهم بإعطائهم شرابا أضيف إليه بعض الأفيون.

الهوامش:

١- عيون الأنباء لابن أبي أصيبعة ١٢٧/١ وإخبار العلماء للقفطي ص١٣٦.
٢- عيون الأنباء ٢٧٩/١.
٣-٤- مقدمة في تاريخ الطب العربي، الماهي التيناني، ص١٠٥، ١٠٨.
٥- الكندي فيلسوف العرب للأهواني ص١٨٥.
٦- الرسالة الخامسة من القسم الرياضي في الموسيقى، ص١٣٦.
٧- عيون الأنباء ١٣٣/١.
٨- روائع من التراث العربي، ص٣٦-٣٨.
٩- أثر العرب في الحضارة الأوروبية للعقاد، ص٤٣.

كيف نربي الفطرة الإنسانية ؟!

د. علي عبدالعزيز العبدالقادر

الفطرة الإنسانية التي فطر اللَّهُ الناس عليها فطرة خيرة وطبيعة زكية، وهي كالأرض الطيبة: إذا اعتني بها أنبتت بإذن ربها الزروع والثمار الطيبة، وإذا أهملت رعايتها والعناية بها، أو أسيء استخدامها لم تثمر إلا الخبيث. ويمكن القول إن تربية الفطرة الإنسانية والعناية بها وتوجيهها يجعلها صالحة نقية خيرة قادرة على الصمود أمام تيارات الشر والانحراف، فيكون الإنسان صالحا، يتصدى للجريمة فهي نفسه وأسرته ومجتمعه منها، ويمنع حدوثها. وإذا أهملت تربية الفطرة والعناية بها ورعايتها تغلبت عليها عوامل الخبث والشر فوجهتها نحو الجريمة والسلوك المشين قولاً وعملاً.

يقول الحق عز وجل: *فَأَقِمْ وجهَكَ للدِّين حَنيفًا فطْرَةَ الله التي فَطَر النَّاسَ عَلَيها لا تَبديلَ لخلقِ الله ذلكَ الدِّينُ القَيِّمُ ولكنَّ أكثَرَ النَّاسِ لا يَعلمُونَ*. **الروم: ٣٠.**

والبيئة بأبعادها الجغرافية والإنسانية والثقافية، وبوسائطها التربوية: الأسرة والمدرسة والمجتمع بمختلف مؤسساته وثقافاته وممارساته، تؤثر في الفطرة تأثيرًا إيجابيًا أو تأثيرًا سلبيًا.

يقول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم: «كل مولود يُولَدُ على الفطرة فأبواه يُهوِّدانه أو يُنصِّرانه أوْ يُمَجِّسانه».. فإذا كان التأثير إيجابيًا ينسجم مع طبيعة الفطرة الخيرة، فإنه يعليها ويسمو بها؛ فتتربى على الميول والاتجاهات الخيرة، وإذا كان التأثير سلبيًا مخالفًا لطبيعة الفطرة الخيِّرة انحرفت عن الطريق السليم؛ لكون التأثير البيئي أقوى على توجيهها. إن الفطرة تتوجه حسب المؤثر البيئي ونوع التأثير.

ويرى الإمام الغزالي (ت:٥٠٥هـ) أن: «الفطرة مترددة بين الشهوة والعقل، العقل فوقها والشهوة تحتها متى مالت الفطرة نحو العقل ارتفعت وشرفت وولدت المحاسن، وإذا مالت إلى الشهوة سفلت إلى أسفل السافلين وولدت القبائح».

والشهوة هي الهوى والرغبة الجامحة، ومصدرها النفس الأمَّارة بالسوء. ويحذر سبحانه من اتباع الهوى بقوله عز وجل: *ولا تَتَّبع الهَوى فَيُضلَّكَ عن سبيل الله*. ص:٢٦. ولكي تكون الفطرة ميَّالة إلى العقل، تؤمن بالعلم وتحكيم الدليل الشرعي، قادرة على عدم اتباع الهوى، فإنه لا بد من تربيتها على الخير والتقى، والعناية بها منذ المراحل الأولية لتكوين الإنسان. ولكي تتحقق التربية الصالحة والعناية التامة بالفطرة الإنسانية، فإنه يتحتم اتباع أفضل المناهج التربوية لتحقيق الغاية وهي السمو بالفطرة.

يقول الإمام الغزالي: «إن الطفل خلق قابل للخير والشر جميعًا، وإنما أبواه يميلان به إلى أحد الجانبين».

ويرى جان جاك روسو (١٧١٢-١٧٧٨م) - كما جاء في كتابه «إميل» - أن الطبيعة الأصلية للإنسان خيرة، ولعل من الأفضل لتربيته تركه للطبيعة. ولا نتفق مع روسو في عدم وضع منهج تربوي للعناية بالفطرة. وإذا كان روسو يرى أن مناهج قومه غير صالحة، فلا يمكن أن نعمم نظريته على جميع المناهج التربوية لعدم معرفته إياها. ولعله يقصد المناهج التي يضعها الإنسان، أو لأنه يجهل المنهج الإلهي الذي وضعه رب العالمين لتربية الإنسان وهو القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، فلو تمكن من معرفة هذا المنهج الإسلامي لاختاره لتربية الإنسان.

إن سقراط وجالينوس يعتقدان أن في الإنسان رغبة ملحة في الخير، وأن الشر أمر عارض عليه. كما يرى ليبنتز وابن عربي أن النفس الإنسانية تحتوي جميع أفعالها فطريًا. ويقول أصدق القائلين: *ونفس وما سوَّاها. فألهَمَها فجورَهَا وتقْواها. قد أفْلَح مَن زكَّاها. وقد خابَ من دَسَّاها*. **الشمس: ٧-١٠.**

ويقول «الرواقيون» أصحاب الفلسفة الرواقية: إن الناس يُخلَقون أخياراً ثم يتحولون أشراراً بمخالطة الأشرار والانغماس في الشهوات. وابن خلدون يرى أن النفس مهيأة للخير والشر معًا، ولكن استعدادها للخير أكثر، فالإنسان أقرب إلى الخير لكونه إنسانًا اختاره الله سبحانه خليفة في الأرض. ولقد دعا أكثم بن صيفي (ت:٩هـ) من حكماء العرب قومه إلى الإسلام فكان مما قاله: «إن الذي يدعو إليه محمد، لو لم يكن دينًا، لكان في أخلاق الناس حسنًا»؛ أي إن أكثم يوضح انسجام الدين الإسلامي الجديد مع خصائص الفطرة الخيرة في الإنسان. فما جاء به المنهج الإلهي ينسجم مع الفطرة التي فطر الله الناس عليها.

ويرى فيليب فنكس في كتابه «فلسفة التربية» أن التربية عملية توجيه ونمو للأفراد، ولذا فإن طبيعة الفرد تصبح مسألة على درجة كبيرة من الأهمية بالنسبة لفلسفة التربية، وطبيعةُ الفرد هي الفطرة التي فُطر عليها.

ولا شك أن اختيار المنهج التربوي وتحديد فلسفته وغايته وأهدافه ينبغي أن يعتمدا على الفطرة الأصلية للإنسان، وكيف تتم تربيتها على الخير والتقى؛ بما يسمو بالذات الإنسانية من جميع جوانبها: الجسمية والعقلية والروحية والنفسية والاجتماعية والأخلاقية والاقتصادية في تكامل وشمول واستمرارية.

وهنا أقرر ـ بعد بحث في أنماط الفلسفات التربوية منذ القدم إلى وقتنا الحاضر ـ حقيقةً جدليةً واحدةً، تدعمها الأدلة والبراهين العقلية والعملية والمنطقية: إن المنهج التربوي الإلهي هو المنهج الملائم لمقتضى الفطرة الإنسانية؛ ذلك لأن خالق الشيء أعلم بخصائصه وحاجاته، وبصفاته الظاهرة والباطنة، مما يمكن أن يضع بعلمه وحكمته واطلاعه على أسرار مخلوقاته ما يصلح لتربية الإنسان التقيِّ الصالح في الحياة الدنيا والحياة الآخرة، فهو العليم الحكيم.

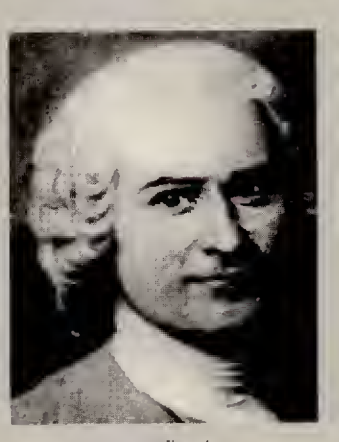
بينما نجد فلسفة التربية وغاياتها وأهدافها التي وضعها غير الخالق ناقصة، تقتصر على اهتمامات الإنسان وحاجاته وتصوراته، وهو يجهل بالضرورة متطلبات ذاته المادية والعقلية والروحية والوجدانية. إن التربية منذ عهد الإغريق حتى التربية المعاصرة التي درسنا فلسفتها وأهدافها في عالم اليوم، تؤمن بفلسفة مادية تقتضي إعداد الإنسان المنتج اقتصاديًا في الحياة الدنيا، بينما أهملت الإعداد الروحي للإنسان ليكون تقيًا صالحًا في الدنيا والآخرة. وينعكس أثر التربية المادية في مجتمعات المعسكر الشيوعي والمعسكر الرأسمالي؛ إذ تنتشر الجريمة في ساحات الدول المتقدمة وعلى كل صعيد في أي مجتمع يتبع هذه الفلسفة.

ولذا فإن خير منهج تربوي للعناية بالفطرة الإنسانية، هو منهج الله سبحانه الذي يقول: *اليومَ أكملتُ لكم دينكم وأتممتُ عليكُم نعمَتي ورَضيتُ لكمُ الإسلامَ دينًا*. **المائدة**:٣. وهو دين غايته تربية الفطرة والسمو بها ورعايتها والعناية بها في تكامل وشمولية واستمرارية ليكون الإنسان صالحًا في الدنيا، مرضيًا في الآخرة.

وفي غياب التربية المبنية على المنهج الإلهي الإسلامي فإنه لا تتحقق تربية الفطرة الإنسانية في تكامل وشمولية واستمرارية. وفي غياب التربية الإسلامية عن الأسرة والمدرسة والمجتمع، لا بد من أن تنحرف الفطرة الإنسانية عن طبيعتها السليمة الخيرة، لتدخل حياة الإنسان في دهاليز الجريمة والارتكاس في بؤرها؛ مما يؤدي إلى هدم إمكانيات الفرد والمجتمع، وإضعاف القدرات والطاقات، وانتشار الفوضى والفتن.

وتربية الفطرة الإنسانية تقتضي العناية بها منذ ما قبل الحمل بالجنين حتى الولادة، ومن ثم مراحل الطفولة والشباب والكهولة. ويمكن استعراض مراحل العناية بالفطرة الإنسانية في المنهج الإسلامي فيما يلي:

١ـ مرحلة ما قبل الاقتران الزوجي: باختيار الزوجة الصالحة، إذ يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «تخيَّروا لنُطَفكم»، ويقول في حديث آخر: «...إن العرق دساس»؛ بما يؤكد دور الوراثة في النمو.


جان جاك روسو

٢ـ مرحلة الحمل: وهي مرحلة تؤكد نتائج البحوث الطبية أهميتها في مراحل النمو المختلفة. فسلامة الجنين جسميًا وعقليًا وعصبيًا تأتي بإذن الله تعالى نتيجة للعناية بالحامل صحيًا ووقائيًا وغذائيًا واجتماعيًا ونفسيًا. وإذا خرج الجنين إلى الدنيا معافى سليمًا كان ذلك عاملاً مهمًا في نموه المطرد وتكامل شخصيته وسلامة فطرته من الانحراف. أما إذا وُلد الطفل عليلاً سقيمًا أشوه، فإن احتمال انحراف الفطرة وارد لما ينتاب ذلك الطفل في مراحل حياته من عوامل التخلف والعجز العضوي والعقلي والنفسي والاجتماعي.

٣ـ العناية بالطفل في سني المهد من أول يوم تلده أمه فيه، حتى إكمال مرحلة الرضاعة، والمحافظة على فطرته، وعدم السماح لعوامل الانحراف أن تتسرب إلى هذه الفطرة الزكية ومن ذلك:

أـ اختيار المرضعة الصالحة في حالة الاضطرار، فقد وجّه إلى ذلك الرسول الأمين محمد صلى الله عليه وسلم بقوله: «لا تسترضعوا الورهاء ـ أي الحمقاء».. ويرى الإمام الغزالي أهمية المرضعة والحاضنة وأثر اللبن في الفطرة فيقول: «فلا يُستعمل في حضانته وإرضاعه إلا امرأة صالحة متدينة تأكل الحلال، فإن اللبن الحاصل من الحرام لا بركة فيه، فإذا وقع عليه نشوء الصبي (أي الطفل ذكرًا أو أنثى) تعجنت طينته من الخبث فيميل طبعه إلى ما يماثل الخبائث».

ب ـ أن تكون بيئة الأسرة نظيفة من الشتائم والأقوال القبيحة والصور الأخلاقية الرديئة من ممارسات وتصرفات غير مؤدبة؛ لأن الصغير في هذه المرحلة شديد الامتصاص لما حوله ولما يسمعه ويبصره، فتثبت الصور والمسموعات في عقله الباطن؛ ويكون لها أثر سلبيّ في مستقبل سلوكه. ومما يجب الحذر منه تركه للخادمات غير الصالحات أو المربيات السيئات دينًا وأمانةً وخلقًا. كما يُوصي الوالدان بأن يكون كلامهما مؤدبًا وتصرفاتهما سليمة.

٤ـ مرحلة ما بعد الفطام: وتشمل مراحل الطفولة المبكرة والمتأخرة والمراهقة، أي من السن التي تبدأ بعد الفطام حتى الثامنة عشرة من العمر.. فتكون العناية والتربية مستمرة بمختلف الأساليب التربوية حسب المنهج

كيف نربي الفطرة الإنسانية؟

الإسلامي والهدي القرآني والنبوي.

على أن تبدأ الأسرة مباشرة في تربية الطفل حتى لا تنحرف فطرته، وفي هذا الشأن يقول ابن سينا (ت:٤٢٨هـ): «فإذا فُطم الصبي - أي الطفل ذكرًا أو أنثى - بدئ بتأديبه - أي تربيته - وتهذيبه ورياضته - أي التعامل معه تربويًا - قبل أن تهجم عليه الأخلاق اللئيمة، وتفاجئه الشيم الذميمة، فإن الصبي تبادر إليه مساوئ الأخلاق وتنثال عليه الضرائب الخبيثة، فينبغي لمعلم الطفل أن يجنبه مقابح الأخلاق، وينكب عنه معايب العادات بالترغيب والترهيب، وبالحمد مرة وبالتوبيخ أخرى ما كان كافيًا»، وحسب مقتضى الموقف، ومرحلة النمو، وبالأسلوب الإسلامي في التوجيه والإرشاد بالتي هي أحسن، وبالرفق وبالحزم دون عنف:

إن الغصون إذا عدّلتها اعتدلت
ولا تلين إذا كانت من الخشب

ويرى المربون المسلمون أن هناك مرحلتين في تربية الفطرة الإنسانية والعناية بها، أولاهما: «مرحلة التخلية»، وهي تخلية الطفل من كل رذيلة، وإبعاده من المؤثرات الشريرة كخلطاء السوء والقدوة السيئة في الأسرة أو من خارجها. وثانيتهما: «مرحلة التحلية والتزكية»، ويُقصد بها تحلية الطفل بالفضائل الكريمة، وتزكيته بالأخلاق المحمودة، وغرس القيم الإسلامية في وجدانه من طريق النموذج الأمثل، والقدوة الحسنة، التي تمارس قيم الصدق والأمانة والعدل في التعامل وغيرها من قيم الخير والحق والتقى؛ ولا يعني ذكر المرحلتين على هذا النحو ترتيبًا في ممارستهما فإن كلتا المرحلتين تُمارَس حسب مقتضى الموقف التربوي في الأسرة والمدرسة والمجتمع، وهما عمليتان تربويتان مستمرتان من بعد الفطام إلى الوفاة.

ثم يستمر بعد ذلك عمل الوالدين والإخوة الكبار والمعلمين والمعلمات في المدرسة، في مختلف المراحل التعليمية، وفي مختلف مراحل العمر التي تسمح للأبوين بالتوجيه والإرشاد، ثم مؤسسات المجتمع المختلفة الإعلامية وغيرها.

وفي إطار التربية السليمة للفطرة الإنسانية فقد مارست التربية الإسلامية الأساليب التربوية التالية لتربية الذات الإنسانية والسمو بها من كل جوانبها: الجسمية والإنتاجية، والعقلية والعلمية، والروحية الدينية، والأخلاقية الجمالية، والاجتماعية والنفسية والوجدانية في شمولية وتكامل واستمرارية، وهي تستهدف حماية الفطرة الإنسانية. وهذه الأساليب هي:

١- أسلوب القدوة الصالحة، والنموذج الأمثل: وخير أسوة في التربية الإسلامية هو محمد صلى الله عليه وسلم إذ يقول الله تعالى: *لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ*. **الأحزاب**:٢١. ويتجلى في هذا الأسلوب دور الأم والأب والكبار من الأسرة والمعلمين والمعلمات والمعنيين في المجتمع والأصدقاء والوسط الاجتماعي؛ مما يحتم إجراء عملية انتقاء للقدوة حسب معايير التربية الإسلامية وفلسفتها وأهدافها.. حيث يتم من طريق التقليد والمحاكاة انتقال الصفات إلى الطفل.

٢- أسلوب الرفق والتعامل بالتي هي أحسن: قال الله عز وجل: *ادعُ إلى سبيلِ ربّكَ بالحكمةِ والموعظةِ الحسنةِ وجادلهُمْ بالتي هيَ أحسنُ*. **النحل**:١٢٥. وقال تعالى: *ولا تستوي الحسنةُ ولا السيِّئةُ ادفع بالتي هي أحسَنُ فإذا الذي بينك وبينَهُ عداوةٌ كأنَّهُ وليٌّ حميمٌ*. **فصلت**:٣٤. وتأليف القلوب وبناء جسور الثقة بين الكبار والصغار عامل مهم في التأثير والإيحاء التربوي وتقبل الطرف الآخر للتوجيه.

٣- أسلوب التوجيه والإرشاد: وقد أكدت البحوث أهميته في الأسرة والمؤسسة التعليمية من الروضة إلى الجامعة. ويؤدي هذا الأسلوب دورًا كبيرًا في التربية وتنمية شخصية الإنسان، وتعميق مفاهيمه، وترسيخ القيم والمبادئ فيه، ومساعدته على تحقيق النجاح والتقدم العلمي والاجتماعي والاقتصادي.

٤- أسلوب الترغيب والترهيب: ويعتمد على التشجيع والحفز بذكر ما يقوم به الطفل في مختلف مراحل نموه من أعمال حسنة، ومدحها أمام الآخرين والثناء عليها، سواء أكانت إنجازًا علميًا أم عمليًا أم أخلاقًا طيبة، أم تصرفات حسنة. والترهيب يعني التحذير من التقصير، وقد يعتمد على أساليب منها التوبيخ والتأديب. ويوصي علماء التربية المسلمون وغيرهم بأن يتم ذلك على انفراد، وبمعالجة تحفظ ماء الوجه، حتى لا يتعود الناشئ الوقاحة إذا تم توبيخه بحضور الآخرين. ويوصي ابن خلدون والإمام الغزالي بعدم الإيذاء البدني؛ وهو ما أكدته التربية المعاصرة بأبحاثها.

٥- استخدام العقل والدليل والبرهان في الاستنتاج: فالعقل والعلم رفيقان على درب معرفة الإنسان للخالق وللكون والحياة، والوصول إلى الإيمان واليقين والخشوع.

٦- استخدام أسلوب التطبيق العملي للفكر التربوي، سواء أكان قِيَمًا ومبادئ إسلامية، أم تجارب علمية، أم معارف وخبرات.

٧- أسلوب العمل والنشاط الجسماني في التفاعل مع البيئة الإنسانية والاقتصادية والثقافية وممارسة العبادات من صلاة وصيام وغيرهما.

٨- أسلوب الترويح والرياضة الفكرية والنفسية والجسمية لبناء شخصية الإنسان وصيانة فطرته من الانحراف، بإعلائها وتخليصها من الخور والكسل وما ينجم عنهما.

٩- أسلوب التلقين والحفظ بعد الفهم والاستيعاب، ولذا استخدم العلماء المسلمون طريقة نظم متون الشريعة واللغة في شعر سهل الحفظ والتذكر. كما أن دراسة الشعر العربي والإسلامي تهذب النفوس وتسمو بالفطرة لما تغرسه في نفوس النشء من الفضائل والخصال الحميدة، فكان الخلفاء يوصون معلمي أولادهم بتعليمهم الشعر، لأهداف شتى وعلى رأسها التربية الأخلاقية.

وينبغي أن نتبع هذه الأساليب في تربية الفطرة على التقوى والصلاح في الأسرة والمدرسة والمجتمع بمؤسساته الإعلامية والإرشادية، فقد حققت هذه الأساليب نجاحًا كبيرًا في تحقيق غاية التربية الإسلامية، وهي السمو بالفطرة الإنسانية وتربية جوانب الذات البشرية.

إن تربية الفطرة على التقى والصلاح، هي سبيلٌ فعّالة إلى وقاية الفرد والأسرة والمجتمع من الجريمة، وهي خطة بعيدة الأثر عظيمة الجدوى في مكافحة الجريمة بشتى ألوانها وأشكالها، ويتوقف نجاحنا في تحقيقها على إيماننا بها، وعلى وعينا الإسلامي التربوي، وعلى قدرتنا على ممارستها ممارسة فعلية، كلٌّ في موقعه. والله ولي التوفيق.

عالمية الأدب العربي الحديث

د. عبده عبود

لماذا نفتح اليوم ملف عالمية الأدب العربي الحديث؟ ما مسوغات ذلك وما مناسبته؟ إنّ عالمية الأدب العربي الحديث قضية موجودة على جدول أعمال النقد الأدبي العربي منذ وقت طويل، ولست أول من أثارها، ومن المؤكد أنني لن أكون آخر من يثيرها؛ فالحديث عن هذه المسألة يدور في النقد العربي، ولاسيما الصحافي منه، منذ أن استقر في أذهان العرب أن أدبهم الحديث قد بلغ درجة من التطور تجعله قادرًا على مضاهاة الآداب الأجنبية الراقية.

وبدأت هذه المسألة تُطرح بإلحاح متزايد في الصحافة الأدبية العربية بعد أن تأخر منح جائزة نوبل لأديب عربي إلى أواخر الثمانينيات. فقبل ذلك بسنوات عديدة، كانت الصحافة الثقافية العربية قد رشحت أدباء عربًا من أمثال توفيق الحكيم وطه حسين وميخائيل نعيمة لتلك الجائزة. إلا أن آمال الرأي العام العربي كانت تُخيَّب من قبَل جائزة نوبل عامًا بعد عام، فتتصاعد الأصوات التي تندد بالقائمين على تلك الجائزة، وتنسب إليهم دوافع ونوايا خبيثة معادية للعرب. وفي الوقت نفسه كان يتعالى سؤال: هل ارتقى الأدب العربي الحديث فعلاً إلى مصاف الآداب الأجنبية المتطورة التي توسم بالعالمية؟ وعندما حصل الأديب العربي المصري نجيب محفوظ على جائزة نوبل عام ١٩٨٨م ، عُدّ ذلك اعترافًا بعالمية الأدب العربي الحديث. إلا أن منح الجائزة كان بدوره مسألة خلافية في العالم العربي، فقد ظهر من رأى أن تلك الجائزة قد مُنحت لنجيب محفوظ مكافأة له على مواقفه السياسية المؤيدة لاتفاقيات كامب ديفيد بين مصر السادات وإسرائيل، وأظن أن النقاش الذي دار في العالم العربي حول هذه المسألة لم يزل حاضرًا في الأذهان. إلا أن منح الجائزة لنجيب محفوظ قد شكل ـ بدوره ـ مناسبة للتفكير والتعمق في مسألة عالمية الأدب العربي الحديث انطلاقًا من حالة نجيب محفوظ. ومن أهم الأفكار التي طُرحت ونوقشت بهذا الخصوص علاقة العالمية بالمحلية؛ أي هل يتعارض الطابع المحلي أو الوطني للأدب مع عالميته، أم يشكل ذلك الطابع شرطًا لتلك العالمية؟ وعلى أية حال، فإن منح جائزة نوبل لنجيب محفوظ وما أعقب ذلك من نقاش قد عمّق الوعي العربي بعالمية الأدب ووسعه(١).

إلا أن جائزة نوبل لم تكن المناسبة الوحيدة للحديث عن عالمية الأدب العربي، بل ثمة مناسبات مختلفة كانت الأوساط النقدية العربية تعود فيها إلى الحديث عن تلك المسألة. من هذه المناسبات تكريم أديب عربي من قبل محفل أجنبي أو دولي، كتكريم الشاعر الفلسطيني محمود درويش في فرنسا في أوائل عام ١٩٩٧م، وتكريم الروائي المغربي الطاهر بن جلون في فرنسا أيضًا، وتكريم الأديب السوري الأصل رفيق شامي في ألمانيا. فقد كانت الصحافة الثقافية العربية تعدّ كل تكريم من هذا النوع اعترافًا دوليًا بعالمية الأدب العربي الحديث. ومن هذه المناسبات أيضًا وفاة أديب عربي كبير كالكاتب المسرحي سعدالله ونوس، فقد كان هناك ـ في ما قيل بهذه المناسبة المؤلمة ـ تركيز على أن الفقيد لم يكن كاتبًا مسرحيًا سوريًا،أو عربيًا فحسب، بل كان كاتبًا مسرحيًا عالميًا.

ثمة إذن تعطش عربي شديد إلى الحصول على اعتراف عالمي برقي الأدب العربي الحديث وتطوره، وهذا أمر مفهوم بالنسبة لأمة لها تاريخ طويل من الاعتداد بأدبها ولغتها، ذلك الاعتداد الذي بلغ درجة الاعتقاد بأن الفصاحة والبلاغة مقتصرتان عليها، وأن الأعاجم (أو الأجانب كما نقول في هذه الأيام) لا فصاحة في لسانهم ولا بلاغة في أدبهم.

إن أمة معتدة بلغتها وأدبها إلى هذا الحد قد تقبل بأن تكون متأخرة عن الأمم الأخرى في مجالات كثيرة كالاقتصاد والعلم والتقانة، ويصعب عليها أن تقبل بأن يكون الأجانب متفوقين عليها في مضمار الأدب(٢). وها هو ذا أحد النقاد العرب المرموقين، ألا وهو الدكتور حسام الخطيب

يدعو إلى جعل الأدب مضماراً يثبت فيه العرب وجودهم على المستوى العالمي المعاصر ويعوضون تأخرهم في الميادين الأخرى.

ويبدو أن قسمًا كبيرًا من الرأي العام العربي يشاطر الدكتور الخطيب هذا الرأي، ويرى معه في عالمية الأدب العربي الحديث مسألة إثبات وجود على المستوى الخارجي(٣). ولعل هذا يفسر الاهتمام الذي تبديه الصحافة العربية بترجمات الأعمال الأدبية العربية إلى اللغات الأجنبية، فهي تسارع إلى نشر أخبار تلك الترجمات، وكأنها انتصارات، أو فتوحات خارجية يحققها الأدب العربي الحديث، إنها كالانتصارات في ميدان الرياضة تشبع حاجة الأمة لاسترداد كرامتها التي مرغتها الهزائم في ميادين أخرى في الوحل. فالاهتمام العربي بمسألة عالمية الأدب العربي الحديث كبير، ومن أحدث تجلياته إعلان الملتقى الثالث للروائيين العرب الذي انعقد في مدينة قابس التونسية في أواسط عام ١٩٩٧م أن عالمية الرواية العربية ستكون موضوع دورته المقبلة(٤).

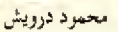
من الواضح أن الوعي العربي بأهمية عالمية الأدب العربي الحديث قد تنامى إبان الأعوام الأخيرة، ولكن من حقنا أن نتساءل: هل يستند ذلك الوعي إلى فهم عميق ودقيق لعالمية الأدب؟ وهل أدى ذلك إلى القيام بدراسات منهجية جادة، نظرية وتطبيقية، حول عالمية الأدب العربي الحديث؟وهل أفضى ذلك الوعي إلى بلورة تصورات عملية لما يمكن عمله من أجل تمكين الأدب العربي الحديث من توسيع الرقعة التي يشغلها على خريطة الأدب العالمي؟

كان المقارنون العرب في مقدمة المهتمين بمسألة عالمية الأدب العربي الحديث، وهذ أمر طبيعي، فهذا الموضوع يدخل في صميم اهتمامات الأدب المقارن بصفته ذلك النوع من الدراسات النقدية الذي يبحث في الظواهر الأدبية التي تتجاوز الحدود اللغوية والثقافية للآداب القومية(٥). وبالفعل فإن عدداً كبيراً من المقارنين العرب قد تعرض لهذه المسألة، ولكنْ كلٌّ من مواقفه الفكرية، ومن المدرسة المقارنة التي ينتمي إليها. فقد تطرق الدكتور محمد غنيمي هلال، الذي يعد مؤسس الأدب المقارن الأكاديمي في العالم العربي، إلى مسألة عالمية الأدب انطلاقًا من نظرية التأثير والتأثر التقليدية، فَعَرَّف عالمية الأدب بأنها «خروجه من نطاق اللغة التي كُتب بها إلى أدب لغة أو لغات أخرى، إما للتأثير في الآداب الأخرى، وإما نشدانًا لما يغني ويكمل ويساير الركب العالمي». ويضيف الدكتور هلال: «عالمية الأدب هي خروج الآداب من حدودها القومية طلبًا لكل ماهو جديد ومفيد تهضمه، وتتغذى به». ولئن كان الدكتور هلال قد ركز في التعريف الأول على تأثير الأدب القومي في الآداب الأخرى، فإنه قد ركز في التعريف الثاني على تأثر الأدب القومي بالآداب الأخرى من خلال «هضم كل ما هو جديد ومفيد». ولا تتم عملية التأثر هذه بصورة اعتباطية؛ بل تخضع لأسس، أهمها - والكلام للدكتورهلال: «أن الأدب المتأثر يختار من الآداب الأخرى على حسب حاجته، ولا يتحول الأدب المتأثر إلى مقلد للأدب المؤثر، ففي عملية التأثر يحافظ الأدب المتأثر على أصالته إنْ على

الأخرى». ووفقًا للصورة التي يرسمها الدكتور هلال لا يعاني الأدب العربي الحديث من أية مشكلة في علاقاته بالآداب الأخرى. إنه يأخذ منها ويهضم ما يتفق مع حاجاته في علاقة خالية من التناقضات، لا هيمنة فيها ولا تبعية. وهذا أمر يدعو للارتياب. فنحن نعرف حق المعرفة أن العلاقات الأدبية الدولية ليست علاقات يسودها الانسجام، بل التناقض والصراع. إنها علاقات بين أطراف غير متكافئة بعضها قوي يمارس الهيمنة والتغلغل، وبعضها الآخر ضعيف يتعرض للهيمنة والتغلغل والغزو والإلحاق، وقد يتعرض للزوال الكلي، ولذا فإن الصورة التي يرسمها الدكتور هلال لموقع أدبنا الحديث في البناء العالمي الضخم ليست صورة واقعية، وهي لا تساعدنا في فهم ما يتعرض له أدبنا في الساحة الدولية من تحديات. ومن الملاحظ أن

نجيب محفوظ





محمود درويش



د. حسام الخطيب

مستوى الأديب أو على مستوى الأدب القومي برمته»(٦). فالتأثر لا يتعارض، في رأي الدكتور هلال، مع الأصالة بل يتم على أساسها. هذا عن عالمية الأدب بصفة عامة، أما فيما يتعلق بعالمية الأدب العربي الحديث، فيقول الدكتور هلال: «عالمية الأدب تجعلنا ننظر إلى أدبنا القومي نظرة أعمق، إذ نعده بين الآداب القومية المختلفة الأخرى، يَغنَى بصلاته بها وينتهج المفيد من مناهجها، فالآثار الأدبية العالمية تؤلف وحدة يقاس الإنتاج الأدبي الحديث بنسبته إليها، وأدبنا الحديث لبنة في ذلك البناء العالمي الشامخ»(٧). إن الدكتور هلال يرسم هنا صورة شديدة الانسجام لعلاقة الأدب العربي الحديث بالآداب الأخرى. إنها صورة بناء شامخ يشكل الأدب العربي الحديث إحدى لبناته، أو كما يقول الدكتور هلال في مكان آخر عن ذلك الأدب: «إنه أدب بين الآداب العالمية المختلفة

الدكتور هلال قد ركز على مسألة تأثر الأدب العربي الحديث بالآداب الأجنبية، ورأى أن ذلك التأثر لا يهدد أصالة الأدب العربي. إلا أن المشكلة التي تقلقنا اليوم لا تكمن في استقبال الآداب الأجنبية من قبل أدبائنا، فهذا الأمر يتم منذ ما يربو على قرن ونصف القرن من الزمن دون أن يقضي على أصالة أدبنا الحديث، إن ما يقلقنا هو عدم قدرتنا على إيصال نتاجنا الأدبي إلى الخارج، وعدم نجاحنا في تمكين أدبنا الحديث من أن يحظى خارجيًا بقدر مناسب من التلقي، أي إن مشكلتنا لا تكمن اليوم في الاستيراد الأدبي، بل في التصدير. وكما لم نوفق بعد في تصدير سلعنا الزراعية والصناعية والخدمية إلى العالم الخارجي، فإننا لم نوفق بعد في تصدير نتاجاتنا الأدبية، فظل ميزاننا الأدبي خاسراً تمامًا كميزاننا التجاري. إننا في الحالتين نستورد أضعاف ما نصدر.

عالمية الأدب العربي الحديث

ومن المقارنين العرب الذين تعرضوا لمسألة عالمية الأدب العربي الحديث: الدكتور فؤاد مرعي، أستاذ النقد الأدبي الحديث بجامعة حلب. وتأتي أهمية ما قاله الدكتور مرعي بهذا الخصوص من أنه يمثل أحد الاتجاهات الرئيسة في النقد العربي الحديث ألا وهو الاتجاه الماركسي. إن أبرز ما في موقفه من هذه المسألة هو ذلك النقد المرير الذي يوجهه إلى «المركزية الأوربية» في النظر إلى عالمية الأدب. فالأدب في رأيه ليس مجموع الأعمال الرائعة، وإنما مجموع الآداب في العالم(٨). ترى ألا يقفز هذا المفهوم فوق ما هو قائم بين الآداب من فوارق نوعية؟ أليس هناك آداب راقية وأخرى متخلفة؟ إن الدكتور مرعي لا ينكر تلك الفوراق، ولكنه يردّها إلى سبب اجتماعي هو «عدم انتظام التطور في المجتمع الطبقي». فالمجتمع المتخلف اقتصاديًا واجتماعيًا ينتج بالضرورة أدبًا متخلفًا والعكس صحيح. تنطوي هذه المقولة التبسيطية على إشكالية كبيرة، إلا أن الدكتور مرعي يتبعها بمقولة أخرى ذات إشكالية أكبر، ويؤسس عليها مفهومه لعالمية الأدب، ألا وهي مقولة «وحدة تاريخ تطور البشرية»(٩). أما المقصود بتلك المقولة، فهو أن المجتمعات الإنسانية كلها تمر بمراحل تطور اقتصادي واجتماعي متناظر، كالمشاعية البدائية والقنانة والإقطاع والرأسمالية. وبما أن تطور الأدب يعكس تطور المجتمع، فإن الآداب تتطور بالضرورة بالطريقة نفسها. وعليه فإن تطور أدب ما ولحاقه بركب الآداب المتقدمة هو أمر حتمي. أما تطبيق هذه المقولة على الأدب العربي الحديث، فهو يعني أن تطور هذا الأدب وارتقاءه إلى مصاف الآداب الأجنبية المتقدمة سيتمّان بمجرد أن يتطور المجتمع العربي. وبما أن ذلك التطور حتمي، فإن تطور أدبنا حتمي أيضًا. إنها مقولات مطمئنة ومريحة جدًا، فما علينا سوى أن ننتظر إلى أن يتطور المجتمع العربي؛ وبعدئذ سنرى أن الأدب العربي سيتطور ويدخل حتمًا دائرة العالمية! إلا أن ما يمنعنا من الخلود إلى مثل هذه المقولات المريحة، هو ما نلاحظه في بعض الأقطار المتخلفة من تقدم أدبي هائل لم يحصل نتيجة تقدم المجتمع بل تم على تخلفه، والمثال الأبرز على ذلك هو آداب أمريكا الجنوبية. إن غارثيا ماركيز الذي يتربع اليوم على عرش أدب الرواية في العالم أديب ينتمي إلى أشد بلدان أمريكا الجنوبية فقرًا وتخلفًا، مما يدل على أن ازدهار الأدب قد يكون رد فعل على تأخر المجتمع، وحافزًا إلى تجاوز ذلك التخلف. إن لدينا أمثلة من تاريخ الأدب في العالم تكفي لجعلنا نرفض مقولة «الحتمية التاريخية» فالأدب العربي الذي نحن بصدد الحديث عن عالميته، لن يبلغ تلك العالمية بصورة حتمية بفعل قانون «وحدة تطور البشرية» ولاسيما أن دراسات التخلف المعاصرة تدل على أن التخلف الاقتصادي والاجتماعي آخذ بالتزايد لا بالتراجع. فهل نستخلص من ذلك أن أدبنا العربي الحديث محكوم عليه بالارتكاس في موازاة الارتكاس المجتمعي العربي، وأنه لن يبلغ يومًا مستوى الآداب العالمية؟ إن المقولات التي تربط تطور الأدب بتطور المجتمع ربطًا آليًا لم تعد مقبولة لأن الواقع الأدبي حافل بالأمثلة التي تدحضها.

إن أفضل ما كُتب حتى الآن حول مسألة عالمية الأدب العربي ما كتبه الناقد الدكتور حسام الخطيب، الأستاذ السابق للأدب المقارن في جامعة دمشق، فقد عَرَّفَ عالمية الأدب بأنها «ارتقاء أدب ما، كليًا أو جزئيًا، إلى مستوى الاعتراف العالمي بعظمته وفائدته خارج حدود لغته أو منطقته، والإقبال على ترجمته، وتَعَرُّفه ودراسته بحيث يصبح عاملاً فاعلاً في تشكيل المناخ الأدبي لمرحلة من المراحل، أو على مدى العصور»(١٠). إنه تعريف جامع ينطوي على كل العناصر التي تصنع عالمية الأدب؛ من ارتقاء واعتراف عالمي وترجمة ودراسة وتأثير في الوضع الأدبي العالمي، وتلك هي في الحقيقة أبرز مقومات العالمية. إلا أن العالمية، وفقًا للدكتور الخطيب، لا تتحقق بصورة تلقائية، بل بعد أن يمرالأدب «عبر مراكز البث والتصنيع العالمية الكبرى وبعد توافر الأسباب التقنية الناجحة، ووسائل الاتصال الثقافي اللازمة لبلوغ ساحة العالمية»(١١). أما مراكز البث والتصنيع الثقافيين في عصرنا فهي: باريس ولندن ونيويورك وطوكيو؛ أي تلك العواصم التي لا يقتصر إشعاعها الثقافي على أقطارها، بل يمتد ليشمل النطاقين الإقليمي والدولي. وعندما تمرُّ الأعمال الأدبية عبر تلك المراكز، وذلك من خلال الترجمة إلى لغاتها - ولاسيما الإنجليزية - والنشر في دور نشرها؛ فإنها تحظى بانتشار عالمي. ومن العوامل التي تساعد في دخول الأعمال الأدبية دائرة العالمية ما يسميه الدكتور الخطيب: «سلسلة الأقنية النوعية»، وهو يعني بذلك الصحافة الثقافية والجوائز الوطنية والإقليمية ووسائل الاتصال الثقافي التي تشكل «القناة الطبيعية لبلوغ العالمية». وباختصار فإن للعالمية، في رأي الدكتور الخطيب، مقومين هما: جودة الأعمال الأدبية فنيًا وفكريًا، وتوسيطها ترجمة ونشرًا ونقدًا. فهل توافر هذان المقوّمان في الأدب العربي الحديث؟

يرى الدكتور الخطيب أن هذا الأدب يتمتع بفرص طيبة لبلوغ العالمية؛ إذ يقول: « فغنى التجربة الأدبية العربية المعاصرة، وانفتاحها على مختلف الآداب العالمية، وقوة دافعها الاجتماعي والإنساني، وجرأتها في التجربة الفنية؛ كل هذه العوامل ترشحها لأن تحتل مكانة عالمية»(١٢). إلا أن الدكتورالخطيب ما يلبث أن يتراجع عن هذا التقدير المتفائل قائلاً: «إن المعادلة الدقيقةالتي تجعل من أي عمل مرشح للعالمية عملاً محليًا جدًا وعالميًا جدًا في وقت واحد، ما زالت تشكو من عدم الاستواء في النتاج الأدبي العربي الحديث... إن سوية الإبداع ما زالت غيرمقنعة»(١٣). وكحل وسط بين هذين التقديرين المتضاربين يذهب الدكتور الخطيب إلى أن «الفرص الخارجية والنظرية لعالمية الأدب العربي الحديث ليست غير قوية، ومن المتوقع أن يكون لأدبنا العربي دور عالمي طيب في قابل الأيام»(١٤).

إن ما كتبه الدكتور الخطيب حول عالمية الأدب العربي متقدم على كل ما كتبه سابقوه حول هذه المسألة، وما كتبه ينبع من تجربة غنية، ومعايشة وثيقة، وإحاطة جيدة بالساحة الأدبية العالمية، وما يدور فيها من تبادلات أدبية. ومن أهم ما نبّه عليه الدكتور الخطيب أهمية قنوات التوسيط من ترجمة ونقد ونشر. فالأدب العربي الحديث لا يمكنه أن يدخل دائرة العالمية بمجرد أن يتطور فكريًا وفنيًا، وإنما هناك حلقة بالغة الأهمية لا بد من أن تؤخذ في الحسبان، ألا وهي حلقة التوسيط. وللمستشرقين في هذه الحلقة دور كبير جدًا، فهم الذين يُعرِّفون بالأدب العربي في بلدانهم، ويترجمونه إلى لغاتهم، ويقدمونه نقديًا للمتلقين. وخلافًا لأغلب الذين كتبوا حول الاستشراق من العرب، أثنى الدكتور الخطيب على دور المستشرقين في إحياء التراث العربي، ودعا إلى إنشاء «قناة فعالة للتعاون معهم في بلدان العالم فمن دونهم يصعب أن نقدم الخدمة

عالمية الأدب العربي الحديث

المرجوة لأدبنا»، ولعل من المفيد في هذا السياق أن نُذَكِّر بأن معظم الباحثين العرب في شؤون الاستشراق قد سارع إلى إلصاق تهم التبشير والتنصير وخدمة الاستعمار ومحاربة الإسلام والعروبة بالمستشرقين، أما الدكتور الخطيب فهو يرى خلافًا لذلك أنه «ليس من حقنا عليهم، ولا من الطبيعي أن نفترض تطابق رؤيتهم مع رؤيتنا، وأن نكيل لهم التهم حين يخالفوننا الرأي، أو يقدمون اجتهادًا»(١٥). ولبالغ الأسف فإن هذا ما يحدث بالفعل، مما أفقد العرب القدرة على الاستفادة من جهود المستشرقين في تعزيز المكانة العالمية للأدب العربي الحديث.

لقد جاء الدكتور الخطيب بأفكار بالغة الأهمية فيما يتعلق بعالمية الأدب العربي، وأبدى تحمسًا شديدًا لتلك العالمية، إلا أن ما قاله بهذا الخصوص لا يخلو من ثغرات منهجية أدّت إلى إعطاء تقديرات متناقضة لفرص العالمية التي يتمتع بها الأدب العربي الحديث. وسبب ذلك هو أن الدكتور الخطيب تعامل مع هذه المسألة بطريقة ذرائعية (براغماتية)، انطلاقًا من معايشته ومتابعته لها، ولكنه لم ينطلق من مفهوم ذي أساس نظري متماسك ومتكامل لعالمية الأدب. لقد وضع إصبعه على أهم العناصر والعوامل التي تصنع العالمية، ولكنه لم يتمكن من دمج تلك العناصر في نظرية متكاملة.

ثمة نقاد ومقارنون آخرون أدلوا بدلائهم في مسألة عالمية الأدب العربي الحديث، أخص منهم بالذكر المقارن المغربي الدكتور سعيد علوش، والمقارن الفلسطيني الدكتور عزالدين المناصرة. فقد نظر الأول إلى الأبعاد التأويلية التي تنطوي عليها عالمية الأدب(١٦)، أما الثاني فقد نظر إلى المسألة من زاوية قضية المثاقفة(١٧). وكنت أود أن أعرض وجهَتَي نظرهما في عالمية الأدب العربي الحديث، ولكن المجال لا يتسع لذلك.

إن من يستعرض ما كتبه النقاد العرب حول هذه المسألة يتوصل إلى الاستنتاجات الآتية:

١- ليس هناك مفهوم واضح وموحد لعالمية الأدب، فكل ناقد يفهم تلك العالمية بصورة مختلفة عن فهم النقاد الآخرين لها، كلهم يريدون أن يصبح الأدب العربي الحديث عالميًا، ولكن ما العالمية؟ أهي الشهرة التي يحظى بها العمل الأدبي خارج حدوده اللغوية القومية؟ أم هي ما تخضع له الأعمال الأدبية من مؤثرات أجنبية؟ أم هي اقتراب العمل الأدبي من حيث الشكل الفني من الأنماط والنماذج السائدة في الآداب الغربية؟ أم هي هيمنة أدب ما على الساحة الأدبية العالمية، وتحويل الآداب الأخرى إلى آداب هامشية أو تابعة؟.

٢- في ظل هذه البلبلة النظرية لا عجب من ألاّ توجد أبحاث تطبيقية أو ميدانية حول عالمية الأدب العربي الحديث. وعلى ما كُتب وقيل حول تلك المسألة، فإننا لا نملك معلومات موثقة ودقيقة حول الوضع العالمي لذلك الأدب لسبب بسيط هو أننا لا نعرف بعد: عم نبحث؟ وفيم تبحث؟ هل نبحث في تأثر الأدب العربي الحديث بالآداب الأجنبية، أم في ترجمته إلى اللغات الأجنبية، أم في ما كتبه حوله النقاد الأجانب؟

٣- في ضوء ذلك من الطبيعي ألاّ يتوصل النقاد العرب الذين كتبوا حول هذه المسألة إلى استنتاجات محددة فيما يتعلق بالوسائل، والسبل التي ينبغي اتباعها بغية تمكين الأدب العربي الحديث من أن يتبوأ مكانًا لائقًا في الساحة الأدبية العالمية.

ماذا يترتب على ذلك؟ إن أول ما يترتب عليه هو ضرورة وضع تصور متماسك متكامل وموحد لعالمية الأدب العربي الحديث. أما الأساس النظري الذي يمكن أن نستمد منه ذلك المفهوم فهو، في رأينا، نظرية التلقي الأدبي، لأنها النظريةالتي تستوعب الأبعاد الثلاثة للعمل الأدبي، أي: البعد الإنتاجي والبعد التوسيطي والبعد الاستقبالي، وتلك مزية لا تتمتع بها نظريات الأدب الأخرى التي غالبًا ما تركز على الجانب الإنتاجي، وتغفل الجانبين التوسيطي والاستقبالي(١٨). وانطلاقًا من تلك النظريات يمكننا أن ندرس ما تلقاه الأدب العربي الحديث من مؤثرات أجنبية، وما أعطى الآداب الأجنبية من مؤثرات، ونستطيع أن نحدد المستوى الفني والجمالي للأدب العربي الحديث قياسًا بالآداب الأجنبية. وانطلاقًا من نظرية التلقي نستطيع أن ندرس التوسيط الترجمي والنقدي للأدب العربي الحديث في العالم، أي: ماذا تُرجم إلى اللغات الأجنبية من أعمال أدبية عربية، وكيف تُرجم؟ ماذا كتب النقاد الأجانب حول الأدب العربي الحديث وكيف كتبوا؟ وانطلاقًا من نظرية التلقي الأدبي تستطيع أيضًا أن نستقصي استقبال الأدب العربي الحديث في الخارج بأبعاده الكمية والنوعية والقرائية والتأويلية والإبداعية. وعندما ندرس عالمية الأدب العربي الحديث انطلاقًا من هذا المفهوم يصبح بإمكاننا أن نتوصل إلى إجابة صحيحة عن سؤال: هل دخل الأدب العربي الحديث دائرة العالمية، وماذا يمكن أن نفعل كي نرتقي بحضور ذلك الأدب في الساحة الأدبية الدولية؟ إنه سؤال أضحى تقديم إجابة دقيقة عنه ضرورة ثقافية عربية كبرى، في عصر يتجه فيه كل شئ إلى العولمة حتى الأدب(١٩). فهل ننجح في أن نضمن لأدبنا الحديث مكانًا مناسبًا في هذا العالم المعولم؟ تلك هي المسألة.

الهوامش والإحالات:

١- راجع بهذا الشأن مقالتنا: سبيل الأدب العربي إلى العالمية: نجيب محفوظ نموذجًا. في: الأسبوع الأدبي، دمشق، العدد ١٤٦، ١٩٨٨/١٢/٢٢م، ص٤.

٢- راجع بخصوص هذه المسألة: حسام الخطيب: الأدب المقارن في النظرية والمنهج. دمشق: منشورات جامعة دمشق، ١٩٨١م، ص٩٨ وما يتبعها.

٣- نفسه: حول الأدب العربي وامتحان العالمية - مجلة المعرفة، دمشق، العدد٢٩٥، أيلول ١٩٨٦م، ص٢٨.

٤- راجع بهذا الشأن: نبيل سليمان: الملتقى الثالث للروائيين العرب والتجريب في الرواية العربية. ملحق الثورة الثقافي، دمشق، العدد٦٤، ١٩٩٧/٦/٨م، ص٥.

٥- حول دراسات الأدب العربي العالمي المقارنة راجع كتابنا: الأدب المقارن: مدخل نظري ودراسات تطبيقية. حمص: منشورات جامعة البعث، ١٩٩٣م، ص٣٣٥-٣٤٨.

٦- راجع: محمد غنيمي هلال: الأدب المقارن. بيروت، دار العودة، ط٣، ١٩٨٧م ص١٠٦.

٧- نفسه، ص١١٠.

٨- راجع فؤاد مرعي: في نظرية الأدب المقارن. مجلة المعرفة دمشق، العدد ٢٩٥، أيلول ١٩٨٦، ص١٥٠.

٩- نفسه، ص١٧٢.

١٠-١٤- مصدر سابق (٣) ص٢٠، ٢١، ٣٠، ٤١، ٤١.

١٥- نفسه، ص٣٥. وبخصوص هذه المسألة راجع مقالنا: الاستشراق: مؤامرة أم قناة لحوار الثقافات، مجلة الفيصل، العدد ٢٤١، نوفمبر/ ديسمبر ١٩٩٦م، ص٢٤- ٢٧.

١٦- سعيد علوش: مدارس الأدب المقارن. بيروت: المركز الثقافي العربي، ١٩٨٧م، ص٤٣ وما يتبعها.

١٧- عزالدين المناصرة: المثاقفة والنقد المقارن. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات، ١٩٩٥م، ص٤٦ وما يتبعها.

١٨- حول نظرية التلقي الأدبي ومصيرها في العالم العربي راجع كتابنا: هجرة النصوص. دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٥م، ص٢١٩-٢٥٢. وراجع أيضًا: حامد أبو أحمد: الخطاب والقارئ، كتاب الرياض (٣٠)، ١٩٩٦م، ص١٣-١٤٨.

١٩- حول مترتبات العولمة بالنسبة للأدب العربي راجع مقالنا: الثقافة العربية وتحديات العولمة. مجلة الموقف الأدبي، دمشق، العدد ٣١٧-٣١٨، تشرين الأول ١٩٩٧م ص١٩-٣٤.

مع التراث

إحياء التراث الأندلسي
عند علماء المغرب العربي

د. يوسف عز الدين

بين المشرق والمغرب العربيين هوة ثقافية واسعة. ولم تقض على هذا البعد وسائل الإعلام الحديثة والمخترعات المتطورة بما فيها الحاسوب والإنترنت ووسائل النقل والاتصالات السريعة على انتشارها في العالم؛ فما زال الكتاب مُحَارَبًا بعنف وقساوة في بعض الأقطار العربية. فنحن نقرأ بيسر وسهولة كتابًا بالإنجليزية أو الفرنسية عندما يخرج من المطبعة، وأحيانًا يُترجَم هذا الكتاب قبل أن تُصَدَّر النسخ الأصلية إلى الوطن العربي.

وهذه القطيعة حالت دون معرفة ما يصدر في المغرب العربي، ولولا اجتماعات مجمع اللغة العربية في القاهرة لما تعرفنا جهود المحققين والأدباء والمفكرين فيه؛ مع أنه يزخر بكنوز أدبية وفكرية لقادة الفكر والأدب مثل الدكتور عبدالهادي التازي والأستاذ عبدالكريم غلاب والدكتور محمد بن شريفة وغيرهم.

ابن لُبَّال الشريشي

وقد أهداني الزميل المحقق الدكتور محمد بن شريفة في الاجتماع الأخير كتابين من خيرة كتب التراث الأندلسي التي لم يسمع بها حتى المختصون، هما: «ابن لُبَّال الشريشي» وابن مغاور الشاطبي: حياته وآثاره».

وابن لُبَّال علي بن أحمد أبو الحسن (٥٠٨ - ٥٨٢ هـ/ ١١١٤- ١١٨٧م) شاعر وأديب أندلسي ينتهي نسبه إلى عبد مناف. ويقول ابن الجزري: يُكتب اسمه بضم اللام؛ وإنه من نسل عبدالرحمن الداخل. وسبق للزميل الفاضل أن نشر كتابًا بعنوان «أبو تمام وأبو الطيب في أدب المغاربة» نشر في ضمنه كتاب ابن لُبَّال النقدي.

خصص الدكتور ابن شريفة هذا الكتاب لسيرة ابن لُبَّال، وتتبع أخباره وأخبار مدينته شريش خلال العهود الإسلامية وبخاصة في عهد الموحدين. وأسهب في ذكر شيوخه وطلابه وحياته الأدبية. وبيَّن أن آثاره فُقدت؛ ومنها شرحه لمقامات الحريري وهو أول شرح أندلسي لها، وكتاب «المحكم في حروف المعجم».

وكان أهل شريش من أكثر الأندلسيين التصاقا بالموحدين، ولشعرائها مديح كثير لها ولحاكمها. وكانت من أبرز المدن الأندلسية التي عنيت بمقامات الحريري، ومن هذه المدينة سرى أثر الأدب العربي إلى الأدب الإسباني.

كان ابن لُبَّال واسع الثقافة، وعني بالقراءات عناية خاصة إضافة إلى شدة عنايته بالإنسان.

وقد أكره على القضاء، ولما تخلص منه تفرغ للتدريس والبحث. ومع أنه لم تُعرف له صبوة فقد نظم شعرًا في أمور لا يقرها أصحاب الإحساس المرهف والذوق الأصيل. وقد جمع الدكتور ابن شريفة شعره من المخطوطات والكتب وهو جهد كبير لجمع آثار أديب لم يُجمع أدبه في كتاب.. ومن أبرز ما في هذه الرسالة الجادة نشره رسالة ابن لُبَّال النقدية في التفضيل بين أبي تمام والمتنبي. ظهر ذوق الشاعر المرهف وقال بأن أبا تمام أصنع، وأن المتنبي أطبع، وهو ليس رأيا جديدًا فقد تطرق إليه نقاد الأدب قبله، ولكنه شرح الرأي وحلَّل الفكرة وأوضح القصد، لأن الأندلس كانت بحاجة ماسة إلى هذا الكتاب في عصره. وقد أبدى رأيه في الشعر المطبوع والمصنوع، وذكر أخبارهما ووقف عند الإطار والمضمون، أو المعنى والأسلوب، وهو الرأي الذي ما زال النقاد يدورون حوله.

وقد وضع للكتاب عددًا من الفهارس التي تسهل للباحث الدراسة، وبعض الملاحق عن شخص يحمل اسم الشاعر نفسه.. وأفرد ملحقًا عن المتاعب التي تلحق بالنسب الأموي.

ابن مُغَاوِر الشاطبي

في كتابه الأول ركز على الشعر، وفي هذا الكتاب اعتنى بالنثر، وخيرًا صنع، فالكتابة عن النثر قليلة بالقياس إلى الشعر، لأنه ألصق بالعاطفة وسبحات الخيال. والنثر أقرب إلى العقل والفكر والاستقرار النفسي والمكاني وغلبة الحضارة. وقد ذكر النثرَ الكتّابُ المؤرخون والأندلسيون مثل «الذخيرة» لابن بسام و«المغرب» لابن سعيد و«القلائد» لابن خاقان.. كما انتشرت رسائل عبدالرحمن بن محمد بن مغاور السلمي في عصر الموحدين وهي الرسائل المسماة «نور الكمائم وسجع الحمائم»، والتي اعتمد عليها الباحث الفاضل فحققها بأسلوب علمي متقن، وخرّج الأبيات والنصوص بصورة عامة، وعَرَّف بابن مغاور، فقدَّم لنا جانبًا من الأدب العربيّ في الأندلس كان حبيسًا في طيات المخطوطات لولا أن أخرجه بأسلوب علمي جميل وإخراج حديث؛ فخرج نثر ابن مغاور جميل التنسيق علمي التحقيق.

شاطبة والعلم

وقد اشتهرت شاطبة بالورق الجيد (الكاغد) وهو دليل على كثرة المتعلمين والمثقفين فيها، لأن المدينة التي تُعرف بالورق هي مدينة العلم والأدب والثقافة.

وقد نبغَ فيها علماء كبار وكُتَّاب تركوا آثارهم في حياة الفكر الإسلامي.

وكانت شاطبة، على صغر حجمها، تنافس المدينتين الكبيرتين بلنسية ومرسية، ومن أشهر من سكنها ابن حزم، ولها أثر واضح في كتابه المعروف «طوق الحمامة».

وابن مغاور من أسرة عربية مسلمة تنتهي إلى بني سليم. ولد سنة ٥٠٢ وتوفي سنة ٥٨٧هـ. وكان شديد الاعتزاز بشاطبة وشديد الحب لها؛ وتلك ميزة الأوفياء وطبيعة الكرام، فقد ذكر منعتها وقوتها ومقاومتها للأعداء وجمال الطبيعة فيها بقوله:

بلدة أوقاتها سحر
وصَبَا في ذيله بلل
ونسيم عَرْفُه أرج
ورياض غصنها ثمل
ووجوه كلها غُرَر
وكلامٌ كله مثل

ولا شك أن انتشار المفاخرة بالمدن دليل على ضيق الأفق والبلدانية التي جاءت من تمزق العرب والنزاع الذي خلق الأمراء وملوك الطوائف وأضاع الأندلس كلها على يد بني الأحمر، ولم تنفع الدموع في الملك المضاع.

وقد عاش المؤلف مع الشاطبي في كل صغيرة وكبيرة، واستوفى البحث وأتقنه؛ ولا غروَ فهو العالم الجليل والمحقق الثبت والأديب الذواقة المرهف الحس.

أثر الأدب المشرقيّ

ومن دراسة الكتابين تتجلى شدة الروابط الأدبية والنفسية بين المشرق والمغرب، وإعجاب الأندلسيين بأدباء المشرق ومحاكاتهم ومحاولة معارضتهم المستمرة. وكان الأدب المشرقي القدوة التي يَحتذي حذوها الأندلسيون، على التجديد الذي ظهر في أدبهم، وظهور شخصيتهم في إبداعهم، فلم يضعف الإبداع الأدبي ولم يقض الأدب المشرقي على خيالهم الخاص، وإنما هذب الأندلسيون الأدب فأخرجوه في قالب جديد.

عسى أن أكون قد قمت بتعريف جانب من أدب المغاربة في شخص الزميل الدكتور ابن شريفة، على الرغم من أعمالي الكثيرة المتراكمة، وحسبي أن أرضيت نفسي في العطاء الممدود.. وأرحت قلبي بهذا التعريف المتواضع السريع المركز.

قراءة نقدية لقصيدة:

وقفة على طلل

للشاعرة فدوى طوقان

د. ثريا العسيلي

ما يحدثُ هذه الأيام من استفزازات واعتداءات من اليهود على العرب؛ دفعني إلى هذه الوقفة مع فدوى طوقان الشاعرة الفلسطينية وقصيدتها «وقفة على طلل»، وهي قصيدة تنتمي إلى شعر المقاومة الذي واكب حركة التحرير الثورية؛ تلك الحركة الأدبية التي أشعلها شعراء المقاومة الفلسطينية داخل الأرض المحتلة. وقد كتبت فدوى طوقان، في هذا الاتجاه النضالي، الكثيرَ من شعر المقاومة.

أما هذه القصيدة «وقفة على طلل» فقد كتبتها بعد هزيمة يونيو/ حزيران عام ١٩٦٧م، وقيام التنظيم الفدائي الفلسطيني المسلح الذي أعاد الأمل للشعب العربي في فلسطين.

وحين نتأمل القصيدة في محاولة لتحليل مضموناتها ومحتواها الفكري في ضوء تعريف الشعر القائل: إنه فن البناء بالصورة؛ نجد الشاعرة عبَّرت عن محتوى قصيدتها من خلال عدد من اللوحات التعبيرية المتتابعة على الوجه التالي:

في اللوحة الأولى:

صوَّرت الشاعرة وقفتها أمام أبواب مدينة يافا العربية الأصل بعد سيطرة الصهاينة عليها قائلة:

على أبواب يافا يا أحبائي
وفي فوضى حطام الدورِ
بين الرَّدمِ والشَّوْكِ
وقفتُ وقلتُ للعينين:
قفا نبك..
على أطلال مَنْ رحلوا وفاتوها
تنادي من بناها الدار
وتنعى من بناها الدار
وأن القلب منسحق..
وقال القلب: ما فعلت بك الأيام يا دار؟
وأين القاطنون هنا.. وهل جاءتك بعد النَّأي
هل جاءتك أخبارُ؟!
هنا كانوا.. هنا حلموا.. هنا رسموا
مشاريع الغد الآتي
فأين الحلم أين همو؟
ولم ينطق حطام الدار
ولم ينطق هنا سوى غيابِهمو
وصمت الصمت، والهجران..

في هذه اللوحة الأولى صوَّرت الشاعرة وقفتها بباب مدينة يافا بين الأطلال التي خلفها وراءهم أهلها الأصليون العرب، وهي في هذه اللوحة تستدعي الموروث الثقافي المنتمي إلى الشعر في العصر الجاهلي أعني «بكاء الأطلال»؛ فهي تبكي أطلال مدينتها العربية يافا، وتنعى من رحلوا وفاتوها متسائلة عما فعلته الأيام بها وبمن كانوا يقطنونها، وهل جاءتها أخبار عن هؤلاء الراحلين؟ ثم تلجأ إلى تصوير لقطة من الماضي مستعيدة المواقف والذكريات قائلة:

هنا كانوا..
هنا حلموا..
هنا رسموا مشاريع الغد الآتي..

ثم ترتد إلى الحاضر الأليم متسائلةً: أين ولَّى هذا الحلم؟ وأين ذهبت هذه المشاريع؟ فلا تسمع غير الصمت وأصداء الخراب.

في اللوحة الثانية:

تصوِّر الشاعرة ما وقع من طمسٍ لهويَّة مدينة يافا العربية، حيث شبَّهت من حلَّ بهاَ من الصهاينة بالبوم والأشباح، وهنا تستدعي الشاعرة موروثًا أدبيًا آخر من العصر العباسي، ممثلاً في قصيدة المتنبي الشهيرة في «شعب بوَّان»، فترى هذا الصِّهيوني الذي حلَّ بيافا غريبًا عنها وعن أهلها العرب وجهًا، ويدًا، ولغةً. تقول في هذه اللوحة التعبيرية:

وكان هناك جمع البوم والغربان
غريب الوجه واليد واللسان وكان
يحوِّم في حواشيها..
يمد أصوله فيها
وكان الآمر الناهي..
وكان وكان... وغُصَّ القلبُ بالأحزان...

في هذه اللوحة تصور الشاعرة محاولات الصهاينة تغيير الهوية العربية لمدينة يافا، وجهودهم الاستيطانية، وتنقلهم بين أطرافها محاولين تجذير أصول لهم فيها، وكيف

أصبحوا أصحاب الأمر والنَّهي بها؛ مما جعل قلب الشاعرة يغصّ بالحزن والأسى على ما آل إليه حال هذه المدينة العربية المحتلة.

في اللوحة الثالثة:

رسمت صورة لـلقائها بأحبابها من عرب فلسطين الذين لم يغادروا أرضهم وظلّوا داخل المدينة المحتلة، متشبثين بحقهم فيها:

أحبائي... مسحتُ عن الجفون ضبابة الدَّمع الرَّماديَّه
لألقاكم.. وفي عينيّ نور الحب والإيمان
بكم، بالأرض، بالإنسان..
فوا خجلي لَوَ اني جئت ألقاكم
وجفني راعش مبلول
وقلبي يائس مخذول
وها أنا يا أحبائي هنا معكم
لأقبس منكم جمره
لآخـذ يا مـصـابيح الدُّجى من زيتكم قطره.. لمصْباحي
وها أنا يا أحبائي.. إلى يدكم أمد يدي
وعند رؤوسكم ألقي هنا رأسي
وأرفع جبهتي معكم إلى الشمس
وها أنتم كصخرِ جبالنا قوَّه
كزهرِ بلادنا الحُلْوه
فكيفَ الجرْحُ يسْحقني
وكيف اليأس يسحقني
وكيف أمامكم أبكي؟
يمينًا بعد هذا اليوم لنْ أبكي..

صوَّرت الشاعرة في هذه اللوحة كيف مسحت الدمع من عينيها حتى تلقى أهلها في المدينة المحتلة، وعينها ملأى بنور الحب والإيمان بهم وبأرضهم، فهي تخجل أن تلقاهم باكية يائسة. ثم تصوِّر ما استمدته منهم من ثورة تلهب بها قلبها حماسة وثقة بالمستقبل، إنها تُصوِّر هنا حال عرب فلسطين بعد التفاضتهم داخل الأرض المحتلة، وتُعَبِّر عن التحامها بهم واندماجها فيهم؛ رافعة جبهتها معهم نحو الشمس كناية عن طلب العزة والكرامة. ثم تصوِّر هؤلاء الثُّوَّار الذين يستمدون صلابتهم من صلابة جبال فلسطين وجمالهم من جمال أزهارها، فكيف، وقد رأتهم في هذا الوضع الجديد، تستسلم للحزن واليأس، فتقسم أنَّها لن تبكي بعد هذا اليوم، فقد تبددت أسباب البكاء وحل محلها كل ما يبعث على الثقة والأمل.

في اللوحة الرابعة:

تصوِّر الشاعرة ثورة الأرض المحتلة ضد الغاصبين، تقول:

أحبائي، حصان الأمس
جاوز كبوة الأمسِ
وهبَّ الشهم منتفضًا وراء النهر
أصيخوا، ها حصانُ الشعب
يصهلُ واثق النَّهمهْ
ويفلت من حصار النحس والعتْمهْ
ويعدُو نحو مرفئه على الشَّمْسِ
وتلك مواكب الفرسان مُلتَمَّهْ
تباركهُ وتفديه..
ومن ذوب العقيقِ ومن دم المرجان تَسْقيه
ومن أشلائها علفًا وفير الفيضِ تعطيه
وتهتف بـالحصان الحرِّ: عَدْوًا يا حصان الشَّعب
فـأنت الرّمـز والبـيـرق، ونحن وراءك الفيلق
ولن يرتدَّ فينا المدُّ والغليانُ والغضبُ
ولن ينداحَ في الميدان فوق جباهنا التَّعبُ
ولن نرتاح، لن نرتاحَ حتى نطردَ الأشْباح
والغِرْبان والظُّلْمه..

في هذه اللوحة تصوِّر فدوى طوقان كيف تخلص الشعب الفلسطيني داخل الأرض المحتلة من كبوته، وكيف استعاد ثورته وقدرته على المقاومة، وكيف انطلق محطمًا الحصار الذي حاول المستعمر الصُّهيوني ضربه حوله. ثم عبَّرت الشاعرة، في مواضع أخرى من القصيدة، عن انطلاقة الشعب الفلسطيني ومقاومته الدائمة من أجل حقوقه المغتصبة؛ مصورةً التفاف أفراده حول الرموز الثورية التي تقود هذه الانتفاضة ومؤازرتهم لقادة الثورة، ومعبّرةً عن إصرار الشعب على استمرار النضال وأنه لن يهدأ حتى يتخلص من المحتل الصهيوني.

في اللوحة الخامسة الختامية:

ترسم صورة للأمل الذي تنشده، وتختتم لوحتها بالقول إنها ماضية في إثر الثوار راسخة القدم فوق أرض الوطن، مصوبة عينها مثلهم نحو طريق الرفعة والنور:

أحبائي مصابيح الدجى، يا إخْوتي في الجرح
ويا سر الخميرة يا بذارَ القمح
يموت هنا ليعطينا، ويعطينا، ويعطينا
على طرقاتكم أمْضي
وأزرع مـثلكم قـدميّ في وطني.. وفي أرْضي
وأزرع مثلكم عيني.. في درب السنى والشمس..

وهكذا استطاعت الشاعرة من خلال هذه اللوحات الخمس تصوير نضال الشعب الفلسطيني في سبيل استعادة حقوقه واسترداد وطنه من أيدي مغتصبيه.

وإذا كانت اللوحة الأولى قد خيّم عليها طابع الحزن والأسى، وكانت اللوحة الثانية استمرارًا لذلك؛ بما صورته من هيمنة العدو الصهيوني على الوطن، وتغلغله فيه، ومحاولته طمس هويته العربية؛ فقد استطاعت في اللوحات الثلاث الأخيرة أن تتخلص من نبرة اليأس مُصوِّرة انطلاق الثورة، مُعبرةً عن قُرب الخلاص واستعادة الحق السليب وبزوغ شمس الأمل.

من خلال تحليلنا لمحتوى النَّصّ لاحظنا إحكام البنية الفنيّة للقصيدة. فقد استطاعت الشاعرة أن تقيم هذا البناء على أساس الوحدات التعبيرية الخمس التي قمنا برصدها؛ إذ نجد كل لوحة تُسلِّم إلى اللوحة التي تليها بتلقائية وسلاسة، فكلٌّ لوحة في موضعها القائم على تسلسل فنيٍّ صحيح، بحيث لا نستطيع أن نُقَدِّم لوحةً على الأخرى، أو نؤخّر

استطاعت الشاعرة أن تقيم بناء قصيدتها على أساس ترابط الوحدات التعبيرية وتسلسلها؛ بحيث لا نستطيع تقديم لوحة على أخرى، أو تأخير لوحة عن موضعها

لوحةً عن الموضع الذي احتلته من البناء العام للقصيدة، وهذا من شأنه أن يحقق الوحدة الفنيَّة لها. فالقصيدة، كما نرى، بناءٌ فنيٌّ محكم، والوحدة العضوية بها متحققة إلى حدٍّ بعيد.

واهتمت الشاعرة في قصيدتها باستدعاء التراث وتوظيفه أداة من أدوات الخطاب الشعري المعاصر، مما أغنى القصيدة، وقد وظفته في مواضع ثلاثة:

الموضع الأول في مفتتح القصيدة حين تقول:

على أبواب يافا يا أحبائي
وفي فوضى حطام الدور
بين الردم والشوك
وقفت وقلت للعينين:
قفا نبك..
على أطلال من رحلوا وفاتوها..

فالشاعرة هنا تستدعي ظاهرة بكاء الأطلال التي عرفها شعرنا العربي منذ العصر الجاهلي، حيث كان الشاعر يقف عند الأطلال فيبكي ويستبكي؛ أي يبكي ويطلب من صحبه - حقيقيين أو متخيلين - البكاء على أحبابه الذين كانوا في هذا المكان ثم رحلوا عنه، تاركين وراءهم آثارهم التي تدل على إقامتهم بهذه المواضع مدة من الزمان.

وفدوى طوقان، هنا، تستدعي المقدِّمة الطللية لمعلقة امرئ القيس التي يقول فيها:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل
بسقط اللوى بين الدّخول فحومل
وقوفًا بها صحبي عليَّ مطيهم
يقولون لا تهلك أسى وتجمّل

فالشاعرة توظف هذه الظاهرة الفنيَّة عند وقوفها على أبواب «يافا» بعد عودتها إليها وبحثها عما يشي بهويتها العربية فلم تجد إلا آثارًا ممثلة في «فوضى حطام الدور بين الردم والشوك»؛ الردم المتخلف عن الدور التي تهدمت، والشوك الذي حل محل زراعاتهم بعد إهمالها عقب رحيل أصحابها عنها بعد أن أجلاهم العدو الصهيوني منها. فهي - وقد أهاج شاعريتها الموقف - تطلب من عينيها - بدلاً من الصحب في القصيدة العربية القديمة - البكاء على من رحلوا وتركوا الديار تنعى من بناها.

وتوظيف التراث في هذه الحالة فيه إغناء للحظة الراهنة وشحن لها بالدَّلالات التي يتطلبها الموقفان: الحياتي والإبداعي.

والموقف الثاني الذي استدعت فيه موقفًا تراثيًا آخر مستوحى من بيت أبي الطيب المتنبي في قصيدته عن «شعب بوَّان» الذي يقول فيه حين شاهد العنصر الفارسي الذي يغاير العنصر العربي في سماته الخلقيَّة، وما يقوم به من أعمال وما يتحدث به من لغة:

ولكنَّ الفتى العربيَّ فيها
غريبُ الوجه واليدِ واللسانِ

غير أنها استبدلت بغُربة العربي في بيت أبي الطيب غربة المستوطن اليهودي، فهو غريب عن الأرض العربية الفلسطينية؛ فلا ملامحه تشبه ملامحهم، ولا ما يمارسه من أعمال يشبه ما يمارسه العربي الفلسطيني من أعمال، ولا اللغة العبرية التي يتحدث بها تشبه اللغة العربية التي كانت لغة الخطاب في هذا المكان، وهذا من شأن العائدة إلى ديارها بعد الغربة، وهي ترى هذا الغريب مسيطرًا بملامحه وممارساته ولغته على هذا المكان.

ويتجلى الموقف الثالث في استخدام الشاعرة عبارتين من تراثنا العربي الثقافي، الأولى عبارة: «وتنعى من بناها الدار» التي تذكرنا بالمثل العربي المعروف «ترك الدار تنعى من بناها». والعبارة الثانية هي: «حصان الأمس جاوز كبوة الأمس» المستمدة من مثل عربي قديم آخر يقول: «لكل جواد كبوة».

والشاعرة هنا توظف هذا المثل لخدمة خطابها الشِّعري، وكأني بها تقول: إذا كنا تعثرنا بالأمس، فكبا بنا الجواد، فها نحن أولاء نقوم من كبوتنا، ونتخلص من هزيمة الماضي، وننطلق في انتفاضتنا محققين أهدافنا في العزة والكرامة باسترداد الحقوق المغتصبة.

نتبين مما سبق أن الشاعرة فدوى طوقان ملمة بتراث أمتها العربية الثقافي، وقادرة، في الوقت ذاته، على استدعائه في الوقت المناسب واستخدامه لإغناء خطابها الشِّعري. أما عن الصور الفنية بالقصيدة فقد اتضحت الصورة الكلية بها من خلال الصور الخمس الكلية التي تحدثنا عنها سابقًا.

وحين نتأمل الصور الشعرية الجزئية نجد الشاعرة قد استعانت بالصور البلاغية: التشبيهية والاستعارية والكنائية للتعبير عما أرادت إيصاله إلى المتلقي؛ وبهذا تجنبت الأسلوب التقريري في خطابها الشِّعري.

ومن أهم هذه الصور قول الشاعرة:

وقفت وقلت للعينين:
قفا نبك..

فقد استخدمت هنا الاستعارة المكنية، حيث شبهت العينين بالإنسان، وحذفت المشبَّه به وكَنَتْ عنه بشيء من صفاته وهو الوقوف والبكاء.

وتتوالى الصور الاستعارية على النحو السابق فيما يلي:

تنادي من بناها الدار
وتنعى من بناها الدار
وأنَّ القلب منسحق..
وقال القلب: ما فعلت بك الأيام يا دار؟

فالدار تنعى وتنادي، والقلب يئنُّ ويقول، والأيام تفعل، وكلها استعارات مكنية، ومثل هذه الصور المجازية يبث الحياة في الجماد، فتتحول الجمادات في النّص الشّعري إلى كائنات حية تتحرك، وتتحدث، وتشعر؛ فيضفي ذلك على التعبير الشعري حركة وحياة يكون لهما في نفس المتلقي أثر بالغ في تجاوبه مع الموقف الشعري وانفعاله به، وتأثره.

ويبدو أن الشاعرة مُغْرمة بهذا الأسلوب الاستعاري، فهي تكثر من استخدامه في خطابها الشِّعري. ومن ذلك قولها:

وظفت الشاعرة الموروث الثقافي توظيفًا جيدًا؛ سواء في وقوفها على أطلال مدينة يافا، أو في تصويرها غربة الصهاينة عن الأرض العربية؛ مما زاد قصيدتها غنًى

ولم ينطق حطام الدار
ولم ينطق هناك سوى غيابهمو
وصمت الصمت والهجران..

فحطام الدار ينطق، وكذلك الغياب، والصمت، والهجران، وكلها استعارات مكنيَّة. وتتحول الشاعرة من الأسلوب الاستعاري إلى الأسلوب الكنائي في قولها:

وكان هناك جمع البوم والأشباح
غريب الوجه واليد واللسان وكان
يحوّم في حواشيها
يمد أصوله فيها...

فهي تكني عن المستوطنين اليهود بجمع البوم والأشباح، وتكني عن اختلاف هويتهم عن الهوية العربية بغريب الوجه واليد واللسان، وتكني عن محاولتهم إيجاد تاريخ لهم بهذه الأرض بقولها: يمد أصوله فيها..

وتعود إلى الأسلوب الاستعاري مرة أخرى حين تقول: وغص القلب بالأحزان؛ فتجعل القلب كائنًا حيًا يحس ويحزن. وتعمد الشاعرة إلى أسلوب التَّشبيه البليغ في قولها:

مسحتُ عن الجفونِ ضَبابةَ الدّمعِ الرَّماديَّه
لألقاكم وفي عيني نورُ الحبِ والإيمانْ.

فهي تشبه الدمع بضبابة رمادية، وتشبه الحب والإيمان بالنُّور. وتعود إلى الأسلوب الكنائي، فتكني عن البكاء بقولها: وجفني راعش مبلول، وتكني عن الإحباط بقولها: وقلبي يائس مخذول. وفي موضع آخر تستخدم الشاعرة لونًا آخر من الأسلوب الاستعاري هو الاستعارة التصريحية في قولها:

وها أنا يا أحبائي هنا معكم
لأقبس منكم جمره
لآخذ يا مصابيح الدُّجى من زيتكم قطره.. لمصباحي..

فهي تشبه الثورة بالجمرة، وتشبه الثوار بمصابيح الدُّجى، وتشبه الحماسة الوطنية بالزيت، وتشبه الإحساس الوطني بقطرة الزيت، وتشبه القلب أو النفس بالمصباح. ثم تحذف المشبّهات في كل هذه الصور وتبقي على المشبّه به على سبيل الاستعارة التَّصريحيّة.

وقد وُفّقت الشاعرة في هذه الأساليب الاستعاريَّة إلى حدٍ بعيد، حيث جسّدت معاني الثورة والثوار والأحاسيس الوطنية الملتهبة من خلال هذه الاستعارات التي أدت وظيفتها الإيحائية بشكل فاعل ومؤثر.

وفي المقطع التالي تلجأ الشاعرة إلى الأسلوب الكنائي فتقول:

وها أنا يا أحبائي
إلى يدكم أمدُّ يدي
وعند رؤوسكم ألقي هنا رأسي
وأرفع جبهتي معكم إلى الشَّمس..

فتكني عن المشاركة بمدّ اليد إلى الأيدي، وتكني عن الاطمئنان النفسي بإلقاء رأسها عند رؤوسهم، وتكني عن الإحساس بالعزة الوطنية والكرامة برفع جبهتها معهم إلى الشمس. ومثل هذه الكنايات مفعم بالإيحاء، قادر على إحداث الأثر العميق في النفوس. وتلجأ الشاعرة إلى أساليب التشبيه المباشرة لتصوير صلابة أبطال المقاومة وإحساسها بما فيهم من حيوية، فتشبههم مرة بصخر الجبال، ومرة بزهر البلاد:

وها أنتم كصخرِ جبالنا قوه..
كزهر بلادنا الحلوه..

وعندما تريد التعبير عما فاضت به نفسها من مشاعر العزة والكرامة بحيث أصبحت أقوى من الألم، وأشد تأبّيًا على اليأس تعود إلى الأسلوب الاستعاري فتقول:

فكيف الجرحُ يسحقني
وكيف اليأسُ يسحقني..

وفي مقطع رائع قائم على الصور المجازية المتعددة تُصور الشاعرة تجاوز الهزيمة، واستعادة الثقة بالنفس وانطلاقة الثَّورة الفلسطينية المباركة وتجاوب الجماهير معها، واستعدادها للبذل والتضحية والفداء، تقول:

أحبائي حصان الأمسِ
جاوز كبوةَ الأمسِ
وهبَّ الشعب منتفضًا وراء النهر
أصيخوا، ها حصان الشَّعب
يصهل واثقَ النّهمه
ويفلت من حصار النَّحْسِ والعتْمه
ويعدو نحو مرفئه على الشمسِ
وتلك مواكبُ الفرسان مُلْتَمَّة
تباركهُ، وتفديه..
ومن ذوبِ العقيق ومن دم المرجان تسقيه
ومن أشلائها علفًا وفير الفيض تعطيه
وتهتف بالحصان الحرِّ: عَدْوًا يا حصان الشَّعب
فأنتَ الرَّمزُ والبيرق... ونحنُ وراءك الفيلق..

لقد كَنَتْ الشاعرة عن النكسة أو الهزيمة بحصان الأمس، وكَنَتْ عن التخلص من آثارها بقولها: جاوز كبوة الأمس، وشبهت النحس والعتمة بالحصار، وكَنَتْ عن التضحية والفداء وبذل المال في التحرير والاستشهاد بقولها:

ومن ذوب العقيق ومن دم المرجان تسقيه
ومن أشلائها علفًا وفير الفيض تعطيه..

ونلمس داخل الصورة الكنائية الممتدة صورًا جزئية ترفدها؛ من ذلك استعارة ذوب العقيق للدم، وتشبيه المرجان بالدم، والأشلاء بالعلف، والحصان بالرمز والبيرق، وتشبيه أفراد الشعب بالفيلق.

لقد استطاعت الشاعرة بهذه الصور الفنية المنبثقة من تجربتها الإبداعية أن تُغني هذه التجربة وتعمقها وتنأى بها عن المُباشَرة والتقريرية، وذلك باعتمادها على التشكيل والتصوير.

أما عن البناء الموسيقي للقصيدة: فقد استخدمت الشاعرة النّهج التفعيلي، وهي من أوائل من كتبوا شعر التفعيلة، وقد اعتمدت في هذه القصيدة على أساس البحر الخليلي المعروف «الوافر»، وهي تراوح في الأسطر التي تتكون منها القصيدة بين عدد التفعيلات التي تقل أو تزيد حسب المعنى الذي يتضمنه كل سطر.

واستخدام الشاعرة لهذا النهج الموسيقي المرن، أتاح لها حرية التعبير عن تجربتها بعد أن تخلصت من قيود الشّكل العمودي الذي يفرض على الشاعر التزام عدد من التفعيلات ربما يقيد حركته التعبيرية أحيانًا؛ كما أن عدم التزام قافية معينة أدى إلى التَّعبير بمزيد من الحرية في هذه التجربة الإبداعيَّة.



د. محمود جبر الربداوي

«**نحن** نعلم أن هناك لاميَّتيْن مشهورتين: إحداهما تُسمَّى لامية العرب، والثانية تُسمَّى لامية العجم، وهناك من يزعم أنه توجد لاميّة ثالثة يزعمون أنها لامية اليهود أو النصارى، وهي قصيدة السموأل الجميلة التي مطلعها:

إذا المرء لم يَدْنَس من اللؤم عِرضُهُ
فكل رداء يرتديه جميلُ

فماذا يقول الدكتور محمود الربداوي عن قصة هذه القصيدة ونسبتها إلى السموأل، علمًا بأن كثيرًا من الأدباء قد تحدثوا عنها، ونريد منه حديثًا علميًا نقديًا موثّقًا، نرجو أن نراه منشورًا على صفحات الأعداد القادمة من مجلة الفيصل الغرّاء، وشكرًا».

حنان بدوي

أستاذة في مدارس نجد الأهلية بالرياض.

نزولاً عند رغبة الأستاذة حنان بدوي نجيب عن طلبها، فنثبت نص القصيدة أولاً، ونثنّي، بإيجاز، بالحديث عن نسبة القصيدة إلى السموأل أو غيره، مع لمحات تحليلية تساعد على استجلاء الموقف وتوضيح الرؤية لقصيدة مضى عليها زمن طويل، وتنازع عليها ثُلَّة من الشعراء، أو نسبها الرواة، بنيّة حسنة أو غير حسنة، إلى هذه الكثرة من أصحاب الديانات الثلاث.

إذا المرءُ لم يدنَسْ من اللؤمِ عِرْضُهُ
فكلُّ رداءٍ يرتديه جميلُ
وإنْ هوَ لم يحمِلْ على النفس ضَيمَها
فليسَ إلى حُسنِ الثناء سبيلُ(١)
تُعيِّرُنا أنّا قليلٌ عديدُنا
فقُلْتُ لها: إنّ الكرامَ قليلُ
وما قلَّ مَنْ كانت بقاياهُ مثلنا
شبابٌ تَسامى للعُلَى وكُهُولُ
وما ضرّنا أنّا قليلٌ وجارُنا
عزيزٌ وجارُ الأكثرين ذليلُ
لنا جَبَلٌ يحتلُّهُ مَن نُجيرُهُ
منيعٌ يَرُدُّ الطَّرْفَ وهو كليلُ(٢)
رَسَا أصلُهُ تحتَ الثرى وسَما به
إلى النَّجْمِ فرْعٌ لا يُنالُ طَويلُ
هوَ الأبْلَقُ الفَرْدُ الذي شاعَ ذكرُهُ
يَعِزُّ على مَن رامَهُ ويَطُولُ(٣)
وإنّا لَقَوْمٌ لا نَرَى القَتلَ سُبَّةً
إذا ما رأتْهُ عامرٌ وسَلُولُ(٤)
يُقَرِّبُ حُبُّ الموت آجالَنا لنا
وتكْرَهُهُ آجالُهُمْ فتطُولُ
وما ماتَ منا سيِّدٌ حتْفَ أنفِه
ولا طُلَّ منّا حيثُ كانَ قتيلُ(٥)
تسيلُ على حدِّ الظُّباتِ نُفوسُنا
ولَيْست على غَيْرِ الظُّباتِ تسيلُ(٦)
صَفَوْنا فلم نَكْدُرْ وأخلص سِرَّنا
إناثٌ أطابت حملنا وفُحولُ
عَلَوْنَا إلى خيرِ الظُّهورِ وحَطَّنا
لوقتٍ إلى خيرِ البطونِ نُزُولُ
فنحنُ كماءِ المُزْنِ ما في نِصابِنَا
كَهَامٌ ولا فينا يُعَدُّ بَخيلُ(٧)
ونُنْكِرُ إنْ شئْنَا على الناس قولَهُمْ
ولا يُنكرونَ القولَ حينَ نقولُ
إذا سيِّدٌ منّا خلا قامَ سيِّدٌ
قَؤُولٌ لما قالَ الكرامُ فَعُولُ
وما أُخْمِدَتْ نارٌ لنا دونَ طارقٍ
ولا ذَمَّنا في النازلينَ نزيلُ
وأيامُنا مشهورةٌ في عَدُوِّنا
لها غُرَرٌ مَعْلومةٌ وحُجُولُ(٩)
وأسيافُنا في كلِّ شرقٍ ومغربٍ
بها منْ قِراعِ الدّارعين فُلُولُ(١٠)
مُعَوَّدَةٌ ألاّ تُسَلَّ نصالُهَا
فتُغمَدَ حتى يُسْتَبَاحَ قَبيلُ(١١)
سَلِي إنْ جَهِلْتِ النَّاسَ عنّا وعنهُمُ
فليس سَواءً عالِمٌ وجهولُ
فإنّ بني الريّان قُطبٌ لقومِهِمْ
تدور رَحاهُمْ حَولَهم وتجُولُ(١٢)

نقول: في الشعر العربي، قديمه وحديثه، قصائد كثيرة تستعصي على الإحصاء، من ذوات القوافي اللامية، سواء أكانت مطلقة أم مقيدة، وهذا ما جعل بعض المؤلفين يختار من هذه اللاميات الكثيرة أشهرها ويُدْرِجُها في كتاب يسميه «اللاميات في الشعر

العربي»(١٣). وسبب إكثار الشعراء من نظم قصائدهم على قافية اللام أن هذه القافية قافية (ذلول) كما يقول النقاد؛ لأنها مطواع للشعراء، تتوافر فيها الكثير من الألفاظ المعجمية التي تنتهي باللام، مثلها في ذلك مثل قافية الباء والدال والراء والعين والميم والنون، أمّا القوافي (الحَرون) التي يستعصي ركوب الشعراء عليها فكالشين والصاد والضاد والطاء والظاء والغين.

ولو عدنا إلى القافية اللامية لوجدنا من بين اللاميات الكثيرة ثلاث لاميات اشتهرت أكثر من غيرها، ونالت من عناية الدارسين والباحثين والمستشرقين ما لم تنله لامية أخرى، وهذه اللاميات الثلاث: لاميّة العرب ولامية العجم، ولامية اليهود المزعومة للسموأل. أما لامية العرب فهي لامية الشنفرى(١٤) التي مطلعها:

أقيموا بَني أمي صدورَ مَطِيِّكُم
فإني إلى قومٍ سواكم لأمْيَلُ

ولامية العجم التي نظمها الطُّغرائي، ومطلعها:

أصالةُ الرأي صانتني عن الخَطَلِ
وحليةُ الفضل زانتني لدى العَطَلِ

واللامية الثالثة هي التي اهتم بها اليهود، وهي لامية السموأل التي مطلعها:

إذا المرءُ لم يَدْنَس من اللؤمِ عِرْضُهُ
فكلُ رداءٍ يرتديه جميلُ

وسنترك الحديث عن لاميتي العرب والعجم لنتوجه بالنقد للامية السموأل التي تنازعها اليهود والنصاري. فاليهود استغلوا صنيع ابن سلام في «طبقات فحول الشعراء»؛ إذ خصص للشعراء اليهود طبقةً ترجم فيها لثمانية منهم، وعلى رأسهم السموأل بن عادياء، وقال إنه يهودي، على حين ذهب الأب لويس شيخو الذي ألف «شعراء النصرانية» وكتب مقالين في مجلة المشرق(١٥) وحقق ديوان السموأل ونشره، ذهب إلي أن السموأل من غسان، وغسان قبيلة نصرانية. غير أنه لا يهمنا كثيرًا هذا النزاع حول دين الرجل؛ وإنما الذي يهمنا أكثر من ذلك نسبة القصيدة اللامية إليه أو لغيره، نقول هذا القول لأن كثيرًا من المراجع العربية تنسب هذه القصيدة إلى الشاعر العربي عبدالملك بن عبدالرحيم الحارثي أو إلى غيره من الشعراء العرب الآخرين(١٦).

بعد أن وضعنا هذه القصيدة في مكانها بين اللاميات الثلاث: لامية العرب ولامية العجم ولامية اليهود، ناقشنا نسبتها إلى كل من الشاعرين اللذين تُنسب إليهما القصيدة أو بعض أبياتها، وهما السموأل وهو شاعر جاهلي(١٧)، وعبدالملك الحارثي، وهو شاعر عباسي. والذي دعانا إلى تحري النسبة المبدأُ الذي طرحه ابن سلام في مقدمة كتابه «طبقات فحول الشعراء» الذي خلاصته أنه يشك في بعض الشعر المنسوب إلى الجاهليين حيث يقول: «وفي الشعر المسموع مفتعل موضوع كثير لا خير فيه ولا حجة في عربيته»(١٨). وذكرنا أن ابن سلام الذي خصص للشعراء اليهود في كتابه طبقة ترجم فيها لثمانية منهم، فابتدأ بالسموأل فترجم له وذكر بعض شعره غير أنه لم يذكر بيتًا واحدًا من هذه القصيدة.

ولو رجعنا إلى هذه القصيدة وألقينا عليها نظرة ناقدة لوجدنا أنها من حُرّ الشعر وفاخره، لما فيها من أفكار رزينة حكيمة مَصوغة بأسلوب جزل متين، تناولت فنًا من الفنون الشعرية الجادة الرصينة التي عرفها الجاهليون والإسلاميون وجمهور الشعراء في العصور اللاحقة إلى يوم الشعر هذا، ونعني بذلك فن الفخر؛ فالأبيات كلها تدور حول الفخر وما يندرج تحته من معان، كالفخر بصون العرض وحمل النفس على المكروه في البيتين الأول والثاني، ثم أورد ثلاثة أبيات يناقش فيها ظاهرة قلة عدد أفراد قبيلته في مجتمع كان فيه صراع البقاء بين القبائل على أشده، وهذا الصراع يستلزم بالضرورة كثرة العدد لمواجهة الطبيعة القاسية وطغيان القبائل الكبرى التي لا تمنعها شرعة الجاهلية من التهام القبائل الصغرى. غير أن الشاعر يتمدح بالقيم العربية المثلى على قلة عدد قومه، وهذا العدد القليل لرجال قبيلته يمنعه أيضًا من الفخر بمنعة جانبهم. ثم علل منعة الجانب وحماية الجار والحفاظ على العرض بعامل واحد هو الاستماتة في سبيل هذه المُثل العليا، فوقف عند هذا القسم وقفة أطول جعلها في أربعة أبيات، وبعد تعليله لمقومات فخره بالقيم السابقة التفت ليفتخر بقيمة طالما افتخر بها الجاهليون وهي صفاء النسب وعراقته، وجره هذا النوع من الفخر إلي قريب منه وهو التغني بسؤدد قومه ورجاحة عقولهم ليخلص إلى الفخر بكرم قومه في بيت واحد. ويعاوده هاجس الفروسية والحرب مرة أخرى فيدلف إلى الحديث عن الشجاعة وأيام القراع وسيوف المعركة فيستغرق ذلك ثلاثة أبيات أخرى، ثم يُنهي قصيدته بفعل الأمر لهذه التي تَخَيَّلَها في أول القصيدة تُعَيِّره بقلة العدد فيطلب منها ألا تتسرع بازدراء قوم الشاعر لقلة عددهم، وغيرهم من بعض القبائل الكثيرة العدد، على كثرتهم فالعين تقتحمهم والاختبار يخيب الأمل فيهم.

تتمة النقد وإجابة سؤال الأستاذة حنان في العدد القادم.

الهوامش:

١- الضيم: الظلم.
٢- كليل: قاصر النظر.
٣- الأبلق الفرد: حصْن السموأل.
٤- عامر وسلول: أسمان لقبيلتين.
٥- مات حتف أنفه: إذا مات على فراشه.
٦- الظُّبات: جمع ظُبَة وهي حد السيف.
٧- المزن: المطر. النصاب: الأصل. الكهام: الكليل الحد.
٨- الطارق: الضيف الذي يجيء ليلاً. والنزيل: الضيف.
٩- الحجول: جمع حجل: وهو الخلخال. يريد أن وقائعنا مشهورة في أعدائنا؛ فهي بين الأيام كالخيول الغر المحجلة بين الخيل.
١٠- القراع: المقارعة والمضاربة، والدارعين: أصحاب الدروع. الفلول: الثلْم في السيف.
١١- القبيل: الجماعة من آباء شتى.
١٢- القطب: الحديد أو المحور الذي في الطبق الأسفل من الرحى. والرحى: حجر الطاحون.
١٣- جمع قسمًا من هذه اللاميات الدكتور محمد إبراهيم نصر، وصدرت عن دار الرشيد بالرياض من دون تاريخ.
١٤- تذهب بعض الروايات إلى أن ناظم هذه القصيدة هو خلف الأحمر، ثم نسبها إلى الشاعر الصعلوك الشنفرى. شرحها الزمخشري شرحًا مطولاً سماه «أعجب العجب في شرح لامية العرب»، واهتم بها من المستشرقين جلبر بلي، وريد هاوس، ونولدكه. وقلَّدها بالألمانية جورج ياكوب وغيرهم كثيرون.
١٥- انظر مجلة المشرق، السنة التاسعة ١٩٠٦م.
١٦- نسبها أبو الفرج الأصبهاني إلى شُريح بن السموأل، ثم قال: ويقال إنها للسموأل، وقال في موضع ثالث إنها لدُكَين الراجز. الأغاني ٨٤/٦
١٧- انتهى الدكتور فضل العماري في دراسة موثقة إلى أن السموأل شخصية وهمية لا وجود لها.
١٨- طبقات فحول الشعراء لابن سلام ٢٥٢.



حينما انبرى بعض علماء اللغة قديمًا إلى بحث موسيقى الألفاظ العربية أرجعوها إلى موازين لفظية تنبثق من لفظة «فعل»، ومن ثم تم اشتقاق تراكيب كثيرة - صوتيًا - من هذه اللفظة تحيط بكل مفردات اللغة. ثم وضع العلماء ذلك كله في إطار أصواتها ومخارجها حتى أصبح علم موسيقى اللغة يؤكد أن اللغة العربية لغة رنّانة موسيقية تعتمد على الإيقاع الظاهري لكون العرب قديمًا لم يكن لهم دراية بكتابة الحروف، وكانوا يتناقلون اللغة شفاهة وأداءً وغناءً وإنشادًا.

وحين جاء الخليل بن أحمد كشف نظامًا للشعر، وفرق بينه وبين النثر الفني، ووضع موازين الشعر أيضًا مشتقة من لفظة «فعل». وأصبح الفرق واضحًا بين مقومات الشعر الفنية التي تعتمد ظاهريًا على بحور التفعيلة المنتظمة بشكل ما؛ لكنها أيضًا لم تقف عند ظاهر الشكل الموسيقي؛ وإنما أضافت الزخم المكثف المنبثق عن الإحساس الداخلي والخيال والصور والصيَغ الشعرية المتفردة. وهذا بالطبع يفترق عن المقومات الفنية للنثر التي قد تشترك مع الشعر في بعض العناصر من موسيقى الألفاظ العربية، وقدر كبير من المحسنات البديعية والبلاغة الخاصة؛ لكنها لا ترقى بهذا اللون من الكتابة إلى فنية الإبداع الشعري لافتقادها عناصر كثيرة أخرى من الرؤى وخفاء الحس والصيغ الخاصة بالشعر، وعمق التجربة، والحالة النفسية للمبدع؛ بحيث أصبح المتلقي في أي عصر من العصور يفرق ببساطة بين ما هو شعري صرف، وما هو «شاعري» يستمد من الشعر بعض عناصره ولكنه لا يكون شعرًا.

وربما يُطلق على ثقافة الأمة العربية: ثقافة شعرية؛ أي إن عنصر الصدق في الإبداع قادم من عمق «الشعور»، ويتفجر في فضاء المسافة بين المبدع والمتلقي؛ ذلك الفضاء الذي قد تقوم فيه الموسيقى الشعرية المنتظمة بدور «الموصّل الجيد» إلى وجدان المتلقي، أو تقوم فيه بلاغة الناثر وموسيقى الكلمات بالدور نفسه.

وهناك ملاحظة حضارية مهمة: إن الشعر العربي الذي التزم الوزن أو القافية - التي تؤكد في كثير من الأحيان عناصر الموسيقى الخارجية في الشعر - لم يكن بدعًا. فقد كان الشعر لدى اليونان والرومان موزونًا بطريقة خاصة حتى ما كان منه مسرحيًا يقتضي كثيرًا من الحرية والمرونة، وكذلك كان الشعر الأوروبي القديم والحديث.

كما أن الشعر الحر القائم على تكرار التفعيلة في السطر الواحد يضيف أمرًا مهمًا في هذا المجال. فهو يجمع في صورته الموسيقية بين الوجهين: الموسيقى الخارجية، والموسيقى الداخلية، لأن الشاعر هنا يواجه مأزقًا فنيًا بالاستغناء عن القافية - غالبًا -، فكان لا بد أن يعوض هذا النقص باختيار موفق للألفاظ والتراكيب والصيغ اللغوية تُكوِّن نغمًا موسيقيًا خاصًا يكتمل مع موسيقى التفعيلة المتكررة.

والشاعر في هذا التحدي يظهر قدرته التي توائم بين موهبته وقوانين الفن. حيث ينتقي الشاعر ذلك النمط الموسيقي الذي يلائم حسّه الآنيّ ورؤيته الشعرية وتجربته الخاصة التي يريد أن يعبر عنها. ويصبح الشاعر هنا - على رغمه - شاعرًا وناقدًا معًا. وتتعانق حينئذ الموسيقى الظاهرة - حينما تتغلغل في تجربة الشاعر - بالموسيقى الداخلية بعناصرها السحرية بحيث لا يمكن فصلهما الواحد عن الآخر في العمل الإبداعي. ومن ثم فإن حرية الشاعر تتجلى في هذا الاختيار، لأن الفن بطبيعته قابل للنظام رافض للقيود.

ومن المؤكد أن الشعر - سواء أكان عموديًا أم حرًا - يعتمد على عنصر الإيقاع الذي يشكل بدوره ضابطًا محكمًا للموسيقى، ويفرق بين الشعر والنثر في جوانب كثيرة.

إن الموسيقى لها ثلاث ركائز - كما نعلم -: الزمن، والوزن، والإيقاع. فنحن لا يمكننا أن نحسّ الموسيقى إلا بإحداث اهتزازات في أجسام مصفوفة ثابتة في المكان، لكنها لا تدخل إطار الفن إلا بتعاقب هذه الاهتزازات وتتابعها، أي بحركاتها في (الزمن) وبمدة هذه الحركات.

أما ما مدى الصوت، وما مدته المثالية، وهل تمتد إلى ما لا نهاية؟ فهنا

يتدخل عامل ضابط هو «الوزن» الذي يحدد علاقة هذه المدد بعضها ببعض بحيث تهيئ انسجامًا خاصًا.

لكننا - مع هذا - حينما نسأل عن ضروب الأوزان وتنوعها وتغيرها، فإننا أمام تقسيمات نغمية تتطلب ضبطًا أكثر لتكون أكثر تأثيرًا وانسجامًا، ومن ثم يأتي «الإيقاع» محدثًا ذلك «النَّبر» الذي يضفي على الوزن الحركة التي تلزمه، والحيوية التي يفتقر إليها، والشدة أو الخفة التي يسمح بها بقدر تأثيرها في السمع.

وتأثير الإيقاع في الشعر تأثير نفسي إلى حد كبير يرتبط بالأداء، وهو يتخاصم مع تفاعيل البحر الشعري؛ لكنه في تأثيره يكون أقوى وأشد من تأثير هندسة التفاعيل!

ولنأخذ مثلاً على ذلك بيت امرئ القيس المشهور:

مِكَرٍّ مِفَرٍّ.. مُقبِلٍ مُدْبِرٍ معًا

كجلمود صخرٍ حطَّهُ السّيلُ من عَلِ

فحينما نقسم كلمات الشطر الأول في أدائنا حسب تفاعيل البحر الشعري.. فنحن أمام تقسيم هندسي نفقد فيه المعنى والإحساس معًا:

مكر.. مِفَرْمُق - بِلِنْ مُدْ.. بِرِنْ معًا

فعولن .. مفاعيلن - فعولن - مفاعلن

لكنا نحسّها ونفهمها ونتواصل معها حينما نؤديها بنبرات الإيقاع والمعنى هكذا:

مكر.. مفر.. مقبلٍ مدبرٍ معًا

وكأننا نقول:

فعولن.. فعولن.. فاعلن.. فاعلن.. فعا

ولو طبقنا ذلك على أبيات قصيدة امرئ القيس حسب الإيقاع الظاهري لحصلنا على اختلافات لا نهاية لها بين بيت وآخر؛ بل بين شطر وآخر. وكذلك الحال مع الشعر الحر؛ مما يؤكد أن الموسيقى في الشعر هي الصلة الحقيقية الخفية بين تجربة الشاعر وتذوق المتلقي.

من هنا يمكن أن نخلص إلى أن الموسيقى هي أكثر الفنون استقلالاً. فهي ليست فنًا تصويريًا أو تشكيليًا لموضوعات يمكن الإشارة إليها، وهي لا تصور ولا تقلد ولا تحاكي شيئًا.

فالرسم مثلاً فن تصويري، والنحت يصور الواقع الخارجي بأبعاده الثلاثة (التجسيم)، والأدب يعبر عن الواقع - غالبًا - من طريق الرموز اللغوية..

لكن الموسيقى تستخدم مادتها من الأصوات المجردة من أجل التعبير.

هي إذن لغة زمنية تخاطب اللازمني.. على حين أن الشعر لغة رمزية تخاطب الزمن..

والمزج بين العنصرين لا يتم إلا في إطار رؤية الشاعر الخاصة وتجربته الواعية، وخبرته الشعورية في إكمال دائرة الإبداع.

وأختتم هذا الرأي بما يؤكده الدكتور عبدالقادر القط في بحثه القيم «قصيدة النثر بين اللغة والإبداع»:

إن موسيقى الشعر إذن لا يمكن أن تكون خارجية فقط.. وإلا استطعنا ببساطة فصلها عن القصيدة. ولا هي داخلية فقط تبدو في الألفاظ العربية الموسوقة.. وإنما هي تتولد منها وحدات صوتية عديدة.. فلا يبقى من البحر إلا إيقاعه العام.. وتبقى بعد ذلك (الصيغة) الشعرية التي جلبتها رؤية الشاعر وتجربته.. ومواجهته التحديات والواقع.. وهي صيغة تخلع على اللغة، في مفرداتها وتراكيبها وسياقها الشعري، قدرة على النفاذ إلى ذلك الفن المتميز من بين فنون القول بأثره الذي ربطه الناس قديمًا بالسحر حتى لم يستطيعوا أن يدركوا حقيقة كل عناصره البيانية الخاصة!

ومهما حدث - من اقتراب الشعر من النثر - فإنه لا يمكن إنكار الصلة بينهما. لكن إلغاء الحدود الفنية بينهما ينتهي إلى أن يفقد النثر بعض خصائصه وقدراته وحريته التي تتيح الجمع بين الفكر والشعور.. ويفقد الشعر - أيضًا - تفرده في لغته وتراكيبه وقدرته على تجاوز دلالات الألفاظ والأبنية الخاصة بها.

أحمد سويلم

القاهرة.

فرّق العرب بين الشعر والنثر وذلك بتمييز الشعر بالوزن والقافية، وما تتحمله لغته من تكثيف في الصور والمجازات والإشارات والضرورات. والوزن - كما هو معروف - موسيقى خارجية ناتجة من اتفاق بين مقاطع الكلمات بطريقة معينة تختلف من بحر إلى بحر. وهذا قد يقع في النثر، ولكن دون التزامه كما هو الحال في الشعر، ولهذا لا يمكن تسميته شعرًا لأن الشعر يعتمد على الموسيقى، أو الإيقاع الخارجي المتولد من التزام بحر بعينه.

أما الإيقاع الداخلي - أو الموسيقى الداخلية - فنجده في كثير من النصوص النثرية الرائعة في الأدب العربي قديمًا وحديثًا. وهو ناتج من صياغة النص بقدرة فائقة على اختيار الكلمات الجميلة الموحية، التي تتميز بالتصوير الرائع والمجازات المكثفة، كما نرى في نصوص أبي حيان التوحيدي قديمًا، وجبران خليل جبران حديثًا على سبيل المثال لا الحصر.

وأما دعوى اعتماد الموسيقى الداخلية للشعر بدلاً من الموسيقى الخارجية فهي دعوى لا تثبت أمام الإيقاع المعروف (وأقصد به الوزن الشعري)، لأنه مهما بلغت درجة الإيقاع في النثر فإنها لن تصل إلى درجة الإيقاع في الشعر، ولن تنقل النص النثري من مجال النثر إلى مجال الشعر، ولو تساهلنا في هذه الناحية لعددنا ما كتبه الرومانسيون في كتبهم شعرًا، وهذا في الحقيقة لن يجعل النثر شعرًا.

أما الشعر الحر، فإنه شعر يعتمد - في أساسه - على الوزن الشعري المعروف وليس على الموسيقى الداخلية، كما أشار السائل، ولعله أراد «قصيدة النثر» التي روّج لها كثير من الشعراء والنقاد وعدّوها من الشعر الحر، وهي أبعد ما تكون منه؛ لأنها نثر جميل يعتمد الإيقاع الداخلي، كُتب بطريقة الشعر الحر، وليس بشعر؛ لافتقاره إلى الوزن الذي يميز الشعر من النثر. وهذا لا يُنقص من قيمته؛ فهناك نصوص نثرية رائعة تتفوق على كثير من النصوص الشعرية.

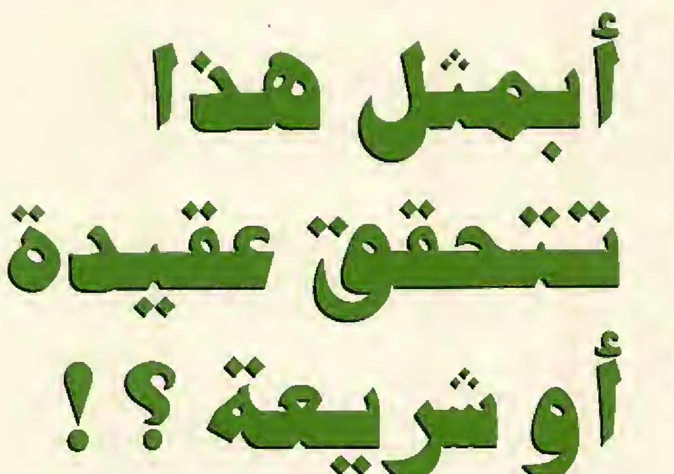
د. عبدالرحمن بن إسماعيل السماعيل

جامعة الملك سعود، الرياض.





الشيخ أبو عبد الرحمن
ابن عقيل الظاهري



أبمثل هذا تتحقق عقيدة أو شريعة ؟!

من أين ينبثق ينبوع الحب؟!.. هذا هو السؤال الثامن عشر بعد المئة ضمن الباب الثالث والسبعين من الجزء التسعين من الفتوحات المكية.. وهو أول المجلد الثالث عشر من طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب.

والجواب عند محيي الدين أن الحب ينبثق من تجلي الله تعالى في اسمه «الجميل»؛ لأن الحديث صح بأن الله جميل يحب الجمال.

ولا شيء أجمل من العالم، والله يحب العالم؛ لأنه يحب الجمال!

والعالم كله يحب الله، لأن الجمال محبوب، والله جميل!!.

والعالم يحب بعضه بعضًا؛ لأن جمال صنع الله تعالى سار في خلقه؛ فالعالم كله جميل، ولأن حب العالم بعضه بعضا هبة من حب الله لنفسه؛ لأن العالم مظاهر (أي مظاهر لله سبحانه!!).. والله جميل!.

والحب صفة لموجود.. وما في الوجود إلا الله.

والجلال والجمال لله وصف لله ذاتي في نفسه وفي صنعه!

والهيبة من أثر الجمال، والأنس من أثر الجلال.. إذن هما نعتان للمخلوق لا للخالق.

ولا يُهاب ولا يؤنس ـ بصيغتي الفعلين المبنيين للمجهول ـ إلا موجود.. ولا موجود إلا الله!.. كيف ذلك؟.. لأن الصفتين (وهما الجلال والجمال) ليستا مغايرتين للموصوف حال اتصافه بهما.. بل هما عين الموصوف.

والهيبة والأنس (وهما أثر الصفتين) وهما عين الصفتين!.

ولا محب ولا محبوب إلا الله بدليل العقل؛ لأنه قال: «وإن عقلت فلا محب ولا محبوب إلا الله».. أي ليس في الوجود إلا الحضرة الإلهية وهي ذاته، وصفاته، وأفعاله.. كما نقول: كلام الله علمه، وعلمه ذاته.. لأنه يستحيل عليه تعالى أن يقوم بذاته أمر زائد أو عين زائدة ما هي ذاته، تعطيه حكمًا لا يصح له ذلك الحكم دونها.. ومعنى بعض هذا الكلام أنه يستحيل أن يقوم بذاته عين تزيد ذاته.. فزائدة مضاف، وما موصولة بمعنى «التي» مضاف إليها.

وختم بقوله: «وهو كونه تعالى عالمًا بكل شيء: ذكر ذلك عن نفسه بطريق المدحة لذاته، ودل عليه الدليل العقلي.. ومن المحال أن تكمل ذاته بغير ما هي ذاته؛ فتكون مكتسبة الشرف بغيرها»!.

قال أبو عبدالرحمن: الأسلوب أعجمي، ولو أراد الإبانة لقال: «وكونه تعالى عالمًا بكل شيء يعني أن علمه هو ذاته، لأنه ذكر ذلك.. إلخ».

قال أبو عبدالرحمن: بناء هذه الدعاوى على أربعة مصادر من المصادر التي يتخذها جمهور من الناس أدلة، وهي:

١ـ العقل؛ لأنه صرَّح بالاحتجاج به.

٢ـ والشرع؛ لأنه استدل بنصوص منه.

٣ـ واللغة العربية؛ لأنها لسان بيانه، ومرجع تفسير كلامه.. ويشمل ذلك لغة التصوف الاصطلاحية، ولكل شيخ اصطلاحه.

٤ـ والعلم اللدني الوهبي الفتحي، وهو يعتبره فتوحات ربانية، فلا بد أن يكون دعوى شرع جديد، ووحيًا جديدًا إن جاء بشرع غير شريعة محمد صلى الله عليه وسلم إضافة أو حذفًا أو تبديلاً.

ولو أعلن هو ـ وأعلن كل مجذوب مثله ـ أنه لا يرجع إلى العقل أو الشرع أو اللغة، وإنما مصدره الفتح الإلهامي الإيحائي: لقيل هذا إحداث: منه الكفري، ومنه البدعي، ومنه الفسوقي.. عن زيغ متعمد، أو عن جنون.. وهو غير منسوب إلى العقل واللغة والشريعة الخاتمة الناسخة المهيمنة.. ومتَّبعه راغب عن الشرع والعقل واللغة عمدًا، فلا يجوز أن ينسب هذا الهذر إلى الدين بحكم أنه أحد أوجه الخلاف في فهمه، ولا يجوز أن يُنسب قائله إلى أهل القبلة بحكم أن مصادرهم مصادره.

بيد أن قائل هذا الهذر محتج بالشرع والعقل واللغة، كما أن معتنقي هذا الهذر مصرون على الانتساب إلى أهل القبلة، فحق على أهل الشريعة والعقل واللغة أن يبرؤوهن من افتراء ذلك الهذر عليهن.. ثم بعد ذلك

فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر.

قال أبو عبدالرحمن: وتقلبت في آفاق الدراويش في بلاد عربية، فرأيت منتحلي التدين لربهم بمثل هذا الهذر أربعة أصناف لا خامس لها:

- صنف من العوام الجاهلين لشريعة ربهم، المأسورين بما وجدوا عليه آباءهم.. وليس جهلهم بشرع ربهم بأعظم من جهلهم بمثل أسفار ابن عربي.. وإنما يحذقون بملكة الحفظ، وبقليل من التفسلف الجزئي عبارات جاءتهم من المغنِّي والجوقة، أو مما أثرته الغوغائية من كلمات خف محملها من كلام أمثال ابن عربي مثل: لا محب ولا محبوب إلا الله.. وما في الوجود إلا الله.

- وصنف من المجاذيب حقًّا دخلوا في الجذب بما لا يُعذرون به، فكان لهم وسيط من المردة يؤزّهم أزًّا.

- وصنف ثالث يَدَّعون الجذب والكشف - ومنهم الجاهل لشرع ربه.. ومنهم المتجاهل؛ لأكل خبز خبيث، ولكسب مركز ومريدين، وقد هان عليهم دينهم، واستسهلوا يومًا تشخص فيه الأبصار.. ومن هؤلاء معاند ذو حمية وعصبية لتاريخ مُزر وأدته السلفية حينًا من الدهر، وظل يغذيه في الخفاء من أسلم ولم يؤمن.. والملتقى عند من يعلم السر وأخفى..

- وصنف رابع ظنوا أن أمثال ذلك التصوف هو الجانب الروحي المخبت لربه حقيقة، وأنه مقتضى الدين والعقل واللغة؛ بكثرة ما لُبِّس عليهم المجذوبون حقيقة بأسباب لا يُعذرون بها، أو الأبالسة من مُدَّعي الجذب.. ولهؤلاء وحدهم أكتب مثل هذه المهاتفات بين الفينة والفينة؛ ليعلموا إلى أي مدى من الشرع واللغة والمعقول ينتهي إليهن كل شطح صوفي أو تشاطح.

وأما دعوى أن الله يفيض على بعض عباده ما يشاء من العلم اللدني مما يتعلق بالدنيا أو الآخرة أو الدين فأمر لا شك فيه.. إلا أن هذا الفيض إن كان من أمور الدنيا فتصديقه مرهون بوقوعه، فيعلم أن ذلك الإلهام حق.. وإن كان من أمور الآخرة عن بشرى بجنة أو نذارة من نار فليس فيه قطع؛ لأن صدقه مرهون بوقوعه يوم القيامة.. إلا أن هناك مرجحات للتصديق والتكذيب، فقد يكون صاحب الفيض في يقظة أو منام أو صحوة موت ذا صلاح وعبادة غيرَ مُصرٍّ على بدعة يعلم أنها ليست من دين الله، فهذا يترجح الرجاء في حقه بأن الله سيحقق له البشرى يوم القيامة.. وليس على صاحب الفيض إلا الاستبشار وعظم الرجاء مع استمراره على سمت الدين، والمسابقة إلى فعل الخيرات.. فإن قعد عن العمل، أو تجاوز ذلك إلى التحلل من الطاعات وارتكاب المحرمات بحجة أنه أُلهم البشرى؛ ثم جاءه ذوو المجانية من المتصوفة، ورددوا له: يا أهل بدر افعلوا ما شئتم!!.. وهذا الترديد عادةً من ادَّعوا الكشف، وادَّعوا رفع التكليف.. إن فعل صاحب الفيض كل ذلك فليعلم أن فيضه من كيد إبليس الغرور.

وإن كان الفيض في أمر ديني: فلا يخلو من أحد أمرين:

أحدهما: دعوى الإلهام لحكم شرعي مخالف لأحكام الشريعة المنقولة المدونة بزيادة أو نقص أو تبديل.. فهذا الفيض من إرجاف الشيطان، وليس من فتح الرحمن؛ لأن الله حفظ شرعه، وختم النبوة، وأمر بالرد إلى الكتاب والسنة وحجج العقول في الاستنباط، واللسان العربي المبين في معرفة المراد.

وثانيهما: دعوى الإلهام لحكم شرعي مجمع عليه لم يكن يعلمه من قبل لكونه عاميًّا، أو لحكم شرعي مختلف فيه فأُلهم رجحان قول من الأقوال المختلفة.. فهذا لا يقوم إلهامه حجة على أحد، بل الرجوع إلى مصادر الشرع بالنظر الاجتهادي، أو سؤال أهل الذكر.. كما أن هذا الفيض لا يقوم حجة لمدعي الإلهام إلاَّ في حالة واحدة، وهو أن يكون من أهل العلم والاجتهاد، وقد نظر نظرًا علميًّا في مسألة تكافأت فيها الأدلة عنده لكثرة الخلاف والاحتجاج حولها، فتوقف تورعًا، وهو على سمت العلماء الصالحين من الإلحاح في طلب الهداية لما اختُلف فيه من الحق، فقد يجعل الله هدايته له برؤيا، أو بإلهامه حججًا يقذفها في قلبه يُرجِّح بها أحد الأقوال، فصاحب هذا الفيض - وهو بالحال التي ذكرتها - يأخذ بما أُريَه في منامه، أو قُذف في قلبه؛ لأنه أمر زائد على بَذْله وُسعَه في الاجتهاد، ولأنه فرج من ربه منعه من التوقف.. ويظل على هذا الرجحان الإلهامي ما لم يستجد له من الأدلة أو النظر ما يرجح له خطأ اجتهاده السابق؛ فإن العالم العامل يظل مع الدليل كلما استجد له.

وأعود مرة ثانية إلى هذه الفتوحات التي اتخذها بعض الناس دينًا يتدين لربه به؛ فنجد أن الحب المطلق من مطلق المحبين إنما ينبثق من الجمال.. وعبر عن الجمال بتجلي الله تعالى في اسمه الجميل.

قال أبو عبدالرحمن: الله سبحانه محيط بخلقه، عالٍ عليهم، مباين لهم يتجلى لعباده المؤمنين يوم القيامة تجليًا يليق بجلاله وعظمته بصفات الجلال والجمال والكمال، وليس الحب له سبحانه وقفًا على صفة الجمال، بل حمدنا لربنا منتهى الحب له، لأن الحمد مدح له وشكر، فهو ممدوح بكل صفاته الحسنى حياة وقدرة وعلمًا وحلمًا ورحمة وحكمة وجمالاً.. إلخ.. وكل ما اقتضى المدح فهو مقتض للحب.

والشكر - وهو بقية معنى الحمد - ثناء على الله؛ لأنه مالك النعم وموجدها ومسديها، فكيف لا يكون ولي النعمة محبوبًا؟..

وَقَصْرُ ابن عربي الحب لله على صفة الجمال تقليص لمقتضيات الحب، وتقصير في معاني العبادة التي يكون بها التأله لله سبحانه، فهو - لكماله ووحدانيته - الإله بحق، المعبود بحق.. وكيف لا يكون المعبود بحق محبوبًا بحق، ولهذا فالعبادة أسمى معاني الحب؛ لأنها اتباع لأمره الشرعي الذي نملك بحريتنا عصيانه، وتقديم لمراد ربنا الذي نملك بحريتنا التحرر منه عبودية لأهوائنا وشهواتنا.

ويرتبط بالجمال في تراث الأمم الحب الغزلي؛ لأنه عشق صورة، والميل الطبيعي لحسن الصورة.. وربنا سبحانه لم يتجلَّ لنا في دنيانا، ولم يكلفنا حبه بمقتضى جماله سبحانه، وإنما أخبرنا سبحانه أنه جميل يحب الجمال لنحرص على التحلي بالجمال المأذون به لنا شرعًا كالنظافة.. ولا نعرف في دين ربنا ولا تجربتنا البشرية حبًّا مصدره الإحساس بجمال ربنا سبحانه

وتعالى.. وإنما حبنا له وفقًا لعقيدتنا بأن له الكمالَ المطلقَ عقلاً المفصَّلَ شرعًا، فإن كل ذلك اقتضى مدحه، وكل ما اقتضى الحمد فهو محبوبه.. واقتضى حبه أن له المنة وحده والنعمة.

ولم يكلفنا ربنا لا وجوبًا ولا استحبابًا أن يكون حبنا له مدحًا له بأشعار تتغنى بجماله.. ولا تديَّن بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا أصحابه، ولا أتباعهم، ولا أتباع أتباعهم.

وإنما كلفنا أن يكون حبنا له اتباعًا لأمره الشرعي، ورضى وصبرًا أو شكرًا لأمره الكوني.. ومن اتباع أمره الشرعي عبادته تألهًا، والثناء عليه بالأدعية المأثورة.. وإخلاصُ العبادة لله إخلاصٌ للحب له.

وقول ابن عربي: «لا شيء أجمل من العالم، والله يحب العالم؛ لأنه يحب الجمال» يُفترض أنه قول مفهوم يعني شيئًا، لأنه صادر عن رجل أعطاه البدعيون كل مناقب العلم والإمامة.. ولا يسر أتباعه أن يقال: هذا هذيان غير مفهوم.. فإلى أي مصدر نرد هذه الأحكام؛ لنرجع إلى الشرع.

قال أبو عبدالرحمن: إذا رجعنا إلى الشرع لم نجد فيه أن العالم جميل كله؛ بل فيه نهيق حمير، وقردة، وشجرة زقوم، وأناسي قبحوا بخلال مذمومة.. وإنما في الشرع حسن الخلق؛ لأن الله سبحانه أحسن الخالقين كما في سورة المؤمنون؛ فلازم ذلك أن خلقه كله حسن.. وهذا صحيح، ولكن ليس المراد المعنى الجمالي الذي يكون معياره شعوريًا، وإنما المراد بالحسن الإحسان، وهو إتقان الصنع وفق مراد الصانع، بمقتضى حكمته.. ولا أقبح من النار، وأهل النار، وعدة أهل النار في النار من الغسلين والضريع والزقوم.. فكيف يكون العالم كله جميلاً؟.

وأما كلمة ابن عربي: «لا شيء أجمل من العالم».. بصيغة «أجمل» دون «جميل» فتقضي بأن الخلق أجمل من الخالق؛ لأن ما سوى الله عالم.. بيد أن ابن عربي الحلولي الاتحادي لا يقول بثنائية الخلق والخالق، وذلك أعظم إحالة من أقانيم النصارى!!.

وقول ابن عربي: «والله يحب العالم» - بهذا الإطلاق - دعوى على الله بغير برهان.. قال تعالى: *قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ*. **يونس:٦٩**.

ولكن الله خلق في الجملة بمقتضى الحكمة، وأحب ما بينه لنا بشرعه.. وما علمنا بشرعه كل ما يحبه؛ لأن الله ما ضمن لنا أن يعلمنا كل شيء.

وأبغض الكفر والفسوق والعصيان ومرذول الأخلاق.. وكذب ابن عربي حسيًا في قوله: «والعالم يحب الله».. والله قسمًا برًا ما أحبه الملعونون القائلون: يد الله مغلولة، وعُزَيْر ابن الله، والملائكة بنات الله، وأنا ربكم الأعلى.. إلى كلمات أنتن من ذلك تقشعر منها الجلود في استعمال كلمة الإله بكتب كافكا وفرويد وسبينوزا وعموم التنظير الحداثي!.

ونسب إلى الله هذا القول: «إن عقلت فلا محب ولا محبوب إلا الله».. وهذا وحي الشياطين لا وحي رب العالمين.

وأما دعوى ذات بلا صفات فقد كفانا مؤونة مناقشتها كتب عقيدة السلف، وحسبنا الله ونعم الوكيل.



الخطأ والخطيئة

د. حمد زيد الزيد

يخطئ أيّ إنسان في كل يوم وليلة لأنه إنسان، ولولا الخطأ لما عُرِفَ الصواب.. وبضدّها تتميز الأشياء؛ وقد قيل: من لا يعمل لا يخطئ؛ ولذا يجب التسليم بحقيقة الخطأ ووجوده في الحياة.

والمخطئون عادة صنفان: واحد يخطئ دون أن يتعمَّد الخطأ، فهو سلوك عفوي موجود في طبيعة البشر أزلاً، وآخر يتعمد الخطأ. والأول تنطبق عليه مقولة: من اجتهد فأخطأ فله أجر ومن اجتهد فأصاب فله أجران.

والخطأ المقصود، سواء في السلوك العام أو الخاص، يستحق العقاب الشرعي أو القانوني ما لم يُسبق بتوبة أو اعتذار، لأن التوبة تَجبُّ (أي تقطع) ما قبلها.. والاعتذار صابون القلوب كما يقال.. والذي يتمادى في أخطائه دون أن يتوب أو يعتذر يتحول خطؤه إلى خطيئة، وعندما يصل إلى مرتبة الخطيئة يتحول إلى إنسان غير سويّ في سلوكه الأخلاقي.

ولولا حدوث الخطيئة لما نزلت الرسالات السماوية وأرسل الرسل والأنبياء وسُنَّت القوانين والتشريعات الإلهية والبشرية.

والخطيئة الأولى في تاريخ البشرية هي عند النصارى مسألة «آدم وحواء»، مع أن ذلك الفعل الذي مارساه هو قدر إلهي أولاً، ولأنهما أطاعا الشيطان ثانيًا؛ فاستحقا العقاب.

ومنذ تلك اللحظة بدأت الأخطاء والخطايا البشرية..





الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي

مفهوم النظام العالمي الجديد لا يروج إلا في البلاد الإسلامية

أجراه: علاء الدين حسن

في ظل ما يُعرف بالنظام العالمي الجديد تبدو أهمية إبراز الشخصية الإسلامية بما لها من خصائص مميزة، تستمدها من مُثل الإسلام وتعاليمه وقيمه، وذلك حتى لا يجرفنا التيار بعيداً من الينابيع الأصيلة للفكر الإسلامي.

في هذا الحوار مع الدكتور البوطي ملامح مما يجب على المسلمين القيام به حتى تعود الدعوة الإسلامية إلى حيويتها، مؤكدة عالمية الرسالة الإسلامية وإنسانيتها.

ـ حبّذا لو تحدثتم عن بدايات التكوين المعرفي والأسس التي رسّخت الفكر الإسلامي لديكم؟

* القاعدة الفكرية التي انطلقت منها إلى ما يمكن أن نسميه «الشخصية الإسلامية» تتمثل بادئ ذي بدء في التربية التي تلقيتها من والدي رحمه الله، ثم تتمثل في الظرف الذي هيّأ لي استعراض الكثير من الأفكار والمذاهب في وقت مبكّر من حياتي الثقافية؛ مما جعلني أنتهي إلى رصيد يتجلى في الوقوف عند معين العلوم كلها ألا وهو الإسلام. ثقافتي الأولى كانت ألوانًا وطيوفًا من معارف أدبية وفلسفية وتاريخية مختلفة، وهذا أكسبني ـ فيما أعتقد ـ تجاوز السواقي المتعددة.

ـ ما السمات التي تدل على عالمية الرسالة الإسلامية، وما واجب العلماء إزاء التحديات والأزمات التي يعيشها العالم الإسلامي؟

* من أوضح الدلائل على عالمية الرسالة الإسلامية ما نراه في أول مصدر من مصادر الإسلام ألا وهو القرآن الكريم،



فعندما تقف عند كتاب الله تعالى وتستعرض آياته وموضوعاته تجده مصطبغًا بالنزعة الإنسانية التامة، وتجده بعيدًا جدًا من التعامل مع ما يسمى بالقوم أو العرْق، أو مع ما يسمى بأمة تجاه أمة، هذه الظاهرة الواضحة في القرآن الكريم تكفي دليلاً على أن هذا الدين الإسلامي أشبه ما يكون بثوب سابغ على قدر الإنسانية. وأعتقد أن تفصيل هذا المعنى يستنفد وقتًا طويلاً لسنا بحاجة إليه، ولكن إذا وقفت عند الآيات التي يتحدث فيها القرآن عن مبادئ العدالة تجده يُسقط عند هذا الميزان فوارق الدين والجنس واللغة، وعندما تنظر إلى خطاب القرآن وأسلوبه الحواري تجده يسمو فوق فوارق الأقاليم والألوان، وفي هذا ما يدل على عالمية الإسلام وإنسانيته المطلقة. أما واجب العلماء أمام التحديات التي تقف في وجه الإسلام، فأعتقد أن هذا الواجب ليس منوطًا بأعناق العلماء وحدهم، ولو أننا حصرنا هذا الواجب في العلماء دون غيرهم لما استطاعوا أن يفعلوا شيئًا.. الوقوف في وجه التحديات التي تتحدث عنها مهمة يتحملها كل مسلم، وليس للعلماء إلا دور الإيضاح وإبراز معالم السير. وأعتقد أن التقصير ليس كامنًا في تقاعس العلماء عن النهوض بهذا الذي تسأل عنه، وإنما هو موزّع على الرقعة الإسلامية بشكل عام بدءًا من القاعدة الشعبية ووصولاً إلى قمم الحكّام والقادة.

ـ الإسلام نظام يستوعب التطورات كافة، إلا أن هذا يُجَابَه برفض المتقوّلين الذين يظنون أن الدين مجرد مظاهر وألفاظ، ما تعقيبكم؟

* المسلمون اليوم ينقسمون إلى فريقين: فريق ينتمي إلى الإسلام ويضيق ذرعًا به، وفريق ينتسب إلى الإسلام ويأنس بالركون إليه. ومع الأسف القدرة على التحرك إنما هي بيد أولئك الذين ينتمون إلى الإسلام ويضيقون ذرعًا به، أما الذين يأنسون بإسلامهم، فالغالبية العظمى منهم تتصف بقدر غير يسير من الجهل بالأمور الثقافية، ومن ثم فإن الأفكار الضبابية التي يروّجها المسلمون الذين يضيقون ذرعًا بالإسلام تهيمن بشكل أو بآخر على أفكار الفئة الأخرى، ومن هنا تدرك ـ فيما أعتقد ـ العلاج وهو أن نتحوّل من مسلمين تقليديين إلى مسلمين تتغذى بالثقافة الإسلامية ونقيم إسلامنا على قواعد من البصيرة العلمية. وأعتقد أن المسلمين إذا ارتفعوا إلى مستوى التفاعل العلمي مع الإسلام سيدركون أن الإسلام بحد ذاته ليس إلا مفاتيح وأنظمة لحل المشكلات وسد فراغ الحاجات، إلا أن هذه الثقافة عندما يُحجب المسلمون عنها، فإنهم يتيهون، ولاسيما عندما توجد طوابير كثيرة تحترف الكيد للإسلام وإسدال الستر التي تحجب رؤيته الحقيقية.

ـ ما مدى البعد الإنساني والاجتماعي في الهُوية الإسلامية، وكيف يمكن تقوية الإيمان في ظل ما يسمى بالنظام العالمي الجديد؟

* من الأمور المؤسفة أن كلمة النظام العالمي الجديد لم تجد رواجًا إلا في شرقنا الإسلامي، لقد جبت بلادًا أوربية كثيرة ولم أجد أحدًا وقف عند عبارة النظام العالمي الجديد بأي تعقيب، ولم أجد من وقف منها موقف المرحب أو موقف المتخوّف، ولكنك عندما تصغي إلى حديث شرقنا العربي والإسلامي فما أكثر ما تجد من تعليقات تحلل وترقب. والواقع أنه لا يوجد ما يسمى بالنظام العالمي الجديد، ولم يولد هذا الذي طُرح اسمه في يوم من الأيام بعد. إذن لنعد إلى الجزء الأول من سؤالك: كيف يمكن أن نستوعب أبعاد الإسلام، بحيث تكوّن دعائم لإيجاد المسلم المثالي الذي يمثل في شخصه كلية الحقائق الإسلامية؟ أعتقد أن السبيل إلى ذلك يتمثل في أن يتحرر المسلم من ازدواج الشخصية، فإن استطاع أن يكون ذا شخصية متناسقة، فإن مصيره لا بد أن يتحول إلى الكيان الإسلامي المتكامل يقينًا ووجدانًا وعاطفة وسلوكًا. إلا أن الذي يحول دون الوصول إلى هذه الحقيقة هو ازدواج الشخصية، ولأشرح هذه الكلمة بإيجاز: كثيرًا ما يقتنع المسلم بحقائق الإسلام بفكره الواعي، حتى إذا تحولت هذه القناعة إلى سلوك وجد أن رغائبه تقاوم قناعته العقلية لتيارات نفسية، من هنا ينشطر المسلم إلى شخصيتين: إنسان استوعب بعقله استيعابًا تامًا بوسعك أن تجده مدافعًا عن الإسلام كلما وجد من يريد أن ينتقص منه، وفي الوقت ذاته تجده ينحط من حيث السلوك في سبل أخرى لا تتفق مع قناعاته، ولو أنك تسربت إلى دخائل نفسه لوجدته يعتذر بأن المجتمع يصد ويواجه المسلم بتحديات تمنعه من أن يتجاوب مع قناعاته. هذا الازدواج هو الذي يقصي الإنسان عن أن يهضم الأبعاد الإسلامية. ولعل السبيل الأوحد للقضاء على هذا الازدواج إنما هو التربية الوجدانية التي تحتاج إلى شرائط دقيقة إن لم تتحقق تطرفت هذه التربية إلى سبل معوجة تبعد الإنسان من الإسلام بدلاً من أن تقربه إليه.

ـ إلامَ يعزى أحيانًا فتور العمل الإسلامي على امتلاكه القدرة على مواجهة التحديات؟ وما حجم العلاقة بينه وبين المسلمين؟

* لعل لهذا الفتور الذي تسأل عنه أسبابًا كثيرة، ولكني أعتقد أن جزئيات هذه الأسباب تتجمع في سبب رئيسي يتمثل في أن القادة المسلمين كانوا فيما

مضى هم الذين يحملون عبء الدعوة إلى الإسلام وحمايته من المتربصين به، كما كانوا يشعرون أن مهمتهم هي نشر الإسلام في مزيد من بقاع الأرض وحمايته من الكائدين. هذا الوضع تبدل اليوم، فالقادة المسلمون لم يعودوا قادرين على حمل الرسالة التي كان يحملها أسلافهم، وربما كانت لهم أعذارهم، وربما كان من الأعذار اتساع آفاق السياسة وتعقّد سبلها، إلى جانب تألّب العالم الخارجي المتمثل في الغرب والشرق على الأمة الإسلامية، فلما خلت الساحة من الذين يتصرون للإسلام وصاحب ذلك هجوم الغربيين على الإسلام كانت النتيجة تراجع الفاعلية عن الأفكار والعواطف والسبل التربوية.

- ما الدوافع التي تقف وراء الصحوة الإسلامية؟ وكيف ترون مستقبلها في ضوء تعدد وسائل الخطاب؟

* الصحوة الإسلامية لها أسباب عاطفية وفكرية: الأسباب العاطفية تبدو في العالم الإسلامي أكثر مما تتجلى خارجه. حنين المسلم إلى أن يتخلص من المهانة التي تلاحقه، وحبّه في مشاركة العالم المتحضر من أهم العوامل التي جعلت الشعب المسلم المعرض عن إسلامه بالأمس ينعطف إليه اليوم، وهنالك عامل فكري يتمثل في العالم الغربي.. في أوربا شيء من هذه الصحوة التي نتحدث عنها وإن كنا نتحفظ في تسميتها صحوة؛ فالرجل الأوربي اليوم يرغب في تَعَرُّف الإسلام ودراسة حقيقته بدافع فكري. كثيرون يتساءلون: أين كانت هذه الدوافع في سنوات خلت؟ ولعل السبب في ظهورها يكمن في أن رجل الشارع الغربي يئس من النظم المختلفة التي كانت تعده بالسعادة والتقدم عقلاً وعاطفة، مما جعله يقف عند جدار يأس وقد نفض يديه من مناهج وتصوّرات كان يقال إنها الكفيل بأن

مفهوم النظام العالمي الجديد لا يروج إلا في البلاد الإسلامية

تحصّن مكاسب الغرب. هذا الوضع جعله يأمل خيرًا من الإسلام الذي حُدِّث كثيرًا عنه. الصحوة في البلاد العربية والإسلامية انعطاف للتعامل من جديد مع الإسلام، والصحوة التي نراها في الغرب - إن صح التعبير - هي التفات مؤنس إلى دراسة الإسلام وتَعَرُّفه، ولعل ما يحمل القادة الغربيين على التربص بالإسلام ما يرونه من رغبة الإنسان الغربي في تبيُّن حقائق الإسلام. وقد كنت متفائلاً قبل سنوات مضت بمستقبل الصحوة؛ إلا أن المشكلات التي تتفاقم في عالمنا العربي والإسلامي اليوم تجعلني أكاد أنفض يدي من هذا التفاؤل وأتصور أن المسلمين اليوم يعانون من آفات الصحوة أكثر مما يجنون من ثمراتها.

- أليست هناك نصائح يمكن تقديمها للدعاة وفق أسس إسلامية؟

* هنالك نصائح كثيرة. ولكني أتصور أن أهم نصيحة أتوجه بها إلى نفسي وإلى كل من نصب نفسه داعيًا إلى الله عز وجل هي:

أن الإسلام جاء سبيلاً لجمع الكلمة ووحدة الصف وسد الثغرات، ولم يأتِ لتحويل الأمة إلى فئات متنافرة، ومن ثم فإني أهيب بالدعاة أن يتمسكوا بالجذع الواحد الموحد للإسلام وأن لا يتيهوا بين الأغصان والفروع التي يتصارعون في سبيلها. مشكلة الدعاة اليوم أنهم نسوا الأمر الذي جمع نثار هذه الأمة ولم يعودوا يتذكرون إلا الفروع الخلافية والاجتهادية يتنافسون فيها، ويسفّه بعضهم بعضًا من أجلها، علمًا بأن الإسلام قد احتضن هذه الأمور خلال قرونه المديدة.

- ماذا عن سبل تحقيق الوحدة الإسلامية، وما شروط تحويل حلم (الأمة) إلى واقع حياتي؟

* الوحدة الإسلامية تُصنع بيد الشعوب والحكّام، أما دور الشعوب فيتمثل في التمسك بالجذع الواحد كما ذكرت، فإن فعلوا ذلك، فإنهم يصنعون بهذا الشطر الأول من الوحدة الإسلامية. الشطر الثاني رهن بالسعي الذي ينبغي أن يبذله قادة المسلمين، وهذا السعي رهن برغبة الحكام في أن يُعرضوا عن مصالحهم الجزئية وأن ينظروا إلى الأهداف البعيدة التي تضمن المصالح الراسخة، فإن فعلوا ذلك بعد العمل الذي ينبغي أن تسعى لتحقيقه الشعوب الإسلامية أعتقد أن الوحدة الإسلامية تتحقق.

- أيهما أكثر نفعًا: أن يتفرغ العالِم لحركة التأليف أم لجانب التوجيه؟ وما القضايا التي تشغلكم الآن؟

* أعتقد أنه لا يوجد تعارض بين هذين الجانبين، فتأليف الكتب الإسلامية جزء من سبل الدعوة إلى الله تعالى التي تكون بطرق شتى. الداعي إلى الله - عز وجل - إما أن يدعو بلسان ناطق أو بقلمٍ كاتب.

أما الذي يشغلني الآن فالواقع - فيما أتصور - هو الأمر ذاته الذي يشغل كل مسلم غيور على أمته وهو بلاء هذا التشرذم الذي أصيب به المسلمون اليوم، ومن ثم استطاع العدو المشترك أن ينال بواسطة هذا المرض من ديارهم وعقولهم وأفكارهم.

الذي يشغل بالي اليوم هو التساؤل عن السبيل العملي الأمثل للقضاء على التشرذم وإعادة العالم الإسلامي إلى مستوى التضامن والتعاون من خلال الوحدة التي تحقق القوة والعزة، والتي هي رهن بالاعتزاز بقيم الإسلام ومبادئه وبحقيقة الشعور بالعبودية لله وحده.

اللغة عند الطفل تطورها ومشكلاتها



قليلة هي الكتب التي تعرض لتطور اللغة عند الطفل في سن ما قبل المدرسة، على أهمية هذه القضية وضرورة بحثها؛ لما تشكله الدراسة الواعية للغة الطفل من أهمية في تَعَرُّف الخصائص الأساسية لها، والمعايير الخاصة بتطورها، وأهم المشكلات التي يتعرض لها هذا التطور اللغوي السوي للطفل، وكيفية تجنبها أو التصدي لها.

تأليف: د. ليلى أحمد كرم الدين

عرض: سعاد عامر

وتتزايد الحاجة إلى مثل هذه الدراسة عند من يهتمون بالاتصال بالطفل الصغير من مربين، وآباء، ومعلمين، ومؤلفي كتب الأطفال أو الذين يقدمون مواد ثقافية وترفيهية للأطفال في أجهزة العلوم المختلفة.

وكتاب «اللغة عند الطفل: تطورها ومشكلاتها» للدكتورة ليلى أحمد كرم الدين، ناقش جانبًا كبيرًا من هذه المشكلات اللغوية التي تمر بالطفل قبل سن الدراسة في عدة محاور:

أولاً: أهمية دراسة مجال اللغة

من البديهي أن اللغة من أهم الخصائص التي تميز الإنسان من سائر الحيوانات والكائنات الحية الأخرى، وقد أولى علماء النفس دراسة اللغة، وبصفة خاصة الكيفية التي تُكتسب بها عند الطفل، اهتمامًا كبيرًا، ومرد ذلك إلى قيمة الدور الذي تؤديه اللغة في حياة المجتمعات، فهي أداة اتصال مهمة لإشباع الحاجات النفسية وغيرها من الوظائف.

ويرجع اهتمام علماء النفس بدراسة اللغة إلى الأمور التالية:

١- اللغة هي أهم ما يميز الإنسان من غيره من المخلوقات.

٢- تقدير أهمية اللغة واكتسابها في التطور النفسي (السيكولوجي) للفرد.

٣- علاقة اللغة الوثيقة بالفكر والتفكير.

٤- جميع الاختبارات النفسية وجميع طرق القياس النفسي تعتمد - إلى حد كبير - على الاستجابات اللفظية للفرد.

٥- دراسة التطور اللغوي للطفل والكيفية التي يتم بها اكتساب اللغة.

ثانيا: الوظائف المختلفة للغة

تحقق اللغة عددًا من الوظائف والأغراض مثل: الاتصال، والحصول على المعلومات، والتعبير عن عمليات التفكير، والاستدلال عند الفرد، وإصدار الأوامر والتوجيهات، وتحقيق الحاجات الإنسانية، وبخاصة حاجة الفرد للوجود في جماعة. كما أن اللغة تساعد في إعطاء المعنى وتصوير المشاعر والانفعالات. كما تسهم أيضًا في إيجاد بنية اجتماعية متجانسة تجمع بينها اللغة، وتحافظ على تراث الجماعة. وهذه الوظائف بالنسبة إلى الفرد البالغ.

أما بالنسبة إلى الأطفال فتحقق اللغة وظيفة إضافية، إذ يرى علماء النمو، وبصفة خاصة عالم النفس السويسري «جان بياجيه» من خلال تجاربه، أن الطفل يحقق رغبته في التحدث، أولاً وقبل كل شيء، لنفسه وعن نفسه للآخرين، ويطلق بياجيه على حديث الطفل لنفسه اسم: اللغة المركزية الذات EGO CENTRIC SPEECH، بينما يطلق على اللغة الموجهة للمجتمع اسم: اللغة الاجتماعية SOCIALIZED SPEECH.

ويرى أن الطفل لا يهتم في حديثه بأن يسمعه الآخر أو يفهم ما يقوله، ويكون هذا الحديث مصاحبًا لنشاطه الحركي.

كما أن اللغة تساعد في تكوين عالم الطفل بأبعاده وجوانبه كافةً، وتساعده في وضع الافتراضات للأشياء الممكنة الوقوع في العالم من حوله، وتَعَرُّف العادات والقيم السائدة في مجتمعه؛ بالإضافة إلى تحقيق شعوره بالأمان، وهو شعور ضروري لصحة الطفل النفسية وسلامتها.

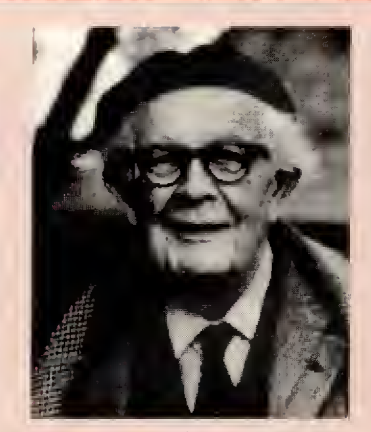
ثالثًا: تعريف اللغة

يُعَرِّفها بعض علماء اللغة بأنها: تلك الرموز المنطوقة التي تدل على حاجة الإنسان. وهم بذلك يُخرجون منها جميع وسائل التعبير والاتصالات الأخرى؛ من حركات، وإشارات، وكتابة وغيرها. إلا أن بعضهم يميل إلى توسيع مفهوم اللغة توسيعًا كبيرًا ليشمل جميع أنواع التعبير ووسائل الاتصال المعروفة، الصوتية، وغير الصوتية.

ويرى العالم «ليوبولد»LEOPOLD أن اللغة هي القدرة على الاتصال بالآخرين بما في ذلك جميع أشكال الاتصال وأنواعه. وتشمل اللغة طبقًا لذلك أشكالاً مختلفة ومتنوعة للاتصال مثل: الكلام والعلاقات والإشارات وتعبيرات الوجه وحتى البانتوميم (التعبير الصامت بالحركات) والفن.

رابعًا: مراحل التطور اللغوي

تختلف نتائج الدراسات العديدة التي أجريت حول اكتساب اللغة ونموّها عند الطفل خلال سنوات عمره الأولى، وهي اختلافات حول بعض المهارات اللغوية، وتوقيت ظهورها، إلا أنها ـ في معظمها ـ تتفق على نظام تتابع المراحل التي تتطور فيها لغة الطفل. بمعنى أنه خلال التطور اللغوي للطفل تظهر



جان بياجيه

مهارات معينة بالضرورة قبل مهارات أخرى، وهذه بدورها تظهر قبل المهارات التي تليها. وقد قسم العلماء مراحل نمو اللغة عند الطفل إلى مرحلتين أساسيتين تنقسم كل منهما إلى عدد من المراحل النوعية على النحو التالي:

١ـ مرحلة ما قبل اللغة، أو مرحلة الأصوات غير اللغوية ومراحلها الفرعية، وتنقسم إلى:

أـ مرحلة الصراخ.

ب ـ مرحلة المناغاة.

ج ـ مرحلة التقليد.

د ـ مرحلة الإيماءات.

٢ـ مرحلة الكلام الحقيقي وفهم اللغة، وتنقسم إلى:

أـ فهم حديث الآخرين دون القدرة على استخدام لغة الحديث.

ب ـ نطق الكلمة الأولى.

ج ـ تطور المهارات والاكتسابات اللغوية.

خامسًا: العلاقة بين التطور اللغوي والعوامل الفردية والبيئية

يلاحظ العلماء أن عوامل كثيرة تؤثر في تطور اللغة لدى الطفل مثل:

١ـ العوامل الفردية، وهي:

أـ عامل الجنس.

ب ـ عامل الذكاء.

ج ـ عامل العنصر.

٢ـ العوامل البيئية، وهي:

أـ المستوى الاقتصادي والاجتماعي لأسرة الطفل.

ب ـ نوع الخبرات التي يتعرض لها الطفل مثل: السفر والأحداث التي يتعرض لها الطفل فتوسع مداركه؛ مما يصاحبه زيادة كبيرة في تطوره اللغوي وبصفة خاصة حصيلته اللغوية.

٣ـ تعدد اللغات التي يتعلمها الطفل:

كشفت الدراسات التي تناولت أثر تعلم لغتين في الوقت نفسه في التطور اللغوي للطفل عن النتائج التالية:

أـ يكون التطور اللغوي للأطفال الذين يتعلمون لغتين في الوقت نفسه متأخرًا عنه لدى الأطفال الذين يتعلمون لغة واحدة.

ب ـ تزداد نسبة من يعانون من مشكلات لغوية ـ كالتأتأة وغيرها ـ بين الأطفال الذين يتعلمون أكثر من لغة عنها بين الأطفال العاديين.

ج ـ يُفضل إدخال اللغة الثانية بعد تخطي المرحلة الحرجة في التطور اللغوي للطفل.

د ـ في حالة تعلم الطفل للغتين في الوقت نفسه يُفضل أن يسمع الطفل كل لغة باستمرار من مصدر واحد.

سادسًا: المشكلات اللغوية

يطلق علماء نفس الطفل اللغويون أسماء مختلفة على المشكلات التي تواجه التطور اللغوي للطفل، وتنحرف به عن مساره السوي؛ فبعضهم يسميها: المشكلات اللغوية أو اللغة غير الطبيعية، وبعضهم يطلق عليها: مشكلات الكلام.

ويترتب على مشكلات الكلام، إذا ما تُركت دون معالجة وتصحيح، مضاعفاتٌ تُعَوِّق بدرجة كبيرة قدرة الطفل على تحقيق التوافق الاجتماعي، وينعكس أثرها في نمو شخصية الطفل وتطورها. وقد كشفت الدراسات والأبحاث التي أجريت على مشكلات الكلام عند الأطفال أن الأطفال الذين يعانون من هذه المشكلة نادرًا ما يصبحون من الشخصيات القيادية في مدارسهم أو جامعاتهم، ولا يشاركون في نشاطات تلك المؤسسات، إضافة إلى انعكاس ذلك كله على قدرتهم على التحصيل الدراسي.

سابعًا: أسباب مشكلات الكلام

يُرجع علماء النفس الغالبية العظمى من المشكلات اللغوية إلى اضطرابات الفعالية والضغوط البيئية، ومن هنا كان لزامًا على الوالدين مراعاة صحة الطفل النفسية والاهتمام بها عند التعامل معه.

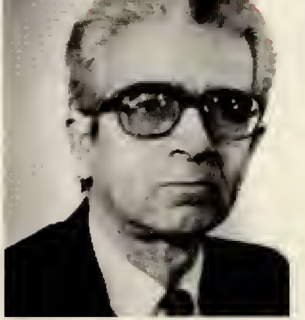
ثامنًا: مما يجب مراعاته لتحقيق التطور اللغوي السوي للطفل

ـ على الوالدين أن يدركا أن إقامة علاقة حميمة بينهما وبين الطفل، وإعطاء الطفل الصغير أكبر قدر ممكن من الحب والحنان خلال سنوات عمره الأولى أمر ضروري لصحته النفسية وتطوره الطبيعي بجميع جوانبه لنمو ذلك التطور اللغوي.

ـ ضرورة مشاركة الطفل في نشاطه اللغوي بتكرار المقاطع نفسها التي يرددها الطفل مرارًا، وأن تدخل الأم في حوار مشترك معه بتكرار هذه المقاطع. فمن شأن هذا العمل حث الطفل وجعله يكرر هذا العمل المعرفي، وتطوير مرحلة المناغاة لدى الطفل، وتحويلها إلى سلوك تقليدي مقصود لما تنطقه أمه أمامه.

إن كتاب «اللغة عند الطفل: تطورها ومشكلاتها» هو من الدراسات الجيدة في مجال لغة الطفل، هذا المجال الذي يشعر بالحاجة إليه كل متصل بالطفل؛ سواء أكان مربيًا؛ أم أبًا أو أمًا، أم كاتبًا للطفل، أو معدًا لمادة ثقافية وترفيهية يتلقاها الطفل.

مقاربة من إشكالية الحداثة والتراث في الإبداع الشعري



د. حسن فتح الباب

من المسلمات المفروضة علينا أننا نمر بظروف تاريخية شديدة الصعوبة والتعقيد تواجه النظام العربيّ والخطاب العربيّ والوعي العربيّ، مما سوف ينعكس على مصير الجيل المعاصر والأجيال التالية إلى مدى لا يعلمه أحد من البشر، وإن كنا لا نفقد الأمل ثقة منا بقدرة حضارتنا العربية الإسلامية على تجاوز العثرات.

وهذه المرحلة الحرجة نتاج لظروف ذاتية لاخفاءَ فيها، وظروف خارجية دولية تتعدد وتتصارع فيها المذاهب وتتشعب الرؤى والاجتهادات.. ذلك لأن العالم حولنا ـ ولا أقول عالمنا فنحن ما زلنا متأثرين أكثر من كوننا مؤثرين فاعلين ـ هذا العالم المحيط بنا من الاتجاهات كافة ـ حتى كأنه سور حديدي محاصر ـ يتشكل من نسيج هلامي غير محدد المعالم بحيث يصبح ضرباً من المحال تفسير الواقع والتنبؤ بالمآل.

ويقترب من هذا التصور: الوضع الراهن لشعرنا المعاصر بصفة خاصة، ذلك أنه يبدو لدى النظر العابر أن حركة الرواية والقصة في تقدم على عكس الحال في حركة الشعر، على الرغم من أن الشعر هو خلاصة الفنون، وأنه فن العربية الأول، حتى قالت مستشرقة ألمانية: «ولد العرب جميعًا شعراء». وإذا صحَّ ـ على سبيل الافتراض أو الجدل ـ أن الشعر في انحدار في رأي أديب كبير مثل جبرا إبراهيم جبرا رحمه الله، فإن ذلك مرجعه إلى عدم وجود تذبذب في مسيرة الرواية العربية، فخط التطور في صعود دون أية تراجعات، على حين نجد العكس في الشعر، فثمة منعرجات في خطه البياني.

إن الخريطة الشعرية على الساحة الأدبية للوطن العربي الآن أشبه بالفسيفساء المزركشة المتداخلة. فهنالك عودة ملحوظة للشعر العمودي الذي بدأ يشرئب برأسه بعد انحساره خلال مرحلة انبثاق حركة الشعر الحر منذ أواخر الأربعينيات. وهذا النمط الخليلي الفراهيدي ينقسم إلى تقليدي هو أقرب إلى النظم، وعمودي متطور يندرج بعضه في دائرة الإبداع.

كما أن ما يُعرف بشعر الحداثة أكثرُهُ قفزٌ في فراغ المجهول، ولعب لغوي دون آفاق ولا أعماق بسبب غلبة الدخلاء الأدعياء على المبدعين الأصلاء. هذا إلى جانب قصيدة النثر وإدراجها في باب الشعر، مع أنها جنس أدبي قائم بذاته، وتطوير لما كان يُعرف في تاريخ الإبداع العربي بالنثر الفني. ولا خلاف في أن فيصل التفرقة بين القصيد الشعري والقصيد النثري هو الإطار العروضي؛ ذلك الإطار الذي يجمع بين القديم والجديد في الشعر مع تطوير الأخير للشكل وللبنية، ويفرق بينهما وبين القصيدة النثرية التي تحاول أن تستعيض عن البنية الموسيقية التراثية بالإيقاع الداخلي، فتصيب أحيانًا ولا تُوَفَّق أحيانًا أخرى حسب موهبة كاتبها وقدراته.

لا معارضة إذن لقصيدة النثر فهي إبداع فني، ولا بد من إتاحة الحرية الفنية كاملة أمام الفنان لكي يختار ما يشاء من الأُطر والأدوات والأساليب، ويجرب من الأشكال والبِنَى ما يراه معبراً عن رؤيته. ولكن هذه الحرية ـ مثلما هي في سائر الميادين من سياسية واجتماعية واقتصادية ـ مشروطة. فإذا كانت الحرية الفردية تقف عند حد التَّماسّ مع حريات الآخرين وحقوقهم، فإن الحرية الفنية كذلك، والشرط الوحيد أن تكون نابعة من استعداد وموهبة حقيقية واستيعاب للقواعد اللغوية، ولا تكون هروبًا إلى الأمام وتنصُّلاً مما يفرضه الإبداع من شروط والتزامات.

ولا أظن أحدًا يجادل في أن المسؤولية الأولى في هذا الخلط القائم في ساحة شعرنا المعاصر تقع على عاتق النقاد، فهم المسؤولون عن توجيه الشباب أصحاب الموهبة الجنينية إلى أمثل الطرق لامتشاق حسام الإبداع، وتصحيح المسيرة كلما انحرفت عن جوهر الفن الأصيل وسائلَ وغايات. ففي غيبة النقاد ـ لا نستثني إلا

قلة نادرة ـ يظل السؤال مطروحًا: إلى أين يسير شعرنا الحديث؟ ومن الذي يملك الحكم فيما يشتجر من صراعات حول ماهية الشعر وشرائطه؟ وأي الطرق ننهج: الشعر العمودي أم الشعر الحر أم الشعر الذي يُطلق عليه نعت الحداثيّ؟ ويضيف عشاق التجاوز الشعر النثري إلى هذه الأنماط الثلاثة، ويغرقون في المبالغة أحيانًا حتى يروا فيه البديل لهذه الأنماط، صدورًا منهم عن نظرة قاصرة تلغي بديهيةً لا يجرؤ أحد على إنكارها، وهي أن الثراء إنما يكون من طريق التنوع لا الاستبدال والحلول.

التراث والخبرة

إن أهم شروط الإبداع المفتقدة فيما نطالعه صباح مساء من نماذج قد تنتمي شكلاً إلى الشعر، ولكنها تفترق عنه جوهرًا لافتقاد عنصر الثقافة الشعرية التراثية التي لا سبيل دونها إلى اكتساب الخبرة التي تعد الجناح الثاني لطائر الإبداع، وبغيره هو وبغير الجناح الأول وهو الموهبة لا يكون هناك شعر ولا شاعر. وتلك إحدى المسلمات المتجاهَلة من فريق من المولعين بكتابة الشعر ومن بعض النقاد. ولعل هذا التجاهل من أسباب استقامة المسيرة الروائية واعوجاج المسيرة الشعرية، فالمسيرة الأولى ـ في الأغلب الأعم ـ قائمة على قراءة التراث الروائي؛ لا العربي وحده بل العالمي أيضًا، قراءة استيعاب وتأمل وانتقاء للعناصر المضيئة واستيحائها. وأذكّر في هذا الصدد بمقولة الروائي الكولومبي العالمي ماركيز: «قبل أن أخط أول حرف في أعمالي الروائية اطلعت على كل التراث العالمي في هذا الفن بدءًا من الميثولوجيا الإغريقية».

ولعل هذا أيضًا من عوامل تفوق القصيدة الحرة التي ترجع إلى نصف قرن مضى على القصيدة الحداثية وفقًا للمصطلح الجاري الآن، لقدرة الأولى على التطور الذاتي الموضوعي المواكب لنبض العصر وإيقاعه، على حين تبدو الثانية لدى بعض أصحابها كما لو كانت نبتًا غريبًا في الأرض العربية مُنْبَتًّا عن جذوره. والمُنْبتّ كما في المقولة المعروفة: لا أرضًا قطع ولا ظهرًا أبقى.

فلو تساءلنا لدى إقبالنا بود حميم على إنتاج شاعر من الشباب لا شك في أنه يمتلك بذرة الموهبة، ولكننا نرى هذا الإنتاج جَمْجَمة أو ترجمة لشعر أجنبي، لكانت الإجابة دون أدنى شك هي فجاجة التجربة أو ضعف الأدوات، وهذا الضّعف من أهم أسبابه عدم تَمثُّل تراثنا اللغوي والتعبيري منذ امرئ القيس حتى عصر الإحياء ثم مرحلة الرواد، مرورًا بعصر الازدهار في الحقبتين الأموية والعباسية. وليس أدل على تهافت قصائد مما يدور في فلك الحداثة أو الحساسية الجديدة، شكلاً وزخرفًا لا روحًا وجوهرًا، من تعقيده وإبهامه المُخلَّين بشرط الإفصاح، واللذين يختلفان عن الغموض وهو السحر الفني. فالتعقيد يُفقد المبدع قارئه، على حين أن الدائرة الإبداعية لا تكتمل إلا بتوافر هذا القارئ، أو بعبارة أخرى فإن الإبداع يشبه مُثلَّثًا يتكون من المبدع والنص والمتلقي. ولا إبداع بداهة إذا افتقدنا العنصر الثالث، إذ إننا نتساءل في هذه الحالة: لمن يكتب المبدع؟ وما غاية الكتابة؟ وهنالك الآن مع تطور اللسانيات والنظريات البنوية عديد من المؤلفات التي تتناول عملية التلقي بوصف الفن عملية إرسال واستقبال.

معيار الترجمة لنقد الشعر

ثمة معيار آخر يمكن أن نُقَوِّم به الغَثّ من السمين والأصيل من الزائف في الشعر، وهو معيار جاء به الناقد الآمدي صاحب كتاب «الموازنة» المشهور منذ أكثر من ألف عام ومازال صالحًا للأخذ به حتى اليوم، وهو ترجمة القصيدة إلى لغة أخرى؛ فإذا كان للقصيدة صدى لدى المتلقي الأجنبي وحركت مشاعره، فمعنى ذلك أنها شعر بمعنى الكلمة، أما إذا لم تُحدث هذا الأثر فهي خارجة عن نطاق الإبداع الشعري، وذلك لأن ترجمة الشعر إلى غير لغته تُفقده عنصرين أساسيين هما البنية اللغوية والإيقاع العروضي، ومعنى خلوّ النص المترجم منهما وتأثيره، على الرغم من ذلك، أن النص الأصلي غني بالإحساس الذي تفجره الصور التي تبقى بعد الترجمة وتنْضح بما خلفها من دلالات ورؤى.

وعلى هذا الأساس، وهو الترجمة، يمكن الحكم على النص من حيث قيمته التعبيرية. ولو أخذ بهذا المعيار نقادُنا الحداثيون لسقط كثير من الشعر الذي يقدمونه للقراء على أساس أنه النموذج الأوفى والمثل الأعلى الذي ينبغي احتذاؤه والإشادة به، ونبذ ما هو مغاير له من أنماط الشعر. إن بعض الشعر المنسوب إلى الحداثة ـ أو الحساسية الجديدة كما أسلفنا القول ـ لا يبلغ نفس القارئ ولو كان مبدعًا أو شاعرًا، فكيف إذا تُرجم لمتلقٍّ أجنبي؟ ما الذي يبقى منه؟ تساؤلات تحتاج إلى إعادة النظر إذا كنا شهودًا عُدُولاً نتحرى الموضوعية دون اللهاث خلف الصَّرعات الجديدة.

إن الموهبة وحدها لا تكفي لتكوين مبدع، ولكن الخبرة ضرورة لا غنى عنها كما نوّهنا آنفًا. ولا تتأتى الخبرة واكتساب التجربة إلا بالمطالعة والمزيد من المطالعة لتراثنا الشعري أولاً، ثم للتراث العالمي ثانيًا، ثم لمجالات الإبداع الأخرى من قصة ورواية ومسرحية وفنون شعبية، وأخيرًا الأخذ من كل علم بطرف على حد تعبير أسلافنا. فالمعرفة أساس في الإبداع الشعري وغيره لأنها تُوسِّع الأفق، فعمر الإنسان قصير وهو يجعله عريضًا وغنيًا باستيعاب تجارب الآخرين والاطلاع على آثار الحضارة الإنسانية المنتَجة في الفنون وسائر الميادين ولاسيما العلوم الإنسانية. وهذا هو ما فعله كبار المبدعين في العالم. وأعظم شعراء العربية مثل المتنبي وابن الرومي وأبي تمام والمعري كانوا في صدارة المثقفين وروّاد التنوير في عصرهم. ولذلك كان عصر العباسيين عصر ازدهار الشعر ومَدِّه الأعظم، لأنه عصر التفتح على الثقافات والحضارات الأخرى، وانعكست هذه الثقافات على رؤاهم فزادتها غنًى وعمقًا، ومازالت أشعارهم خالدة حتى اليوم.

الشعر والصدق لا يموتان

وينطبق هذا النظر على الشعراء خاصة والفنانين عامة في كل زمان ومكان، إذ كانوا هم حملة مشاعل الفكر الإنساني جنبًا إلى جنب مع الأدباء والفلاسفة، وأنتجوا شعرًا حقيقيًا.. شعرًا يزيد الإنسان عراقة في إنسانيته كما يقول الشاعر الناقد الرائد إبراهيم عبدالقادر المازني. ونتذكر هنا قول شاعر حديث:

وُلد الشاعر العظيم ملاكًا

طبع الوحيُ قُبلةً فوق ثغرهْ

فتغنّى ما شاء أن يتغنّى

بخلودٍ قد ضلَّ عن مستقرِّهْ

فإذا شَدْوُهُ وليدُ أساه

وإذا حُلوه عُصَارةُ مرِّهْ

كما نتذكر قول لوركا: «إن الشعر والصدق لا يموتان مع الزمن». فإذا دعونا إلى أولوية التزود بالثقافة الشعرية من خلال العودة إلى التراث، فإنما هي دعوة إلى عودة محمودة؛ بل عودة ضرورة حتمية. فالدفاع عن التراث، كقيمة لا تنفصل عن جوهر الإبداع، هو دفاع عن الأصالة وعن الحداثة من ثم، لأنه لا بقاء لإنتاج غير أصيل. وقد بقيت أشعار رواد القصيدة العربية الأولى قبل أن يطرأ عليها ما طرأ من





ت. س. اليوت

جارسيا ماركيز

تطور لأصالتها، على البون الشاسع الذي يفصل بيننا وبينها والذي يعد بمئات السنين. إننا نجد فيها أنفسنا على حين لا نجدنا في كثير مما ينتمي زورًا إلى الشعر مما يكتبه أدعياء الحداثة ولا أقول الحداثيون جميعًا. إن ثمة قدرًا مشتركًا من الأحاسيس والقيم الإنسانية؛ بل الجمالية أيضًا؛ يربط بيننا وبين الشعر التراثي على اختلاف المكان والزمان وتبدل الحياة وأساليبها وتغير ذائقتنا الشعرية. إننا مازلنا مبهورين بشعر هوميروس وبنتاؤور الفرعوني أقدم شاعر في التاريخ وإخناتون الملك الحائر والشاعر الثائر والحكيم الموحد، ومتأثرين بأشعار شكسبير ودانتي وهوجو ولامارتين. فكيف لا نتأثر بشعر امرئ القيس ومتمم بن نويرة والشريف الرضي والعباس بن الأحنف ونحن من أصلابهم؟ كيف نعرض عن إنتاجهم الذي سلب ألباب بعض المستشرقين المنصفين ذوي النزعة الإنسانية المضادة للتعصب والعنصرية؟

إنه لا سبيل إلى صقل الأساليب الشعرية وتجديد الأدوات الفنية ما لم نهضم من هذا التراث الحيِّ عناصره المضيئة. وكم هي باذخة وشامخة تلك العناصر التي تطاول قاماتُ أصحابها قامات الكبار الخالدين في الآداب الأجنبية. إن عقدة الاستلاب هي التي تدفع بعض الشعراء الشباب إلى تولية ظهورهم لروائع أدبنا العربي، وهي عقدة نقص عَبَّر عنها ابن خلدون بقوله: «المغلوب مولع بتقليد الغالب». إن النهل من ينابيع الثقافة الشعرية الأجنبية والثقافة الأدبية والفنية عامة تشغل المحل الثاني بعد تَمَثُّل زادنا القومي، لأننا نكتب إبداعنا بالعربية. ويكفي في هذا المقام أن نسترجع مقولة الشاعر الجزائري الفرنسي اللسان مالك حداد: «الفرنسية هي منفاي.. ولو كنت أعرف العربية لاستطعت أن أغنّي»، وأن نذكر أن الكاتب الروائي الجزائري رشيد بوجدره الذي يعده الفرنسيون من أعلام الأدب الفرنسي الحديث ويدرجونه بين كتابهم - وهو الجزائري المنبت والمنشأ - لإتقانه للغتهم وكتابته إبداعه بها، قد تحول إلى الكتابة بالعربية، على ما كلفه ذلك من مشقة، فأنتج عددًا من الروايات التي لا تقل قيمة إن لم تكن أفضل من تلك التي صاغها بالفرنسية، مما يعني غنَى التراث العربي الإبداعي الكامنة ظلاله خلف المفردات والتراكيب والصور التي يستعملها هذا الكاتب.

القيم التعبيرية الجمالية

لا تقتصر قيمة هذا التراث على ما سبق أن أشرنا إليه من اشتراكنا مع أصحابه في المُثُل والرُّقِي الحضاري القومي والإنساني، ولكن هذه القيمة تمتد فتشمل في رأيي بعض القيم التعبيرية الجمالية. فما زال يهز القلب حتى الآن قول الشاعرة ليلى (أو الفارعة) بنت طريف التي قُتل أخوها الوليد وكان من الخوارج:

أيا شجرَ الخابور ما لَكَ مُورقًا

كأنك لم تجزع على ابن طريفِ

بيت واحد من كلمات معدودة يمثل قصيدة كاملة بل عالمًا نفسيًا بأسره. فلا يمكن التعبير عن وحدة المشاعر وإحياء الجماد إلى حد مخاطبته ومعاتبته بأبلغ من هذا القول. فالقيمة هنا ليست الصدق وحده المعبر عن مشاعر إنسانية مشتركة، ولكنها في التعبير الجمالي أيضًا، فهو تعبير لا يقل حداثة عما يقوله أشعر الشعراء بأية لغة في الوقت الحاضر.

ولنتمثَّل ببيت آخر لأبي تمام وهو قوله في تصوير بعير ضامر:

رَعَتْه الفيافي بعد ما كان حقبةً

رعاها وماءُ الطَّلِّ ينهلُّ ساكبُهْ

ومن الأبيات الأثيرة التي ترد على الخاطر عند رحيل الأحباب قول جارية في ساعة توديع محبوبها كما جاء في كتاب الأغاني:

خُذا الزاد يا عينيَّ من نور وجهه

فما لكما فيه سوى اليوم منظرُ

ومنها أيضًا هذان البيتان المشهوران لشاعر موغل في القدم:

ولَمَّا نزلنا منزلاً طلَّه النَّدَى

أنيقًا وبستانًا من النَّوْر حاليا

أجدَّ لنا طِيبُ المكان وحسنُهُ

مُنًى فتمنينا فكنتَ الأمانيا

تقنيات حديثة في أشعار قديمة

بل إني أذهب إلى القول - ولعلي لا أبالغ - بأننا نجد تقنيات حديثة جدًا عند شعراء من الأقدمين في صورة جنينية ولكنها قوية تُحَوِّل الكلمة إلى فعل. ومن هذه التقنيات: استخدام أسلوب تيار الوعي، المونولوج أو مناجاة الذات، الترديد أو التكرار، واستخدام أساليب السينما مثل المزج والقطع، وتداخل الأزمنة والأمكنة، والأساليب المسرحية، وتوظيف الأساطير الدينية (الميثولوجية) والشعبية.

ومن أقدم النصوص التي وُظِّف فيها الترديد؛ بمعنى تكرار اسم بذاته؛ في شعرنا التراثي: قصيدة الشاعر مالك بن الرَّيْب التميمي (ت: نحو ٦٠هـ) في رثاء نفسه، وهي تجربة غير مسبوقة في شعرنا ولا في أيِّ شعر أجنبي اطلعنا عليه من حيث اتخاذ هذا الرثاء محورًا للقصيدة كلها، وليس معنى يقتصر على بضعة أبيات. كما ينبثق السِّحر الكامن في هذه القصيدة من صدقها الواقعي والفني، وغَوْصها في أعماق الذات وذكرياتها، والحرارة التي تشع من أبياتها الشديدة الوقع في المتلقي.

في الإبداع الشعري

لقد انبهرنا حينًا بأسلوب ت. س. إليوت القائم على تكرار مفردات أو جمل بعينها لإضاءة المحتوى وتعميقه، مثل قوله في قصيدة: «اليست كوكر» مكررًا لفظة «الظلام» بصيغة المنادى حينًا والاسم حينًا آخر، ومرددًا فعل «أحترق» في قصيدته المشهورة: «الأرض اليباب»:

أوّاه أيها الظلام

الظلام.. الظلام.. إنهم جميعًا يختفون

جميعًا في الظلام.. في الفجوات الخاوية بين الكواكب

....

ثم مضت إلى قرطاجة

وأنا أحترق.. أحترق.. أحترق

إيه يا إلهي إنك تنتشلني.. أحترق

فلنلق نظرة موازنة عجلى بين هذين المقطعين وافتتاحية مالك لنرى كيف وَظَّفَ فيها الترديد ذاكرًا وطنه «الغَضَى»، وهو يجود بأنفاسه الأخيرة بعد أن مرض وأحسَّ بالموت:

ألا ليتَ شعري هل أبيتنَّ ليلةً

بوادي «الغَضَى» أُزجي القِلاصَ النواجيا

فليتَ «الغضى» لم يقطعِ الركبُ عرضه

وليت «الغَضَى» ماشى الرُكاب لياليا

لقد كان في أهل «الغضى» لو دنا «الغضى»

مزار ولكن «الغَضَى» ليس دانيا

فهنا تمتزج الذات بالوطن بحيث يصعب التمييز بينهما. فقد حل هو في موطنه الحبيب كما حل موطنه الحبيب فيه فهما اثنان في واحد. والترديد دالَّة كاشفة عن عمق إنسانية الشاعر وشفافية روحه وأصالة انتمائه، إذ يذكر اسم البلد البعيد المحبوب مرة في البيت الأول، ثم مرتين في البيت الثاني، ثم ثلاث مرات في البيت الثالث على نسق المنظومة السمفونية التي يتصاعد فيها النغم موجة بعد أخرى حتى تأتي النهاية المشرقة العاصفة التي تسمى «الكريشندو» لنقل الطاقة التفجيرية العالية إلى نفس المتلقي.

ولنتأمل نموذجًا آخر في سياق مختلف وهو من قصيدة للشاعر الجاهلي طرفة ابن العبد (ت: ٦٠ ق.هـ)، إذ يكرر اسم أمه «وردة» التي اغتصب أخواله وأعمامه أموالها، قاصدًا من هذا التكرار تعاطف المتلقي معها في محنتها وإدانة الظالمين، والإنذار بالمرتع الوخيم لهم جزاءً لهم على جَوْرهم وعسفهم في حق الأرملة والأيتام، والبيت في صيغة خطاب لهؤلاء الغاصبين:

ما تنظرونَ بحق «وردة» فيكُمُ

صَغُر البنونَ ورهط «وردة» غُيَّبُ

الترديد عند متمم بن نويرة

ومن القصائد النادرة التي تصدر عن نفس شاعرة شجية تحتوي آلام الناس جميعًا بحيث لا يزول وقْعها بزوال عهدها، وهي تنطوي بذلك على بذرة الخلود لأنها تنبجس من أعماق الشاعر، وهذه الأعماق هي التي تلون مظاهر الكون الخارجية - على خلاف في ذلك مع القصائد التي يمليها على الوجدان الواقع المحلي الضيق والمؤقت بطبيعته - فهي مزيج بالضرورة بين الصبغة الشمولية والصبغة المحلية، ولكن الصبغة الأولى هي الغالبة بحكم تحرر الشاعر من القيود التي تفرضها الضغوط الخارجية أو المصالح والمنافع التي تلزم الجماعة شعراءها باستيحائها في شعرهم.

من هذه القصائد النادرة التي نبعت من صحراء قاحلة فأهدتنا وردة لا تذبل مدى الدهر نضرتها: كافيَّة الشاعر مُتَمِّم بن نُوَيْرة (ت:نحو ٣٠هـ) في رثاء أخيه مالك (ت:١٢هـ). والشاهد هنا هو تكرار لفظة «الشَّجَى» في البيت الثالث تفجيرًا للطاقة الإبداعية المذخورة في هذه اللفظة، وخروجًا بها من معجم الألفاظ المتداولة إلى كلمة زاخرة بالدلالات العاطفية الإنسانية في موقف مأساوي:

لقد لامني عند القبور على البُكا

رفيقي لِتَذْرافِ الدموعِ السوافكِ

أمن أجل قبر بالعلا أنت نائحٌ

على كل قبر أو على كل هالكِ؟

فقلت له: إن «الشَّجَى» يبعث «الشَّجَى»

فدعني، فهذا كله قبر مالك

إن المرء لا يكاد يصدق إذ تَهُزُّه هذه الكلمات المُوَقَّعة أن ثَمة خمسة عشر قرنًا تفصل بيننا وبين قائلها. كيف استطاع هذا الشاعر البدوي أن ينفذ إلى عالمنا من عالمه البدائيّ الذي لم يبق شيء يربطنا به بعد أن قطع التاريخ كل هذه المسيرة الطويلة فتغير المكان والإنسان والزمان وتطور الخلق كله. وما زالت تقنيات القصيدة، ومنها التكرار، تشدنا إلى هذا العالم النفسي للشاعر. والحوار من هذه التقنيات أيضًا، وهو أسلوب قديم متجدد دائمًا استعان به ابن نويرة لتقديم المشهد الدرامي الحيّ؛ فلم تجئ الأبيات في شكل لوحة ثابتة مادتها الخطوط والألوان، وإنما هي حوار متبادل بين شخصين يتحركان وسط القبور، فتتحاور من خلالهما حقيقتان لا تَكُفَّان عن الصراع: حقيقة الحياة وحقيقة الموت. ولأن هذا الصراع أبديّ وغاية محتومة؛ فقد تردد صداه في نفس الشاعر الذي لا يهمس بألمه ولكنه لا يصرح أيضًا. والنبرة الحزينة المكلومة أشد وقعًا من الصوت النائح المدوِّي. إن حزنه قوي وعميق ولكنه يحمل سمات البطل النبيل الذي سقط بعد أن أدى واجبه وأوفى بالتزامه.

إن أبيات مُتَمِّم بن نُوَيْرة هذه واحدة من الأعمال الفنية الإنسانية التي تحرر النفس وتمنحها ترنيمة السلام. ولئن كانت أدغال الحزن تورق وتتشابك في القلب من جراء ما تزخر به الأبيات من شحنة عاطفية قوية، فإنها من خلال ما تسكبه من عَبرات تطهِّر قلوبنا وترتد بها إلى عالم الصفاء والبراءة والنقاء. ولعل مرجع ذلك إلى أن مبدعها تعامل - في رثائه - مع النفس في تعبيرها عن شجنه الخاص النابع من القلب، وفي تعبيرها عن أخيه كإنسان حُمَّ فيه القضاء والقدر، وفي تعبيرها عن الحزن الكلي الشامل للبشرية لعجزها عن درء كارثة الموت المحتم، ولم يتعامل مع الخارج المتمثل في ضغط البيئة بما تفرضه على الشاعر من توظيف موهبته في سبيل التمكين لتقاليدها الرَّعَوِيَّة العشائرية، كتمجيد نزعة الثأر الغريزية الوحشية والتحريض عليه إذا كان المَرْثي قد مات قتيلاً، أو خَلْع الصفات التي تعدها تلك التقاليد المثل الأعلى على المرثي إذا مات قضاءً، وهي صفات تتعلق بالبيئة؛ ومن ثم تختلف قيمتها من عصر إلى عصر.

لقد رثى متمم في أخيه الإنسانَ لا فارس القبيلة. فالعاطفة الخالصة وحدها هي التي فجرت القصيدة فكتبت نفسها، وهذه العاطفة ذاتية وجمعية معًا؛ ومن ثم

في الإبداع الشعري

جاءت إنسانيتها. فالحزن لفقد الأحباب بالموت شعور إنساني مشترك. ولما كان الشاعر الأصيل خلاصة الوجدان الإنساني، فإنه إذ يُعبِّر عن همومه الذاتية إنما يُعبِّر عن هموم البشر جميعًا، فنرى صورتنا في مرآته، ونحس بمأساتنا في مأساته. ولكن هذه الطاقة الإنسانية التي امتلكها متمم بن نويرة لم تكن لتستطيع وحدها أن تحقق لأبياته قمة التأثير لولا عبقريته في الأداء كما تتجلى في التكرار وفي الحوار.

السمة الدرامية في الشعر القديم

على نسبة وحدة القصيدة والسمة الدرامية المسرحية إلى الشعر الحديث المتحرر من رتابة النظم ومن القافية والمحتفظ بالتفعيلة، فإننا نجد هاتين التقنيتين في بعض الشعر القديم مثل قصيدة مالك بن الرَّيْب التي سبقت الإشارة إليها. ونستشهد لهذا بالأبيات الآتية من القصيدة:

تفقَّدتُ منْ يبكى عليَّ فلم أجد
سوى السَّيفِ والرُّمحِ الرُّدَيْنيِّ باكيا
وأشقرَ خِنذيذٍ يَجُرُّ عِنانَه
إلى الماء لم يترك له الموتُ ساقيا
وبالرَّمل مِنِّي نسوةٌ لو شهدنني
بكَيْن وفدَّيْن الطَّبيبَ المداويا
فمنهن أمي وابنتاها وخالتي
وباكيةٌ أخرى تهيجُ البواكيا

وتتجلى السمة المسرحية في تحريك الإنسان - جَمْعًا لا فردًا - والحيوان والأشياء، فكأنهم جوقة منشدة حول المغنِّي وهو الشاعر. وهذه الحركة تبدأ من الداخل، وهو مخزن الذاكرة، إلى الخارج وهو الأمكنة المتعددة لهذه الشخوص، ثم من هذا الخارج إلى الداخل وعَوْدًا على بدء. كما تتداخل الأزمنة، ما بين لحظة إسلام الشاعر أنفاسه الأخيرة وإملائه قصيدته وما تلاها من زمن البكاء عليه بعد العلم بما آل إليه.

أما الأشخاص فهم الشاعر والآخرون الذين ينتمي إليهم ويصور حركتهم، وهم صاحباه اللذان حضرا ساعة احتضاره وهيَّآ له جَدَثه، وأحباؤه البعيدون: أمه وأختاه وزوجته وخالته، وإلى جوار الشاعر جواده وحسامه ورمحه الأوفياء دون تفرقة بين الأحياء والأشياء التي ألفها الشاعر، مما يُعبِّر عن نظرة كلية للمشاعر، وإيمان تلقائي بوحدتها.

ومن ثم يمتلك النص شروط الإبداع إذ يصدر عن معاناة واقعية لا عن تهويمات غيبية (ميتافيزيقية)، وينتفي فيه اللعب المجرد بالألفاظ، وتتوالى الصور الفنية مُستلهَمة من صميم بيئة الشاعر ومن داخله، في انسياب موضوعيٍّ وتشكيلي يكوِّن وحدة لا انفصام لها بين القالب والشكل والمضمون من جهة، والإيقاع الموسيقي والرؤية من جهة أخرى. ويسري في القصيدة تيار نفسي من وعي يرفده مخزن اللا وعي الحافل بالرؤى والمشاعر المكبوتة. ونلاحظ أيضًا الصفاء والنفاذ اللذين نفتقدهما في كثير من شعر الشباب المعاصر حيث الغموض الضبابي الناشئ عن عدم امتلاك رؤية واضحة أو سيطرة كافية على المضمون أو على الأدوات الفنية، مما يختلف عن الغموض الشعري الذي يكمن فيه سحر الفن.

والتصوير ذروة تعبيرية؛ فها نحن أولاء نشهد فارسًا قديمًا يكبو ولكنها كبوة النهاية التي لا قيام بعدها، وها هو ذا سيفه ملقى بجانبه وكأنه ملاق حتفه أيضًا ليلحق بصاحبه، فحرام أن يتقلده أحد بعده. وكأن السيف في موقف الرفض هذا هو السرور الذي حرَّمه المتنبي على نفسه لأنه كان سببًا في موت جدته حين بلغتها رسالة منه بعد غياب سنين طويلة وانقطاع أخباره حتى ظنت أنه قضى نحبه. فأدركت إذ ذاك أنه حي يُرزق، فحُمَّت من شدة انفعالها بالفرحة وماتت. فقال المتنبي في رثائه لها:

أتاها كتابي بعد يأسٍ وترحة
فماتتْ سرورًا بي، فمتُّ بها همّا
حرامٌ على قلبي السرورُ فإنني
أعدُّ الذي ماتت به بعدها سُمَّا

ونشهد الرمح إلى جانب السيف يشاطره بكاء الصاحب الفارس المولي.. مشهد فاجع صامت كأنه أشلاء معركة يائسة فوق الرمال الموحشة. أما الجواد فإنه لا يبكي مثل سيف الفارس ورمحه، ولكن صمته أبلغ من كل صوت وأشجى من كل رجْع. ولعلنا لا نعثر في الأدب العالمي على كثير من أمثال تلك الصورة الموحية النادرة للجواد الحزين الذي فقد فارسه الأثير، فهو يجر عنانه في وهن وتثاقل يدلان على حالته المأساوية، بحثًا عن قطرات من الماء يروى بها ظمأه بعد أن عجز صاحبه عن سقياه. أولئك هم حضور المشهد: رفيقا الشاعر وجواده، سيفه ورمحه. أما الغائبون فلا يقلون عن هؤلاء وجودًا وحركة، إنهم أحباب الشاعر وقرة عينه من أهله، ينفرج عنهم الستار، على غيابهم، فيشاهدهم المتلقي حيث يقبعون بعد نعْي الفارس الحبيب إليهم في مناحة تذكرنا بالمناحات الأسطورية في الميثولوجيا الإغريقية، وكأن مالك بن الرَّيْب بطل تراجيدي لواحدة من هذه الأساطير.

وقد أفصح مالك عن صلة القرابة بينه وبين هؤلاء الأحبة - وكلهم نساء - غير واحدة منهن لأنها الأعز عنده، ولا ينبغي له أن يذكر اسمها أو درجة قرابتها، شأن التقاليد البدوية القديمة، ولكننا نعرف أنها زوجته لأنها أغزر الجمع دموعًا وأشدهن التياعًا وضياعًا، وهو يعبر عن ذلك بقوله: «وباكية أخرى تهيج البواكيا».

لقد أطلنا الوقوف عند قصيدة مالك للتأكيد أنه استخدم وسائل وأساليب فنية لا تختلف كثيرًا عَمَّا نعرفه الآن في شعرنا العربي وفي الشعر العالمي عامة، ومن هذه الأساليب تحويل الواقع إلى ما يشبه الأسطورة بتقنيات متنوعة، منها المزج بين مشهد وآخر مختلف عنه والتأليف بينهما في نسق متناغم (هارموني) طبقًا للمصطلح الموسيقي، ومنها الصور البسيطة أو المركبة التي تشكل ما يشبه اللوحات ولكنها متحركة كأنها لغة الأشرطة السينمائية. والشاعر إضافة إلى ذلك يجيد تحريك المجموعات البشرية التي يجسِّدها ويستنطقها كما سلف البيان. ويتم كل ذلك بأسلوب عفوي غير مصطنع. كذلك فإن تسجيله للذكريات يُعَدّ إحياء لها ويتسم بالحرارة والتداعي. وأهم من ذلك كله تلك الروح الإنسانية الحميمة الشفيفة والمشعة معًا في هذه القصيدة الفريدة التي تعدل مجموعة قصائد، بل ديوانًا بأكمله.

تلك إطلالة عاجلة على بعض كنوز تراثنا الشعري العريق ردًا على المبالغة بنسبة الحداثة إلى ذاتها، وكأن نصوصها ولدت من عدم وعلقت في فراغ؛ مع أن التجديد كان دائمًا من شأن المبدعين وكانوا حديثين في عصورهم. والأحرى بنا أن نصحح الأخطاء الشائعة باندثار هذا التراث. فالتاريخ الإبداعي حلقات متتابعة لا تنقطع، فإذا انقطعت، كما نرى ذلك اليوم في بعض النصوص الحداثية، اتسم الشعر بالهشاشة والتهافت والفجاجة فاقدًا بذلك؛ لا غايته وحدها بل هويته أيضًا.

وضاح اليمن

رؤية جديدة

د. محمد خير البقاعي

عندما بدأت أهتم بشعر الشاعر الأموي وضّاح اليمن عبدالرحمن بن إسماعيل بن عبد كُلال الحميَري (ت:٩٥هـ)(١) عام ١٩٨٣م لم أكن أعلم أنّ الصديق الدكتور حنا جميل حدّاد يستعدّ لنشره في مجلة المورد العراقيّة، العدد الثاني، المجلد ١٣، ١٩٨٤م، وأن الدكتور رضا الحبيب السويسي، قد نشر في جامعة طَرابلس، كلية التربية، ليبيا (١٩٧٤م) كتابًا بعنوان: «وضاح اليمن: الشاعر وقصته، دراسة تحليلية ونقدية أدبية»، ولم أكن أعرف أيضًا الكتاب الجميل الذي ألّفه الأستاذان محمد بهجة الأثري، وأحمد حسن الزيات، رحمهما الله، ونُشر في بغداد (١٩٣٥م) وعنوانه: «مأساة الشاعر وضاح اليمن»، وهو في الأصل، أربع مقالات نشرها الأستاذان في جريدة البلاد عام ١٩٣٠م ثم جُمعت في كتاب. ولم يفتّ ذلك كله في عضدي، وصَحّ العزم على إخراج ديوان الشاعر وضّاح اليمن ليسير بين الناس ولكي لا يبقى حبيس مجلة المورد التي نُشر فيها.

وسنحت لي الفرصة في عام ١٩٩٥م لأعود إلى ما تجمّع لديّ من شعره بعد أن تفضّل الدكتور حدّاد وقدّم لي صورة عن عمله المنشور في مجلة المورد، وأرسل إليّ الصديق الأستاذ محمد محيي الدين مينو كتاب الدكتور السويسي، كما أرسل إليّ الأستاذ الدكتور رفيق عطوي صورة من كتاب «مأساة الشاعر وضاح»، ثم صدر الديوان بتحقيقي عن دار صادر (١٩٩٦م)، وكان لصدوره أصداء ظهرت في المقالتين اللتين كتبهما في صحيفة الحياة كُلّ من: الصديق الدكتور حسن البنا عز الدين (٣٠ آذار/ مارس ١٩٩٦م) والأستاذ سعادة سوداح (وضاح اليمن ووضاح بن محمد الثقفي، الحياة، ٩ آب/ أغسطس ١٩٩٧م، ع٢٥٨٠)؛ ومقالة ثالثة نشرها الأستاذ الدكتور السيد إبراهيم في صحيفة «الرياض» السعودية بعنوان: «ديوان وضاح اليمن بين حداد والبقاعي» (العدد ١٠٦٧٩، الجمعة ١٨ جمادى الأولى ١٤١٨هـ - ١٩ أيلول/سبتمبر ١٩٩٧م).

وإن هذه المقالات تخطو بالديوان خطوات حثيثة نحو الصحة والتمام، وستكون ذات فائدة جلّى في تطوير طبعة الديوان القادمة.

لقد قدّمت في مقدمة الديوان دراسة تتضمن معلومات جديدة عن الشاعر لم يلتفت إليها كل الذين كتبوا عنه، وهي معلومات ربّما تغيّر ما نعرفه، وما شاع بين الناس عن هذا الشاعر الفارس.

لقد اختلف القدماء في اسم الوضّاح ونسبه، وأنكر الدكتور طه حسين وجوده، وبنى ذلك على اختلاف النسابين في اسمه وفي نسبه، وعلى اضطراب الأخبار التي تناقلتها الرواة عنه، وإنكار بعضهم تلك القصة التي تتحدث عن علاقته بأم البنين ابنة عبد العزيز بن مروان وزوج الخليفة الأموي الوليد ابن عبد الملك وأخت الخليفة عمر بن عبدالعزيز. ويرى فيه الدكتور طه حسين تجربة من هؤلاء الشعراء الذين كان اليمانيون يخترعونهم اختراعًا في القرن الثاني للهجرة ليفاخروا بهم المضريين (حديث الأربعاء ٢٣٤/١-٢٣٥).

ويعتمد الدكتور طه حسين في تأكيد إنكاره وجود وضاح على أن شعره الذي وصل إلينا شعر لين مسرف في اللين، سهل مفرط في السهولة. وهو مع هذا كله لا يخلو من تكلف منكر قد يخرجه أحيانًا عن أصول النحو، وهو ما لا يراه الباحث في شعر الغزليين من شعراء القرن الأوّل الهجري كالأحوص والعرجي وابن قيس الرُّقيّات وغيرهم.

وقد فنّد الدكتور حنا حداد في تقديمه لشعر الوضاح المنشور في مجلة المورد ما جاء به الدكتور طه حسين، وردّ فقال: «والذي نراه، أن الوضاح شخصية وُجدت في تاريخ هذه الأمة وعاشت في زمنها المقدر لها...».

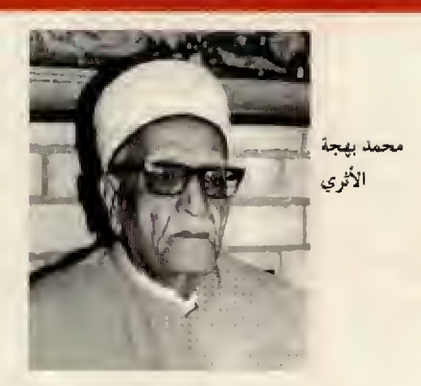
وذكر صاحب النجوم الزاهرة ابن تغري بردي (ت:٨٧٤هـ) أن وفاة الوضاح كانت في سنة ٩٣هـ؛ وحدّدها العلامة خير الدين الزركلي في الأعلام بنحو سنة ٩٠هـ، وإنّ ما نطمئن إليه هو أنّه عاصر عبدالملك بن مروان وابنه الوليد، وعبدالملك

توفي في دمشق سنة ٨٦هـ، أما الوليد بن عبدالملك فقد مات سنة ٩٦هـ.

ويبدو أن أسطورة علاقة الوضاح بأم البنين أعجبت أصحاب كتب الأدب فتناقلوها كابرًا عن كابر، على أن أبا الفرج (ت:٣٥٦هـ) يذكر في أغانيه رواية عن الزبير بن بكار (ت:٢٥٦هـ) وخالد بن كلثوم أن قصة الصندوق من وضع رجل من زنادقة الشعوبية، وأن أحد الشعوبيين وضع كتابًا غير جاد مصنوعًا، غثَّ الحديث والشعر لا يُذْكَر مثله، وضعه بسبب فخار حصل بينه وبين رجل من ولد الوليد في دولة بني العباس، وزعم الشعوبي في هذا الكتاب أنّ أم البنين عشقت وضاحًا وذكر فيه قصة الصندوق (الأغاني ٢٢٦/٦، ٢٣٧/٦).

ومع ذلك نجد أبا الفرج يسوق بعض الأخبار من هذا الكتاب المصنوع. وتكاد الكتب الأخرى تردّد ما جاء في الأغاني، وإنْ كنّا نجد الثعالبي (ت:٤٢٩هـ) في كتابه «ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، ١٠٩» ينقل عن الجاحظ قوله: «قُتِلَ بسبب الفسق ثلاثة من العبيد: وضاح اليمن، ويسار الكواعب، وعبد بني الحسحاس...». ولا نجد هذا القول في كتب الجاحظ التي وصلت إلينا.

وملخص قصة الصندوق أن الوليد بن عبدالملك أُهدي ذات يوم جوهرًا نفيسًا فراقه حسنه، وأحب أن يُطرف به أم البنين ـ زوجه ـ فبعثه إليها مع خادم له ومعه كلمة رقيقة. فمضى الغلام بالتحفة إلى مجلس زوج الخليفة فلم يجدها، وعلم أنّها في بعض الغرف فدخلها عليها مفاجأة، وكانت قد أحست بخطاه دون الباب فبادرت إلى إخفاء وضاح فأدخلته في صندوق وأغلقته. وحينئذ دخل الغلام فرأى أواخر جسمه تغيب تحت الغطاء. فأدّى إلى زوج الخليفة الرسالة ودفع إليها الجوهر، ثم قال بلهجة الخبيث الماكر: ألا تهبين لعبدك يا مولاتي حجرًا من هذا الجوهر؟ فرفضت، فارتد الخادم إلى سيده بخبر وضاح المخبأ في الصندوق، فأمر الوليد بالغلام فَجئتْ عنقه، ودخل على أم البنين فجلس على الصندوق وقد علم وصفه من الغلام، وطلب من أم البنين أن تهديه الصندوق فأهدته له وحملوه إلى مجلسه وقال: «إنّه بلغنا شيءٌ. إن كان حقًا فقد كفّنّاك ودفنّاك ودفنّا ذكرك وقطعنا أثرك إلى آخر الدهر، وإن كان باطلاً فقد دفنّا الخشب، وما أهون ذلك!!» ثم قذف به في البئر التي حفرها العبيد تحت بساطه وهيْل التراب، وسُوّيت الأرض، ورُدّ البساط...


محمد بهجة الأثري

وقد أقام الأستاذ الأثري ـ رحمه الله ـ الدليل النقلي والدليل العقلي على استحالة هذه القصة فقال (مأساة الشاعر وضاح المنشورة بذيل ديوانه بتحقيقنا، ص١٣٤): «فأنت ترى أن الأمر محصور بين أربعة: أم البنين ووضاح والخليفة والخادم، فأما الخادم فقد وجئت عنقه فمات قبل أن ينث الحديث! وأمّا وضاح فقد رُمي في البئر وهيل عليه التراب. بقي الخليفة وأم البنين. فهل يُعقل أن واحدًا منهما حدّث بالخبر حتى شاع وملأ الأسماع..؟ اللهم لا! فإن قلت: إن الخدم الذين حملوا الصندوق ورموه في البئر قد حدّثوا به قلنا لك: ومن أين لهم أن وضاحًا كان في الصندوق، والخليفة نفسه لم يفتحه ...؟ ثم هل يُعقل أن الخليفة اليقظ الذي بادر إلى الخادم فقتله.. يغفل عن هؤلاء ويدعهم أحياء يتمتعون بخيراته، ويتحدثون بما يجزع منه حتى لم يبق سمع لم يطرقه النبأ؟!».

ونجد مرتضى الزَّبيدي (ت:١٢٠٥هـ) صاحب تاج العروس يقول في معجمه (وضح، ٢١٣/٧، ط. الكويت): «والوضاح: مولًى بَرْبري لبني أمية، قال ذلك السكري (ت:٢٧٥هـ) في قول جرير:

لقد جاهد الوضاح بالحق مُعْلماً
فأورث مجدًا باقيًا آل بَرْبرا

كان شاعرًا، وهو المعروف بوضاح اليمن، وكانت أُمُّ البنين بنت عبدالعزيز بن مروان تحت الوليد بن عبدالملك، وكانت تحب الوضاح... وإليه نُسبت الوضاحية وهي (ة) معروفة».

جديد هذا النص أمران: أوّلهما قوله إن وضاحًا بربري، وقال محمد بن حبيب (ت:٢٤٥هـ) في شرح ديوان جرير (٤٧٣/١، ط. دار المعارف) في تعليقه على بيت جرير المذكور في نص الزبيدي السابق: «الوضاح: مولى لبني أمية صاحب الوضاحية وكان بربريًا». ويقول ياقوت الحموي (ت:٦٢٦هـ) في معجم البلدان (الوضاحية، ٣٧٨/٥): «قرية منسوبة إلى بني وضاح مولى لبني أمية، وكان بربريًا، قال ذلك السكري في قول جرير: البيت السابق». ويبدو أن الوضاحية قرية قرب الموصل لأن الجسر الذي سيتحدث عنه الطبري كان أتباع يزيد بن المهلب (قُتل:١٠٢هـ) قد أقاموه على الفرات.

أمّا قولهم إنّه بربري فيذكّرنا بنظرية الباحث المغربي الأستاذ عبدالعزيز بنعبدالله التي لا يني يدافع عنها، ويحاول إثباتها لغويًا، وتاريخيًا وإناسيًا، وهي أنّ بربر المغرب العربي يمانون صليبة، فهل نجد في هذا الربط ما يدعم فرضيته ويصب الماء في دلوه؟

وثاني الجديد في هذا النص أنّه صاحب قرية (حصن) يرد ذكره في تاريخ الطبري (٥٢٣/٦، أحداث سنة ٩٧): «وفيها غزا ـ فيما ذكر الواقدي ـ مسلمة بن عبدالملك أرض الروم ففتح الحصن الذي كان فتحه الوضاح صاحب الوضاحية». ويبدو كما نفهم من نص جاء في تاريخ الطبري (٥٩٥/٦) أن الوضاح (مولى عبدالملك) وأن مسلمة بن عبدالملك استعان به في حرب يزيد بن المهلب، يقول الطبري: «.. بعث مسلمة إلى الوضاح أن يخرج بالوضاحية والسفن حتى يحرق الجسر، ففعل (....) فلمّا دنا الوضاح من الجسر ألهب فيه النار»، بل إننا نجد في تاريخ الطبري إشارة غريبة في أحداث سنة ٩٥هـ (٤٩٣/٦) إذْ يقول: «وفيها قُتل الوضاحي بأرض الروم ونحوٌ من ألف رجل معه».

ونجد مصداق هذه الإشارة في شعر وضاح وفي شرح المرزوقي (ت:٤٢١هـ) عليه، وخصوصًا في قصيدته التي أثبتناها في ديوانه (ص٧٧، القصيدة ٢٤) وهي في مدح الوليد بن عبدالملك، يقول (من البحر الوافر):

صَبَا قلبي ومَال إليكِ مَيْلا
وأرّقني خيالُكِ يا أُثَيْلا

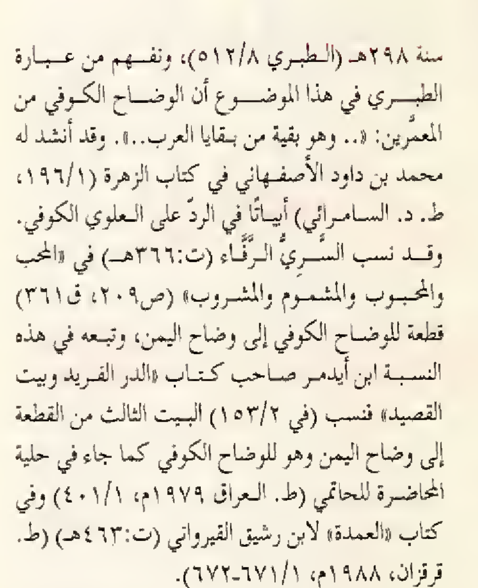
يمانية تُلِمُّ بنا فَتُبْدي
دقيقَ مَحَاسنٍ وتُكِنُّ غَيْلا

دعينا ما أَمَمْتِ بنات نَعْشٍ
من الطَّيف الذي يَنْتَابُ لَيلا

ولكنْ إنْ أرَدْتِ فصبّحينا
إذا أَمّتْ ركائبُنا سُهيلا

فإنّك لو رأيت الخيل تَعْدو
سِراعًا يتخذْنَ النَّقْعَ ذَيْلا

إذًا لرأيْتِ فوقَ الخيل أُسْدًا
تُفيدُ مَغَانمًا وتُفيءُ نَيْلا




عبد العزيز بنعبدالله

إذا سار الوليد بنا وسرْنا
إلى خَيْلٍ تَلُفُّ بهنَّ خَيْلا
ونَدْخُلُ بالسُّرُورِ ديارَ قَوْمٍ
ونُعْقِبُ آخرين أذًى ووَيْلا

إن الشخصية التي ترتسم من خلال هذه الأبيات هي شخصية فارس يغزو ويصف الغزو وملاقاة العدو، ويقول إن ذلك لا يحتمل التصابي والتبطُّل، ولا يصلح للمشتغل به التشوق والتغزل.

ويقول المرزوقي شارح الحماسة في شرح البيت الثالث من هذه الحماسية (شرح الحماسة للمرزوقي، ٦٤٣/٢): «يستعفي من خيالها لاشتغال قلبه بالغزو، والاستعفاء في الحقيقة من الحُبّ الذي يصورها في فكره حتى يَحْلُمَ بها. وبنات نَعْش من الكواكب الشامية.. وكان غزوه نحو الروم..».

ونجد في كتاب أبي سعد محمد بن أحمد العميدي (ت:٤٣٣) «الإبانة عن سرقات المتنبي» ذكرًا لوضاح الشاعر، وكان مع المهلب بن أبي صفرة بخراسان يمدحه (الإبانة، ص١٣٤). ويذكر له العميدي ثلاثة أبيات في مدح المهلب الذي قدم خراسان سنة ٧٩هـ في أيام عبد الملك بن مروان الذي ولاّه ولايتها، وبقي هناك حتى مات سنة ٨٣هـ وقيل ٨٢هـ. وتبدو صورة الفارس واضحة في الحماسية التي أوردها أبو تمام في حماسته ومطلعها (شرح الحماسة للمرزوقي ١٤٩٠/٣) (من البحر الطويل):

مَنْ مُبْلِغُ الحجاج عنّي رِسالةً
فإنْ شئت فاقطعني كما قطع السَّلا

إن وضاحًا الذي ترسمه هذه الشذرات هو وضاح الفارس، وإنّ قصص الحب التي نسجها ذلك الشعوبي في الكتاب الغث الذي تحدث عنه أبو الفرج، لا نصيب لها من الحقيقة التي تدعمها السيرة التربوية الرائعة لأمّ البنين التي كانت زوج خليفة المسلمين وأخت الخليفة الأموي العادل عمر بن عبدالعزيز. ونجد وضاحًا يقول في مرض ألمّ بها (ديوانه ٨٣، ق٢٨):

حتام نكتم حزننا حتّاما
وعلامَ نستبقي الدموع عَلاما
إنّ الذي بي قد تفاقم واعتلى
ونما وزاد وأورث الأسقاما
قد أصبحت أم البنين مريضةً
نخشى ونُشْفق أن يكون حِمَاما
يا ربِّ متعني بطول بقائها
واجْبرْ بها الأرْمال والأيتاما
واجبر بها الرجلَ الغريب بأرضها
قد فارق الأخوال والأعماما
كم راغبين وراهبين وبُؤَّسٍ
عُصِموا بقُرْب جنابها إعصاما
بجناب ظاهرة الثنا محمودة
لا يُستطاع كلامها إعظاما

إن هذه الأبيات تناقض كل ما رُوي عن علاقة الوضاح بأم البنين، وتظهر مدى الإجلال والاحترام الذي يكنّه لها الشاعر، ويعطي فكرة عن الأخلاق الكريمة التي تتمتّع بها زوج الخليفة التي يعتصم بجنابها الراغبون والراهبون والبائسون فيجدون العطاء والأمن والسعادة، وليس في هذه المعاني ما يدل على التهتك الذي نُسب إليها. ولعل الشعوبي الذي وضع كتاب «وضاح اليمن وأم البنين» الذي يذكره ابن النديم في الفهرست (ط. تجدّد، ٣٦٥) قد انطلق من هذا الشعور النبيل فشوّهه بقصص من نسج الخيال.

إن حقد الشعوبية أخفى الأحداث الحقة لحياة الرجل الذي يقول عنه جرير إنّه جاهد بالحق مُعْلمًا وإنه أورث آل بربر مجداً باقيًا على مرّ الدهور. وقد يكون هذا هو السبب في غياب شعره الذي يدل على ما قلناه، وبقاء كُلّ ما نسجه الشعوبيون مما يتفق مع القصص. ولو وصل إلينا ديوانه الذي كان بين يدي بدر الدين العيني (ت:٨٥٥هـ) كما ذكر ذلك في شرح الشواهد (٢١٨/٢ و٥٩٦/٤) لوجدنا فيه بعض ما يوضّح أحداث حياة هذا الشاعر المبدع.

وقد ظهر لنا بأخَرَة أن هناك شاعراً عباسيًا آخر اسمه الوضاح بن محمد التميمي (أبو بديل) الذي يُعرف بالوضاح الكوفي والذي عاصر الشاعر علي بن محمد العلوي المعروف بالعلوي الكوفي والملقب بالحمّاني المتوفى سنة ٢٦٠هـ. والوضاح الكوفي يمدح المستعين بالله الخليفة العباسي (ت:٢٥٢هـ)، وفي تاريخ الطبري (٣٠٩/٧) أنّه قدم على نصر بن سيّار (ت:١٣١هـ)، ونجد له ذكرًا في حصار محمد الأمين سنة ٢٩٨هـ (الطبري ٥١٢/٨)؛ ونفهم من عبارة الطبري في هذا الموضوع أن الوضاح الكوفي من المعمَّرين: «.. وهو بقية من بقايا العرب..». وقد أنشد له محمد بن داود الأصفهاني في كتاب الزهرة (١٩٦/١، ط. د. السامرائي) أبياتًا في الردّ على العلوي الكوفي. وقد نسب السَّريُّ الرَّفَّاء (ت:٣٦٦هـ) في «المحب والمحبوب والمشموم والمشروب» (ص٢٠٩، ق٣٦١) قطعة للوضاح الكوفي إلى وضاح اليمن، وتبعه في هذه النسبة ابن أيدمر صاحب كتاب «الدر الفريد وبيت القصيد» فنسب (في ١٥٣/٢) البيت الثالث من القطعة إلى وضاح اليمن وهو للوضاح الكوفي كما جاء في حلية المحاضرة للحاتمي (ط. العراق ١٩٧٩م، ٤٠١/١) وفي كتاب «العمدة» لابن رشيق القيرواني (ت:٤٦٣هـ) (ط. قرقزان، ١٩٨٨م، ٦٧١/١-٦٧٢).

إنّ ما جمعناه من شذرات أخبار يغيِّر ما اعتدنا سماعه عند الحديث عن هذا الشاعر، وإنّ من كتبوا عنه كانوا مأخوذين بترجمته الضافية في الأغاني، فغابت الجزئيات التي يمكن أن تكشف عن حقيقة غائبة.

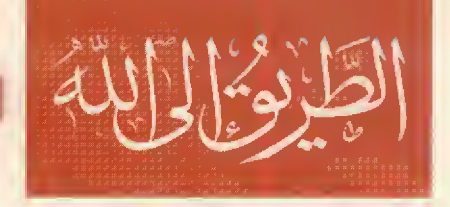
وإن حديث الصندوق وغيره ممّا أورده أبو الفرج في أغانيه حديث خرافة من أبين الأحاديث الخرافية وضعًا، وواضعه ـ كما يقول الأثري رحمه الله ـ كذّاب ضعيف الحبلة لا يُحْسِنُ الوضع، يخذل أول كلامه آخرَه، وآخرُه أوّلَه. فهل يليق في مذهب القصص أن يُتّخذ مثل هذا الكذب المتخاذل أساسًا لقصة؟ وفي أساسها يُرْمَى بخليفة عربي شريف همام، وزوج خليفة هي من أرومة قومها الغر في الذؤابة والسنام؟

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وفوق كُلّ ذي علمٍ عليم.

الهوامش:

١ـ انظر ترجمته في: كتاب المقتالين لابن حبيب: نوادر المخطوطات، ٢٧٣/٢، والأغاني: ط. دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م، ٢٢٢/٦-٢٢٥، وفوات الوفيات للكتبي: ط. د. إحسان عباس، ٢٧٢/٢-٢٧٣، وتهذيب ابن عساكر ٢٩٥/٧، والنجوم الزاهرة ٢٢٦/١، وتاريخ دمشق (عبادة بن أوفى ـ عبدالله بن ثوب) ٣٨٠/٢-٣٨٧، وثمار القلوب في المضاف والمنسوب للثعالبي: تح إبراهيم صالح، دمشق، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م، ٢٠٦/١-٢٠٨، ووفيات الأعيان لابن خلكان: ط. عباس، ٤٥/٢؛ والحماسة بشرح التبريزي ١٩٢/٢.

ومن الدراسات الحديثة: بروكلمان في الملحق (بالألمانية) ٨٢ ـ ٨٣، وفؤاد سزكين: تاريخ التراث العربي، الترجمة العربية، مج٢، ج٣، ١٩٠-١٩١، وبلاشير: تاريخ الأدب العربي، الترجمة العربية، ط١٩٨٤م، ٧٧٤-٧٧٦، وحديث الأربعاء لطه حسين، ط. دار المعارف، ٢٣٢/١-٢٣٩.



فاروق عبد الحق كرين

وجد في الإسلام علاج مشكلات الغرب

ولد روبرت كرين في أسرة نصرانية أمريكية عام ١٩٢٩م، وكان كل شيء مُهَيّأً له ليكون واحدًا من صنّاع القرار في الولايات المتحدة الأمريكية، فالأهل أرادوا له منذ طفولته أن يكون قانونيًا، يدرس القانون، ويطبق العدل، ويتأمل في الثغرات ليكتشف الحق.

ولوجود مسلمين في الولايات المتحدة التقطت أذنا الشاب روبرت كلمات متفرقة عن الإسلام، وربما جملاً، كان من الممكن أن يمر بها مرور الكرام، لولا أنه وجد فيها أشياء تشير إلى ثغرات في الديانة النصرانية، فاندفع بروح الباحث لينقب في ديانته، وأيضًا في تلك الديانة التي سمع بها وشاهد بعض معتنقيها من حاملي جنسية الولايات المتحدة أو المقيمين بها.

مسلم في تفكيره

ولم يحلّ عام ١٩٥٠م حتى كان روبرت مسلمًا في تفكيره وفي معظم تصرفاته؛ وكان - آنذاك - في الحادية والعشرين من عمره، وكان مشغولاً بدراسة القانون في كلية الحقوق بجامعة هارفارد للحصول على درجة الماجستير في الأنظمة القانونية المقارنة.

كان هناك أكثر من سبب شدَّ روبرت إلى الإسلام، بعض هذه الأسباب يعود إلى عقيدة الإسلام وما تتضمنه، وبعضها يعود إلى السلبيات التي عايشها في مجتمعه؛ إذ اكتشف أن قرابة ثلث أطفال بلاده يعيشون يتامى بالفعل نتيجة التفكك الأسري والتدهور الأخلاقي، بينما لاحظ متانة العلاقات بين أفراد الأسر المسلمة التي يعرفها أو تعرّف إليها، وشدّه أكثر ذلك اليقين الذي يسكن قلب المسلم، ويفتقده النصراني الذي يحيا خواءً روحيًا ينبع من عدم وجود ضوابط أو مثل رفيعة في المجتمعات النصرانية، التي تتعامل بالقانون، وتتجاهل أهم قاض يحتكم إليه الإنسان في دنياه بعد الله - عز وجل - ألا وهو الضمير. فغياب الضمير الحي وسيطرة النزعة المادية أحالا الإنسان الغربي - بعامة - إلى عقل فقط دون روح: عقل ينتج ويبدع، وآخر يدمّر ويسفح.

نجاحه في الحياة السياسية

بعد حصول روبرت كرين على درجة الماجستير استطاع أن يحقق عدة نجاحات في حياته العملية، إذ أسهم في تأسيس صحيفة هارفارد للقانون الدولي، وشارك عام ١٩٦٣م في إقامة مركز الدراسات الاستراتيجية الدولية، واقترب جدًا من الرئيس الأمريكي الأسبق ريتشارد نيكسون حتى لقد عُدَّ أحد أقرب مستشاريه في السياسة الخارجية، وعيَّنه هذا الأخير عام ١٩٦٩م نائبًا لمدير مجلس الأمن القومي في البيت الأبيض، إلا أنّ خلافه مع وزير الخارجية الأسبق هنري كيسنجر حول قضية فلسطين - لكون كيسنجر - كما هو معروف - يهوديًا مؤيدًا بغير حدود للمغتصبين الصهاينة في فلسطين المحتلة - أدى إلى استبعاده من هذا المنصب، وإن لم يغب كثيرًا عن الساحة السياسية.

إسلامه

وتعد الثمانينيات الميلادية أخصب مراحل حياة كرين، إذ فيها قرّ قراره على اعتناق الإسلام، وإظهار ما كان مخفيًا وغير معلن من قبل من حيث ميله إلى الإسلام عقيدة وسلوكًا، وإيمانه الكامل بوحدانية الله.

كما شهدت تلك المرحلة تعيينه سفيرًا لبلاده في دولة الإمارات العربية المتحدة؛ مما كان له أبعد الأثر في إنماء شخصيته الإسلامية وتأصيلها، بحكم معايشته لشعب مسلم عربي شديد التمسك بإيمانه، ويتحلى بالصفات والخصال الإسلامية الكريمة.

أعلن كرين إسلامه، ولم يأت ذلك بجديد، إذ إنه - كما ذكرنا - كان مسلمًا في تفكيره منذ عام ١٩٥٠م، وجاء إشهار إسلامه ليشكل تصحيحًا لوضع كان ينبغي أن يُصَحَّح، واختار المهتدي الجديد أن يتسمى في مولده الثاني أو مولده الحقيقي - كما يعبر هو - باسم فاروق عبدالحق.

وجاء إشهار إسلامه نتيجة لعدة أسباب ذكرنا بعضها، ونورد الأخرى، إذ إن فاروق عبدالحق وجد في شريعة الله وكتابه الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه علاجًا وحيدًا وفاعلاً لمشكلات الحضارة الغربية، وهي مشكلات مستعصية

تسببت فيها تلك الروح العلمانية التي نادت بها حضارة الغرب، والتي جعلت المادة أساس الحياة، فإذا أضفنا إلى ذلك ما وجده فاروق عبدالحق في الإسلام من تعاليم اجتماعية شاملة لا تتوافر في أية عقيدة أخرى، وما أدركه بفطرته النقية من أن الكيان الإسلامي يحيا بجناحين لا غنى عن أحدهما، أولهما الجناح الروحاني الذي يجعل أمة الإسلام ـ على اختلاف شعوبها وجنسياتها وأعراقها وألوانها ـ أمة واحدة، والثاني جناح العقل، حيث تتضمن تعاليم الإسلام توكيدًا صريحًا على أهمية العقل والدعوة إلى استخدامه.

ولم تغب عن فطنة فاروق عبدالحق أن هذين الجناحين هما دعامتا العمل الإسلامي، بما تحققان من توازن بين حاجات الإنسان الروحية وانطلاقته العقلية نحو مستقبل أفضل.

لقد وجد فاروق عبدالحق في شريعة الإسلام النموذج الأمثل الذي يحفظ للبشرية حقوقها في ماضيها وحاضرها ومستقبلها من خلال إطار فكري يتسامى بقيمه عبر مقاصد الشريعة الصالحة للتطبيق في كل زمان ومكان مهما تقادم الزمن أو اختلفت الأمكنة.

وفاروق عبدالحق يعمل حاليًا في مجال الدعوة الإسلامية من خلال كتبه التي تجاوزت العشرة ومقالاته المتنوعة، إضافة إلى مشاركته الفاعلة في المجلس الإسلامي الأمريكي، من خلال توليه إدارة القسم القانوني فيه، إلى جانب أنه الرئيس المؤسس لرابطة المحامين المسلمين الأمريكيين.

وهو رب أسرة مثالي يرعى لأسرته حقوقها التي شرعها الله، ويحرص على أن يخصص وقتًا يجمعه بزوجته وأولاده الخمسة، ليحقق معهم مزيدًا من الترابط، ويشيع فيهم الدفء الأسري الذي تفتقده معظم العائلات في بلاده.



قصيدة

الوخز

شعر: محيي الدين عطية

مـا بـالُكَ يا هذا القـابعُ	في رُكنٍ من قَفَصِ الصَّدْرِ
تُوخِزني، تَسْكُبُ في حَلْقي	قَدَحًا مِنْ حبَّات الجَمْرِ
مـا بـالُك، إنْ طابَ نَهـاري	تَسْرِقُ لَيْلِي حتى الفجرِ
تَحْشِدُ في ظُلمتِهِ جَيْشًا	مِنْ مُزَقِ الأجساد الحُمْرِ
مـا بالُكَ، إنْ نامت عَيْني	تسقيها أحلام الذُّعْرِ
تفتحُ نافِذَةً في الهَرْسَكِ	تستدعي مأساة العَصْرِ
تَقْذِفُ في حُضني أطفالاً	مَزَّقَهُمْ نابٌ للكفرِ
أوْ مَزَّقَهُمْ صَمْتُ العالم	قَبْل رصاص جنود الغَدْرِ
تَقْذِفُهُمْ، تَصْرُخُ في وجهي	وتُحَمِّلُني كلَّ الوِزْرِ
وأنا الباقي من غرناطة	حَيًّا، بَعْدَ جفاف النَّهْرِ
تظْلمني، فحقيقةُ أمري	مطرود من برِّي وبحري
لا يَمْلِكُ مالاً يَبْذُلُهُ	أوْ سَيْفًا، أو فُسْحةَ عُمْرِ
لا يَمْلِكُ إلا مِحْبَرَةً	ويَراعًا، وقصيدة شعرِ

طريق الهدى

فضيلة الشيخ
د. صالح بن سعد اللحيدان

العمرة في أشهر الحج

رجل من أهل الرياض ذهب إلى العمرة في أشهر الحج واعتمر، وعاد إلى الرياض، ثم عاد إلى الحج. هل عليه شيء؟ علمًا بأنه نوى أن يحج مفردًا.

عبدالفتاح إبراهيم
الرياض، السعودية.

أهل العلم في هذا لهم أقوال حول من اعتمر في أشهر الحج ثم عاد إلى بلده ثم بعد ذلك أحرم بالحج. ولعل الصواب هو تحديد حال النسك من النية، لكن إن كان نوى الإفراد فقط قبل العمرة المذكورة فهو على ما نوى وليس عليه شيء ولا يلزمه التمتع ولا القران، فالنية محددة لحال النسك (ودخول العمرة في الحج) لمن أراد التمتع ولم يسق الهدي أو ساق الهدي (وقرن). ومن قال يلزمه تمتع أو قران، مع تبييت النية بالإفراد أصلاً فلا أظن هذا.

جواز القنوت في صلاة الفجر

هل يجوز القنوت في صلاة الفجر، وهل وردت أحاديث بذلك؟

عمر سيد مختار
الحصاحيصا، السودان.

هذا قال به بعض الأئمة، وقال آخرون وهو الصواب: لا يجوز القنوت في صلاة الفجر. لكن في هذا تفصيل:

١ـ من فعله جهلاً فلا شيء عليه؛ إلا أنه يجب أن يسأل عن الحكم مع الدليل.

٢ـ من فعله تقليداً فهذا أخو الجهل؛ لأن التقليد ـ لمن يملك آلة القراءة ولديه فهم عام واطلاع واسع ـ كتم للعقل وإغلاق للذهن، وهذا لا يصح في حق طالب العلم المسلم.

٣ـ يجوز القنوت في حال النوازل الشديدة، وحال «ظلم الظالم»، فالمظلوم يقنت ومثل هذا النوازل، وقد قنت النبي صلى الله عليه وسلم قرابة شهر يدعو على بعض العرب.

جواز إسبال اليدين في الصلاة

هل يجوز إسبال اليدين في الصلاة كما يفعل المالكية والشيعة؟

حسين سيد عبدالمجيد
الدقي، القاهرة، مصر.

الإسبال، والضم ـ أي جعل اليدين على الصدر: اليمنى فوق اليسرى ـ كلتا هاتين الصفتين جائزة. لكن السنة المنقولة هي جعل اليد اليمنى على اليد اليسرى. وقول بعض المالكية والشيعة ليس هو الأصل؛ بل الأصل ما ذكرت لفعله صلى الله عليه وسلم ولفعل الصحابة.

دعاء الوتر

ورد في دعاء الوتر أحاديث مخصوصة وقليلة؛ إلا أننا نرى بعض الأئمة يطيل دعاء القنوت في صلاة الوتر في رمضان مدة تصل أحيانًا إلى الساعة. أليس هذا يخالف السنة؟

رمضان عبدالله رمضان
الرياض، السعودية.

الوتر له دعاء عام ودعاء خاص. أما العام فهو مأخوذ من عامة النصوص فهذا دعاء عام، لكن لا يكون فيه إثم ولا قطيعة رحم، ويجب أن يتصف الدعاء بآدابه مع عدم الإطالة.

وأما الخاص فهو الدعاء لحالة: نازلة، أو دفع ظلم ظالم، أو مرض منتشر، أو قحط مديم. وهذا يشبه القنوت حال صلاة الفجر.

تخفيف القراءة في صلاة الصبح يوم الجمعة

ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يقرأ في صلاة الصبح من يوم الجمعة سورة السجدة وسورة الإنسان. ألا يجوز للإمام أن يقرأ عدة آيات من سورة السجدة وعدة آيات من سورة الإنسان حتى لا يطيل على الناس؟

عبدالعزيز عبدالرحمن العامري
الدمام، السعودية.

السُّنَّة التي يحسن فعلها ويثاب فاعلها هي الاقتداء، وما يدوم الخير ولا يسود الحق إلا بصحة الاقتداء قولاً وعملاً. لكن إذا عرف الإمام أن إطالة القراءة تشق على المأمومين فلا بأس في قراءة آيات من سورة السجدة وآيات من سورة الإنسان.

اشتراط عدم الخسارة

هل يجوز للمسلم أن يشارك بماله رجلاً آخر يعمل بجهده ويشترط عليه عدم الخسارة في رأس المال؟ أي إن الرجل الشريك الذي يعمل بجهده يتعهد بتحمل الخسارة إن حصلت؟

عادل أحمد الطاهر
عطبرة، السودان.

هذا فيه ضرر وفيه جهالة، وللنفس وللبدن حق على صاحبهما، والضرر مترتب على الجهالة فلا يصح مثل هذا. وإن أجازه بعضهم فإن الجواز في حال (شبهه بالضمان المالي) ولست أظن هذا مثل ذاك. والشريعة الإسلامية في التجارة لم يرد فيها نص بضمان ربح أو تحمل خسارة بل التحمل ضرر، وقد يدفع إلى الباطل بحكم دفع الضرر عن الطرف الثاني كالكذب والحيل.

شراء أسهم الشريك

تشارك رجلان في بقالة: الأول دفع المال والثاني يعمل بجهده والربح مناصفة. هل يجوز لمن يعمل بجهده أن يشتري أسهم الرجل صاحب المال الذي له نصف البقالة بمبلغ مقطوع وقدره ١٥٠٠ ريال مثلاً؟

عصام تركي عبدالله
عمان، الأردن.

النصف الأول من هذا السؤال جائز ولا شيء فيه. فالأول يأخذ النصف لأنه رب المال، والثاني يأخذ نصفه الآخر لأنه يقوم عليه بجهده. لكن شراء أسهم الشريك الأول فيه تفصيل:

١ـ إن قصد شراء «المال» وهو عين المال المادي فلا يجوز لحصول زيادة أو نقص.

٢ـ إن قصد شراء البضاعة فلا شيء في هذا إن شاء الله تعالى.

الحج عن المتوفَّى

هل يجوز للمرأة أن تحج عن أبيها المتوفى وأخيها المتوفى؟ علمًا بأن للأب أولادًا ولكنهم لا يقدرون على أداء الحج لعدم توافر المال لديهم والمرأة قادرة؟

زبيدة صويلح الزادي
إب، اليمن.

إذا كانت هذه المرأة قد حَجَّت عن نفسها حال توافر الشروط الموجبة للحج فحينئذ تحج عن أبيها وأخيها، لكن ليس في «حجة واحدة»؛ بل في حجتين. ووجود أولاد للأب لا يمنع أن يُحَجَّ عنه. والله أعلم.

المُذنَّبات

في كتابات بعض المؤرخين المسلمين: ابن القلانسي وابن الأثير

د. شذى الدركزلي

تعد السجلات التاريخية للأحداث الفلكية مصدراً مهمّاً للمعلومات للفلكيين المعاصرين؛ فالمعلومات التي توافرت تفصح عن مواقع المُذنَّبات وموعد ظهورها، ويسهم ذلك في دراسة تغيّر مسارها خلال مئات السنين. كما أن السجلات التاريخية المستقلة من بقاع مختلفة من العالم، مثل الصين وكوريا واليابان، تعد سجلاً مهمّاً آخر للفلكيين المعاصرين. وكان للمؤرخين المسلمين نصيبهم في ذلك التراث الفلكي. فقد ذكر ابن القلانسي (ت: ٥٥٥هـ) ـ معاصر الحروب الصليبية وأول مؤرخيها ـ في كتابه «ذيل تاريخ دمشق» بعض الأحداث الفلكية والبيئية، وتبعه في ذلك مؤرخون آخرون مثل ابن الأثير (ت: ٦٣٠هـ) في كتابه «الكامل في التاريخ».

ومن موازنة هذين المرجعين مع المراجع الحديثة لسجلات المُذنَّبات في العالم، خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين (الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين)، نجد دقة في تحديد زمن ظهور المذنَّب وصفاته لا تختلف عن تلك التي عند المؤرخين الآخرين في العالم.

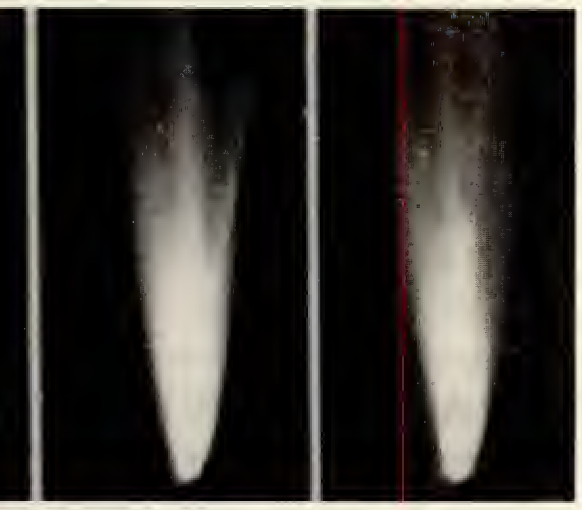
شيء من تاريخ رصد المُذنَّبات

تحظى مجموعتنا الشمسية بالعديد من الظواهر الفلكية الباهرة، حيث يمر خلالها العديد من الزوار من خارج المجموعة مثل النيازك والمُذنَّبات. وجذبت هذه الظواهر اهتمام الإنسان منذ القدم لجمالها، ولخوف الإنسان من اصطدامها بالأرض في بعض الأحيان. وتُعد المُذنَّبات من أشهر زوار فضاء الأرض التي عرفها الإنسان منذ القديم وسجل تاريخ ظهورها على الألواح الطينية في العصور البابلية، وعلى عظام الحيوانات في الصين منذ آلاف السنين.



مذنب هالي HALLEY كما صور في عام ١٩٨٦م من استراليا في النصف الجنوبي للكرة الأرضية

تظهر المُذنَّبات الضخمة في السماء في شكل كتلة ضبابية كثيفة يتبعها ذيل مُضيء من الغازات يمتد خلفها إلى مساحة كبيرة من السماء، أما المُذنَّبات الأخرى فغالبًا ما تظهر في شكل كتلة ضبابية صغيرة. ويتم اكتشاف العديد من المُذنَّبات كل عام؛ إلا أنها نادراً ما تُرى بالعين المجردة، ويتابعها الفلكيون عادة بالمناظير الفلكية (التلسكوبات) للدراسة والبحث. وللمذنب



مذنب آرند - رولاند ARENED-ROLAND في عام ١٩٥٧م

موقعان يُعرف بهما هما أقرب موقع له من الشمس، ويسمى الحضيض الشمسي PERIHE-LION، وأقرب موقع له من الأرض. وتتناسب شدة سطوع المذنَّب عكسيًا مع مكعب المسافة بينه وبين الشمس.

وقد حفل الربع الأول من عام ١٩٩٧م بمرور مُـذنَّب هيل - بوب HELE - BOPP، الذي اكتشفه الأمريكيان ألان هيل وتوماس بوب(١)، وكان أسطع مُذنَّب يُرى بالعين المجردة خلال القرن العشرين ولمدة قاربت الشهرين؛ وتابعته تلسكوبات الفلكيين في مراصد العالم كافة بالدراسة والتصوير. ولهواة الفلك حصة الأسد في اكتشاف الظواهر الفلكية المفاجئة. وتُرى المُذنَّبات الساطعة عادة عند الأفق بعد الغروب بقليل، وحتى قُبيل الشروق، وهناك بعض المُذنَّبات الضخمة شوهد في أثناء النهار مثل مُذنَّب عام ١١٠٦م، ومُذنَّب عام ١٨٤٣م رؤي أيضًا في النهار، وذُكر أنه في ٢٨ شباط/ فبراير كان أسطع ٦٠ مرة من القمر.

يقسم تاريخ رصد المُذنَّبات إلى خمس مراحل أساسية اعتمادًا على تطور كبير في تفسيرها. المرحلة الأولى هي ما قبل عام ١٦٠٠م؛ أي مرحلة ما قبل التلسكوب، وكانت المذنبات خلال هذه المرحلة تعد نُذُر شؤم ورهبة، ولم تُعرف طبيعتها بأنها أجسام فضائية وليست ظواهر جوية تحدث في جو الأرض. أما المرحلة الثانية فاستغرقت قرنين بعد المرحلة الأولى، وتميزت باهتمام الفلكيين بقياس مواقع المُذنبات ومساراتها وحركاتها. ومع مطلع القرن التاسع عشر بدأ عصر علم فيزياء المُذنَّبات - أي المرحلة الثالثة - وتميز بمرور مُذنَّب هالي عام ١٨٣٥م. واستغرقت المرحلة الرابعة من عام ١٩٥٠م إلى عام ١٩٨٥م. وبدأت المرحلة الحالية (الخامسة) حين صورت الأقمار الصناعية مُذنب هالي عام ١٩٨٦م بالقرب منه وليس من فوق سطح الأرض كما كان سابقًا.

لقد امتدت المرحلة الأولى إلى عدة آلاف من السنين، وشملت معظم الأقوام القديمة في بابل والصين واليونان ومصر القديمة والمكسيك وغيرها. اشتقت كلمة المذنَّب COMET اللاتينية من الإغريقية ASTER KOMETES وتعني: النجمة ذات الشعر الطويل، وهي تسمية تصف شكل المُذنَّب. ولقد أسماه الفلكيون العرب القدماء بالكوكب ذي الذؤابة، وأسماه محدثوهم بالمُذنَّب لوجود شكل الذنب في نهايته. وأسهم العلماء المسلمون خلال العصر الوسيط أعظم إسهام في تطوير علمَي البصريات والفلك.

يعود أول ذكر للمُذنَّبات في التاريخ إلى القرن الحادي عشر قبل الميلاد (١٠٥٩ ق.م) في السجلات الصينية، وإلى عام ٢٣٤ ق.م في السجلات البابلية على الألواح الطينية. واكتُشف أول سجل بابلي يشير إلى مذنب هالي في المتحف البريطاني في عام ١٩٨٥م، على لوح طيني بابلي مكتوب بالخط المسماري يعود تاريخه إلى عام ١٦٤ قبل الميلاد، ثم اكتُشف لوح آخر يعود إلى عام ٨٧ قبل الميلاد. أما الإغريق فعلى أنهم أول من حاول تفسير المذنبات؛ إلا أنهم لم يتركوا سجلاً لظهورها كما فعل الصينيون والبابليون.

يعود أول تفسير للمذنبات إلى نحو عام ٥٠٠ ق.م في حوار بين أناكساغوراس وديمقريطس، فقد اعتقد هذان الفيلسوفان الإغريقيّان أن المُذنَّب ينتج من قران CONJUNC-TION أو اقتراب الكواكب أو النجوم بعضها من بعض، واعتقد أرسطو (٣٨٤- ٣٢٢ ق.م) أن المذنَّب هو جسم انطلق من الأرض بسرعة عالية واحترق في جو الأرض.

تغير تفسير المُذنَّب في العصور الوسطى، فلو كان المُذنَّب ظاهرة تحدُث في جو الأرض، كما اعتقد أرسطو، لكان الناظر إليه من الشرق يرى مجموعة نجوم خلفه تختلف عن تلك التي يراها الناظر إليه من الغرب. لذلك استنتج الفلكي الدنماركي تايكو براهه TYCHO BRAHE (١٥٤٦- ١٦٠١م) في دراساته عام ١٥٧٧م خطأ أرسطو، فموقع المُذنَّب لا بد أن يكون بعيدًا بُعْدَ القمر أو أكثر. وكان من الصعوبة قبول رأي تايكو براهه الصائب في وقته، إلا أن حسابات الفلكي الإنجليزي إدموند هالي EDMOND HAL-LEY (١٦٥٦- ١٧٤٢م)، باعتماده على نظرية نيوتن للجاذبية ورسمه مسار العديد من المُذنَّبات، أسهمت في ترسيخ رأي براهه. ووجد هالي من حساباته أن المُذنَّبات التي ظهرت في الأعوام ١٥٣١ و١٦٠٧ و١٦٨٢م كانت تتبع

المُذنَّبات

في كتابات بعض المؤرخين المسلمين: ابن القلانسي وابن الأثير

المسار نفسه حول الشمس وبمدة زمنية يصل معدلها إلى ٧٦ سنة بين كل ظهورين. لذلك استنتج أنها مُذنَّب واحد يدور في مسار بيضي حول الشمس ويتكرر ظهوره حسب طول دورته حول الشمس، فكان هالي أول من استنتج العودة المنتظمة للمذنبات، وتوقع عودة ظهور هذا المُذنب في عام ١٧٥٨م، وهو ما حدث فعلاً ولكن بعد ستة عشر عامًا على وفاته. لذلك أطلق الفلكيون اسمه (بعد وفاته) على هذا المذنب الذي كانت آخر زيارة له بالقرب من الأرض في عام ١٩٨٦م، ولم يكن واضحًا في نصف الكرة الشمالي.

إسهام المؤرخين المسلمين

كان للعلماء المسلمين، أمثال يعقوب بن إسحاق الكندي الفيلسوف (ت: نحو ٢٦٠هـ/٨٧٣) دور كبير في تطوير العلوم. يُعدّ الكندي أول مفكر مسلم يخرج عن نطاق تفكير اليونانيين التقليدي (الدَّقاع، ١٩٧٨م)؛ إذ وضع منهجًا عامًا وقسّم العلوم إلى أسسها الفكرية والمنطقية، فكانت العلوم عنده صنفين: العلوم الفلسفية والعلوم الدينية. شملت الأولى الرياضيات والمنطق والطبيعيات والفيزياء والسياسة وعلم الاجتماع، بينما اشتملت الثانية على أصول الدين والعقائد والتوحيد. وكتب الكندي ما يقرب من ٢٧٠ رسالة، وكان من أهم من تأثر به من بعده من العلماء المسلمين: الفارابي (ت:٣٣٩هـ) وابن الهيثم (ت: نحو٤٣٠هـ).

والصوفي (ت:٣٧٦هـ/٩٨٦م) هو أبو الحسين عبدالرحمن بن عمر الصوفي. وصفه جورج سارتون، مؤلف موسوعة تاريخ العلوم الشهيرة، بأنه أحسن فلكي وصاحب إحدى أهم ثلاث مخطوطات إسلامية لمراقبة النجوم (الثانية لابن يونس (ت:٣٩٩هـ/١٠٠٩م) في النصف الأول من القرن الحادي عشر، والثالثة لأولوغ بيك ULUGH BEG (حكم خلال ١٤٤٧-١٤٤٩م) الحاكم والفلكي وحفيد القائد التتري المسلم تيمورلنك، في النصف الأول من القرن الخامس عشر في سمرقند). كان أهم إنجاز للصوفي هو جمعه لصور النجوم وقرنها مع ما ورد في كتاب بطليموس، مع إضافة تراث العرب عن النجوم وأسمائها وذلك في كتاب أسماه «صور الكواكب الثابتة». فأصبحت رسوم الصوفي للمجاميع النجمية قانونًا سرى في أوربا، كما ثبّت كتابه الأسماء العربية للنجوم والتي لا تزال تستعمل إلى يومنا هذا.

ولعلم البصريات لا بد من ذكر الحسن بن الهيثم الذي ولد في البصرة وفيها تلقى علومه، ثم رحل إلى مصر بدعوة من حاكمها الفاطمي، وتوفي في القاهرة. يصفه جورج سارتون بأنه أعظم فيزيائي مسلم. كان فلكيًا ورياضيًا وطبيبًا، ولم يترك علمًا من العلوم إلا وكتب فيه. استفاد ابن الهيثم من مؤلفات الكندي في البصريات ولكنه وضع أساسيات هذا العلم ولذلك سُمي بأبي البصريات.

وكانت إسهامات المؤرخين المسلمين لا تقل أهمية عن إسهامات العلماء لما حفظت من تدوين للأحداث المتنوعة في البلدان الإسلامية ومن بينها الأحداث الفلكية. ومن بين هؤلاء المؤرخين: ابن القلانسي وابن الأثير.

ابن القلانسي وابن الأثير

ولد أبو يعلى حمزة بن أسد التميمي المعروف بابن القلانسي في عام ٤٦٥هـ (١٠٧٣م) وتوفي عام ٥٥٥هـ/١١٦٠م. كان أديبًا كاتبًا تولى رئاسة كُتّاب دمشق مرتين. أتم تاريخ هلال بن المحسِّن الصابئ (ت:٤٤٨هـ/١٠٥٦م)، الذي وقف عند عام وفاته، فوصل به إلى عام ٥٥٥هـ، وأسماه «ذيل تاريخ دمشق». وصنّف فيه تاريخًا للحوادث من بعد سنة أربعين وأربعمئة للهجرة (الموافق سنة ١٠٤٨م) إلى حين وفاته في دمشق يوم الجمعة سابع شهر ربيع الأول من عام خمس وخمسين وخمسمئة للهجرة (الموافق ١٨/٣/١١٦٠م). وهو أول من أرّخ للحروب الصليبية من المؤرخين العرب. فقد أتاحت له المناصب الإدارية، التي تولاها في دمشق، الفرصة للاطلاع على أحداث الحملتين الصليبيتين الأولى والثانية حتى وقت دخول نور الدين محمود دمشق. وروايته للأحداث شاهد عيان تتميز بالموضوعية والدقة.

حقق أميدروز كتاب «ذيل تاريخ دمشق» أول مرة، من مخطوطة في مكتبة بودليان في جامعة أكسفورد، ونشره عام ١٣٢٥/١٣٢٦هـ (١٩٠٨م).

جمع ابن القلانسي الحوادث التاريخية في دمشق بصورة رئيسة، مع ذكر بعض الحوادث في بغداد والقاهرة، مدة قرنين من الزمان. فقد جمع تاريخ الحوادث التي سبقت ولادته، بقرن ونصف القرن على الأقل من كتاب تاريخ الصابئ، الذي لم يُعثر عليه، وسمى كتابه «الذيل» أي ذيل كتاب الصابئ. كما أضاف الحوادث التي شهدها خلال حياته. والطريف في كتاب ابن القلانسي ذكره ليس للحوادث التاريخية فقط، مثل وفاة الملوك وتولي الحكم والحروب وغيرها، فقد اهتم، إلى جانب ذلك، بأحداث بيئية حصلت خلال حياته، مثل الزلازل والعواصف والأمطار والفيضانات، بالإضافة إلى الأحداث الفلكية مثل الكسوف والخسوف وظهور نجم جديد أو «كوكب ذي ذؤابة». وتبعه في هذه الخطوة المؤرخون الذين أتوا بعده مثل ابن الأثير الذي ولد في سنة وفاة القلانسي وتوفي بالموصل عام ٦٣٠هـ الموافق لـ١٢٣٢/١٢٣٣م.

ذكر ابن الأثير في كتابه «الكامل في التاريخ» في فقرة «حوادث أخرى» لكل عام، بعض الأرصاد الفلكية التي شملت أيضًا: «كوكب له ذؤابة». وعند موازنة ما أورده ابن الأثير مع ما أورده ابن القلانسي للفترة نفسها نجده يذكر سبعة مُذنبات مقابل ثلاثة عند ابن القلانسي. وورد ذكر مُذنَّب هالي أكثر من مرة، وتطابقت ثلاثة مذنبات مع تلك التي ذكرها ابن القلانسي. ومن الغريب أن ابن القلانسي لم يذكر مُذنَّب هالي الشهير لعام ٥٣٩هـ/١١٤٥م مع أنه كان معاصراً له؛ وقد يشير ذلك إلى أن ابن القلانسي ذكر الحوادث الفلكية نقلاً عن مرجع آخر.

وهناك بعض الأخطاء في ما أورده ابن الأثير من تواريخ المذنبات كما سيتضح لاحقًا، كما أشار بعض المؤرخين المعاصرين إلى أخطاء أخرى في التاريخ. فقد ذكر هذه الأخطاء حسين أحمد أمين في كتابه «الحروب الصليبية في كتابات المؤرخين العرب المعاصرين لها» (مكتبة النهضة: القاهرة ١٩٨٣م) في الصفحات ٢٩، ٣٣، ٨٣، ٨٥. كما أشار حسن حبشي في كتابه «نور الدين والصليبيون: حركة الإفاقة والتجمع

الإسلامي في القرن السادس الهجري» (دار الفكر العربي: القاهرة ١٩٤٨م) إلى خطأ آخر في الصفحة ٩٩.

سبعة مُذنبات مشتركة في سجلات الأحداث الفلكية

ورد في كتاب الكامل في التاريخ لابن الأثير ذكر سبعة مُذنَّبات خلال السنوات ٤٢٣-٦٢٨هـ الموافقة لـ١٠٣٢-١٢٣٠م، وورد ذكر ثلاثة منها في كتاب ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي. وتوضح الفقرات التالية هذه المذنبات مع ما ورد عنها في سجلات الأرصاد الفلكية في أنحاء أخرى من العالم، والتي جمعها دونالد يومانز من معهد كاليفورنيا التقاني (YEO-MANS,1991). سنذكر في كل فقرة ما ورد نصًّا في كتاب الكامل ثم ما ورد منها نصًّا في كتاب الذيل، وأخيراً ما أورده يومانز من سجلات قديمة، بالإضافة إلى صفات المُذنَّب إن توافرت. وقد أضيفت بين أقواس مربعة ما يقابل التاريخ الهجري من تاريخ ميلادي، أو بالعكس عند الضرورة، لتسهل الموازنة مع ما ذكره يومانز مع تعليق في نهاية كل فقرة.

١- مُذنَّب ٢٥ آب/ أغسطس ١٠٥٦م:

ابن الأثير: وفيها [سنة ثمان وأربعين وأربعمئة] في العشر الثاني من جمادى الآخرة [ابتداء من ١١ جمادى الآخرة ٤٤٨هـ الموافق ٢٥ آب/ أغسطس ١٠٥٦م] ظهر وقت السحر في السماء ذؤابة بيضاء طولها نحو عشرة أذرع في رأي العين وعرضها ذراع، وبقيت كذلك إلى نصف رجب [١٥ رجب ٤٤٨ هـ يوافق ٢٧ أيلول/ سبتمبر ١٠٥٦م]، واضمحلت (ابن الأثير ج٨، ١٣٤٨هـ:٧٩).

يومانز: شوهد المذنَّب في الصين واليابان خلال شهري آب/ أغسطس وأيلول/ سبتمبر ١٠٥٦م. كان أبيض اللون وامتد ١٥ درجة(٢) واختفى في ٢٥ أيلول (YEOMANS,1991:391).

تعليق: يبدو التطابق في تسجيل المُذنَّب تامًّا بين ابن الأثير والسجلات في الشرق الأقصى (الصين واليابان).

٢- مُذنَّب هالي في نيسان/ أبريل ١٠٦٦م:

ابن الأثير: [سنة ثمان وخمسين وأربعمئة] في العشر الأول من جمادى الأولى [توافق بداية شهر جمادى الأولى ٤٥٨هـ يوم ٢٩ آذار/ مارس ١٠٦٦م] ظهر كوكب كبير له ذؤابة طويلة بناحية المشرق عرضها نحو ثلاث أذرع وهي ممتدة إلى وسط السماء، وبقي إلى السابع والعشرين من الشهر [٢٤ نيسان/ أبريل ١٠٦٦م]، وغاب. ثم ظهر أيضًا آخر الشهر المذكور [٢٧ نيسان/ أبريل] عند غروب الشمس كوكب قد استدار نوره عليه كالقمر فارتاع الناس وانزعجوا، ولما أظلم الليل صار له ذوائب نحو الجنوب وبقي عشرة أيام ثم اضمحل (ابن الأثير ج٨، ١٣٤٨هـ:١٠٤).

يومانز: مُذنَّب هالي شوهد في الصين (من ٣ إلى ٢٢ نيسان/ أبريل ثم من ٢٤ نيسان/ أبريل إلى ٦ حزيران/ يونيو)، واليابان وكوريا في ٣ نيسان/ أبريل. رُصد في إيطاليا من ٥ إلى ٢٠ نيسان/ أبريل من الشرق، وكان طوله ١٠ درجات، ثم عاد للظهور في ٢٤ نيسان/ أبريل من جهة الغرب وبقي حتى بداية حزيران/ يونيو. الحضيض الشمسي للمُذنَّب كان في ٢١ آذار/ مارس، وأقرب مسافة من الأرض (٠،١١ وحدة فلكية)(٣) في ٢٤ نيسان/ أبريل. في ٢٦ نيسان/ أبريل كان طوله ٢٢ درجة. وكان سطوعه بعد مروره في الحضيض الشمسي شديداً على غير المعتاد (YEO-MANS,1991:392).

تعليق: التوافق دقيق في التواريخ وتقريبي في الأبعاد. أما ارتياع الناس عند ابن الأثير فسببه السطوع غير الاعتيادي للمُذنَّب بعد الحضيض الشمسي.

٣- مُذنَّب تشرين الأول/ أكتوبر ١٠٩٧م:

ابن الأثير: وفيها [سنة تسعين وأربعمئة] في شعبان [وافق شعبان ٤٩٠هـ ١٢ تموز/ يوليو إلى ١٠ آب/ أغسطس١٠٩٧م] ظهر كوكب كبير له ذؤابة وأقام يطلع عشرين يومًا ثم غاب ولم يظهر (ابن الأثير ج٨، ١٣٤٨هـ:١٨٥).

ابن القلانسي: وفي شعبان [سنة تسعين وأربعمئة] ظهر كوكب ذو الذؤابة من الغرب وأقام طلوعه تقدير عشرين يومًا ثم غاب فلم يظهر (ابن القلانسي، ١٩٠٨م:١٣٤).

يومانز: شوهد في ٢ تشرين الأول/ أكتوبر ١٠٩٧م [الموافق ٢٤ شوال ٤٩٠هـ] في كوريا والصين واليابان. في ٩ تشرين الأول/ أكتوبر كان طوله ٧ درجات واختفى في ٢٥ أكتوبر. الحضيض الشمسي لهذا المذنب كان في ٢٢ أيلول/ سبتمبر، وأقرب مسافة من الأرض (٠،٥٢ وحدة فلكية) في ١٥ تشرين الأول/ أكتوبر (YEOMANS,1991:393).

تعليق: يتضح اختلاف بسيط بين تواريخ ابن الأثير وابن القلانسي مع تلك التي في سجلات العالم. وقد يكون الخطأ في اسم الشهر في المخطوطات العربية عائداً إلى كتابة شهر شعبان بدلاً من شوال. فهناك تقارب كتابي بين كلمتي شعبان وشوال. ومما يؤكد هذا الخطأ الكتابي ورود ذكر المذنب عند ابن القلانسي بعد أحداث حصلت في رجب ثم النصف من شعبان ثم الثاني من شوال ثم المذنب في شعبان ثم أحداث في ذي القعدة. أي إن تسلسل الأشهر يؤكد أن المُذنَّب شوهد في شوال [٩ أيلول/ سبتمبر إلى ٨ تشرين الأول/ أكتوبر ١٠٩٧م]؛ وليس في شعبان. ومن الواضح أن الخطأ المعتاد في النقل بين المخطوطات حصل عند الاثنين لنقلهما من المصدر نفسه. وتطابق الوصف مع السجلات الأخرى يثبته تساوي مدة مشاهدة هذا المُذنَّب (نحو عشرين يومًا).

٤- مُذنَّب شباط/ فبراير ١١٠٦م:

ابن الأثير: وفيها [سنة تسع وتسعين وأربعمئة] في ربيع الآخر [٩ كانون الأول/ ديسمبر ١١٠٥ إلى ٧ كانون الثاني/ يناير ١١٠٦م] ظهر كوكب في السماء له ذؤابة كقوس قزح آخذة من المغرب إلى وسط السماء، وكان يُرى قريبًا من الشمس قبل ظهوره ليلاً، وبقي يظهر عدة ليال ثم غاب (ابن الأثير ج٨، ١٣٤٨هـ:٢٣٦).

ابن القلانسي: وفي هذا الشهر [ربيع الآخر سنة تسع وتسعين وأربعمئة] ظهر من الغرب كوكب له ذؤابة كقوس قزح آخذة من المغرب إلى وسط السماء، وقد كان رُئي قريبًا من الشمس نهارًا قبل ظهوره في الليل وأقام عدة ليال وغاب (ابن القلانسي، ١٩٠٨م:١٤٩).

يومانز: شوهد لأول مرة في ٩ شباط/ فبراير ١١٠٦م [٣ جمادى الآخرة ٤٩٩هـ] في الجنوب الغربي لمدة شهر في الصين وكوريا واليابان وأوربا وفي النهار. كان طوله يزيد على ٦٠ درجة وعرضه ٤،٥ درجة، وشوهد قرب الشمس في ٤ و٥ شباط/ فبراير (YEO-

المُذنَّبات

في كتابات بعض المؤرخين المسلمين: ابن القلانسي وابن الأثير

MANS,1991:393).

تعليق: يوجد اختلاف بين شهر رؤية المذنب في السجلات العربية مع سجلات العالم. وقد يكون الخطأ في اسم الشهر فهو شهر جمادى الآخرة وليس ربيعًا الآخر. فقد ذُكر المُذنَّب عند ابن القلانسي بعد حدث وقع في النصف من شهر ربيع الآخر، فربما ورد الخطأ في إيراد شهر لم يُذكر بالتحديد وإنما بصيغة «في هذا الشهر» هو سبب الفرق القليل مع السجلات الأخرى. والتشابه يتضح من مشاهدة المذنب في النهار.

٥- مُذنَّب آيار/ مايو ١١١٠م:

ابن الأثير: وفيها [سنة ثلاث وخمسمئة] في ثامن ذي القعدة [٢٨ مايس (مايو) ١١١٠م] ظهر في السماء كوكب من الشرق له ذؤابة ممتدة إلى القبلة وبقي يطلع إلى آخر ذي الحجة [١٨ تموز/ يوليو ١١١٠م] ثم غاب (ابن الأثير ج٨، ١٣٤٨هـ: ٢٦٠).

ابن القلانسي: وفي ثامن من ذي القعدة ظهر في السماء كوكب من الشرق له ذؤابة ممتدة إلى القبلة وأقام إلى آخر ذي الحجة ثم غاب (ابن القلانسي، ١٩٠٨: ١٦٩).

يومانز: شوهد في ٢٩ مايو [٩ ذي القعدة ٥٠٣هـ] في الصين وكوريا واليابان، كما رُصد في ألمانيا بين ٩ و٣٠ حزيران/ يونيو. الحضيض الشمسي في ١٨ مايس (مايو) وأقرب مسافة من الأرض (٠,٤٩ وحدة فلكية) في ١٢ يونيو (YEOMANS,1991:393).

تعليق: توافقت السجلات الثلاثة.

٦- مُذنَّب هالي ١٥ نيسان/ أبريل ١١٤٥م:

ابن الأثير: وفيها [سنة تسع وثلاثين وخمسمئة] في شوال [٢٦ آذار/ مارس إلى ٢٣ نيسان/ أبريل ١١٤٥م] ظهر كوكب عظيم له ذنب من جانب المشرق وبقي إلى نصف ذي القعدة [٨ مايس (مايو) ١١٤٥م] ثم غاب. ثم طلع من جانب الغرب فقيل هو هو. وقيل بل هو غيره (ابن الأثير ج٩، ١٣٤٨هـ: ١٠).

يومانز: مُذنَّب هالي شوهد في الصين واليابان وكوريا وأوربا من ١٥ نيسان/ أبريل. في ٩ مايو كان طوله ٢٠ درجة مؤشرًا نحو الغرب. وبعد دخوله باقتران مع الشمس خرج في ١٦ مايس (مايو) في السماء في الغرب - الشمال الغربي وأشعته متجهة نحو الشرق بطول خمس درجات بسبب الغيوم - وفي ١٧ مايس (مايو) وبعد زوال الغيوم كان طول ذيله ٢٠ درجة، واختفى في ٦ تموز/ يوليو. الحضيض الشمسي في ١٩ نيسان/أبريل، وأقرب مسافة من الأرض (٠,٢٧ وحدة فلكية) في ١٢ آيار/ مايو (YEO-MANS,1991).

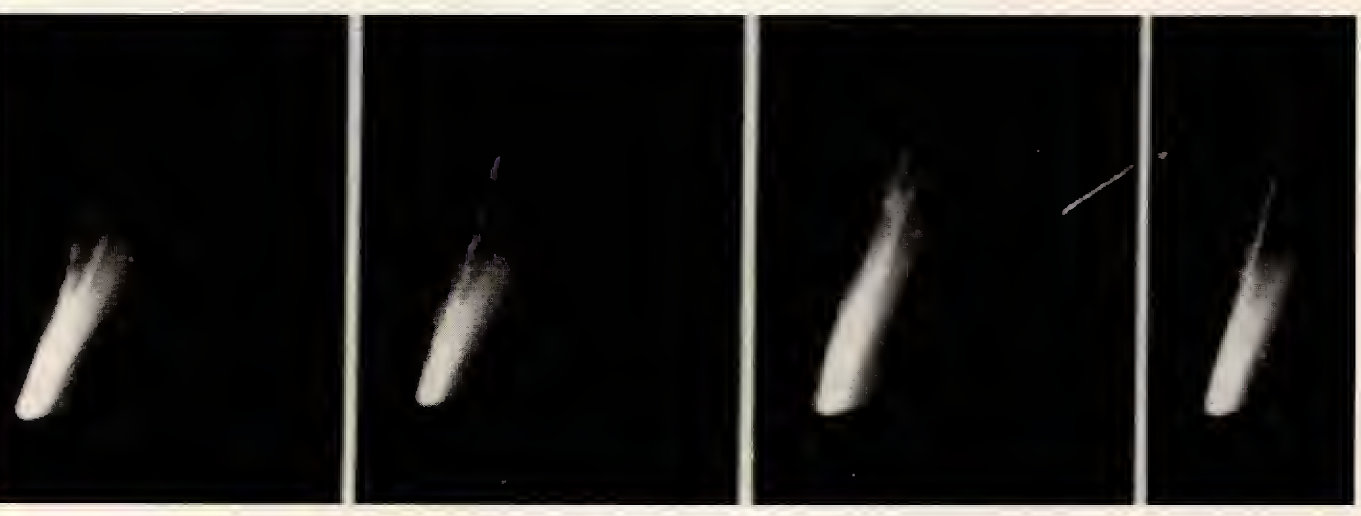
تعليق: من الغريب أن ابن القلانسي لم يذكر قدوم مذنب هالي في حياته. وربما يعود ذلك إلى سعير الحروب الصليبية وسقوط الرها على يد عماد الدين الزنكي في تلك الحقبة. التوافق دقيق بين جميع السجلات لمُذنَّب هالي.

٧- مُذنَّب هالي ٣ أيلول/ سبتمبر ١٢٢٢م:

ابن الأثير: في هذه السنة [سنة تسع عشرة وستمئة] في العشرين من شعبان [٢٧ أيلول/ سبتمبر ١٢٢٢م] ظهر كوكب في السماء في الشرق كبير له ذؤابة طويلة غليظة، وكان طلوعه وقت السحر فبقي كذلك عشرة أيام، ثم إنه ظهر أول الليل في الغرب مما يلي الشمال فكان كل ليلة يتقدم إلى جهة الجنوب نحو عشرة أذرع في رأي العين، فلم يزل يقرب من الجنوب حتى صار غربًا محضًا بعد أن كان غربًا مما يلي الشمال، فبقي كذلك إلى آخر شهر رمضان [٥ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٢٢٢م] من السنة ثم غاب (ابن الأثير ج٩، ١٣٤٨هـ: ٣٥٠).

يومانز: مُذنَّب هالي شوهد في الصين واليابان وكوريا في ٣ أيلول/ سبتمبر. في ٨ أيلول/ سبتمبر كان من جهة الشمال الغربي ومركزه كان بحجم نصف بدر ولونه أبيض، ولكن الذيل كان يميل لونه إلى الأحمر وطوله ٢٥ درجة. وسجل الكوريون رؤيته في ٩ أيلول/ سبتمبر، واختفى في ٨ تشرين الأول/ أكتوبر. الحضيض الشمسي في ٢٩ أيلول/ سبتمبر. وأقرب مسافة من الأرض (٠,٣١ وحدة فلكية) في ٦ أيلول/ سبتمبر (YEO-MANS, 1991).

تعليق: التوافق بين السجلات واضح، فالمُذنَّب كبير وواضح. غير أن استمرار رؤيته إلى «آخر رمضان» تبدو غير دقيقة.



مذنب مركوس MRKOS في عام ١٩٥٧م

نجد من المقابلة بين السجلات توافق ما ورد في كتابي ابن الأثير وابن القلانسي مع السجلات الأخرى، بصورة عامة، مع بعض الأخطاء في المُذنّب رقم (٣) ورقم (٤) التي يمكن تفسيرها بخطأ كتابي، أما باقي المُذنّبات فمتطابقة تمامًا. ومُذنّب هالي (رقم ٢، ٦، ٧) ظهر في الأعوام ١٠٦٦م و١١٤٥م و١٢٢٢م؛ أي بعد ٧٩ سنة ثم ٧٧ سنة على التوالي. وقد فات ابن القلانسي تسجيل مُذنّب هالي الذي سبق ولادته والذي عاصره. أما ابن الأثير فقد سجل المُذنّبين اللذين سبقا ولادته (رقم ٢ و٦) من المدونات التي سبقته، كما سجل المُذنّب الذي عاصره (رقم ٧) بتفصيل أكثر من تلك التي نقلها ممن سبقه.

لقد أسهمت السجلات العربية، بالإضافة إلى السجلات القديمة الأخرى (البابلية والصينية والكورية والأوربية) للأحداث الفلكية، في توفير المعلومات المهمة لفلكيي العصر الحديث في دراساتهم للتغيرات الفلكية التي حصلت لمنظومتنا الشمسية. فالحسابات النظرية تعجز عن التحديد الدقيق لمسار المذنب، لذلك تبقى مشاهدة المذنب المقياس الأدق له.

مخاطر المذنّبات وتزامنها مع الكوارث

كان يُعتقد في الماضي أن ظهور المُذنّبات هي علامة شؤم أو تحذير، وكانوا يربطون حدوث الكوارث بظهور المُذنّبات، فقد ظهر مُذنّب عام ٤٤ قبل الميلاد بعد اغتيال يوليوس قيصر فاعتقد الرومان أنه «روح» قيصر. كما ظهر مُذنّب هالي عام ١٠٦٦م حين غزا النورمانديون إنجلترا. وكان مُذنّب ١١٠٦م الساطع يُرى في النهار (المُذنّب رقم ٤ أعلاه)، والذي ورد عند المؤرخين المسلمين كما في الجدول السابق، متزامنًا مع اشتداد الحروب الصليبية. وصاحب ظهور مُذنّب عام ١٦٦٥م في إنجلترا الأسابيع الأولى لوباء الطاعون الكبير، وهناك مُذنّب آخر ظهر في ١٦٦٦م مع حريق لندن العظيم. وأشار الكاتب الروسي الشهير ليو تولستوي في روايته المعروفة «الحرب والسلم» إلى مُذنّب عام ١٨١١م(٤) وتزامنه مع الاضطرابات والحروب العديدة في أوربا.

والممحّص لهذه الحوادث يجد أن أضعافها كان يحدث من الأوبئة - بأنواعها العديدة - والحروب والكوارث بصورة مستمرة، فإن تزامن بعضها مع ظهور مُذنّب فلا علاقة للمُذنّب بهذا الأمر أو ذاك. ومع ذلك فلا يزال ربط المُذنّبات بالكوارث ملازمًا لها حتى اليوم؛ فأحداث عام ١٩٨٦م، وهو عام قدوم مُذنّب هالي، تزامنت بصورة غريبة مع عدة كوارث غير مألوفة، أهمها انفجار مركبة الفضاء الأمريكية تشالنجر في ٢٨ يناير - بعد دقائق من انطلاقها - أمام أعين مجموعة كبيرة من المتفرجين من بينهم عوائل رواد الفضاء الذين قُتلوا جميعًا، وكارثة المفاعل النووي في تشيرنوبل قرب كييف عاصمة جمهورية أوكرانيا، التي كانت إحدى جمهوريات الاتحاد السوفييتي قبل تفككه واستقلال أوكرانيا عام ١٩٩١م. كما تزامن ظهور مُذنّب هياكوتاكي عام ١٩٩٦م مع إعلان كارثة لحوم البقر الملوثة والمسببة لمتلازمة كرويتزفيلد - ياكوب للإنسان، وقد تم اكتشاف المرض أول مرة عام ١٩٨٦م (عام مُذنّب هالي)، ولكنهم لم يعيروه الاهتمام الواجب حتى تفاقم ليصل إلى أقصاه عام ١٩٩٦م، ونتج من ذلك إيقاف توريد لحوم البقر من بريطانيا للدول الأوربية وباقي دول العالم المستوردة، ومن ثم إتلاف الثروة الحيوانية من البقر في بريطانيا، بالإضافة إلى فقدان الثقة التي ستمضي سنون



خارطة العالم وقد عُيّنت عليها مواقع الحُفر التي تُعزى إلى سقوط النيازك التي أصلها من المذنبات. وتتعرض المحيطات لسقوط النيازك أيضًا، ولكن يصعب الكشف عنها

عديدة قبل أن يطمئن العالم ويعيد ثقته باستيراد لحوم البقر من بريطانيا ويرفع الحصار المفروض عليها.

بالإضافة إلى تزامن حدوث الكوارث مع ظهور المُذنَّبات، وهو أمر يُقابل بالشك، فهناك احتمال خطر حقيقي من اقتراب المُذنَّبات من المنظومة الشمسية، وهو احتمال اصطدامها بكوكب أو بالأرض. فقد اصطدم مُذنَّب بالشمس وصُوِّر اصطدامه في ٣٠/٣١ آب/ أغسطس ١٩٧٩م بعد تصميم قمر صناعي خاص لذلك. كما اصطدم مُذنَّب شوميكر - ليفي٩ SHOEMAKER- LEVY 9 بكوكب المشتري في التاسع من تموز/ يوليو ١٩٩٤م، وهو حدث فلكي فريد لا يحدث إلا نادرًا.

أما على الأرض فقد حدث حريق في مساحة نصف قطرها ٤٠ كيلومترًا، بمساحة ٥٠٠٠ كيلومتر مربع، في صباح يوم ٣٠ حزيران/ يونيو ١٩٠٨م في منطقة تونغوسكا TUNGUSKA في وسط سيبيريا (تبعد نحو ١٠٠٠ كيلو متر شمال إركوتسك IRKUTSK) سببه سقوط كرة نارية سُمع صوتها على بعد ١٠٠٠ كيلومتر وصاحبتها هزة أرضية. وقد أثبتت الأبحاث في السبعينيات بعد تحليل البقايا في الموقع أنه نيزك من أحد أنواع النيازك (نوع بيتا توريد B TAURID) الذي يُعرف مع مُذنَّب إنكه. ولكن بحساب احتمال تكرار مثل هذه الحادثة فإنه لا يزيد على واحدة كل ألفي عام. لقد كانت الأرض محظوظة عندما سقط هذا المُذنَّب على بقعة نائية غير مأهولة بالسكان. إن اختفاء المُذنَّبات وعدم عودتها يعود إما إلى اصطدامها بالشمس أو بأحد الكواكب، وإما إلى تجزُّئها إلى قطع صغيرة، كما حصل لمُذنَّب شوميكر - ليفي٩. وتبقى شظايا المُذنَّب تدور في مسار المُذنَّب القديم مدة محدودة، ثم يتغير المسار بفعل تأثير قوى التجاذب بين شظايا المُذنَّب وباقي الأجرام السماوية. فقد سُجِّل انشطار مُذنب بيلا(٥) بين عامي ١٨٤٢ و١٨٤٣م إلى جزأين عندما اقترب إلى مسافة ٠,٠٥ وحدة فلكية من الشمس، ولم يظهر بعد عام ١٨٥٢م. وفي ٢٧ نوفمبر ١٩٧١م اكتشف الفلكيون حزمة نيازك تظهر في مسار مُذنَّب بيلا نفسه، وفي موعد عودته؛ مما دعاهم إلى استنتاج أن أصل النيازك المنهمرة في الماضي أو الحاضر ربما كان مُذنَّبات مجزأة وانتهت في شكل نيازك. وقد يؤدي المزيد من البحث في السجلات التاريخية إلى اكتشاف تسجيل أحداث قد تكون اصطدام مُذنَّب مع الأرض.

الخلاصة

على أن البحوث الحديثة عن المذنبات كشفت العديد من أسرارها، إلا أنها لا تزال تحمل الكثير من الغموض، مثل مصدرها وموعد عودتها الدقيق وسطوعها. فعلى دقة حسابات الفلكيين واستعانتهم بالحواسيب الضخمة، فإنهم يخفقون في التنبؤ الدقيق بما يحصل للمُذنَّب عند اقترابه من الشمس. ومفاجآت المُذنَّبات عديدة، وكم من المُذنَّبات توقع لها الباحثون مظهرًا باهرًا في السماء؛ إلا أنها خيبت آمال الفلكيين وعامة الناس كما حصل مع مُذنَّب هياكوتاكي. لذلك أصبح الفلكيون أكثر حذرًا في إطلاق تنبؤاتهم حول المذنَّبات قبل اقترابها من الأرض لكي لا يخيب الأمل و«تتشوه» سمعة العلماء ودقة حساباتهم، إن كان هذا المُذنَّب لن يبدو إلا مثل «لطخة» صغيرة بين النجوم الساطعة.

تكمن أهمية سجلات الحوادث الفلكية في عصر ما قبل التلسكوب في إمكان استغلالها في العصر الحالي لمعرفة التغيرات التي حصلت في حركة الأجسام الفلكية منذ تاريخ أقدم السجلات. فدقة الحسابات النظرية بالحاسوب لا تطابق النتائج الفعلية من الرصد والمشاهدة. ويعود هذا إلى تداخل عوامل وتأثيرات جانبية، مثل تأثير جاذبية الكواكب التي يمر المذنب بقربها، وتسهم في حرف اتجاهه. وأسهم التراث الإسلامي مع السجلات التاريخية القديمة الأخرى بدوره في إلقاء المزيد من الضوء على تاريخ المذنبات.

إن الاستفادة من التراث الإسلامي المدون، العلمي والتاريخي، واجب على أبناء الجيل الحالي لما وفرته تقانة الحواسيب المتطورة من تسهيل البحث والتقصي. ومما يؤسف له أن آلاف المخطوطات الإسلامية بأنواعها ومواضيعها المتعددة، والمتوزعة في مكتبات العالم كافة، لم تر النور بعد كل هذه القرون العديدة، على معرفة الجميع بأهميتها العلمية والتاريخية. فنجد بين الحين والآخر مستشرقًا يتولى تحقيق مخطوطة ونشرها كان الأولى بأبناء مؤلفيها من العلماء المسلمين القيام بتحقيقها وبتحقيق تراثهم الغني ونشر كنوزه. فبينما يقوم الصينيون والكوريون الآن بتحقيق مدوناتهم التاريخية وتحويلها إلى أقراص مدمجة بذاكرة قراء فقط CD-ROM ليسهل البحث فيها عن المدونات الفلكية والبيئية، لا يزال الكثير من متخصصي العلوم الإسلامية يستعينون بالمخطوطات بشكلها الأصلي مع معاناة قراءتها وصعوبة البحث فيها. وربما آن الأوان لهذه الكنوز أن ترى النور وتأخذ حقها من التحقيق والنشر بالطرق الحديثة، مثل الأقراص المدمجة، بعد ازدياد الاهتمام بجمع المخطوطات في العالم الإسلامي والعربي لما فيها من فائدة مرجوة للعلوم كافة.

الهوامش:

١- دأب الفلكيون، منذ اقتراح راصد المُذنَّبات الفرنسي شارل ميسيه CHARLES MESSIER (١٧٣٠-١٨١٧م)، على تسمية المُذنَّبات باسم مكتشفها أو مكتشفيها وإضافة رقم تسلسلي إذا كان للمكتشف نصيب في اكتشاف أكثر من مُذنَّب.

٢- لغرض الموازنة يحسب قطر البدر نصف درجة من السماء.

٣- تعادل الوحدة الفلكية ASTRONOMICAL UNIT نحو ١٥٠ مليون كيلومتر وهي المسافة بين الأرض والشمس.

٤- كان هذا المذنب يُرى بالعين المجردة مدة تسعة أشهر بعد الغروب إلى ما قبل الشروق.

٥- اكتشفه الضابط النمساوي فيلهلم فون بيلا BIELA (١٧٨٢ - ١٨٥٦م) في ٢٨/٢/ ١٨٢٦م، ودورته تستغرق نحو سبع سنوات.

المراجع العربية:

- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، تسعة أجزاء، القاهرة: مطبعة الاستقامة، ١٣٤٨هـ- ١٩٢٩/ ١٩٣٠م.
- تاريخ أبي يعلى حمزة بن القلانسي المعروف بذيل تاريخ دمشق، طبع في بيروت بمطبعة الآباء اليسوعيين ١٩٠٨م. حققه وكتب ملخصه باللغة الإنجليزية الباحث الإنجليزي آميدروز H.F. AMEDROZ.
- علي عبدالله الدفاع: روائع علماء العرب والمسلمين في الرياضيات. القاهرة: جون وايلي، ١٩٧٨م.

REFERENCES:

CALDER, N. (1992), GIOTTO TO THE COMETS, LONDON: PRESSWORK.
COMET HALE - BOPP HOME PAGE. HTTP: / / WWW. IAC. ES/ HALE- BOPP/ HBITP.HTML
SARTON, G.(1953), INTRODUCTION TO THE HISTORY OF SCIENCE, VOL.I, CARNEGIE INSTITUTE OF WASHINGTON.
STEPHENSON, F.R. AND WALKER, C.B.F. (EDS) (1985), HALLEY,S COMET IN HISTORY, LONDON: BRITISH MUSEUM PUBLICATIONS.
YEOMANS, D.K. (1991), COMETS: A CHRONOLOGICAL HISTORY OF OBSERVATION, SCIENCE, MYTH, AND FOLKLORE, NEW YORK: JOHN WILEY& SONS.
, G.L. (1996), IMPACTS: THE THREAT OF COMETS AND ASTEROIDS, OXFORD UNIVERSITY PRESS.

ضرورات تجديد الفكر الإسلامي

محمد مراح

إنّ المتأمل في حديث النبي صلى الله عليه وسلم: «إنّ الله يبعث لهذه الأمة على رأس كلّ مئة سنة من يُجدِّدُ لها دينها» (رواه أبو داود) يجد فيه تأكيداً وإشارة إلى ضرورة العمل لتحقيق التجديد في واقع الأمة.

وفي هذا المقال نعمل على تبيين أوجه الضرورة المشار إليها، التي تتنوّع بالقدر الذي يستقطب طاقات الأمة وفعّالياتها العلمية والفكرية، لجعل جهودها ونتاجها العلمي يسعى لتلبية هذه الضرورات وفق مناهج علمية تنطلق من رؤية الإسلام إلى الكون والإنسان والحياة، فتؤسس الأرضية الفكرية التي يُعَادُ وَفْقَهَا البناء الحضاري للأمّة.

ويمكن تصنيف هذه الضرورات على النحو التالي:

١ـ الضرورة الطبيعية

يعنى بها أن طبيعة الحياة التجدّد والتطوّر بالقدر الذي لا يرحم من لا يستجيب لما في هذه الخاصيّة. لكن عندنا ـ نحن المسلمين ـ ينبغي أن تكون هذه الاستجابة على نحو يحفظ على الأمة ذاتيتها الثقافية والحضارية، فلا تقع في أسْر التقليد للماضي حرفيًا، ولا تتحوّل إلى تابعٍ ذليل للحضارة الغالبة فتنطبق عليها مقولة ابن خلدون: «المغلوب مولع بتقليد الغالب»، مع ملاحظة كيف تنهض طبيعة الإسلام في أسسه ومناهجه التشريعية لتلائم هذه الضرورة.

فمن المقرّر أن «الحياة متحركة ومتطوّرة دائمةُ الشباب مستمرّة النّمو، تنتقل من طور إلى طور، ومن لون إلى لون، لا تعرف الوقوف ولا الركود، ولا تصاب بالهرم والتعطّل، فلا يسايرها في رحلتها الطويلة المتواصلة إلاّ دين حافل بالحركة والنّشاط، لا يتخلف عن ركب الحياة، ولا يعجز عن مسايرته وزمالته، ولا تقصر عنه خطواته، ولا تنفد حيويته ونشاطه»(١)، كما أن التجديد «ليس مقصوراً على الدين، فكلّ مرفق من مرافق الحياة يتجدّد: العادات، والتقاليد، والأدب، والنظرات السياسية، والعلم، وكلّ شيء في الحياة يتجدد، لأنّ هذه الأشياء كلّها وليدة الزّمان، والزّمانُ في تجدّد مستمرٍ وحركة دائبة»(٢).

من هنا كان من خصائص الدين الذي أُنزلَ ليتعاملَ مع بُعْدَيْ الزمان والمكان غير الثابتَيْن ولا المستقرَّيْن أن يكون مبنيًا ـ ابتداءً ـ على مبادئ تستجيب لهذه السنة من سنن الله في الحياة، هي سنة التغيّر والتطوّر، «وذلك شأن الإسلام، فإنّه وإن كان مؤسسًا على عقائد ثابتة وحقائق خالدة زاخرة بالحياة، فهو حافل بالنشاط، له من الحيوية معين لا ينضب ومادة لا تَنْفَدُ، صالح لكلّ زمان ومكان، وعنده لكلّ طور جديد من أطوار الحياة، ولكلّ جديد من أجيال البشريّة، ولكلّ عهد مستأنف من عهود التّاريخ، ولكلّ مجتمع عصري من مجتمعات البشر، مَدَدٌ لايقْصُرُ عن الحاجة ولا يتأخر عن الأوان»(٣).

لذا تركت مبادئ الإسلام مجالاً واسعًا للعقل الإنساني كي يتحرّك في دائرة القوانين الكونية والاجتماعية، لأن التغيير الدائم في الحياة في ظلّ تلك القوانين اعترف به الإسلام ولا يريد أن يقف أمامه أو يجمد المجتمع الإسلامي دونه.

وفي سبيل تحريك الفكر الإسلامي في داخل الإطار الثابت من الأصول والقواعد العامة عدَّ الإسلامُ الاجتهادَ موقفًا صحيحًا وعملاً مثابًا عليه في حالتي الصواب والخطأ.

من هذا المنطلق فإن الفكر الإسلامي بدأ حركته منذ حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم في الاتجاهات جميعًا التي أراد الإسلام أن يضع الناس عليها، لأنّ تلك الاتجاهات العقيدية والتشريعية والسلوكية هي التي تمثل التكاملية الإسلامية في الحياة الحضارية(٤).

وإذا كان الإسلام قد بُنِيَ منذ إقامة مجتمعه الأوّل على هذه «التكاملية الإسلامية» التي كانت خلاصتها إقامة حضارة متميزة، فإنّ ما ينبغي استخلاصه بوضوح أنّ التلاؤم ـ بين سنة التغير والتطور التي سميناها «الضرورة الطبيعية» ومبادئ الإسلام ـ لا سبيل لإنكاره من طرف الباحث المنصف، كما أنه توافق مطّرد الوجود متى وُجد العقل المجتهد المبدع الذي يحسن إنزال النصوص على الواقع دون إهمال لحاجات النّاس في واقعهم من جهة، ولا لَيٍّ لأعناق النصوص وتحريفها عن مراد الشّارع بها أو توجيهها غير الوجهة التي تتحمّلها من جهة أخرى.

٢ـ الضرورة النفسية

إذا وقعت الأمّة في وهدة الانحطاط والتخلّف ردحًا من الزمن، وما ينشأ عنهما من رتابة تطبع الفكر والحياة، ثمّ ما قد يحدث من

اتّصال بحضارة ناهضة، فإنّه يغمر بعض النفوس إحساس وشعور عارم بضرورة التجديد، فيكون السعي لتحقيقه بمنزلة إرضاء لتلك الضرورة في وجهيها النفسي والشعوري، ومن هنا «تبدأ فكرة التجديد عند فرد أو أفراد قلائل تأتيهم هذه الفكرة من شدّة شعورهم بسوء الحاضر، فيدعون إليها ويؤلفون الحجج العقلية والشعورية للبرهنة على صحتها»(٥)؛ فيكونون بذلك المعبّرين فكريًا أو فكريًا وعمليًا معًا عن تلك الضرورة.

٣- الضرورة الشرعية والتشريعية

لما كانت طبيعة الإسلام - كما قضى الله عزّ وجلّ - الامتداد في المكان والاستمرار مع الزمان، جاءت تشريعاته على نحو يلائم التنوّع في المكان، والتغيّر في الزمان، لأنّ «حوادث الأيام خارجة عن التعداد، ومعرفة أحكام الدين لازمة إلى يوم التناد، ولم تف ظواهر النصوص ببيانها - كما هو معروف - بل لا بدّ من طريق واف بشأنها»(٦) ممّا نشأت عنه ضرورة «ظهور قوم من الأعلام في غرّة كلّ قرن ليقوم بأعباء الحوادث»(٧).

وهذا ما يسوّغ القول بالضرورة الشرعية والتشريعية للتجديد الذي وسيلته وإطاره الأدائي الشرعي «الاجتهاد» الذي هو «استفراغ الجهد في دَرْك الأحكام الشرعية»(٨). فالعقلُ - هذه الملكة العجيبةُ - الذي ميّز به الله سبحانه الإنسان من غيره من المخلوقات، واستحقّ على أساسه الاستخلاف في الأرض وحَمْل الأمانة، لا يمكن ولا يُتصوّر أن يُعَطَّل عن أداء دوره الفعّال الذي من أجله خلقه اللّه عزّ وجلّ، فالجهد المستفرغ لدرك الأحكام الشرعية - كما هو واضح في التعريف المذكور - إنّما هو جهد العقل، ولذا كان «تكليف العقل بالفكر والاجتهاد للقادر عليه والمؤهل له، يساوي تكليف الجسم بالعبادة»(٩)، فيبقى العقل - لذلك - في حالة نشاط مستمر يرفد الحياة الإسلامية بما يُفتح عليه من نتاج متجدّد نتيجة النظر البصير في النصوص والانضباط بكليات الدين ومقاصده من جهة، والاستجابة لحاجات العصر والحياة من جهة أخرى.

ولعلّ هذا ما دعا بعضهم إلى القول: إن «الاجتهاد لا فرض كفاية وحسب؛ بل فرض عين»(١٠)، وإنّه أمر مفروض؛ بل «من المعلوم من الدين بالضرورة»(١١)؛ مما يصبح معه القول بإسقاط هذه الفرضيّة أو سدّ العمل بها، «كبيرة من الكبائر، لما يترتب عليه من تعطيل أحكام التكليف، لما يَجِدُّ من الوقائع التي لا تُحصى كثرة، وخلوّها من الأحكام، وذلك يورث العجز عن تدبير الأمر في القضايا الكبرى التي تنزل بساحة الأمة»(١٢).

والنظر الفاحص الدقيق في صياغة النصوص القرآنية، من جهة، وفي منهجية التشريع الإسلامي وفلسفته، من جهة أخرى، يؤكّد ما سبق تقريره، وهو ما نقف عليه في مقال للدكتور محمد فتحي الدريني بمجلة «الاجتهاد» عنوانه «مناهج الاجتهاد والتجديد في الفكر الإسلامي». يقول: «ولعلّ السرّ في صياغة معظم النصوص القرآنية على نحو (ظني) محتمل لأكثر من معنى، لا قطعي، هو فتح باب التجديد في الفكر الديني على مصراعيه بما يناسب كلّ عصر من الأحكام التي تحتملها تلك النصوص، فضلا عن (الاجتهاد المصلحي) فيما لا نصّ فيه والقائم على تقدير ما يطرأ على الأمّة من المصالح التي تتعلق بجميع نواحي الحياة، وهذا أرحب أفقًا، وأوسع مجالاً، وللاجتهاد بالرأي فيه مجالات يخلقها التطوّر المستمرّ نفسه، بما يضمن للحياة نموّها، وتقدّمها، واستمرارها. ولا نعلم أصلا من أصول التشريع في العالم قد أوتي من المرونة والسعة مثل ما أوتي الاجتهاد بالرأي في التشريع الإسلامي (...) إنّ «الوضع البياني» للقرآن العظيم ذو صلة وثقى، بل وعضويّة، بالاجتهاد بالرأي، في بعده الجائل في نطاق النصّ - كليًّا كان أم جزئيًّا - إذ كان ظني الدلالة، ومعظم آي القرآن الكريم من هذا القبيل، بل في جولان الاجتهاد بالرأي، فيما هو أوسع أفقًا، وأرحب مجالاً، وأعني به «المصالح المتجددة» التي لم يرد فيها نصّ بالاعتبار أو الإلغاء، وهو ما يُسمّى في أصول الفقه الإسلامي: المصالح المرسلة، وفي هذا دليل بيّن على تجدّد الفكر الاجتهاديّ بتجدّد المصالح التي لا تنحصر، ولا تنتهي عند حدّ، أثرًا لسنة التطور الحتمية في الحياة الإنسانية في ميدان العلم والحضارة، بفضل الاجتهاد بالرأي الذي يُعتدّ به أصلا مهمًّا في التّشريع الإسلامي، بحيث ارتقى إلى مبلغ جعله قسيمًا للوحي، فصار قوام هذا التشريع (وحي ورأي)؛ فكل منهما قد اتخذ من الآخر سندًا ورِدْءًا لافتقاره إليه، وهو ما نوّه به الإمام الشاطبي بقوله: والأدلة الشرعية ضربان: أحدهما: ما يرجع إلى النقل المحض (الوحي)، والثاني: ما يرجع إلى الرأي المحض».

ويضيف قائلاً: «وهذه القَسَمَة هي بالنسبة إلى أصول الأدلة، وإلا فكل واحد من الضّربين مفتقر إلى الآخر، لأنّ الاستدلال بالمنقولات، لا بدّ فيه من النّظر (إعمال الرأي) كما أنّ (الرأي) لا يُعتبر شرعًا إلاّ إذا استند إلى النقل».

وثمرة ذلك كلّه - كما يؤكد الدكتور الدريني في مقاله المذكور - أن «هذا المنهج الفذّ من الاجتهاد بالرأي في التشريع الإسلامي، خليق أن يضمن استمرار حياة هذا التشريع، ونفاذه وآثاره، مهما تطوّرت بالنّاس الظروف، ومهما اعتورها من وقائع وأحداث، نتيجة للتقدّم العلمي، وارتقاء مفاهيم الحضارة. والحقّ أنّ قضية خلود الشريعة، وكمالها، وصلاحيتها لكلّ زمان ومكان، لا يمكن أن تصدق دون الاجتهاد بالرأي، بكافة أبعاده، وقد انتصب أصلاً عتيدًا في التشريع الإسلامي، منذ عصر الخلفاء الراشدين الذين كانوا مجتهدين بالرأي في أوسع مداه»(١٣).

الهوامش:

١- أبو الحسن علي الحسني الندوي: رجال الفكر والدعوة، دار القلم، الكويت، ط٣، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م، ص١٣.
٢- احمد أمين: فيض الخاطر، مكتبة النهضة المصرية، مصر، ط٢، ج٨، ص١٢٤.
٣- الندوي: المصدر المذكور، ص١٣.
٤- د. محسن عبدالحميد: تجديد الفكر الإسلامي، دار الصحوة، مصر، ط١، ١٩٨٥م، ص٣٠.
٥- أحمد أمين: المصدر المذكور، ص١٢٤.
٦- ٧- المناوي: فيض القدير، مطبعة مصطفى محمد، مصر، ط١، ١٣٥٦هـ/ ١٩٣٨م، ص١٠.
٨- د. وهبة الزحيلي: أصول الفقه الإسلامي، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ج٢، ص١٠٣.
٩- د. محمد فتحي الدريني: مجلة الاجتهاد، ع٨، السنة الثانية، ١٤١٠- ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م، بيروت، ص٢٠٦.
١٠- د. الفضل شلق: مجلة الاجتهاد، المرجع المذكور، ص١٢٨.
١١- ١٢- د. الدريني: مجلة رسالة الجهاد، ع٨٣، ديسمبر ١٩٨٩م.
١٣- د. الدريني: مجلة الاجتهاد، العدد المذكور، ص٢١١، ٢١٢، ٢١٧، ٢١٨.

ذكريات الدراسة في فاس

حلقة من السيرة الذاتية للراحل قدور الورطاسي

٢/٢

عرضها وقدَّم لها: د. الصادقي العمَّاري

ومن عادات الفاسيين أن يقتنوا ما يحتاجون إليه سنويًا من حبوب وقطاني وإعداد مأكولات قابلة للتخزين كالعسل والزيت والخليع. وعادة الادخار هذه موروثة عن أيام الفتن وانفراط عقد الأمن، حيث كانت فاس - صانها الله - تتعرض لهجمات بعض رؤوس الفتنة من الغوغاء فتوصد أبوب المدينة ويكون الاعتماد على تلك المدخرات.

وللناس في فاس عناية بإقامة الحفلات في مختلف المناسبات، فيكثرون من الأطعمة المتنوعة المتخذة من لحم الغنم والدجاج، ومن الحلويات المصنوعة من العسل واللوز والبيض. وفي أثناء الحفلات تُعَطَّر الأماكن بأنواع البخور الطيبة وماء الزهر، وتُسمع الموسيقى مصحوبة بأصوات المنشدين؛ ومن شأن هذه المناسبات أن تمتن عُرى الصلات والمودة، وتخلق جوًا من التعاطف مما يزيد الحياة رونقًا، ويضفي عليها بهجة ومحبة.

وهناك بعض المظاهر أو التصرفات السلبية، ومن ذلك إفراط بعض الفاسيين في اعتدادهم بذواتهم وأنانيتهم المتعالية، ومنهم من تصل بهم هذه النوازع إلى ازدراء غيرهم أو احتقارهم ولاسيما إذا كانوا من الوافدين على فاس. ولكن في مواقف خاصة يكونون على استعداد للتنازل وخفض الجناح والحد من الأنانية إذا تعلق الأمر بحاجة من حاجاتهم، أو للتوصل إلى غاية معينة وضرورية لحياتهم. وهم في هذا المنحى المتسم بالمرونة لا يجارون، ولكن على العموم، فالطابع الحضاري متجل في أغلب معاملاتهم وفي رقة طبعهم وما يمتازون به من ذكاء وقَّاد وتصرف بحكمة وحذر. ويتجلى هذا الطابع الحضاري في أحاديثهم التي تتخللها الفكاهات والنوادر والحكم والأحاديث وأقوال الفقهاء والآيات القرآنية، وكل ذلك من تأثير الظروف الثقافية السائدة ومجالس العلماء بالقرويين وغيره من المساجد؛ يؤمها العامة والخاصة، ومن مختلف الأعمار.

وهناك مظاهر اجتماعية أخرى لا يتأتى الوقوف عليها بإسهاب ولهذا نكتفي بمجرد إشارات مقتضبة مثل حال أشهر مقهى بفاس وهو الواقع «بجنان السبيل»، وزيارة الوافدين لحمة «مولاي يعقوب»، ومظاهر الحياة العامة للطلبة وظروف عيشهم ومدى تمسكهم بدينهم وتقديرهم لأساتذتهم. ولكن لا بد من وقفة قصيرة على حياة العلماء لتقديم صورة عنها:

إن العلماء كانوا يحظون بإجلال الناس لهم؛ فتراهم يفسحون الطريق لهم ويقدمون لهم الهدايا في المناسبات المختلفة، وأكثر العلماء لا يعتمدون على رواتبهم إذ تكون لهم موارد خاصة من فلاحة أو أكرية أو ممارسة خطة العدالة.

فمعيشتهم مكفولة لا يعرفون نقصًا أو خصاصة، ومنازلهم في الغالب من أحسن المنازل بناءً وموقعًا وتأثيثًا، ويمتازون، مع ذلك، بالزهد والورع والبعد من كل شبهة؛ فلا يرتادون المقاهي أو قاعات السينما -

وخصوصًا الشيوخ ـ وهم يشعرون أعمق ما يكون الشعور بواجب الحرص على العمل بمقتضى الشريعة وتطبيق أحكامها، وأداء الأمانة العلمية وتمكين الطلاب منها، وتوجيه عامة المسلمين وتعريفهم أمور دينهم، وإرشادهم لما فيه صلاح الدنيا والآخرة، وكل ذلك انطلاقًا من مقتضيات العقيدة ومن معرفتهم بسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته ومن سار على نهجهم من الأتقياء والصلحاء. أما عن هيئتهم الخارجية وملبسهم؛ فالشيوخ منهم يرتدون قميصين وجلبابًا أبيض فوقه الحايك ثم (سلهامًا) أبيض في الصيف أو أسود في الشتاء. والشباب يتخففون من السلهام، ومنهم من يكتفي بارتداء الجلباب والسلهام أو الحايك فوق الفرجيات ثم السلهام.

وعلى انهماكهم في التحصيل العلمي وانصرافهم للتدريس والانقطاع للعبادة والابتعاد من الأماكن العامة المشبوهة، فإنهم يكونون على دراية عميقة بمجرى الأحداث ومشكلات الحياة الاجتماعية والسياسية، ومعرفة خفايا النفوس لاتصالهم بالناس، على اختلاف مستوياتهم ومهنهم وتباين مداركهم ومواطنهم. فالناس يعرضون عليهم مشكلاتهم، ويصدعون بين أيديهم بقضاياهم؛ يسترشدونهم ويستفتونهم. ولهذا لم يكن العلماء في غيبة عن مجرى الحياة العامة، بالإضافة إلى ثقافتهم الدينية، والفقهية منها وهي ذات طابع عملي، فكتب الفقهاء طافحة بالوقائع المستمدة من صميم الحياة العملية، وأيضاً بالافتراضات المتوقع حدوثها، وهناك ثقافتهم التاريخية الحافلة برصيد عظيم من التجارب البشرية المتنوعة، وكذلك معرفتهم بعلم المنطق وما يصح في الأفهام وما لا يصح، بالإضافة إلى اطلاع بعضهم ـ على الأقل ـ على كتب الأدب وما فيها من أخبار الشخصيات والحكم والنماذج البشرية المختلفة؛ مما يصقل الذوق ويشحذ الفكر وينير البصيرة، ويجعل المطلع عليها أكثر استنارة بدقائق الحياة ومكنونات النفوس. وأكبر شاهد على ذلك ما تزخر به خزانات كتبهم من ذخائر بين ما هو مشهور ومغمور، مطبوع ومخطوط، ولهذا لا يمكن الانسياق مع الحكم الذي يدَّعي سذاجتهم أو غفلتهم أو غيابهم عن مشاغل الناس وواقع الحياة في مختلف مجالاتها.

نعم إن الكثير منهم لم تكن له تلك القدرة الفائقة على الإنشاء الأدبي الفني شعراً ونثراً، وذلك يعود لأسباب منها: الواقع الاجتماعي والثقافي السائد، وكذلك التعليمي القائم حينئذ. ولهذا قلما نعثر من بينهم على أدباء فطاحل أمثال: الزيات أو زكي مبارك أو العقاد أو المنفلوطي أو الرافعي أو شوقي أو الرصافي.. وغيرهم ممن كانوا رواد التجديد وأساطين الإبداع الأدبي.

البعد الثقافي

يمكن أن ندرك من خلال ما تقدم أن هناك ما يُعدّ عناصر لهذا الجانب في السيرة الذاتية للورطاسي، وهذه العناصر تتجلى في: سير الدراسة بالقرويين وغيرها، وأهم الكتب المعتمدة في التدريس، والمحاولة التي قامت لإدخال النظام على القرويين. ويختلف نظام الدراسة بالقرويين عمّا كان قائمًا في معهد وجدة من بعض الوجوه، ومن ذلك:

ـ أن الطالب في القرويين يستطيع أن يحاور الأستاذ، وأن يناقشه أو يستفسر عَمّا بدا له دون أن يجد الأستاذ في ذلك حرجًا. وهذه الخصيصة تُعدّ جانبًا إيجابيًا في طرائق التدريس.

ـ تتخلل الدروس بعض الاستطرادات المفيدة والفكاهات البريئة التي تضفي على الدرس نوعًا من المرح دفعًا للملل.

ـ المستوى العلمي للدروس في القرويين أكثر دسامة وعمقًا مما هو عليه في معهد وجدة، مع تعدد أساتذة المادة الواحدة.

ـ في معهد وجدة لم يكن الطلبة قادرين على محاورة الأساتذة، ولم يكن الأساتذة يقبلون هذا التصرف، والإلقاء لا تتخلله فكاهة أونكتة؛ بل كله جد وصرامة وخشوع.

ـ إن عراقة التدريس بالقرويين وتراكم التجارب التعليمية رَسَّخَ أعرافًا وأوجد نوعًا من التسامح ومعرفة نفسيات الطلاب ومقتضيات التلقين.

ـ اعتاد أغلب الطلبة أن يراجعوا دروسهم قبل إلقاء الأستاذ فيتيسر لهم أن يستوعبوا أكثر ويحددوا ما لم يدركوه وما يرغبون في معرفة المزيد عنه. وفي معهد وجدة قلَّ من يفعل ذلك. كما أن الطلبة يتجاوزون المواد المقررة فيطالعون دواوين الشعراء وما يُنشر في الصحف والمجلات الشرقية، وما يرد من كتب متنوعة، وكل هذا أكسبهم قدرة فكرية وسعة ثقافية.



قدور الورطاسي

ـ من المتبع أن يُختم كتاب أو مادة من مواد الدراسة بحصة خاصة تكون مجالاً للتقويم والمناقشة والاختبار، وقد يستدعي المقام بعض الاستطرادات، ولهذا لا تخلو هذه الحصة من وجود مخبرين من الاستعلامات الفرنسية لمعرفة ما قد يثار من آراء أو قضايا، فقد يتخذها الأستاذ فرصة لبث بعض الأفكار الوطنية أو انتقاد السياسة الاستعمارية.

ـ من العادات المرعية أن يكلف الأستاذ أحد الطلبة سرد حصة الدرس بعد شرح الأستاذ ويكون السرد بنغمة خاصة من الكتاب المعتمد، والمتن المسرود؛ نظمًا أو نثرًا، وعلى الطالب السارد أن يراجع الدرس قبل بداية الحصة ليتمكن منه، وكذا ما ورد في الشروح والحواشي، ولا يجوز أن يتعثر أو يلحن لأنه يكون محط متابعة من زملائه ومن الأستاذ. وإذا ما لحن ولم يصحح الأستاذ شاع ذلك بين الطلبة والأساتذة، وعلى الطالب السارد أن يسعف الأستاذ إذا وقع له التباس أو سهو.

ـ بعد حصول الطالب على العالميَّة يُعطى له مقدار من المال من الأوقاف إكرامًا له وتشجيعًا على القيام بالدروس التطوعية، وبمهمة التوجيه والإرشاد العام. وإذا عُين في سلك أساتذة القرويين يمارس التدريس في الطور الأول، ثم في الطور الثانوي، ويرقى إلى الطور النهائي بعد تمرس. وهذا ما أتاح لأساتذة القرويين أن يكتسبوا رصيداً من الخبرات والتجارب المتنوعة والمعرفة العميقة بمواد التدريس وأساليبه، فكانوا في أعلى درجات الاقتدار ومثالاً يحتذى.

ـ من الجدير بالذكر أن القرويين عرفت، أوائل الثلاثينيات من هذا القرن، صدور قانون لتنظيم الدراسة بهذه الجامعة، وهو الثاني من نوعه في عهد الحماية. ومما تضمنه هذا القانون: تقسيم مراحل الدراسة في القرويين

إلى ثلاثة أطوار: الطور الأول والطور الثانوي والطور النهائي، وهو إما أدبي أو شرعي. وبإتمام الدراسة في هذه الأطوار يحصل الطالب على شهادة العالِمِيَّة في مدة اثنتي عشرة سنة. وأهم المواد الخاصة بكل طور هي:

في الأول: النحو والصرف والتوحيد والحساب وفقه العبادات والأدب.

وفي الثانوي: الفقه والأصول والنحو والصرف والبلاغة والحساب والهندسة والتوقيت والمنطق والتوحيد ومبادئ علم الحديث.

وفي النهائي: علم الأدب وتاريخه واللغة العربية والجغرافية والتاريخ، وفي القسم الشرعي: الفقه والأصول والحديث والتفسير.

كما حدد القانون أيضًا عدد الأساتذة وأيام العطل والحصص الزمنية وشروط الامتحانات والانخراط في هيئة التدريس، وغير هذا مما يجعل الدراسة أكثر انضباطًا وإفادة.

ومواقف الطلبة والأساتذة متباينة من هذا القانون. إذ حاولت الإدارة الاستعمارية إفراغه من كل محتوى تجديدي إيجابي يفتح أمام القرويين آفاقًا رحبة وفعالة من شأنها أن تحدث تغييرات عميقة في واقع المجتمع المغربي وفي عقليات أبنائه؛ مما يؤدي سريعًا إلى تقويض النفوذ الاستعماري بالمغرب.

وكان موقف الطلبة من النظام الجديد ذا اتجاهين؛ فمنهم من رأى فيه فرصة طيبة لفتح آفاق التجديد وفق ما تتطلبه الحياة المستجدة الطارئة، وأغلب من رأى هذا الرأي من أهل المدن، أما الطلبة الوافدون (الآفاقيون) فأغلبهم رفضوا النظام وقاموا بحركة إضرابية، ولكل فريق مسوغات وخلفيات حددت مواقفه، ولكن ما يمكن أن يؤخذ كعبرة أن كل تجديد لا بد أن يكون له معارضون رافضون وموافقون محبذون. إلا أن الأمر كان يتطلب أن تُعدّ الوسائل اللازمة حتى يكون التجديد مثمرًا وإيجابيًا، ونظرًا لغياب هذه الوسائل نجم عن تطبيق النظام ثغرات وإشكالات تتبين بعضها وشيكًا.

أما مواقف العلماء فمنهم من رفضه - وأغلبهم من الشيوخ - ومنهم من عَدَّه مكسبًا مفيدًا - وكان هذا رأي رجال الحركة الوطنية -، ومنهم من رأي فيه جانبًا إيجابيًا وآخر سلبيًا. ولكل فريق أدلته ومسوغات لرأيه انطلاقًا من مصالحه أو موقعه.

ومما ترتب على تطبيق النظام تجريد بعض العلماء من مصالح خاصة كمنعهم من الجمع بين التدريس وخطة العدالة، وتقييدهم ببداية الحصص الدراسية ونهايتها، وكذا القدر المعين من المادة المعرفية، وفرض الرقابة على الدورس، وإسناد بعض المواد لأساتذة لا يرغبون فيها. كما أن النظام أحدث مواد دراسية جديدة مثل الإنشاء والأدب وتاريخه والتاريخ العام والجغرافية. والكثير من العلماء لا قِبَل لهم بهذه المواد ولا قدرة لهم على تدريسها. فالإنشاء مثلاً لا يتأتى امتلاك ناصيته إلا لمن اتسعت مجالات قراءته وتمرس بكتب الأدب شعرًا ونثرًا بكل أجناسها قديمًا وحديثًا، وبعض العلماء - أو جلهم - يترفع عن قراءة الشعر وحفظه إلا ما كان لغرض الاستشهاد على قواعد اللغة. وأمهات الكتب الأدبية كالبيان والتبيين والبخلاء وعيون الأخبار والأمالي للقالي وكليلة ودمنة والأغاني والكامل للمبرد، هذه الكتب لم تكن تُدرس من قبل بكيفية رسمية حينما كان هؤلاء الأساتذة طلبة، وقلما يطالع هؤلاء الشيوخ الكتب الحديثة والصحف والمجلات، وغالبًا ما يقتصرون على متون العلوم الدينية واللغوية وشروحها وحواشيها. فكيف يتأتى لهم إتقان الإبداع الأدبي ومنه الإنشاء؟ والأستاذ العالم لا يرضى لنفسه أن يظهر عاجزًا أمام الطلبة، فإنشاء العلماء كان منحصرًا، في ذلك الوقت، في تحرير الوثائق الشرعية وهي بصيغ معلومة تقليدية متوارثة.

أما تدريس الأدب شعرًا ونثرًا ونقدًا وتاريخًا فيتطلب معارف متنوعة وشاملة كتاريخ الحضارة والتاريخ السياسي وتراجم الأدباء وعلم الاجتماع وعلم النفس، بالإضافة إلى المعرفة الدقيقة باللغة، متنًا وقواعد. وكل هذه المعارف ضروري ليتمكن المدرس من معرفة أحوال المجتمعات وظروف الإنتاج الأدبي والنوازع النفسية والعواطف والأخيلة والدوافع لدى أنماط النماذج البشرية؛ حتى يتمكن من النفاذ إلى خفايا النصوص في مضامينها وأساليبها، وما يمتاز به كل أديب من غيره، ومدى تأثره أو تأثيره وتقليده أو تجديده، وما يختص به كل عصر أو إقليم دون غيره. وفوق هذه الثقافة الواسعة لا بد من التوفر على حسٍّ مرهف وقدرة على التذوق والحكم والموازنة والتعليل؛ وكثير من العلماء - أوبعضهم على الأقل - ليس لديه هذا الاستعداد.


أحمد حسن الزيات

كانت الدراسة في القرويين تعتمد على كتب معينة متداولة منذ أجيال وهي كما يأتي حسب المواد:

١- في النحو الصرف والبلاغة:

- الألفية لابن مالك بشرح ابن عقيل، ولامية الأفعال له، وهي بشرح ابنه بدر الدين أو بشرح بَحْرَق اليمني وعليه حاشية للطالب بن حمدون بن الحاج، وحاشية الرفاعي.
- الشافية لابن الحاجب بشرح الرضي الاسترباذي.
- الجوهر المكنون - نظم في البلاغة - لكتاب التلخيص. لهذا النظم شرح للدمنهوري وحاشية للشيخ مخلوف المنياوي.
- التلخيص للقزويني وله شرح هو المعروف بالإيضاح. وللتلخيص شروح أخرى موسعة مثل: مختصر السعد ومواهب الفتاح لابن يعقوب المغربي، وعروس الأفراح لبهاء الدين السبكي.
- منظومة الاستعارة للطيب بن كيران شرحها التهامي البوري الفيلالي ولها شروح أخرى.

٢- في الأدب نجد:

- لامية ابن الوردي: منظومة مطولة في الحكم والمواعظ.
- أطواق الذهب للزمخشري، وأطباق الذهب لعبدالمؤمن الأصفهاني.

٣- في العلوم الدينية نجد:

- الخريدة البهية: منظومة في التوحيد لأحمد الدردير.
- رسالة أبي زيد القيرواني ولها شروح.

- المرشد المبين عن الضروري من علوم الدين لابن عاشر الفاسي، ومن شروحه: شرح الطيب بن كيران، وشرح محمد ميارة الفاسي كبير وصغير.

- السنوسية: متن منثور في التوحيد وضع له المؤلف شرحًا وعليه حاشية للبيجوري.

- ورقات إمام الحرمين في الأصول، وعليها حاشية للدمياطي وشرح لجلال الدين المحلي.

- مختصر خليل: أشهر شروحه: شرح الشيخ محمد بن عبدالله الخرشي أول من تولى مشيخة الأزهر، وشرح الدردير، وحاشية الدسوقي.

- البيقونية: منظومة في مصطلح الحديث.

- منظومة الزقاق في الأحكام.

- صحيح البخاري: من أشهر شروحه: فتح الباري لابن حجر، وإرشاد الساري للقسطلاني.

- العاصمية في الأحكام: منظومة لابن عاصم الغرناطي، من شروحها: التاودي بن سودة، وحاشية التسولي.

وهناك مواد وكتب أخرى وإنما أتينا على ما هو مشهور منها.

ومما يسترعي النظر أن أساليب التدريس ومواده لم يقع فيها تغيير جذري من شأنه أن يحدث نقلة تخرج التعليم في القرويين من طغيان التقليد الذي لا يستجيب لتطلعات العصر ومتطلباته. ولهذا فالتطور أو التجديد الذي استطاع العلماء أو الطلاب تحقيقه إنما هو مستمد من خارج حلقات الدرس التقليدية، وذلك باطلاعهم على الكتب الحديثة، المؤلفة أو المترجمة، وعلى المجلات والجرائد، ولاسيما تلك التي ترد من الشرق العربي، واتصالهم بطلاب المدارس العصرية على اختلاف مستوياتها من جهة أخرى. ومن طريق هذين المصدرين استطاع العلماء وطلبة القرويين تلقيح ثقافتهم فانعكس ذلك على أساليبهم وأفكارهم، وتداركوا النقص وأمكنهم إحداث تغييرات تحمل في طياتها عناصر إيجابية في المجتمع المغربي، وتيسر أن يكون عدد منهم من أقطاب الحركة الوطنية وأعضائها البارزين، وأن يحققوا مكتسبات عظيمة للوطن والمواطنين. وإن كانت في نظر بعض الناس دون الطموحات المتوقعة.

الخصائص الفنية

لقد جاءت هذه الحلقة من سيرة الورطاسي الذاتية مزاوجة بين نمطين: المذكرات التي تعتمد على رصد الواقع الخارجي والاحتفال بالتاريخ، والذكريات التي تولّي العناية بها: الخصوصيات بطريقة الاسترجاع العفوي. ويمكن أن ندرك ذلك عن كثب وبوضوح من تكوينها وبنائها وأسلوبها؛ فالأحداث لا تسير في خط من التنامي المتواصل إلا في المرحلة الأولى في سنه المبكرة في قريته. إلا أنه منذ وجوده في فاس لم يرتب الأحداث وفق سيرورة زمنية، ولكنه يستعيد ذكرياته في نطاق موضوعات أو ربطها بشخصيات. ومع أن المدة التي سار فيها السرد بالتعاقب كانت أطول؛ إلا أنها لم تحتل سوى حيز أقل مما أخذته ذكرياته وأحداثها بفاس؛ ربما لأنها هي المقصودة بالتسجيل أساسًا.

ومن حيث التركيب الهيكلي نجد أن الكاتب بنى هذه الحلقة من سيرته الذاتية في ثلاثة وعشرين مقطعًا، خصّ كل مقطع بموضوع أو بمجموعة من الوقائع والذكريات، ولهذا لم يتخذ لها بناء متراصًا ومتناسقًا في مجموعه. وعلى هذه الهلهلة في البناء؛ فإن الكاتب استطاع أن يُكسب عمله دقة في الوصف، خاصة؛ سواء تعلق الأمر بالأعمال والتصرفات والأحداث، أم بالأماكن والأشخاص، أم بالجوانب النفسية، مما يضفي الحيوية ويشيع الشعور بالمتعة، ويشد القارئ لمتابعة السرد؛ ويزيد ذلك حيوية أن يتخلله الحوار بنوعيه الداخلي والخارجي الذاتي والغيري. ويبدو الأسلوب في عمومه خاليًا من التكلف، ولا يعوزه البيان، ولا يشكو من خلل في التراكيب. وأحيانًا يعمد إلى ذكر بعض المسميات المحلية وإيراد التعابير المحكية على سبيل مشاكلة الواقع، ولا يتعمد الإتيان بالشواهد من الأشعار أو الأمثال أو الأحاديث والآيات القرآنية إلا نادرًا، مع أنه شاعر وفقيه. ولا يتسع المجال للإتيان بأمثلة بنصها للدلالة على ذلك، ويكفي أن نقف على مثال ينم على جملة من الخصائص، والمثال وارد في الصفحة الثامنة بعد المئة:

مصطفى صادق الرافعي

يقول الكاتب واصفًا أستاذه بنسعيد المكناسي:

«كان شيخنا هذا طويل القامة، خفيف اللحية والعارضين، مجدور الوجه - فيما أذكر -، واسع الفم، قوي العضلات أشبه ما يكون بمطلق العملة. لا تعرف أنه عالم حتى يأخذ في إملاء درسه إملاءً عجيبًا. كان يبدو لي فوق الأربعين بقليل، وعلمنا بعد تعرف عليه أنه كان خرازًا، ولعصاميته فارق مهنته والتحق بجامعة القرويين، فحصل على العالميَّة في أقصر وقت لقوة حافظته وذاكرته، وقوة عزيمته، وسرعة إدراكه وفهمه، مع العلم أنه يحفظ كتاب الله وكان له إلمام بالقراءات...».

لقد استطاع الكاتب - كما هو واضح - رسم صورة لهذا العلامة الجليل وكأنه ماثل أمام القارئ، ولم يكتف بالوصف الخارجي؛ بل أردف ذلك بإبراز ميزاته الفكرية ومسار حياته العلمية وسنّه، وما كان يختص به في أثناء الإلقاء. وكل ذلك في فقرة مركزة مع البيان دون تكلف أو إغراب.

إن بعث الحياة وإشاعة الدقة والحركة والدفع بالأحداث وإحكام الوصف وإجراء الحوار يقتضي مقدرة فنية واسعة خيالية وكفاءة استذكارية لكتابة سيرة ذاتية ناجحة أدبيًا، وهذا ما استطاع الكاتب توفير أغلبه(*).

رحم الله الأستاذ الجليل قدور الورطاسي، وأمطر رمسه وابلاً من سحائب عفوه، وقابله بجزيل كرمه ورضوانه، وغفر أوزاره، وجازاه على نضاله وثباته على المبدأ وعلى ما أسداه لوطنه وللعلم والأدب بإسكانه فراديس الجنان، ورزق ذويه جميل الصبر والسلوان، إنه وهاب منان.

(*) مرجع الدراسة: ذكريات الدراسة في فاس لقدور الورطاسي، دار الطباعة الحديثة، الدار البيضاء، المغرب، دون تاريخ.

العنوان: نظرات لغوية في القرآن الكريم.
المؤلف: د. صالح بن حسين العايد.
الناشر: دار إشبيليا، الرياض، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، ط١، ٢٢٤ص.


غلاف الكتاب

نظرات تأمليَّة لغوية بلاغية في آيات من كتاب الله، ضمها بين دفتيه هذا الكتاب، تبرز الروعة الأسلوبية في كلام الله تعالى. وكان المؤلف قد كتب حلقات من هذا الكتاب في صحيفة «منار السبيل»، وهي النشرة الشهرية التي يصدرها معهد العلوم الإسلامية في أمريكا، ثم جُمعت هذه الحلقات كاملة مرتبة موثقة توثيقًا علميًا في هذا الكتاب.

ذكر المؤلف في المقدمة أن معظم هذه التأملات ليس له منها إلا التنقيب عن أقوال العلماء واختيارها وتقريب أسلوبها حتى يستطيع القارئ فهمها، وقال: «ولا أنكر أنّ لي فيها قليلاً من النظر والتأملات، لكنها لا تعدو أن تكون مصابيح في رابعة النهار». وتحدث في المقدمة عن إعجاز القرآن الكريم الذي بهر العرب الذين ملكوا ناصية الفصاحة والبيان وتحدَّاهم بسلاسة ألفاظه، واتساق إيجازه وإطنابه، وإحكام أساليبه، وما فيه من حجة وبرهان، فآبوا بالخيبة والخسران. وتمنى الكاتب أن تحقق هذه النظرات المرجو منها؛ فتوقظ القلوب، وتفتّق الأذهان، وتشرع الأبواب للولوج إلى هذا البحر العجيب؛ فهو ميدان فسيح خلاّب، وطريق بديع شائق، ما سلكه من سالك إلا كانت السعادة مركبه، والأنس رفيقه، ومهما قرأه القارئ، وأعاده، فسيظفر في كل مرة منه بعجائب من عجائبه التي لا تنقضي.

بعد المقدمة يأتي التمهيد الذي ذكر فيه سبل تدبر كتاب الله، وأن للوقوف على مدى بلاغة القرآن وإعجازه ثلاثة أركان: الأول: فهم اللغة العربية، والثاني: التقوى والإخلاص والتجرد، والثالث: الذوق اللغوي السليم. وناقش هذه الأركان الثلاثة، وذكر أقوال العلماء فيها. وبعد ذلك يبدأ الكتاب بالنظرات في الآيات القرآنية.

ويبدو أن الكاتب استعرض القرآن الكريم من أوله إلى آخره بدءًا من الفاتحة وانتهاء بسورة المسد.

ويقول: «... بدأت منذ سنوات في إنعام النظر في كتاب الله ـ عز وجل ـ وفي كتب التفسير، وخلصت من تأمل أقوال العلماء إلى الخروج بـ(نظرات لغوية في القرآن الكريم) تبرز الروعة الأسلوبية في كلام الله تعالى»، وكثيرًا ما يجمع بين الآيات المتشابهات في أكثر من سورة، ويذكر ما بينها من اختلافات تدل على إعجاز القرآن العظيم.

فمثلاً الآية السابعة من سورة البقرة: *خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِم وَعَلَى سَمْعِهِم وَعَلَى أَبصَارِهِم غِشَاوَةٌ*. لماذا جمع القلوب والأبصار وأفرد الأسماع؟

والآيتان ٤٢ و٤٣ في سورة يونس لماذا انتهت الأولى بـ: *وَلَوْ كَانُوا لا يَعْقِلُونَ*، والثانية بـ: *وَلَوْ كَانُوا لا يُبصِرُونَ*؟ وآيتان أخريان تنتهي الأولى بـ: *مَا يَشْعُرُونَ*، والثانية بـ: *لا يَشْعُرُونَ*. لماذا؟ والآيتان من سورة الواقعة: لماذا ذكر اللام في الأولى: *لَو نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا*، ولم يذكر اللام في الثانية: *لَو نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا*. والآيتان: *فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ والحِجَارَةُ*، و: *قُوا أَنفُسَكُم وأَهلِيكُم نَارًا*. لماذا عرَّف النار في الأولى، ونكَّر نارًا في الثانية؟

والآيتان: *فَانفَجَرَت مِنهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَينًا*، و: *فَانبَجَسَت مِنهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَينًا*. لماذا في الأولى: *فانفجرت*، وفي الثانية: *فانبجست*؟ والآيتان: *حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا فُتِحَت أَبوَابُهَا*، و: *حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وفُتِحَت أَبوَابُهَا*. لماذا الأولى بلا واو والثانية بواو.. إلخ.

وهكذا يسير في تأملاته في الآيات، ويذكر دائمًا أقوال العلماء إذا كانت شافية كافية في التعليل لما يريد، وأحيانًا يذكر رأيه هو، وكثيرًا ما يكون مصيبًا. والله أعلم. وأحيانًا يسوق بعض الأحاديث شواهد على ما يذهب إليه، وقد يستشهد ببعض الأشعار على قلة.

العنوان: السلفية وقضايا العصر.
المؤلف: د. عبدالرحمن بن زيد الزّنَيْدي.
الناشر: دار إشبيليا، الرياض، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م، ط١، ٦٥٣ص.


غلاف الكتاب

الكتاب مناقشة علمية موثقة لقضية من القضايا الإسلامية التي لها بصماتها الواضحة في الرقعة الإسلامية الكبيرة، وهي قضية السلفية. وهو محاولة لتجلية المنهج السلفي بين المناهج الأخرى، وتوضيح الرؤية السلفية تجاه أبرز قضايا الفكر المعاصر.

ويدور الكتاب حول ثلاثة محاور:

المحور الأول: تناول فيه السلفية وقضاياها في الفكر المعاصر، وذلك في مسألتين: الأولى: تعريف السلفية في التراث الإسلامي، والسلفية في الفكر الغربي، والسلفية في الفكر العربي المعاصر، وأخيرًا السلفية موضوع البحث. ثم تحدث عن مقوماتها المنهجية كتقديم الشرع والنقل على العقل، أو تقديم ما جاء به الوحي على الأفكار المخالفة له. وأما مقوماتها الموضوعية فأولها: وجود الله عند السلف أمر فطري بالضرورة، والتوحيد ثلاثة أنواع: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات، والشرك أكبر وأصغر، والإيمان اعتقاد بالجنان وقول باللسان وعمل بالأركان...

والمسألة الثانية: قضايا السلفية في الفكر المعاصر من خلال الحديث عن: السلفية وحديث الفرقة الناجية. ثم تحدث عن السلفية أهي منهج أم مذهب؟ وعن السلفية والماضوية، وعن السلفية بين التاريخية واللا تاريخية، وعن سلفية ما قبل الخلاف وما بعده.

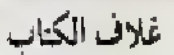
والمحور الثاني: قضايا المعرفة في الفكر المعاصر والموقف

السلفي منها. فقد تحدث عن مفهوم المعرفة وأهميتها في الوجود، والإنسان وقيمة المعرفة. ثم ناقش في هذا المحور ثلاثًا من أهم قضايا المعرفة مع بيان الموقف السلفي إزاءها، وهي: قضية العقلانية، وقضية العلمية، وقضية التراث.

ففي القضية الأولى (العقلانية) تحدث عن تعريفها، وعن العقلانية العربية، ثم تناول الموقف السلفي من العقلانية، ثم تحدث عن الاجتهاد وموقف السلفية منه، وخصائص المجتهد، كما تحدث عن الإبداع وموقف السلفية منه. وفي القضية الثانية (العلمية) تحدث عن بيان مفهوم العلم وسماته لدى الغرب المعاصر، وتناول صدى قضية العلم لدى المسلمين، وموقف السلفية من القضية العلمية، والتفسير الإسلامي للوجود، والمنهجية العلمية الملتزمة الضوابط الشرعية. وفي القضية الثالثة (التراث) بدأ بتعريفه، ثم تحدث عن التراث والوحي، والموقف من التراث الإسلامي في الفكر المعاصر، ومنهج التعامل مع التراث، والسلفية والتراث.

والمحور الثالث: قضايا الوجود في الفكر المعاصر والموقف السلفي منها. وهو دراسة لثلاث من أبرز قضايا الوجود الحية في الفلسفة المعاصرة، هي: قضية التطور، وقضية القيم، وقضية الإنسانية. ففي القضية الأولى (التطور) بدأ بتعريف التطور، والتطور والتقدم، ثم تحدث عن فكرة التطور قبل العصر الحديث، وقضية التطور في العصر الحديث، ونظرية التطور العضوي، ونظرية التطور الكوني العام. ثم تناول التطور والدين، وقضية التطور في العالم الإسلامي، والموقف السلفي من قضية التطور، ونتائج نظرية التطور، والتطور في الكائنات، والإنسان، وحقيقة الإنسان في واقعه الماثل (الفطرة). وفي القضية الثانية (القيم) بدأ بتعريف القيم، ثم تحدث عن القيم في الفكر المعاصر وأبرز نظريات القيم كالنظرية اللاهوتية، والنظرية المثالية، والنظرية الوضعية، ثم تعرض للمجالات الكبرى للقيم كالحق والخير والجمال، ثم تحدث عن أبرز مسائل علم الأخلاق في الفكر المعاصر، وحقيقة الجمال، والفن الجمالي، ومدارس الفن الجمالي، والمعيار الجمالي، والالتزام في المجال الفني، والقيم في المنظور السلفي. وفي القضية الثالثة (الإنسانية) تحدث عن الإنسانية بصفتها هوية، والدعوات الإنسانية المعاصرة، والمذهب الإنساني، والإنسانية في الفكر العربي، والإنسانية في المنظور السلفي بصفتها هوية، وأسس الإنسانية في الإنسان، والإنسانية بصفتها دعوة إلى العالمية. وختم هذه القضية بالحديث عن الهوية الإسلامية. وفي الخاتمة لخص السلفية باختصار، وفي آخر الكتاب فهرسان: الأول للمراجع، والثاني للموضوعات.

العنوان: التفكير العلمي لدى طلاب التعليم العام في المملكة العربية السعودية.
المؤلف: مجموعة من المتخصصين.
الناشر: مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ١١٦ص.


غلاف الكتاب

الكتاب مجموعة محاضرات ومداخلات ألقيت في الندوة التي نظمتها ثانوية حي السفارات حول التفكير العلمي لدى طالب التعليم العام، وتعدّ هذه المحاضرات والمداخلات التي ألقاها أساتذة مختصون إسهامًا في إغناء العمل التربوي، لأنها قدمت طرحًا علميًا عالج جوانب مهمة من قضايا التفكير العلمي.

وقد قدّم لهذا الكتاب معالي الأستاذ الدكتور محمد بن أحمد الرشيد وزير المعارف بكلمة موجزة غنية تناول فيها التفكير في الإسلام، وضرورته لكل مسلم.. ووظيفة التربية التي تعنى بتعليم الناس كيف يفكرون.

بعد التقديم تحدث مدير المدرسة الأستاذ عبدالعزيز بن ثنيان الثنيان عن أهمية الموضوع من خلال الواقع العملي مع الطلاب.

والكتاب مكوّن من أربعة فصول:

الفصل الأول: التأصيل النظري للتفكير العلمي، وهو محاضرة للدكتور يحيى بن محمد أبو الخير. ومما ذكره في محاضرته أن التفكير العلمي السليم هو الطريق إلى الإبداع النظري، والتأصيل التطبيقي في شتى مجالات العلم والمعرفة والفن، ولا بد من التركيز على تنمية قدرات الطالب على هذا التفكير وتأطيره.. وذكر أيضًا أن تأطير التفكير العلمي يعتمد على ثلاث عمليات منهجية هي: عمليات العلم الأساسية، وعمليات العلم السببية، وعمليات العلم التجريبية.

والفصل الثاني: الإطار التربوي للتفكير العلمي، وانشعب هذا الفصل إلى قسمين: الأول: الحاجة إلى التفكير العلمي، وهو محاولة لاستعراض واقع التفكير العلمي عمليًا من خلال تجربة الطالب محمد بن عثمان الحقيل، وربط ذلك بالتصورات النظرية للتفكير العلمي. والثاني: تنمية التفكير الإبداعي والناقد لدى طالب التعليم العام، وهو محاضرة للدكتور محمد بن شحات الخطيب. وذكر في مقدمة المحاضرة أن العلماء المسلمين يرون أن التفكير فريضة إسلامية من خلال آيات القرآن الكريم الكثيرة. ثم تحدث عن دور التربية في التفكير العلمي، وكيفية تنمية التفكير الإبداعي والناقد لدى الطالب، وتعليم الطلبة التفكير في الأسرة والمدرسة، وذكر المكونات لعملية الإبداع عند الطالب باستخدام الاستراتيجيات المؤثرة، والقدرات المرئية، والمهارات المصغرة. وأخيرًا ناقش تنمية التفكير من خلال المناهج الدراسية، وطرائق التدريس.

وأما الفصل الثالث فهو: أساليب التفكير العلمي التطبيقية، للدكتور أحمد عبدالقادر المهندس. وقد بدأ محاضرته بمقدمة عن عملية التفكير، وحللها إلى خمس مراحل هي: الشعور بالمشكلة، وتحديدها بشكل دقيق، والفروض لحلها، وتحقيق فرض معين وطرح ما عداه، ثم تطبيق هذا الفرض لحل المشكلة. ثم تحدث عن تعريف بعض المصطلحات الأساسية كالعلم والحقائق العلمية، والمفهومات العلمية، والتعميمات العلمية، والقوانين العلمية، والنظريات العلمية، وأسلوب التفكير العلمي، والتجريب في العلوم، والاستعانة بالإحصاء.

والفصل الرابع بعنوان: أسئلة التفكير العلمي والطموحات التعليمية: مناقشات وتعليقات بدأها د. صالح بن موسى الضبيبان، وقد لخص فيها المحاضرات السابقة والنتائج التي توصلت إليها. ثم تحدث د. محجوب عبيد طه عن التلقين ومراتب التفكير العلمي، والأستاذ سلامة الهمش عن طرائق التعليم. كما تحدث د. صالح المانع عن تداخل التخصصات والإبداع، والأستاذ سلطان البازعي عن معوقات التفكير العلمي، ود. محمد المقيرن عن بناء الفكر العلمي.. كما أدلى أساتذة آخرون بآرائهم. وفي نهاية الكتاب فهرس للموضوعات.

الحجاج وأم البنين

د. نوره الشملان

اشتهر الحجاج بن يوسف الثقفي (٤٠-٩٥هـ) بقوته وبطشه.. كان الحجاج شرطيًا صغيرًا في جيش الأمويين في عهد عبدالملك بن مروان (٢٦-٨٦هـ)، وكان وزير عبدالملك المقرب إليه هو رَوح بن زِنْبـاع (ت: ٨٤هـ)، فلمـا لاحظ هذا الوزير تراخي الجيش وخموله أشار على عبدالملك بأن يولي الحجاج أمره؛ لما رأى فيه من المقدرة على السيطرة وإدارة دفة الأمور. وقد استمع عبدالملك إلى مشورة وزيره فَعَيَّن الحجاج أميرًا على العسكر؛ فاستطاع بقبضته الحديدية أن يسيطر على المعارضين وأن يعيد للجيش وللدولة هيبتهما؛ مما جعل عبدالملك يزداد إعجابًا به، فأرسله إلى العراق للسيطرة على المعارضين. وعندما وصل الحجاج إلى العراق قال خطبته المشهورة التي تَوَعَّد المعارضين فيها بشَرِّ العقاب معلنًا أنه جاء ليخمد كل نفَس يقاوم الأمويين. يقول: «أما والله إني لأحمل الشر بثقله وأحذوه بنعله، وأجزيه بمثله، أما والله إني لأرى رؤوسًا قد أينعت وحان قطافها.. وكأني أرى الدماء بين العمائم واللحى تترقرق..» إلخ.

لقد خاف أهل العراق الحجاج وكرهوه في الوقت نفسه، وكلما زاد كرههم له زادت مكانته رسوخًا في قلب عبدالملك. ويبدو أن مكانته العالية عند الخليفة جعلته يتمادى ويتعاظم ويتعالى ويزداد قسوة على الناس واستهتارًا بمشاعرهم وأحاسيسهم، ويبدو أن عبدالملك قد سمع من الأخبار عن تعاظم الحجاج ما أغضبه؛ فكتب إليه رسالة طويلة يوبخه فيها، ويُذَكِّره بأصله الوضيع ويأمره بالتخفيف من غلوائه، فهو يقول له مثلاً: «.. فقد نسيت ما كنت عليه أنت وآباؤك من الدناءة واللؤم والضراعة..».

واستمر الحجاج في العراق، وبعد موت عبدالملك وتولي الوليد (٤٨-٩٦هـ) الخلافة أتى الحجاج للسلام على الخليفة.. وكانت أم البنين زوج الوليد بن عبدالملك امرأة ذكية فطنة، وكانت كثيرًا ما تحاور زوجها وتناقشه في أمور السياسة والحكم. ويبدو أنه كان يشجعها على ذلك وأنه كان يستمتع بمحاوراتها ومناقشاتها؛ كما كانت على علم بكل من يقابل الخليفة، ومن هنا فقد سألت الحاشية عن الزائر الذي بين يدي زوجها فلم يعرفه أحد، فأرسلت رسولاً إلى زوجها تسأل عنه.. فأخبرها أنه الحجاج بن يوسف، فأعادت الرسول إليه بقولها: والله لأن يخلُوَنَّ بك مَلك الموت أحبُّ إليَّ من أن يخلو بك الحجاج..

وأخبر الوليدُ الحجاجَ بما قالته أم البنين فقال الحجاج: يا أمير المؤمنين! دع عنك مفاكهة النساء بزخرف القول، فإنما المرأة ريحانة وليست بقهرمانة، فلا تطلعها على سرك ومكايدة عدوك..

فلما دخل الوليد على أم البنين أخبرها بما قاله الحجاج فقالت: يا أمير المؤمنين حاجتي أن تأمره غدًا يأتيني. ففعل وأمره بمقابلة أم البنين. فلما جاء تركته بعض الوقت ثم أذنت له وقالت له: إيه يا حجاج أنت الممتن على أمير المؤمنين بقتلك عبدالله بن الزبير وابن الأشعث.

أما والله لولا أن الله علم أنك من شرار خلقه ما ابتلاك برمي الكعبة وقتل ابن ذات النطاقين (عبدالله بن الزبير) أول مولود في الإسلام.

وأما نهيك أمير المؤمنين عن مفاكهة النساء وبلوغ أوطاره منهن؛ فإن كُنَّ ينفرجن عن مثلك فما أحقه بالأخذ عنك، وإن كُنَّ ينفرجن عن مثله فغير قابل لقولك..

هذا الموقف يؤكد مكانة المرأة المسلمة واستقلالها في الرأي، فعلى أن الحجاج هو السلاح الباتر الذي قطع به الأمويون رؤوس معارضيهم، وعلى أن هذه المرأة هي زوج رأس السلطة الأموية ألا وهو الخليفة؛ إلا أن ذلك لم يمنعها من التعبير عن رأيها المخالف لرأي زوجها.

والموقف يبين احترام الرجل للمرأة، فالوليد لم يسأل زوجه عن سبب طلبها للحجاج؛ بل أعطاها مطلق الحرية في التعبير عن رأيها في سياسة الحجاج ورفضها لعنفه واعتدائه.

لقد قالت ما قالت وهي واثقة أنها بمنأى من العقاب.

عندما يدور الشهر.. أو يستدير القمر
أنت على موعد دائم مع
الجيل
«الصحافة الشابة لكل الأجيال»

AL JEEL







تقرأ فيها باستمرار:

- معالجات عميقة وجادة وشيقة لأحداث الرياضة السعودية والعربية والعالمية.
- لقاء مع نجوم الرياضة في مختلف الألعاب.
- تحقيقات في مختلف المشكلات والقضايا الاجتماعية الشبابية.
- حوارات مع كبار المفكرين والأدباء والفنانين.
- دراسات نقدية لروائع الأدب، ومتابعات لأحداث الفن والثقافة.
- إبداعات الشباب في مختلف الفنون الأدبية.
- كل ما يهم الأسرة من طب وعلوم وتربية واقتصاد.

لكل ذوق.. ونحن نرضي كل الأذواق
مع «الجيل».. أنت تقرأ في كشكول الحياة

«تريتون»

اسم جديد في عالم الحواسيب الخارقة

عدنان عضيمة

تم في مدينة شتوتغارت الألمانية ـ مؤخرًا ـ تشغيل أسرع حاسوب في أوربا من سلسلة CRAY. إنه الحاسوب الخارق supercomputer (تريتون٩٤) الذي يبدو كأنه استُحضر حالاً من أحد أفلام الخيال العلمي. فضمن صندوق قائم من الزجاج الأزرق يرى الناظر إلى الجهاز زيتًا شفافًا دائم الجيشان والغليان كأنه شلال صناعي. كما تبدو فوق مقدمته كلمةCRAY، وهي من أشهر الأسماء في عالم الحواسيب الخارقة.

وليست هذه الأجزاء التي تشكل واجهة الجهاز إلا المبادل الحراري للحاسوب. وتظهر أمامها طاولة صندوقية ملوّنة بالأزرق الداكن تعلوها خمسة أقواس من النواقل النحاسية المغلّفة والمرتبة ترتيبًا بديعًا. وتختبئ كل من وحدة المعالجة processor والذاكرة memory تمامًا في هذا الصندوق وهما مغمورتان ضمن السائل المبرّد الذي لا ينفك عن الدوران ضمن المبادل الحراري. ولأن (تريتون٩٤) يستهلك ٦٤ كيلوواطًا من الاستطاعة الكهربائية، فإن من الصعب الحفاظ على برودة أجزائه، ويتطلب الإبقاء على حرارته عند الحدّ المنخفض المناسب للتشغيل ضخّ ٤٠٠٠ لتر من زيت التبريد أمام الدارات الإلكترونية كلّ ساعة.

وبموازنته مع سلفه (C٩٤)، فإن (تريتون٩٤) يصرف طاقة أقل بـ ٦٠٪ على الرغم من أنه يتميز منه بتقديم إنجازات حاسوبية أفضل بكثير. ويتضمن (تريتون٩٤) ثلاثة معالجات يمكنها إنجاز خمسة مليارات عملية حسابية في الثانية. وهذا يعني أن الإنسان الذي يستطيع أن ينجز عملية جداء عددين يتألف كل منهما من ١٤ رقمًا في ثانية واحدة سوف يقضي ٥٥ عامًا حتى ينجز ما يمكن للحاسوب الخارق (تريتون٩٤) أن ينجزه في ثانية واحدة!

ويعود بناء أول حاسوب خارق إلى بداية عقد الثمانينيات حيث كان الطرازان «كراي ـ ١» الذي صممه خبراء شركة كراي داتا كوربوريشن-Cray Data Corporation، و«سيبره ٢٠٥» الذي صممه خبراء شركة كونترول داتا كوربوريشن-Control Data Corporation في أمريكا، أكثر الحواسيب الخارقة سرعة. وبلغت السرعة الحسابية القصوى لكل منهما ١٠٠ مليون عملية في الثانية.

ويعود التحسن السريع في مستوى الأداء الذي بلغته الحواسيب بعد ذلك إلى التطور الكبير الذي تحقق ـ مؤخرًا ـ في قطاع الصناعات الإلكترونية الدقيقة، وبخاصة تطوير صناعة الرقائق المصغّرة microchips التي تُصنع منها الذاكرات ووحدات المعالجة. ولقد مثّل هذا التطوّر خطوة مهمة لإضافة العديد من الابتكارات الهندسية الإلكترونية التي مكّنت المبرمجين، للمرة الأولى، من إنجاز جملة متنوعة من العمليات الحسابية في آن واحد (على التوازي)، بينما كان مبرمج الحواسيب العادية مضطراً إلى اللجوء لتقسيم هذه العمليات إلى سلسلة من الخطوات الأولية التي يتم إنجاز كل منها في زمن مستقل.

وفي شهر حزيران/ يونيو من عام ١٩٩٥م تأسست في ألمانيا «شركة الحاسوب الخارق لخدمة العمل والعلم المحدودة» SBSOCL. وقُسِّمت ملكيتها بالتساوي بين الدولة والقطاع الصناعي الحرّ. وكان من أهداف إنشائها الإشراف على الحواسيب الخارقة وتطويرها وتشغيلها بأقل التكاليف الممكنة ووضعها في خدمة المستعملين في كل من القطاعين الصناعي والأكاديمي. وفي أواسط عام ١٩٩٦م اشتركت عدة مؤسسات صناعية

وعلمية في تنفيذ برنامج للتدريب على الحاسوب الخارق والاستفادة من خدماته، بإشراف جامعة شتوتغارت، أفضى إلى تخفيض تكاليف خزن المعلومات والبيانات ذات درجة التعقيد العالية ومعالجتها واستعادتها وتبادلها.

ويصف الخبير الألماني «مايكل هايب» الأهداف المتوخاة من هذا البرنامج بالقول: «إننا نرمي إلى تعميم استغلال الحاسوب الذي يناسب مختلف المهمات. وبكلمة أخرى، نحن نسعى إلى استخدام الحواسيب القادرة على حل المشكلات كلها بأقصر وقت وأقل كلفة. وسوف تصبح المحاكاة الحاسوبية computer simulation متيسرة حتى للشركات الصغيرة». ومن شأن مثل هذه المشاركة المعممة لاستخدام الحاسوب الخارق (تريتون٩٤) أن تسرّع وتيرة التطوّر في المؤسسات الصناعية والعلمية كافة.

وتتنوع بنود المهمات التي يمكن إنجازها بوساطة (تريتون٩٤). ومن ذلك أن مصممي السيّارات مثلاً لا يكفيهم مجرد تحقيق المحاكاة الحاسوبية لحوادث الاصطدام من أجل ابتكار أنظمة الحماية المناسبة للسائق والركاب، بل إنهم يحتاجون باستمرار إلى الحسابات والإحصائيات المتعلقة بهندسة القيادة والأداء. كما يتفق تعميم استخدام الحاسوب الخارق مع تزايد الاهتمام باستخدام طريقة المحاكاة الحاسوبية من أجل تطوير أنظمة السيارة الحديثة كافة. وتشتمل مثل هذه الدراسات التقنية المعقدة على محاكاة الدفق الهوائي المؤثر في مقدمة السيارة وتأثير الموجات الكهرومغناطيسية المنبعثة من بعض أجزاء السيارة في الركاب والبيئة المجاورة... إلخ. ويضاف إلى كل هذا برمجة عمليات الإنتاج، والإنجاز المبرمج لعمليات الطلي التي أصبحت



الحاسوب الخارق (تريتون٩٤) أداة مهمة لتطوير البحث العلمي

تتم بدقة فائقة بوساطة الحاسوب.

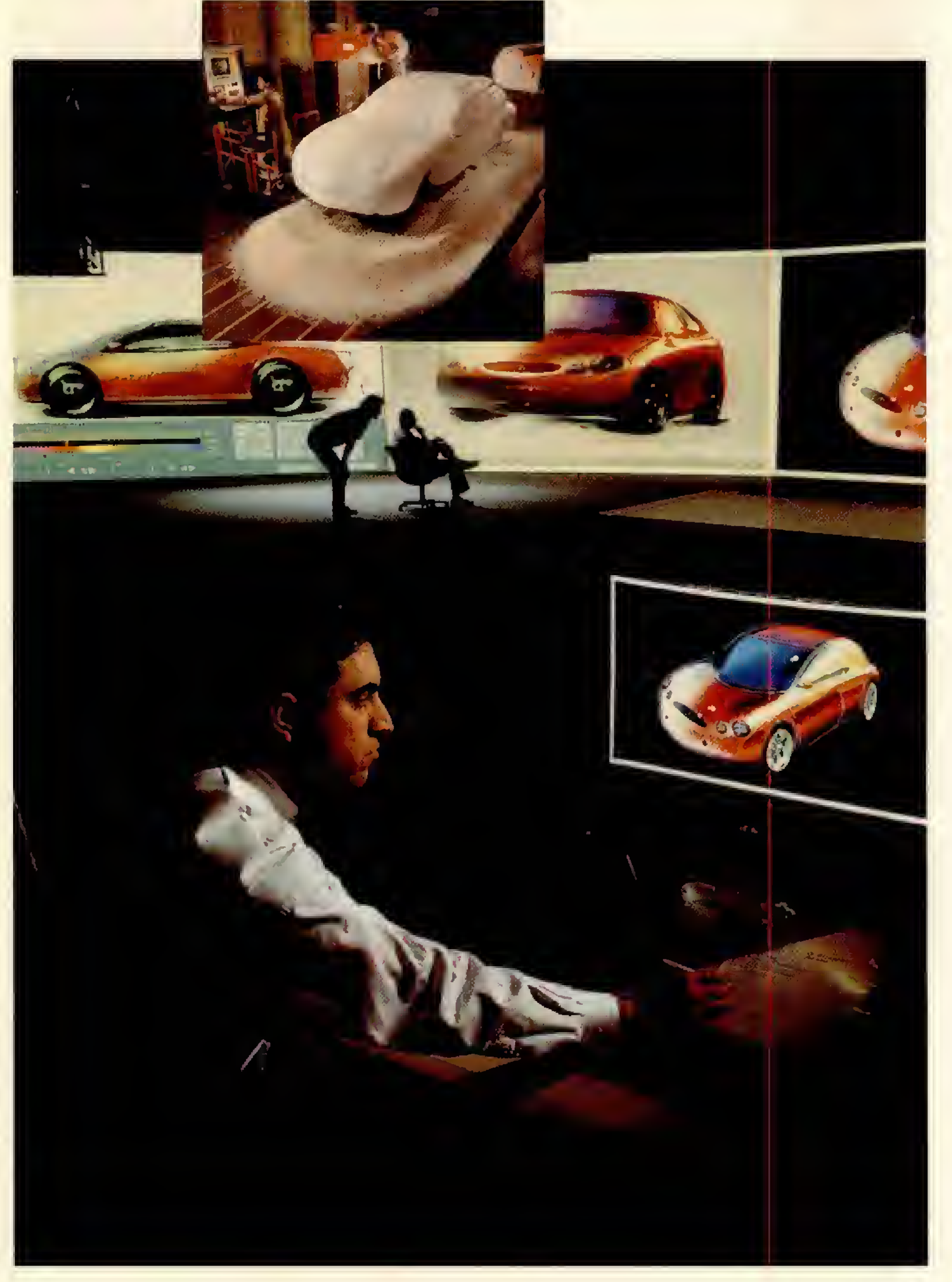
ويحاول الخبراء في كل من مؤسسة (ديملر - بنز) للبحوث وجامعة شتوتغارت التغلب على المشكلات العويصة المتعلقة بمحاكاة عمليات الانفجار داخل مكابس محرك السيارة ونمذجتها. والغاية المتوخاة من هذه المهمة هي تخفيض صرف الوقود وانبعاث عادم الاحتراق. وتبدو أهمية الحاسوب الخارق في مثل هذه البحوث من خلال مثال بسيط. فهناك نحو ١٦٠٠ معادلة ممكنة لوصف التفاعلات الكيماوية المصاحبة لتشكل المواد الملوّثة للبيئة في المحرك الانفجاري. ومن خلال استعمال الحواسيب المتوازية (أو الحواسيب الخارقة)، تمكّن الباحثون من تخفيض زمن إنجاز الحسابات اللازمة لتجسيد نموذج احتراق الوقود في المحرك الانفجاري من عدة أسابيع إلى أقل من بضع ساعات.

وفي حقل صناعة أنصاف النواقل، يقوم الخبراء بالتحرّي عن تركيب أنواع جديدة من الرقائق الإلكترونية المصغّرة والبحث في جدوى استعمالها بدلاً من تلك التي تُستعمل حالياً في صناعة الحواسيب، وذلك بالاستعانة بالحاسوب الخارق. وفي حقل هندسة الطيران يستعمل مهندسو طائرة الحافلة الجوية الأوروبية الحاسوب الخارق لابتكار تصاميم جديدة للطائرات ولنمذجة أنظمتها المختلفة.

ولقد تمكن خبراء بناء الحاسوب الخارق من زيادة سرعته الحسابية إلى ٢٠ مليار عملية حسابية في الثانية (٢٠ جيغا فلوب) قبل نحو خمس سنوات، وإلى ٤٠٠ مليار عملية حسابية في الثانية في منتصف عام ١٩٩٦م. ومن المقدّر أن تبلغ هذه السرعة ١٠٠٠ مليار عملية حسابية في الثانية قبل نهاية عام ١٩٩٨م (وحدة قياس السرعة الحسابية في الحواسيب الخارقة هي الـ «فلوب» flop ويساوي عملية واحدة في الثانية).

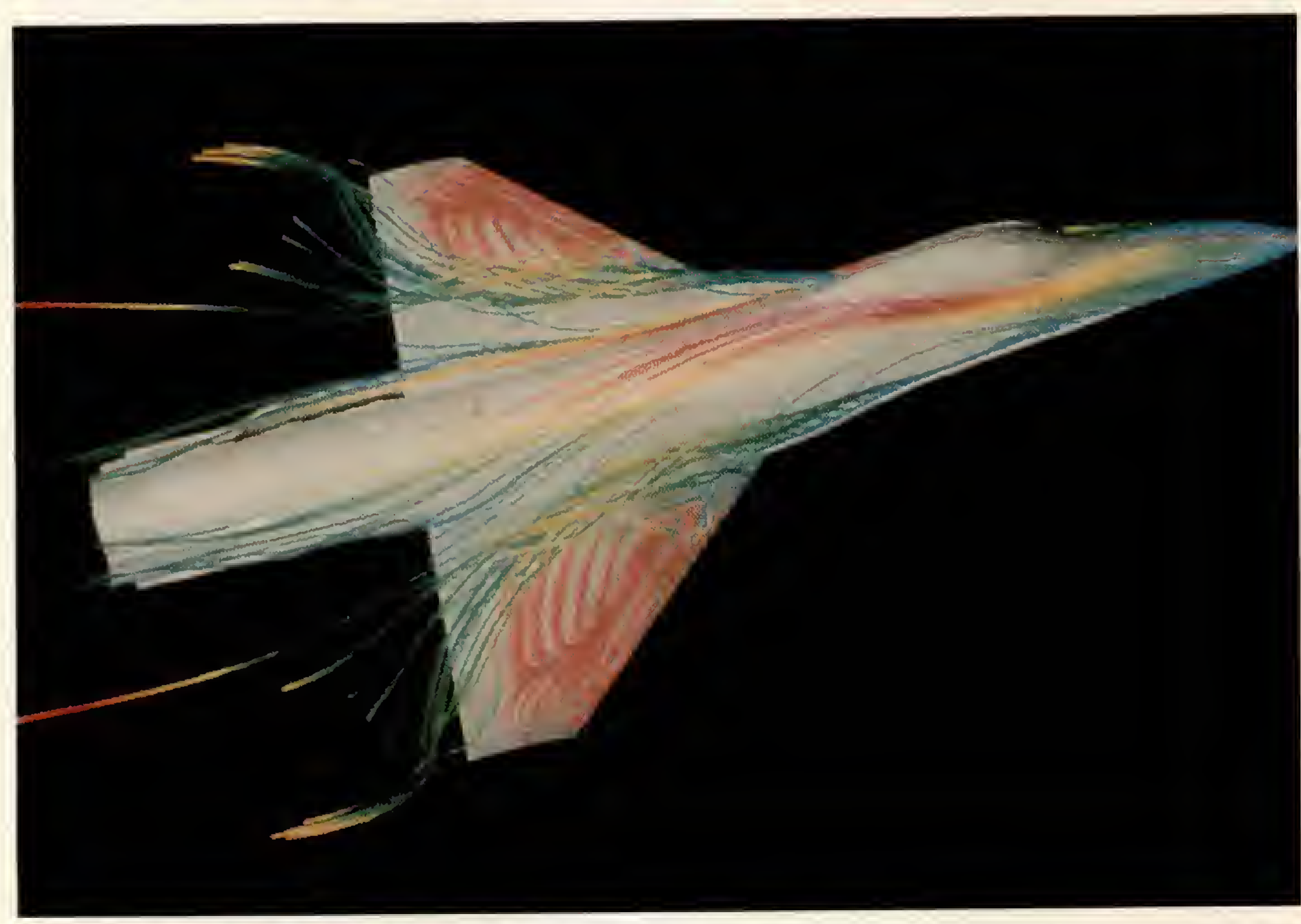
وتعتمد السرعة الحسابية للحاسوب الخارق، إلى حد بعيد، على براعة المبرمج ومهارته في التشغيل. وعلى الرغم من أن الرقم القياسي لهذه السرعة بلغ ٤٠٠ مليار عملية حسابية في الثانية؛ إلا أن بلوغه لا يتسنى إلا لذوي الخبرة الواسعة في استخدام الجهاز. وأما السرعة الحسابية التي يعد تحقيقها أمرًا عاديًا فتبلغ ٢٠ مليون عملية في الثانية.

ويتركب الحاسوب الخارق من مجموعة حواسيب متصل بعضُها ببعض ومبرمجة بطريقة الدمج على التوازي (وبذلك يختلف عن الشبكة الحاسوبية التي تتألف من حاسوب رئيسي ومجموعة حواسيب عادية فرعية). وبالطبع لا تكون القدرة الحسابية في هذه الحالة هي ببساطة مجموع القدرات الحسابية للحواسيب المتصلة. ويوضح «هايب» هذا الأمر بمثال طريف حيث يقول: «إذا ربطت ٢٠ سيارة فولكسفاغن من نوع الخنفساء بعضها ببعض فإنك لن تحصل على سيارة سباق من النوع الذي يمكنه أن يخوض سباقات الجائزة الكبرى الشهيرة!».



باستخدام «فرشاة الطلي المبرمجة» يتم الحصول على أفضل مظهر للسيارة. وتسمح النمذجة الحاسوبية باستظهار مخطط السيارة بحجمها الطبيعي على الجدار واختيار اللون المناسب لها قبل البدء في طلائها، كما يستخدم المهندسون هذه المخططات وسائل مساعدة لإعادة تصميم الهيكل بعد إجراء الحسابات المعقدة بوساطة الحاسوب. ويبدو في الصورة مبتكر هذه الطريقة الخبير «وليد سابا» الذي يعمل في مصانع فورد في ميشجان

«تريتون» اسم جديد في عالم الحواسيب الخارقة



النمذجة والمحاكاة modeling and simulation: النمذجة هي ابتداع نموذج تخطيطي حاسوبي يتفق مع الواقع لنظام أو آلة أو ظاهرة. والمحاكاة هي التجسيد الحاسوبي للظواهر المؤثرة في نظام ما. وتبدو هنا عملية المحاكاة الحاسوبية لتأثير الدفق الهوائي المضطرب في هيكل القاذفة المقاتلة الأمريكية F16A. ويتضح مسار الكتل الهوائية وارتفاعها عن مستوى الهيكل بوساطة الخطوط الملونة. فالخطوط الزرقاء تمثل الارتفاعات المنخفضة، وتمثل الخطوط الدوّامية الحمراء فوق الجناحين مناطق الإجهادات القوية. ولقد تم إنجاز هذه المحاكاة بحاسوب خارق بالغ السرعة، وهي تساعد المهندسين على إعادة النظر في تصاميمهم لأنها تسمح باكتشاف العيوب التصميمية في هيكل الطائرة

استعمالات الحاسوب الخارق

قد يسأل المرء: ما نوع المسائل التي يتطلب حلّها هذه السرعة الحسابية الهائلة؟ وكيف تجتمع هذه المسائل وفق نسق متوازٍ؟

إن أهم هذه المسائل ترتبط بعلوم: ديناميكا الموائع، والزلازل، والفيزياء الذرية والنووية، والبلازما، حيث تتضمن الدراسات المتعلقة بها مقادير دائمة التغيّر بتغيّر كلٍ من الزمان والمكان لتشكل بذلك مايدعى بالحقول المستمرة continuous fields، ويمكن التعبير عن الحقل المستمر بمجموعة مقادير فيزيائية ترتبط بكل نقطة من نقاطه التي تقع ضمن حيّز ثلاثي الأبعاد. وغالبًا ماتكون هذه المقادير متغيرة من نقطة إلى أخرى ومن لحظة إلى أخرى طبقاً لتغير القوى والعوامل المختلفة المؤثرة فيها. ومن أمثلة هذه المقادير: كثافة غاز مضطرب وسرعته وحرارته، والإجهاد الميكانيكي المؤثر في جسم صلب في أثناء تعرضه للقوى الكهرومغناطيسية، وسرعة انتشار الموجات الزلزالية في طبقات الأرض ذات الكثافات المختلفة، وتغيّر هذه السرعة تبعًا لتغيّر الزمان والمكان وطبيعة الطبقات الأرضية التي تنتشر عبرها، وفرْق الطور phase difference بين الأمواج المتداخلة في الدليل الراداري الموجي radar wave guide الذي يُستخدم في الرادارات الفضائية لرسم الخرائط الطوبوغرافية للأرض بتطبيق تقانة (تكنولوجيا) التصوير الراداري للأرض من الفضاء.

ولقد تم التوصل إلى القوانين الفيزيائية الأساسية للحقول المستمرة، والتي يُعتمد عليها اليوم في حلّ المسائل المتعلقة بهذه الحقول وتوضيح خصائصها من طريق استنباط مجموعة من المعادلات التفاضلية الجزئية partial differential equations تربط بين القيم الفيزيائية لكل نقطة من نقاط الحقل المدروس وسرعات تغيّرها مع القيم المتعلقة بالنقاط المجاورة لها. وبما أن هذه القيم تتغير بتغيّر الزمان والمكان وطبيعة الحقل المدروس، وأن الحقل يحتوي على عدد غير نهائي من النقاط، فإن الوصف المتكامل لهذا الحقل يتطلب التوصل إلى تحديد مقدار غير نهائي من البيانات والمعلومات. ومن ثمّ فإن الخطوة الأولى لاستنباط طرق مبتكرة للحساب تكمن في: الفصل الوصفي discrete discription لعناصر الحقل؛ بحيث تفصل البيانات الخاصة



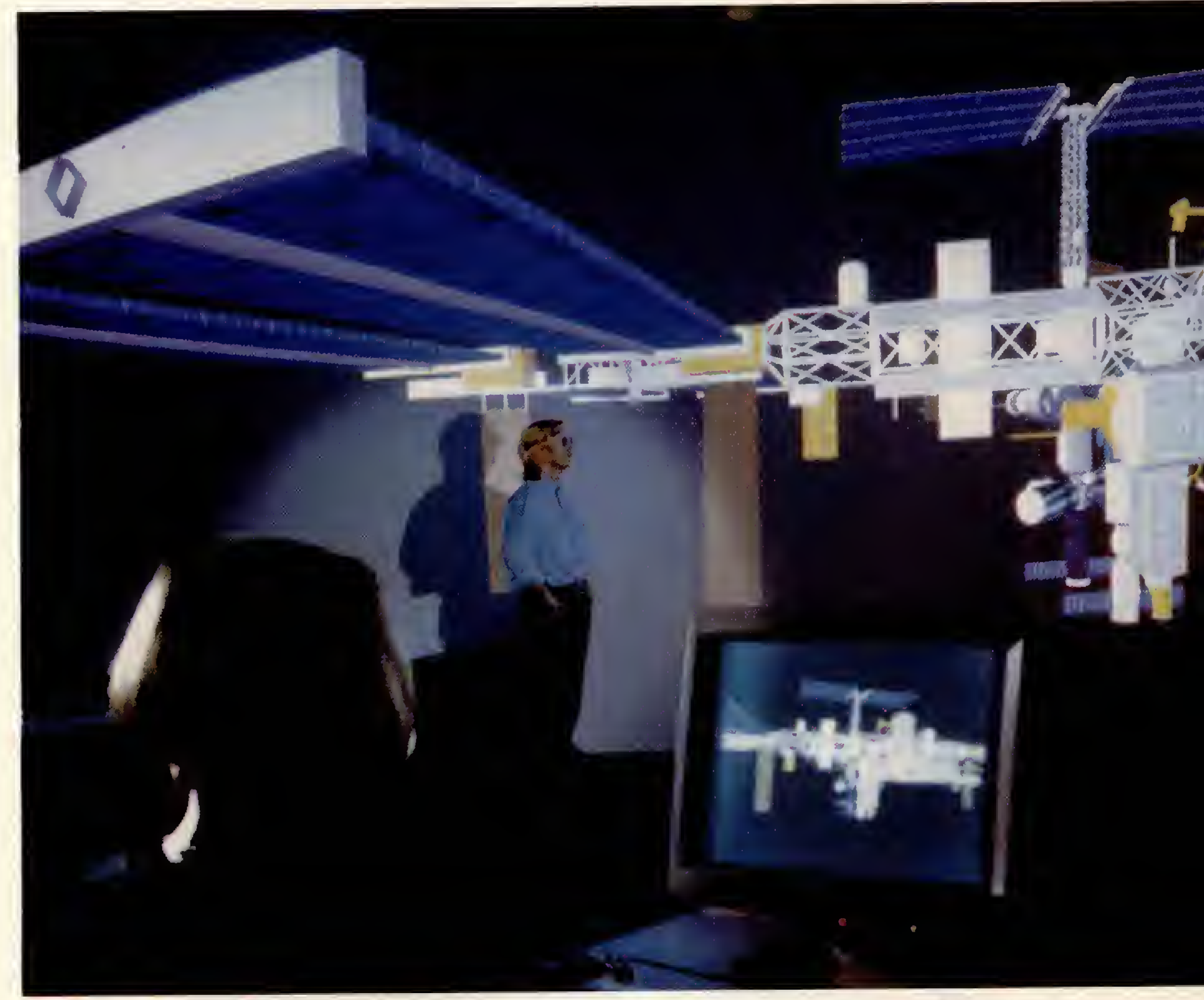


تمكن المهندسون الألمان من استخدام الحاسوب الخارق «تريتون» في نمذجة عملية الاحتراق ضمن المحرك الانفجاري للسيارات. ومن شأن هذا التطور أن يؤدي إلى ثورة جديدة في هندسة تصميم المحركات الانفجارية



يتصل الحاسوب الخارق (تريتون ٩٤) بعدد كبير من الحواسيب، ويمكنه حل أعقد المشكلات الحسابية والهندسية

«تريتون» اسم جديد في عالم الحواسيب الخارقة



باستخدام برنامج التصميم بمساعدة الحاسوب والمشغّل في الحاسوب «تريتون» يقوم العلماء بتصميم محطة فضائية كاملة ستدور حول الأرض في المستقبل

بالنقاط المتشابهة في الخصائص الفيزيائية بعضها عن بعض. وبتعبير رياضي أدق: تستبدل مجموعة المعادلات التفاضلية الجزئية بمجموعة كبيرة من المعادلات الجبرية العادية.

ويتعلق عدد النقاط التي يقتضي الأمر دراستها بأبعاد الحقل الفراغية، ومدى التعقيد الهندسي لطريقة انتشارها، ونوعية التفاصيل التي تقتضيها الدراسة. وعلى سبيل المثال، يضطر المهندسون إلى تطبيق هذه الدراسة على شبكة فراغية تتألف من نحو مليون نقطة من نقاط الحقل لدراسة الدفق الهوائي المضطرب aer-odynamic flow في الحيِّز المحيط بمحرك الطائرة وهيكلها في أثناء سعيهم لابتكار نماذج جديدة لطائرات تكون أكثر تكيّفًا مع الهواء في أثناء الطيران. وقد تتطلب الدراسة تطبيق الحسابات على عشرات الملايين من النقاط عندما يحتاج مهندسو الطيران إلى هذه المعلومات لأهداف هندسية تتعلق بتصميم هيكل الطائرة أو تحديد قوة محركاتها. وفي مثل هذه الحالات، يقتضي الأمر خزن نحو ثلاثين خاصة فيزيائية لكل نقطة من نقاط الحقل في ذاكرة الحاسوب الخارق.

وتتم الحسابات الحقلية عبر خطوات أساسية ومتكررة، حيث تُحسب القيم الجديدة للقيم المتغيِّرة المتعلقة بكل نقطة، انطلاقاً من القيم المحسوبة في الزمان والمكان السابقين.

كما تقتضي الدراسة وضع العلاقة التي تربط بين المتغيرات التي تعاني منها نقطة ما وتلك التي تعاني منها النقاط المجاورة. ويعمل الحاسوب الخارق على إنجاز هذه الحسابات وخزنها في ذاكرته، كما يتولى مهمة تصحيح الأخطاء المرتكبة في قياسها بحيث يكون الوصف الكمّي والنوعي للحقل أقرب مايكون إلى الحقيقة.

وتوخيًا للمزيد من الدقة في الحساب، يتطلب الأمر تكرار العمليات

«تريتون» اسم جديد في عالم الحواسيب الخارقة



تعد الرقائق المؤلفات chips السيليكونية الدقيقة لدماغ الحاسوب. وكلما تمكن المهندسون من دمج عدد أكبر من الترانزيستورات فوق كل رقاقة زادت القدرة الحسابية. وتعني القدرة الحسابية للرقاقة (التي تقود العمليات الحاسوبية، وتؤلف وحدة المعالجة): السرعة. ويبدو في المخطط كيف تمت زيادة هذه السرعة من ٦٠ ألف عملية حسابية في الثانية عام ١٩٧١م إلى ٢٥٠ مليون عملية في الثانية عام ١٩٩٥م

الحسابية مئات أو آلاف المرات وذلك وفقاً لنوعية المقادير المحسوبة. ففي الحقول المستمرة، يتعين على الحاسوب الخارق إجراء عمليات التكرار الحسابي بطريقة الخطوات المتعاقبة السريعة وبحيث يتم كل منها في مدًى زمني أقصر من ذلك الذي يتم خلاله تغيّر الصفات الفيزيائية للحقل. وبما أن نقاط الحقل متقاربة إلى حد كبير، فإن زمن الحساب يجب أن يُختصر إلى أعلى درجة ممكنة بهدف اختزال القابلية لارتكاب الأخطاء التي تتجمع بشكل لا يمكن اجتنابه. وكمثال على ذلك فإنه يُطلب من الحاسوب أن ينجز عشرة مليارات عملية حسابية خلال يومين عند دراسة بعض التطبيقات الشائعة حاليًا في علمي الديناميكا الهوائية والفيزياء النووية، بينما تبقى بعض المسائل الأكثر تعقيداً دون حلٍ بانتظار ابتكار حواسيب أكثر سرعة. ويفضل مهندسو الفضاء الحصول على نتائج بعض القياسات المتعلقة بالسباحة الفضائية في أقل من يوم واحد بوساطة الحاسوب الخارق؛ بينما يستغرق الحاسوب العادي في حلّها بضعة أشهر. وفي علم التنبؤ بالزلازل، يحتاج الخبراء إلى حواسيب أكثر سرعة حتى من الحاسوب الخارق من أجل تحقيق تنبؤات بالنشاطات الزلزالية أكثر نجاحاً من التي يتم تحقيقها الآن.

وتقتضي متابعة إنجاز الحسابات بوساطة الحاسوب الخارق في الحقول المستمرة تجزيء العمليات الحسابية إلى سلسلة من المسائل المستقلة التي تُحلّ بشكل متزامن. إلا أن هناك حدوداً لهذا التزامن لايمكن تجاوزها. وإنه لمن الواضح تماماً، مثلاً، أن العملية الحسابية التي نرمز لها بالرمز (n) لا يمكن إنجازها في وقت إنجاز العملية التي نرمز لها بالرمز(n+١) ذاته، لأن النتائج المستقاة من العملية الأولى تمثل المعلومات الأولية اللازمة لحل العملية الثانية. فماذا يعني التزامن إذن؟

إن الحاسوب الخارق يستطيع أن يحقق: التجانس الحسابي computa- tional homogenity بتقسيم نقاط الحقل الفراغي إلى مجموعة طبقات يتألف كل منها من آلاف النقاط ذات الخصائص المتشابهة، ثم يقوم بإنجاز العمليات الحسابية الخاصة بكل طبقة ويخزن معلوماتها في الذاكرة. كما يمكنه إنجاز العمليات الحسابية المتعلقة بمجموعة طبقات مختلفة في وقت واحد ويخزن معلوماتها المستقلة.

سرعة بث المعلومات

ليست زيادة السرعة الحسابية للحاسوب الخارق هي المشكلة الوحيدة التي يواجهها الخبراء من أجل تسريع وتائر البحوث العلمية والتقنية وتحسين نتائجها، بل إنها تخلق - بدورها - مشكلة عويصة لا بد من حلّها. فما فائدة البيانات والمعلومات الغزيرة والهائلة التي يوفرها الحاسوب الخارق كل ثانية إن لم تكن هناك طريقة مناسبة لإمرارها ونقلها بالغزارة نفسها إلى شبكات حواسيب الجهات والمؤسسات العلمية والصناعية التي تحتاج إليها؟ لقد تبيَّن الخبراء أن زيادة السرعة الحسابية يجب أن تتماشى جنبًا إلى جنب مع تطوير تقنيات بثّ المعلومات. وفي مركز بحوث الحاسوب في جامعة شتوتغارت، تم ربط الحاسوب الخارق بباقي المراكز الأكاديمية والصناعية بوساطة خط الألياف الضوئية optic fiber line الذي يسمح بتدفق ٨٠٠ مليون رقم عشري في الثانية (الرقم العشري bit هو إما الصفر أو الواحد، وكل ثمانية أرقام عشرية تؤلف «بايتًا» byte، وكل بايت يرمز لحرف كتابي أو رقم أو علامة)، ويوازي هذا التدفق إمرار البيانات والمعلومات الموجودة في دليل الهاتف لمدينة كبرى خلال ثانية واحدة!



حفل التراث العربي بأنواع شتى من التأليف، فلم يدع المؤلفون موضوعاً لم يكتبوا فيه، فقد ألفوا في الموضوعات الجادة في دقائق العلوم والفنون، ولم يغفلوا الموضوعات الطريفة، كما خصوا كل موضوع بتأليف، وكل مسألة بمصنف، وكل فن بكتاب أو رسالة، في جد أو هزل.

فص الخواتم فيما قيل في الولائم

لشمس الدين محمد بن علي بن طولون المتوفى سنة ٩٥٣هـ

نقول: إذا ذُكر الكرم والجود ذُكر العرب، أو نقول: إذا ذُكر العرب ذُكر الكرم، فهما مجتمعان في قرن، والكرم والجود سمتان تميزان العربي، يفخر بهما، ويعيب من لا يتصف بهما أشد العيب.

ولقد جاء الإسلام ليثبّت هذه الخصلة الحميدة في النفوس وينميها، ويزيل منها أدران الشح والبخل، الذي عدّه الرسول صلى الله عليه وسلم أدوى الداء. وجاء الإسلام كذلك ليجعل هذه الخصلة الحميدة خالصة في سبيل الله عز وجل، لا لطلب شهرة وفخر بين الناس؛ فلئن شهر حاتم الطائي بكرمه، وصار مضرب المثل في ذلك، إلا أنه كان طالب شهرة وجاه بين القبائل ونال ما أراد، لكن المسلم عندما ينفق ماله أو جزءًا منه، إنما يبتغي به وجه الله عز وجل، ويتذكر قوله سبحانه: *إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُورًا*. الإنسان: ٩؛ فهذا أبو بكر الصديق رضي الله عنه ينفق ماله كله، ويقول: أبقيت لأهلي الله ورسوله، وهذا عثمان بن عفان رضي الله عنه يجهز جيش العسرة، وطلحة ابن عبيدالله رضي الله عنه ينفق تجارته كلها ويتصدق بها على الفقراء، وما أرادوا سمعة ولا رياءً.

وكان من أبرز صفات الكرم عند العرب إطعام الطعام للقاصي والداني من الناس، ويجدون في ذلك الشرف العظيم والسؤدد الرفيع، حتى غدا لكل مناسبة من مناسبات إطعام الطعام اسمٌ خاصٌ بها، فوليمة العرس غير وليمة الضيافة، وهذه غير وليمة الختان، فلكلٍ اسمها كما لكلٍ مناسبتها.

وقد ذكر شمس الدين محمد بن علي بن طولون الدمشقي، المتوفى سنة ٩٥٣هـ أسماء الولائم عند العرب كما جاءت في كتب اللغة والأدب، ومناسبة كل منها، وما يحدث فيها، وما يُقدّم للمدعوين، وجمع ذلك في كتاب أسماه «فصّ الخواتم فيما قيل في الولائم»، وطبع بتحقيق نزار أباظة، ونشرته دار الفكر بدمشق سنة ١٤٠٣هـ.

يقول ناشر الكتاب: «في هذا الكتاب يفصل الحديث عن الولائم التي أوصلها إلى نحو من ستة عشر نوعًا، ومع هذه الولائم أخلاقها التي يجب على المتحضر أن يتخلق بها، وآدابها التي ينبغي للآكل أن يتأدب بها، ولئن قدم لنا موضوع الولائم، لقد استقصى موضوعه بأسلوب شائق وعرض لطيف، فحوى كتابه إلى العلم أدبًا، وإلى اللغة طرافة، حتى جاء عمله هذا مأدبة حافلة، أشهى من كل مأدبة».

في بداية الكتاب ذكر ابن طولون أسامي الولائم شعرًا كما نظمها القاضي صدر الدين سليمان بن أبي العز الأذرعي الحنفي، المتوفى سنة ٦٧٧هـ، فقال:

أسامي الطعام اثنان من بعد عشرة
سأسردها مقرونة ببيان
وَليمة عرس ثم خُرسُ ولادة
عقيقة مولود وَكيرة بانِ
وَضيمَة ذي موت نقيعة قادم
عَذير أو اعْذار ليوم ختانِ
ومأدبة الخلان لا سَببَ لها
حذاق صبي يوم ختم قُرانِ
وعاشرها في النَظم تحفة زائرٍ
قِرى الضيف مع نُزْلٍ له بأمانِ

ثم فسَّر المؤلف هذه الأسماء وشرحها شرحًا لغويًا، وبيَّن اشتقاقاتها اللغوية، وزاد عليها أسماءً أخرى. وأسماء الولائم المذكورة في الكتاب هي: الوليمة للعرس، والخُرْس للولادة، والعقيقة للمولود، والوَكيرة لبناء الدار، والوَضيمة للميت، والنَّقيعة للقدوم من السفر، والعَذير للختان، والمأدبة للأصحاب، والحِذَاق لختم القرآن، والتحفة للزائر، والقِرى للضيف، والنزل لمن نزل بك، ووليمة الأخوة، ووليمة الفرع لأول نتاج الناقة، ووليمة العَتيرة لشهر رجب، ووليمة الإملاك لعقد النكاح.

وهو في ذلك يستطرد استطرادات كثيرة، حيث يطرق موضوعات شتى تعرض له، منها موضوعات فقهية واجتماعية وأدبية، فعند الحديث عن وليمة العرس، يذكر أن الصواب أن يقال للزوج: عروس وليس عروسة كما هو الشائع، كما يتحدث عن معنى البناء وأصله واشتقاقه في حديثه عن بناء الزوجين. ويتعرض أيضًا إلى ما اعتاده الناس من تقديم (النقوط) للعروسين، وهل تُعَدّ دَيْنًا (!) أم لا. وعند حديثه عن وليمة الوضيمة، وهي التي تُعمل للميت، يذكر حكم النياحة على الميت، وأن الأكل من طعام هذه الوليمة حرام. وفي وليمة العذيرة التي تُعمل للختان بيَّن حكم الختان وأنه واجب.

كما تحدث ابن طولون عن التطفيل والطفيليين، وبيَّن أن فعلهم لا يجوز، وأن أكلهم من الولائم التي لا يُدعون إليها حرام ما لم يستأذنوا أو يؤذن لهم، وأن شهادتهم مردودة عند القاضي. وبيَّن أصل هذه العبارة ومنشأها، وأنها منسوبة إلى رجل من أهل الكوفة اسمه طفيل بن دلال، كثر منه إتيان الولائم من غير دعوة، فسُمي طفيل الأعراس.

وقبل ذلك تحدث المؤلف عن آداب الطعام والشراب وآداب الضيف والمضيف، وبيَّن ما يوافق منها الآداب الشرعية والأعراف المرعية وما يخالفها.

صبا نجد

جماليات الحنين في النسيب العربي الكلاسيكي



تأليف:
البروفسير ياروسلاف ستيتكيفيتش
عرض:
د. حسن البنا عز الدين

قديمًا قيل: «لا تدع العربُ الشعرَ حتى تدع الإبل الحنينَ». وها نحن ـ معشر العرب ـ لم ندع الشعر، ولم تدع الإبل الحنين، مع أنها هي نفسها لم تسلم في بعض الشعر القديم من الذم واللعن لتفريقها بين الأحباب. ويدور كتاب البروفسير ياروسلاف ستيتكيفيتش JAROSLAV STETKEVYCH حول جماليات الحنين في شعر النسيب العربي الكلاسيكي، متخذًا من «صبا نجد» عنوانًا رئيسًا. وعنوانه كاملاً:

THE ZEPHYRS OF NAJD: THE POETICS OF NOSTALGIA IN THE CLASSICAL ARABIC NASIB، وقد صدر عن مطبعة جامعة شيكاغو (شيكاغو ولندن) ١٩٩٣م.

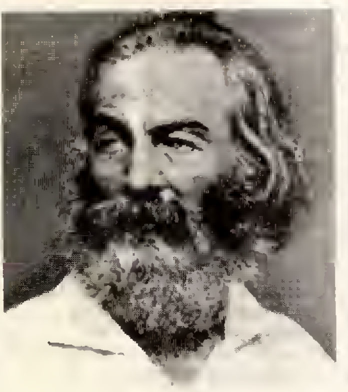
ومؤلف الكتاب البروفسير ياروسلاف ستيتكيفيتش أستاذ أمريكي (من أصل أوكراني) للأدب العربي بجامعة شيكاغو منذ أكثر من ثلاثين عامًا، وقد درس بالقاهرة في أواخر الخمسينيات، ثم رحل إلى إسبانيا في منحة للدكتوراه التي أنجزها في جامعة هارفارد حيث قابل المستشرق المعروف السير هاملتون جب، الذي كان ينظر إلى ستيتكيفيتش بوصفه ابنًا روحيًا له. وستيتكيفيتش يهدي الكتاب لذكرى أستاذه جب؛ مقتبسًا في الإهداء بيتًا من الشعر لوولت ويتمان (١٨١٩-١٨٩٢م) «وأنا أرى إلى حيث مررتَ وغبتَ في أدنى سواد الليل»، بما يوحي منذ البداية بموضوع الفقد والحنين المسبطر على الكتاب.

وقد زار المؤلف كثيراً من البلاد العربية وتردد إلى بعضها مرات عديدة، وله أصدقاء كثيرون من المثقفين والفنانين التشكيليين العرب. وبالإضافة إلى ما نشره بالإنجليزية والأوكرانية عن الأدب العربي، فقد نشر بالعربية عن الشعر العربي الحديث «من شوقي إلى حجازي»، وعن النقد العربي القديم في دوريات عربية متخصصة مثل مجلة «فصول» المصرية، وترجم بعض فصول الكتاب الحالي في المجلة نفسها، كما ترجم كتابه

عن اللغة العربية (١٩٧٠م) إليها مرتين. وللمؤلف طلاب عرب درسوا على يديه، كما له طلاب غير عرب وأصدقاء وزملاء، يلتقي معظمهم فيما أصبح يُطلق عليه «مدرسة شيكاغو» للأدب العربي والفارسي، ويمثل البروفسير ستيتكيفيتش قطب هذه المدرسة.

وقد صدر، في وقت مقارب لصدور الكتاب الحالي، كتاب آخر عن مطبعة جامعة إنديانا (١٩٩٤م) بعنوان RE-ORINTATIONS ARABIC AND PERSIAN POETRY بتحرير البروفسيرة سوزان بينكني - ستيتكيفيتش ، وهي زوج المؤلف وأستاذة معروفة للأدب العربي في جامعة إنديانا - بلومنجتون، يشمل ثماني دراسات لثمانية أعضاء في هذه المدرسة. وليس لهذه المدرسة، كما تقول الدكتورة سوزان في مقدمة كتابها (ص٧ من المقدمة)، مداخل نظرية أو منهجية شديدة الاختلاف فيما بينها، بما أنها تشمل مجموعة من الباحثين الذين يتفقون حول أطروحات نقدية أدبية بعينها. ومن بين هذه الأطروحات اعتقاد هذه المدرسة بأن التقاليد الأدبية العربية الكلاسيكية المعروفة في منطقة الشرق الأوسط «آداب» بمعنى الكلمة بالنظر إلى معناها في الإشارة إلى الآداب الغربية. وأيًا كان الاختلاف القائم بين نوعي هذه التقاليد فلا ينبغي أن يؤدي إلى النزول بحقيقة الأدب العربي إلى أن يكون مجرد مادة خام للأبحاث اللغوية، والاجتماعية، والإنسانية (الأنثروبولوجية). وأيًا كانت صعوبة فهم هذا الأدب (القصائد العربية والفارسية) واستغلاقه المبدئي على النظرة الغربية، فإن قصائده أعمال فنية، ويُنظر إليها بهذا المعنى من قبل الثقافات التي أنتجتها. ولما كان ذلك كذلك فليس المطلوب، مع ذلك، النظر بمعيارين، بل إعادة فحص، وتدقيق، وإعادة تعريف للحساسية الأدبية والمناهج النقدية الغربية ذاتها. وتضيف الدكتورة نفسها: أنه بعد أن قبلنا هذه التقاليد الأدبية بوصفها آدابًا بمعنى الكلمة في سياقها الخاص، فيتبع ذلك أنه لا يمكن الاكتفاء بتقييمها أو تفسيرها طبقًا للمقاييس النقدية والمناهج التحليلية المأخوذة من الآداب الغربية أساسًا. ذلك أن التطبيق الملتوي والمفرّغ من سياقه لهذه المقاييس على هذه الآداب الكلاسيكية المستخفّ بها والموضوعة جانبًا لحين الحاجة إليها، يُعَدّ تطبيقًا سطحيًا أكثر منه مثمرًا. ولن يضمن هذا التطبيق أكثر من إثبات كونه مجاريًا لأحدث البدع (الموضات) القادمة من نيويورك أو باريس، ولكنه لن يكون أصيلاً أبدًا. وهذا لا يعني عدم استيعاب هذه المدرسة لأحدث تيارات الفكر النقدي - وهم في الواقع على وعي كاف بها - بل إنّ ميل أصحابها


هاملتون جب


وولت ويتمان

في ضوء منظور أرحب، وفهم أعمق للاهتمامات النقدية الأدبية هو أن يدعوا اختيارهم للمنهج النقدي محكومًا بالموضوعات التي يطرحها الأدب نفسه.

ولعل هذا نفسه هو المثل الأعلى الذي كان وما يزال عقلاء القوم من صفوة الأساتذة والباحثين العرب يدعون إليه. ولكن لا شك أن الأمر ينطوي على معادلة صعبة، وبخاصة ما يتصل بنا نحن أصحاب الأدب أو وارثيه الشرعيين. فكثيرًا ما تميل بنا حساسية موقفنا إما إلى الإغراق في «تغريب» أدبنا في مجاهل النقد الغربي الحديث، وإما إلى الإغراق في «تسطيح» هذا الأدب على أطراف مخاوفنا من فقدان أصالته إذا نحن اقتربنا به من فكر الآخر. ويبقى التوازن دائمًا مطلبًا منطقيًا يمكن أن يقنع من يسعى إليه بإخلاص.

يصدِّر المؤلف كتابه بقوله (ص١١ من المقدمة): إن العرب أنفسهم نظروا دائمًا إلى الشعر العربي الكلاسيكي بوصفه أبرز منجزات الثقافة العربية الإسلامية. ولكن استمرار شكل شعري بعينه وهيمنته الأدبية داخل هذه الثقافة - أي شكل القصيدة الثلاثية الأجزاء (نسيب ورحيل وفخر) - منذ العصر الجاهلي حتى العقود الأولى من قرننا الحالي، قد أنتج شعرًا انقلب على نفسه بطريقة جعلته يحقق وعيًا بالشكل في أقصى درجاته صرامة، وفي طياته درجة من دقة التعبير التي لم تدركها بسهولة الحساسية النقدية والشعرية الغربية، ولم تعطها حقها من التقدير الذي تستحقه. ذلك أن استيعاب القصيدة العربية لذلك التناقض الكامل بين الغنائية والشكلانية - وهما صفتان لا تزالان تُنسبان بقوة، في نظرية النوع الأدبي الغربية، إلى ميراث الرومانسية، كما أنهما لا تنسجمان معًا عمليًا - ظل أمرًا مربكًا لمعايير الاستاطيقا (علم الجمال) والحساسية الغربية. ولمواجهة هذا التحدي الذي تطرحه القصيدة العربية، يتخذ الكتاب الحالي من النسيب موضوعًا له.

والنسيب هو القسم الافتتاحي الغنائي - الرثائي في القصيدة، وهو كذلك أكثر أقسام القصيدة التي تعرض لنا بحدة التبلور الشكلي الخاص فيها. ولهذا فإن المؤلف قصد أيضًا إلى تطويع دراسته حسب هاتين الخاصيّتين. وهو عندما يقترب من الشعر العربي الكلاسيكي من منظور أدبي غربي، فهو يفعل ذلك لتحقيق غرضين: الأول: استعراض حقيقة أن التقليد الشكلي الصارم للقصيدة العربية القديمة - بعيدًا من أن ينتج التكلف والبراعة اللذين توقعهما القراء الغربيون، ووجدوهما فيه عمليًا - كان تقليدًا قادرًا على توليد حالة غنائية رقيقة ونابضة بالحياة. وثانيًا: استيعاب الغنائية العربية الكلاسيكية في فهم أكبر للشعر الغنائي، من مدخل مقارن، بوصفه نوعًا من الأنواع الأدبية، وبوصفه نوعًا تجريبيًا. ولكن المؤلف يحرص على توضيح أنه قبل اختيار أي منظور غربي، أو «حديث» فإنه لا يألو جهدًا ولا يضن بأي مستوى للخبرة من أجل إعطاء النص الشعري - بوصفه نصًا شعريًا عربيًا - أولوية كاملة. وبالمثل، أخذ المؤلف في حسبانه ملاحظات النقاد العرب القدماء، وإن كان هذا بصورة ضمنية أكثر منه بصورة صريحة، بل إنه، على المستوى الضمني نفسه، نظر إلى الأصوات الشعرية نفسها وهي تقدم تفسيراتها/ قراءاتها للرسائل التي يحملها تقليدهم الأدبي من خلال أشعارهم، مما يسمح بتلاقي الأصوات التي تصل بينها الوشائج الثقافية والتاريخية في حلقة مشتركة.

وهكذا يرى المؤلف أن نصه عن «صبا نجد» لا يخاطب المتخصصين في الأدب العربي فحسب، بل يخاطب - بالقدر نفسه - القراء في حقول الأدب الأوربي، والأدب المقارن، والنظرية الأدبية.

يقدّم الفصل الأول: «الغنائية العربية وبنيتها: النسيب داخل القصيدة» (ص١-٤٩) - على نحو يجعله يصلح مقدمة للكتاب ككل - ثلاث نظريات عن بنية القصيدة الثلاثية، وهي: البلاغية، والنموذجية، والأنثروبولوجية - الأسطورية الشعرية. ومع ذلك، فكلها مثارة بحيث تبدو انكسارات بنوية تنعكس إحداها على الأخرى. فهذه النظريات الثلاث أقرب إلى أن تكون ثلاثة أوجه للقصيدة. أما الأولى فتنظر إلى القصيدة بوصفها منهجًا (استراتيجية) بلاغيًا يستعرض من خلاله الشاعر مهارته الخطابية. وقد بدأ المؤلف هنا بمناقشة نص ابن قتيبة (ت:٢٧٦هـ) المشهور عن بنية القصيدة القديمة وعلاقتها بالخطبة والرسالة؛ مرورًا بابن سينا (ت:٤٢٨هـ) وانتهاءً بالباحثين الغربيين مثل ألفريد بلوخ، بالإضافة إلى فحص القصائد نفسها من الشعر الجاهلي والشعر الأموي. وهو ينتهي في هذا الجزء إلى أن النموذج البنوي بخلفيته البلاغية لشكل القصيدة ربما لا يخبرنا عن طبيعة البنية

الشعرية على نحو كاف، ومن ثم يتركنا مع الألغاز الشكلية غير المحلولة، إن لم تكن مسلمًا بها، تلك الألغاز التي لم يلتفت إليها النقد البلاغي ولا قدّم لها إجابة. ولذلك ينتقل إلى النظرية الثانية التي يقابل فيها بين القصيدة والسوناتة الكلاسيكية، وبين النسيب و«شكل السوناتة» (ص١٦-٢٥)؛ حيث يتيح له ذلك استكشاف الحالة النفسية المسيطرة على القصيدة وبنيتها، واستكشاف حركة الزمن في القصيدة وفي النسيب، كما يساعده ذلك على توضيح اضطراب الفهم النقدي لما يسمى بالمقدمة الغزلية داخل النسيب، وتعميمه مصطلح الغزل على النسيب كله. ثم ينتقل في الجزء الثالث من هذا الفصل (ص٢٦-٤٩) إلى تأسيس نمط أصلي ثلاثي للقصيدة، وهذا موضوع أفاضت فيه البروفسيرة سوزان ستيتكيفيتش في دراسات عدة تستحق وقفة خاصة.

أما الفصل الثاني «النسيب: من الدموع القديمة إلى رحلات الحج الروحية» (ص٥٠-١٠٢)، فيوضح كيف تطورت الرثائيات الشعرية العربية الجاهلية على الرسوم الخالية تاريخيًا حتى أصبحت تعبيرًا عن الحنين الروحي في الشعر العربي الصوفي. وهو يسلك هذا الفصل في خمس نقاط:

١- «التسامح مع الرؤية القديمة» (ص٥٠-٥٩) حيث ينسب إلى النسيب أهمية مركزية سلبًا وإيجابًا فيما يتصل بغنائية النوع الأدبي العربي ونظرة النقاد إليه بوصفه أثرًا عزيزًا من الماضي ينبغي التسامح معه، مشيرًا هنا إلى أسامة بن منقذ وكتابه عن «المنازل والديار»، ومقابلاً بين أبيات لأبي نواس وأخرى للمهلهل (عدي) ابن ربيعة. ولكنه يعود في النقطة ٢- «تحرير الاستعارة: حسان بن ثابت» (ص٥٩-٦٤) لالتقاط محور انكسار للنسيب عند هذا الشعر الذي بدأ يشعر بالتوتر بين حياته الروحية الجديدة في الإسلام والنماذج الشعرية التي حملت ملامح الروح البدوية. أما النقطة ٣- «نحو أنشودة رعوية بلاطية في شعر أبي العتاهية» (ص٦٤-٧٣) فيتلمس فيها أصول هذه الأنشودة في تعديلات حدثت لموضوعة الخليلَيْن أو الأصحاب بدءًا بطرفة بن العبد ومرورًا بحسان. وفي النقطة ٤- «الخيال المؤسلب: صمت الصحراء وحديثها منذ ذي الرمة حتى ابن خفاجة» (ص٧٤-٧٩) يعالج المؤلف وعي الشاعر الأموي الغنائي بما يحيط به، مشيرًا إلى شعر الغزل العذري، والشعراء الأمويين الذين سعوا إلى وصف الصحراء بوصفها بيئة/ وسط الشاعر أكثر من كونها خلفية طبيعية، وكان على هذه الرؤية الداخلية للصحراء أن تحمل في طواياها كثيرًا من التصنع الفني، وذلك أن شاعر الصحراء ظل دائمًا هو الشاعر المحب في النسيب،

ولم يحدث التغير الحقيقي هنا إلا في قمة العصر العباسي؛ حين كان على الشاعر أن يحتفظ برؤية ما في قلبه في حين كان عليه أن يغمض عينيه عن «الموضوع» الشعري. وهنا تورد استشهاد المؤلف بأبيات الشريف الرضي (ت:٤٠٦هـ)؛ قال:

ولقد مررتُ على ديارهم
وطلولها بِيَدِ البلى نَهْبُ
فوقفتُ حتى ضجّ من لَغَبٍ
نِضْوي ولَجَّ بعذْلِيَ الرَّكْبُ
وتَلَفَّتَتْ عيني فمُذْ خَفِيَتْ
عنها الطلولُ تلفّتَ القلبُ

وهكذا أصبح الشاعر الأندلسي أيضًا، أو أي شاعر بعد المرحلة الكلاسيكية يعد شاعرًا بحق، لا يحتاج بالضرورة إلى أن يحاكي مفردات النسيب محاكاة حرفية بالأسلوب الكلاسيكي الجديد. بل صار عليه أن يترك نفسه تستجيب للنغمات القديمة. ولكن النغمات القديمة ربما تُرجِّع كلها أصداء حزينة إليه. ولذلك صار يبتعد من ذلك المنظر «الموضوعي» القديم ويدع الظاهرة الطبيعية تلبي متطلبات حساسيته: فلعل لمحات البرق التي كانت

استيعاب القصيدة العربية للتناقض الكامل بين الغنائية والشكلانية ظل أمرًا مربكًا لمعايير الاستاطيقا (علم الجمال) والحساسية الغربية

في الماضي تقود نظرة البدوي القديم على مدى الأفق سوف تعيد إليه الآن روحه التواقة. ولقد كانت طبيعة الإطار النسيبي المرن هي التي ساعدت على حدوث هذه التغيرات شعريًا. وفي النقطة ٥- «التوازن الرقيق لبنية عصبية: ابن الفارض» (ص٧٩-١٠٢) يشرح المؤلف هذا التحول بشيء من التفصيل، يصل في نهايته إلى القول بأن ابن الفارض أقفل الدائرة مرة أخرى، وقد أعادنا إلى المشكلات التي طرحها النسيب منذ البداية؛ ذلك النسيب الذي يتطلب باستمرار تجديدًا نقديًا في التفسير، وذلك من خلال تجديد النسيب نفسه داخل الرؤية الشعرية التي تمر - بدورها - من خلال مرشحات تاريخية تصنعها الحالات النفسية والهموم الشعرية الجديدة.

ويتناول الفصل الثالث: الأسماء، الأماكن المفضلة، الأنشودة الرعوية (ص١٠٣-١٣٤) الاستخدامات الرثائية لأسماء الأماكن الرعوية؛ وعلى هذا الأساس يقابل بين هضاب نجد في الشعر العربي

وأركاديا في التقليد الأدبي الأوربي.

وفي الفصل الرابع: «مراع في السماء» (ص١٣٥-١٦٧) ثمة أساس أيضًا للمقابلة بين القصيدة العربية والقصيدة الرعوية الأوربية على أساس التسليم بالعنصر الرعوي في القصيدة الغنائية العربية. ثم يمضي الفصل إلى تناول الموضوع الشعري الأكثر التصاقًا بالشعر العربي؛ أي «رعي النجوم».

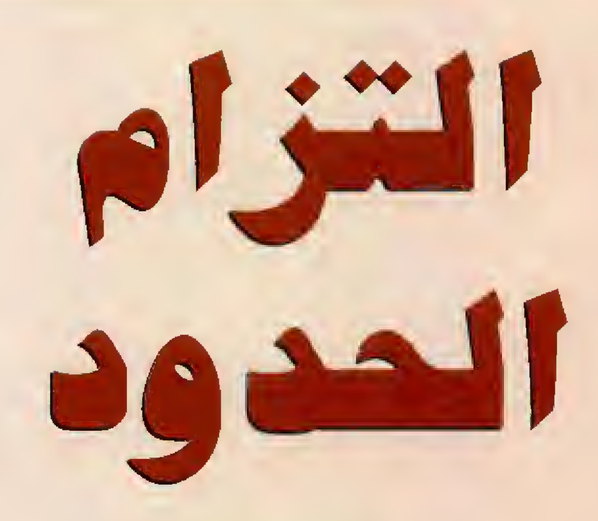
أما الفصل الخامس والأخير: «بحثًا عن الجنة» (ص ١٦٨-٢٠١) فيُعنى بوضع النمط الأصلي الرعوي الفردوسي في محل أكثر وضوحًا، وذلك من خلال الرجوع أولاً إلى النثر العربي في العصور الوسطى، مثل رسالتَي المعري «الغفران» وابن شُهَيْد «التوابع والزوابع»، وهما زيارتان أدبيتان للجنة والنار، وكتاب ألف ليلة وليلة، ثم الرجوع إلى صورة النسيب الرثائية الشعرية عند الرسوم الخالية في الصحراء العربية الجاهلية، وأخيرًا العودة إلى أطلال قصر المدينة «الزهراء» في الأندلس.

وبهذا تصل أطروحة الكتاب، التي هي بقاء المنظور العربي الرمزي في حياة النسيب، إلى اكتمالها النظري.

ويبقى من الكتاب ما يزيد على ثلثه حجمًا، وقد أثبت المؤلف فيه (في ملحق ص٢٠٣-٢٣٤) النصوص الشعرية العربية التي استشهد بها داخل الكتاب وأعطاها أرقامًا مسلسلة تتيح متابعة الأصل والترجمة التي أثبتها في المتن. وقد أشار المؤلف في نهاية تقديمه للكتاب أنه لم يشأ أن يقوم بترجمة حرفية للشعر، واعيًا وجود نظريات مختلفة لترجمة الشعر العربي القديم. وهو يرى أن الترجمة الحرفية يمكن أن تخدم أغراضًا تعليمية، ولكنه اختار في إطار التعبيرات الأدبية الإنجليزية أن يمسك بالمعنى، وفوق كل شيء، شعرية الأصل العربي. أما الصفحات (٢٣٥-٢٩٧) فتشمل هوامش الفصول الخمسة، تليها البيبليوجرافيا (ص٢٩٩-٣١٨)، ثم فهرس للأسماء والموضوعات - المفاتيح كما جاءت في تضاعيف الفصول (ص٣١٩-٣٢٦).

ويحتاج المرء بالطبع إلى تصفح هذا الكتاب على نحو أكثر تأملاً، ولاسيما الفصل الثالث لما له من علاقة بنجد/ الشعرية بصورة مباشرة، ولكن قد يكون هذا موضوع مقال آخر. ولكني لا أستطيع أن أترك القارئ الآن دون أن أودعه هذين البيتين اللذين أوردهما المؤلف في منتصف الفصل الثالث المذكور؛ قال:

أحنُّ إلى أرضِ الحجاز وحاجتي
خيامٌ بنجد دونها الطرْفُ يَقْصُرُ
وما نظري من نحو نجد بنافعي
أجَلْ لا ولكني على ذاك أنظرُ



التزام الحدود

د. صلاح يحياوي

الناس اجتماعيون، لكننا لسنا اجتماعيين إلى الدرجة التي نستغني بها عن المجال الخاص حولنا، إننا لا نقبل ـ بغض النظر عن الاستثناءات ـ أن يقتحم علينا أحد مجالنا.

من التجارب التي قام بها العديد من العلميين الدارسين للسلوك البشري التجربة التالية:

حدد رجل أعمال موعداً في مطعم صغير للاجتماع بمندوب إحدى الشركات لتوقيع عقد صفقة تجارية، لم تكن المناضد كبيرة جداً، فكان على الرجلين أن يجلسا وجهاً لوجه لمناقشة بنود الاتفاق. تناول رجل الأعمال أوراق العقد وقرأها، ثم وضعها على المنضدة إلى جانب المندوب. تفحصها هذا بدوره ووضعها في مركز المنضدة، لكن رجل الأعمال دفعها من جديد نحو الرجل الجالس أمامه مما دعا المندوب إلى القيام بحركة نحو الخلف. وقبل أن يأتي النادل دفع رجل الأعمال منفضة السجائر بحيث تعدت مركز المنضدة؛ ثم وضع المملحة قريباً من يد المندوب الذي بدأ يشعر بالانزعاج. أخذ رجل الأعمال زجاجة الخل ووضعها بحذاء صحن المندوب، بحيث كادت تنقلب على الفوطة، ثم وقف وتوجه إلى حيث المرحاض. وعندما عاد كانت المملحة وزجاجة الخل ومنفضة السجائر قد أعيدت إلى مكانها في مركز المنضدة، وتنفس المندوب الصعداء.

لقد درس أحد رواد علم الإنسان (الأنثروبولوجيا) إدوارد ت. هال E. T. HALL الحاجات الإقليمية للأشخاص، فهو يرى ـ مع غيره من الخبراء ـ أن كل إنسان يدرك ما حوله ويخطط فيه ضرباً من جزيرة على شكل فقاعة يَعُدُّها امتداداً لجسمه؛ أي إقليماً خاصاً لا يسمح لأحد بتخطيه إن لم يكن هناك داع مقبول.

تتضمن المنطقة المدعوة «المنطقة الأنيسة» جل الممتلكات المتوافرة، وهي تُراوح بين ١٥ و٤٥سم، ولا يمكن أن يدخلها سوى الأبوين والأبناء والزوجين والأهل والأصدقاء المقربين.

وهناك أيضاً مناطق أخرى محددة وفق العلاقة مع الآخرين؛ وهي:

المنطقة الشخصية: وتُراوح بين ٤٦سم و١.٢٢م، وهي المسافة بين أشخاص لا يعرف بعضهم بعضاً في اجتماع أو في مكتب.

والمنطقة الاجتماعية: وتُراوح بين ١.٢٣م و٣.٦م؛ وهي الفاصل الفيزيائي المثالي عن الغرباء.

والمنطقة العمومية التي تزيد على ٣.٦م: وهي ما جرت العادة إقامتها تجاه تجمع سبق أن تكوّن من الناس، ويتم اختيارها على نحو غير واع وآلي تقريباً لتدل على الرتب بين الناس.

ومع أن الجميع يحاولون الحفاظ على المسافات إلا أنهم لا يقيمون المسافات نفسها، إذ يتوقف ذلك ـ على نحو خاص ـ على المحيط الذي نشأ فيه المرء، وعلى الثقافة التي تربى عليها. فالأسترالي الذي تربى في مزرعة تبعد عشرين كيلاً عن أقرب جار له هو أقل تحديداً لمسافة الأمان من الشرقي الذي يعيش مع إخوته السبعة وأبويه وجديه في حي مكتظ بالسكان.

ويحدث الأمر نفسه عند الحيوانات، إذ يبلغ نصف قطر مقاطعة الأسد في إفريقية ٥٠ كيلاً، أما الأسد المربى في حديقة الحيوانات فيمكن أن يكتفي بقليل من الأمتار.

لقد اعتاد الناس الذين يعيشون في أوساط ريفية أن يفرضوا بينهم وبين الغرباء مسافات أكبر مما يفرضه سكان الحَضَر الذين اعتادوا تقاسم الأرض على نحو إلزامي.

وبالأسلوب نفسه لا يشعر اللاتيني بالحرج عندما يُحَيِّي لاتينياً آخر بعواطف جياشة حتى في الحال الذي لا تربطه به علاقة حميمة جداً، في حين أن ذلك يزعج الأنغلو سكسوني.

لا يتجاهل الحدود سوى الرضع

يروي المختص النفساني آلان بيز A. PEASE في كتابه «لغة الجسد» تجربة التقطها بكاميرا خفية، وفيها وقف أمريكي شمالي وياباني يتحادثان في غرفة واسعة. كان الرجلان يتحركان ببطء، كان الياباني ينتقل داخلاً المنطقة الحميمة للأمريكي الشمالي، وكان هذا يتراجع دون توقف ليعيد تنسيق مجاله الخاص. وعندما عُرِضَ الفيلم بسرعة كبيرة بدا السياق كرقصة يقوم بها الياباني.

ويُعَدُّ دسموند موريس D. MORRIS مؤلف «القرد العاري» رائداً آخر في هذه الدراسات. وهو يرى أن بالإمكان قياس المنطقة الحميمة في الثقافات المختلفة بالذراع:

ـ «يُقيم الأوربي الغربي حدوده غير المرئية عند المكان الذي تصل إليه رؤوس أصابع يده وذراعه ممدودة. ويكتفي الأوربي الشرقي بما يصل إليه معصمه؛ أما إذا كان أصل هذا الأخير من منطقة البحر المتوسط فلا غضاضة لديه أن تبلغ هذه الحدود مرفق هذه الذراع الرمزية». كما يختلف هذا المقياس بتبعية معالم أخرى، كطريقة التواصل مع الخارج. فالرضيع مثلاً يحتاج إلى لمس الأشياء

وشمها ومصها كي يتعرّفها، وليس لديه منطقة حميمة؛ فهو يضع ذراعيه على أي شخص كان. وما إن يبدأ بالتفوه بحروف أو كلمات حتى يغدو قادراً على تمييز المعروفين لديه من المجهولين، وعندئذ يرفض القرب المفرط من المجهولين.

الرجال والنساء.. والمسافة الخاصة

يؤكد المختص النفساني بوريس سيرولنيك B. CYRULNIK ما يلي:

ـ «يغدو اكتساب اللغة جوهريًا في علاقتنا مع المجال، ذلك أن اللهجة والكلمات تحدد المسافات على نحو حقيقي. لقد لاحظنا أن ليس لدى الأطفال الانطوائيين غير الطبيعيين مفهوم للمسافات الاجتماعية، فهم يتعلقون بذراع أي كان».

كما تقوم الشخصية بدور مهم في هذا المجال، ذلك أن المنطوين على أنفسهم يميلون إلى الابتعاد، أما الأشخاص المنبسطون فيميلون إلى الاقتراب. وقد تبين في دراسة أجريت في الولايات المتحدة أن النساء بدورهن يشعرن بمزيد من القرب فيما بينهن أكثر مما يشعر به الرجال فيما بينهم.

ومهما كانت المسافة التي يشعر فيها كل إنسان بالراحة، فإننا جميعًا نتصرف على نحو لا يصدَّق كي تُحترم هذه المسافة على نحو تعتوره الوساوس. ففي دار السينما التي لا تُرقَّم فيها المقاعد، وعندما يبقى صف واحد شاغراً، يشغل القادم الأول على وجه الاحتمال المقعد المتطرف، وعندئذ يمكن التكهن بدقة كاملة تقريبًا بأن القادم الثاني سيجلس في وسط الصف وليس في الطرف الآخر البعيد. وماذا عن الشخص الثالث؟ من المؤكد تقريبًا أنه سيحتل المقعد بين الاثنين محافظًا على المسافة نفسها بين هذا وذاك.

وسيقوم القادمون الآخرون بعد ذلك بالأمر نفسه، فيحاول كل منهم الجلوس على مسافتين متساويتين من آخرَيْن كانا قد جلسا قبله.

تثير رؤية المحتل لمنطقتك الأنيسة تسارع القلب لديك

درس المختص بعلم الاجتماع الأمريكي جون غلدنر J. GULDNER تصرف الأشخاص الداخلين إلى المصعد. فالأول يختار دائمًا الزاوية، حيث الأزرار، أو يختار إحدى الزوايا الأخرى.

ويشغل الثاني الزاوية الواقعة تمامًا على القطر في مواجهة الداخل الأول. ويشغل الثالث والرابع الزاويتين الأخريين، في حين يشغل الخامس ـ وهو أكثرهم تضايقًا بسبب نقصان المجال ـ المنطقة الخلفية عادةً، ولا يبقى للسادس مجال للوقوف إلا في الوسط، ويكون محط أنظار الجميع مما يسبب له الكثير من الارتباك.

إن احتلال المجال المعدود مجالاً خاصًا بسبب تلك المشكلات، لا بل لا يبدو مستغربًا أن يعاني صاحب المجال تسارعًا في إيقاع القلب وازدياداً في مقدار الأدرنالين أو التعرق.

يسبِّب الزحام الكثيف جداً ازدياداً في العدوانية عند الكثيرين، في حين يولّد عند آخرين قلقًا واكتئابًا شديدين؛ وكذلك الحال عند الحيوانات.

لقد تبين في دراسة حول الأيائل في ولاية ماريلند في الولايات المتحدة موتُ عدد كبير منها على توافر الماء والغذاء، وعلى غياب الغزاة.

كيف تتحمل الإحساس بكونك محاطًا بحشد من الناس؟

تم مؤخرًا اكتشاف أن الحيوانات قد نفقت لفرط فعالية الغدد الكظرية (فوق الكلية) نتيجةً للاكتئاب الذي لحق بها من جراء نقصان المجال الفردي عندما زادت أعدادها على نحو مفرط.

لقد لخص عالم الاجتماع آلان بيز A. PEASE قواعد غير مكتوبة لتَحَمُّلِ حشد من الناس وذلك وفق التسلسل التالي:

ـ لا تتكلم مع أي كان حتى في حال معرفتك له.

ـ تجنب النظر مجابهة.

ـ حافظ على ألا يبدي وجهك أي تعبير (كوجه لاعب البوكر).

ـ تزود بشيء تقرؤه، وتفرغ للقراءة جسداً وروحًا.

ـ قلل من حركاتك إلى الحد الأدنى.

ـ تسلَّ بالنظر إلى أرقام الطوابق (الدور).

وقد يحدث العكس أيضًا فيشعر المرء بأنه ملتحف بالجمهور، كما في لعبة كرة القدم مثلاً عندما يتكتل أنصار أحد الفريقين بغية التميز من الآخرين، رافعين رايات وأوشحة، ومعتمرين قبعات عليها إشارات تحدد هويتهم، وتتيح لهم البقاء معًا لإفحام الخصوم.

هذا ويُعَدُّ المكتب أو مكان العمل إقليمًا متميزاً تتبدى فيه وقفات ذات مغزى. فطريقة الجلوس حول منضدة الاجتماعات مثلاً تشير إلى موقف الشخص من العمل والرفاق:

يعد الوضع الأكثر ودية «الوضعَ الزاوي» ـ على زاوية قائمة ـ لأنه يتيح الجلوس وجهًا لوجه والنظر مباشرة.

وفي الوضع المسمى «وضع المتعاون» يجلس



التزام الحدود

العاملون على الطرف نفسه متراصفين يحتل كل منهم الأرض الفردية للآخرين، ولكن دون نظر بعضهم إلى بعض وجهًا لوجه، وهذا هو الوضع الأكثر إنتاجًا.

وأخيرًا «وضع المباريات»، حيث يجلس الواحد تجاه الآخر.

وهناك ظرف يتطلب الحفاظ على المسافات، وذلك عندما يكون أحد الأشخاص أعلى مرتبة من الشخص الآخر؛ مما يتيح لأي كان التكهن مباشرة من هو رئيس بلد تخيلي من مجرد مشاهدة الإجراء الرسمي أو الاستعراض العسكري، إذ من المفروض أن يجلس الآمر أمام الجميع مبقيًا على مسافة مع الآخرين لا تقل عن متر ونصف المتر.

يشير دسموند موريس خالطًا الجد بالمزاح إلى الكيفية التي تُجابَهُ بها السلطة بالتحكم بالإشارات الإقليمية. فمثلاً عندما يأمر الشرطي سائق سيارة بالتَوَقُّف لتسطير مخالفة بحقه، فإن من الملائم أن يخرج السائق من السيارة، لأنه إن بقي فيها ترتب عليه إدارة رأسه في اتجاه النافذة إلى الشرطي، فهو بذلك يزيد من سلطة الشرطي، لأنه سينظر إلى الشرطي من أسفل، وسينظر إليه الشرطي من عل.

لذلك من المفضل في حالة كهذه النزول من السيارة، وبلوغ الإقليم الاجتماعي للشرطي دون احتلال قطاعه الحميم، والإقرار بالذنب بلهجة يرثى لها محاولاً أن يكون مخلصًا في ذلك.

لقد دلت التجربة على أن القليلين من الشُرَط يصمدون أمام تذلل السائق، وينتهي بهم الأمر إلى سحب المخالفة. إنه أسلوب لا يخيب.

دور الإقليمية

أجريت تجربة بين مجموعات يتألف كل منها من شخصين لاختبار الأحاسيس التي يسببها بقاء شخص مدة من الزمن وجهًا لوجه أمام آخر لا يعرفه، فتبين ـ بتغيير المسافة بين الشخصين الخاضعين للتجربة عدة مرات ـ أن هذين الشخصين يشعران بمروحة من أحاسيس عدم الراحة والضيق والارتباك والخجل، بل تصل إلى العدوانية إذا ما زاد القرب على الحد.

سكان شواطئ البحر المتوسط والسكسونيون

في الوقت الذي لا يشعر فيه سكان البحر المتوسط بالحرج والانزعاج من الزحام ومن القرب، فإن السكسونيين ـ الأكثر صرامة من حيث العرف السياسي (البروتوكول) ـ يفضلون المزيد من المدى الفاصل.

لا تتخطَّ الحدود

تحدد أغلب الحيوانات أرضها بالبول أو التغوط في أماكن محددة كي تُعْلِمَ حيوانات أخرى من نوعها بوجودها وبامتلاكها للمنطقة.

كذلك يفعل الأشخاص باستخدام علامات أخرى، وخاصة باستعمال أشياء شخصية توضع على نحو (استراتيجي) حول المنطقة الخاصة.

وتُستخدم المعاطف أو السترات في دور السينما أو في القطار لتشير إلى أن المكان مشغول، علمًا بأن ليس هناك من شاغل.

وفي المكتبة يبقى الكرسي فارغًا نحو ساعة من الزمان، إذا ما وُضعت عليه كتب أو أوراق، أما إذا أضيفت إلى ذلك سترة تُعَلَّق على مسند الكرسي فيصل هذا الزمن إلى نحو ساعتين وسطيًا.

ويُحَدَّد المجال الخاص على الشاطئ بالمنشفة. وإذا ما أراد شخص التمدد، فإنه يعلق خُفَّيه أو قميصه للإشارة إلى نصف القطر الإقليمي الذي يروق له أن يحترمه الآخرون.

وشكل آخر لتحديد الممتلكات والمراتب هو لمس الأشياء، ففي المكتب يعتاد الرئيس سند يديه على ذراعي المقعد، ويضع أحيانًا ـ كما في بلاد العم سام ـ قدميه على المكتب كي يعرف الجميع أن المركز والمكان خاصان به.

من المجالات ما هو ضيق، ومنها ما هو فضفاض جدًا

* تقع أكثف حركة مرور على كوكبنا في هونغ كونغ، ففي عام ١٩٩٢م، كانت هونغ كونغ تغص بـ ٢٦٢ سيارة في كل كيلومتر من طرقها، أي بمعدل سيارة في كل ٣٫٨م.

* لوحظ أكبر ازدحام حضري في العالم في القطاع الفيدرالي للمكسيك، حيث يوجد ٢٠ مليون نسمة. ويتوقع أن يبلغ عدد المواطنين عام ألفين ٢٥٦٠٠٠٠٠ مواطن.

* دخل ملعب كرة القدم في ماراكانا MARACANA في ريو دجانيرو مئة ألف وتسعة وتسعون ألفًا وثمانمئة وأربعة وخمسون مشاهدًا لحضور البطولة العالمية النهائية لكرة القدم عام ١٩٥٠م، حيث تغلبت الأورغواي على البرازيل.

* سُجِّلت أعظم الكثافات السكانية في العالم في ماكاو MACAO حيث يوجد ٣٠٤٣٨ نسمة/كم٢، فهونغ كونغ حيث يوجد ٥٥٥٥ نسمة/كم٢، فجبل طارق حيث يوجد ٥٣٣٣ نسمة/كم٢.

* يعد القطب الجنوبي المنطقة الأقل سكانًا على وجه البسيطة، ففوق مساحة قدرها ١٤١٠٧٦٣٧كم٢ يعيش ألفان من الناس، أغلبهم من العلميين الوافدين من جميع أنحاء العالم.

* يوجد في كندا وأيسلندة وسورينام SURINAM ثلاثة أشخاص في الكيلومتر المربع، وفي أستراليا وبوتسوانا BOTSWANA وناميبيا شخصان في الكيلومتر المربع، ولا يوجد في غوايانا GOAYANA الفرنسية ومونغوليا سوى شخص واحد في الكيلومتر المربع. أمّا في جزر مالفيناس MALVINAS فيكاد العدد لا يبلغ الواحد.

الحب بمقياس المسافات

يجب أن يكون هناك سبب وجيه لاقتحام المنطقة الحميمة لشخص آخر من دون تأمل أو إعمال فكر.

ففي «الاقتراب الودي» تؤخذ الكتف بالذراع، وهذا ما نطلق عليه مصطلح «بالأحضان»، ويتم بين الأصدقاء.

أما في «الاقتراب الغرامي» الذي يبدأ بـ: نظرة، فابتسامة، فسلام، فكلام، فموعد، فلقاء؛ فتقترب فيه المنطقتان الحميمتان للمتحابين شيئًا فشيئًا حتى تنطبق الواحدة على الأخرى عند بلوغ مرحلة الحب دون حدود التي وصفها الشاعر العربي بالقول:

أعانقها والنفس بعد مشوقة
إليها، وهل بعد العناق تدانِ
كأنّ فؤادي ليس يشفي غليله
سوى أن يرى الروحين تمتزجانِ

في حين تبقى الحدود واضحة مرسومة لا تداخل بينها في الحب العذري أو في الحب من طرف واحد من دون أن يدري المُحَب.



دور التقويم في العملية التربوية

سلوى محمد عبادي

من الثابت أن عملية التربية موضوع يهم المجتمع بأسره، وذلك لأنها تمثل حركة الحياة بداخله، فهي الطريق لخلق الإنسان الفاعل القادر على تحمل المسؤولية وتأدية دوره تجاه نفسه وأسرته ومجتمعه ككل. من هنا كثرت النظريات وتباينت وتعددت لإرساء أسس تربوية تكون نبراسًا لصياغة منهج يلبي هذه الحاجات. ومن ثم استخدمت معايير مختلفة ومشتقة من علم النفس التعليمي، وكذلك في ضوء الخبرة العملية لمراجعة هذه الخبرات التعليمية. كما استخدمت مقاييس لتنظيم هذه الخبرات؛ وهذا يعني القيام بتقويم مبدئي لخبرات التعلم التي يتضمنها المنهج.

ولكن هذه المرحلة الأولية ليست كافية لتقويم خبرات التعلم وطرائق التدريس، كما أن التعميمات التي تُستخدم معاييرَ تُراجَع على أساسها خبرات التعلم هي بمنزلة أسس تنطبق على خصائص عامة لهذه الخبرات، وليست بالعبارات الدقيقة جدًا التي توضح الظروف السليمة التي يجب مراعاتها لتوفير أنواع التعلم المرغوب فيها. هذا بالإضافة إلى أن عمليات التدريس وطرائقه تتضمن عددًا غير قليل من المتغيرات؛ كالتفاوت بين التلاميذ، واختلاف الظروف البيئية التي يحدث فيها التعلم، واختلاف مهارة المدرسين في إعداد الظروف المناسبة للتعلم، كذلك التفاوت في خصائص شخصيات المدرسين أنفسهم؛ وتحول هذه المتغيرات الكثيرة دون أن نضمن على وجه الدقة أن الخبرات العقلية التي حصل عليها جميع التلاميذ هي الخبرات المراد تحقيقها. وعلى ذلك فمن الضروري إجراء نوع من المراجعة أكثر شمولاً لنرى ما إذا كانت الخطط التي وُضعت لخبرات التعلم تقوم بوظيفتها فعلاً وترشد المعلم إلى تحقيق وإحداث نتائج التعلم المطلوبة حتى يمكن الاستعانة بها في التنظيم المستمر للمناهج وطرائق التدريس.

وهذا يوضح لنا الغرض من التقويم والسبب في ضرورته بعد وضع الخطة التعليمية. واستنادًا إلى هذا الدور الخطير للتقويم نبعت فكرة تناوله في هذا البحث وتسليط الضوء على نواحيه المختلفة.

التقويم لغة

كلمة التقويم أصلها من قام والتي أصلها قَوم بمعنى انتصب واقفًا، تقول: قام الأمر أي اعتدل.

قَوَّم: قوّم المعوج، عدّله وأزال عِوَجه.

قَوَّم السلعة: سعّرها وثمّنها.

التقويم: حساب الزمن بالسنين والشهور والأيام.

تقويم البلدان: تعيين مواقعها وبيان ظواهرها.

القيمة: قيمة الشيء: قدره. وقيمة المتاع: ثمنه.

يقال: ما لفلان قيمة: ما له ثبات ودوام على الأمر.

التقويم اصطلاحًا

هو أي إجراء يُقصد به تقويم مدى تحقيق أهداف تعليمية. ويتضمن هذا التعريف النقطتين اللتين ركزت عليهما حركة التقويم، وهما:

- إن الخطوة الجوهرية في العملية هي تعيين الأهداف التعليمية.
- إن أي برنامج للتقويم يتضمن استخدام إجراءات كثيرة.

والفرق بين التقييم والتقويم أن التقييم يكتفي بتحديد القيمة فقط. أما التقويم فهو توضيح وتبيين ثم يأتي الإصلاح، فهو علم له تقنيات ومعايير، إذ يسمى في العملية التربوية بالتشخيص والعلاج.

وبناء عليه فإن التقويم جزء لا يتجزأ من المنهج. إذ بالنظر إلى ما لحق

العالم من تنافس خطير في جميع الميادين أصبحت الحاجة ماسة إلى معايير موضوعية يمكن بواسطتها قياس مظاهر نشاط الفرد في عالم التجارة والصناعة، فلا غرابة بعد ذلك أن تنتقل هذه الوسيلة الموضوعية إلى العالم الدراسي.

وبهذا المفهوم تتضمن عملية التقويم تقدير التغيرات السلوكية الفردية والجماعية، والبحث في العلاقة بين هذه التغيرات والعوامل المؤثرة فيها، وهي بذلك تلقي الضوء على ما يأتي:

- الفرد ومدى كفايته الحركية في النواحي المرغوبة.
- الجماعة ونوع العلاقة الحركية (الديناميكية) الموجودة بين أفرادها.
- البيئة والظروف والعوامل التي تؤثر في الفرد والجماعة.

مفهوم التقويم

يختلط الأمر في كثير من الأحيان فتُحسَب عملية التقويم على أنها مرادفة لعملية الامتحان والقياس، وهذا خطأ، فالتقويم يختلف عن الامتحان في النواحي الآتية:

١ـ الامتحان عملية وقتية تقيس مستوى الفرد المعرفي هنا والآن، أما التقويم فهو جزء لا يتجزأ من عملية التعليم والتعلم يستمر باستمرارها ويرمي إلى إعطاء صورة للنمو في جميع النواحي.

٢ـ الامتحان يقوم به طرف واحد هو المعلم، أما التقويم فهو عملية تعاونية شاملة يشترك فيها المعلم والمدير والموجه الفني والتلميذ وأولياء الأمور.

٣ـ الامتحان عملية قياسية تقيس مدى كفاية الفرد في إحدى النواحي؛ أما التقويم فعملية قياسية علاجية، فهي، إذ تعطي صورة عن الحالة الراهنة، إنما تكشف عن مواطن الضعف في العملية التربوية وأسبابها، وترسم العلاج لها. إذن فالتقويم أعم وأشمل من الامتحان. وهما، وإن كانا لا يتعارضان، غير مترادفين.

هذا ويختلف التقويم عن القياس في النواحي الآتية:

١ـ القياس هو مقارنة كمية معينة بمقياس مناسب بغرض تحديد قيمتها العددية المطابقة لها والتي يظهرها هذا القياس.

أما التقويم فهو عملية تقدير القيمة أو الكمية لشيء ما بعناية وحرص. وبمعنى أوضح: هو التقدير الكيفي للأشياء، وفي هذا الإطار يتضمن التقويم التعليمي في حالات كثيرة شكلاً من أشكال القياس.

٢ـ إن أساليب استعمال القياس في التعليم لا يمكن دائمًا عَدُّها ضربًا من التقويم، فالتقويم يتضمن إجراء تقدير في ضوء قيمة معينة أو هدف معين. أما عملية القياس فإنها تتحقق كلما استخدمنا وسيلة للقياس وشيئًا نطبق عليه هذه الوسيلة. فأي شخص يملك عصا للقياس يستطيع أن يقيس أي طول يجده في طريقه، حتى لو لم يكن لديه مُعين. وكذلك الأمر بالنسبة للاختبار التعليمي فإنه يمكن إعطاؤه للطلاب في محاكاة للعرف السائد حتى لو لم يكن هذا الاختبار صالحًا لتقويم أهداف التعليم. إن عملية كهذه تشكل قياسًا ولكنها لا تُعَدّ تقويمًا.

ونخلص من ذلك إلى أن التقويم عملية تقدير أو وزن أو حكم على قدر الأشياء، وهي عملية ترتبط أساسًا بموضوع القيم. فعندما نقول: إن التدريس بطريقة الوحدات أفضل من التدريس بالطريقة التقليدية؛ نعني أننا نعطي هذه الطريقة قيمة تربوية أكثر من القيمة التي نعطيها للطريقة الثانية، وذلك لأنها في نظرنا تحقق بعض المبادئ التربوية التي تهيّئ تعليمًا أفضل للمتعلم. وعملية التقويم في التربية تتحدد في ضوء الفلسفة التربوية التي تؤمن بها المدرسة، ولذلك فهناك ارتباط وثيق بين عملية التقويم والأهداف التربوية التي تعمل المدرسة في حدودها.

فلسفة التقويم

التقويم جزء أساسي من المنهج يتغير تبعًا لنوع المنهج وفلسفته وأسسه؛ فالمنهج الذي يقوم على أساس التنظيم المنطقي للمادة يكون الهدف منه تزويد التلاميذ ببعض المهارات والمعارف، ولا يحتاج تقويمه إلى أكثر من قياس ما حصّله التلميذ من المادة الدراسية. ولما كان هذا النوع من المناهج بطبيعته ثابتًا، فغالبًا ما تتحول عملية التقويم إلى عملية نهائية لا تزيد على الامتحان، ويُقصد بها تقويم التلاميذ لا تقويم المنهج والعمل المدرسي، ومن ثم لا يكون لها أثر في تطوير المنهج وتحسينه.


الامتحان عملية قياسية تقيس مدى كفاية الفرد في إحدى النواحي؛ أما التقويم فعملية قياسية علاجية

أما إذا كان المنهج يعتمد على أنواع النشاط التي يشترك فيها التلاميذ، ويسعى إلى إحداث تغيرات سلوكية في جميع جوانب شخصياتهم، فمن الضروري أن يُقَوَّم هذا المنهج في ضوء أوجه النشاط الحيوية التي يشتركون فيها. ولما كان مثل هذا المنهج حركيًا (ديناميكيًا) بطبيعته، فإن عملية تقويمه تكون ـ من ثم ـ عملية مستمرة ومتغيرة، وعليه فقياس هذا المنهج إنما هو قياس لانعكاس العمل المدرسي على المنزل والبيئة، وبيان لمدى أثره في نمو الفرد وفي تقدم المجتمع.

وبالمثل يهدف التقويم إلى الوقوف على ضروب التحسن التي تنشأ في تدريس مادة بأساليب مختلفة، فليس من الممكن للمدرس أن يعرف أكثر هذه الأساليب جدوى. فالتعليم يتوقف على تجريب مختلف الطرائق والمواد

والسياسات ومقابلتها بعضها ببعض، وتحديد التغيرات التي تنتجها، وهذا من صميم عملية التقويم التي هي بالصورة الأخيرة تهتم بجميع جوانب العمل المدرسي.

أهداف التقويم

تتمثل أهداف التقويم في تأديته للوظائف التالية:

١- كانت الجهود التي بذلها المربّون تقصد إلى أمر أساسي واحد هو تقييم ما حصّله التلاميذ في المواد المختلفة. أما اليوم فقد اتسعت اختبارات التحصيل وتطورت وشملت وقوف المتعلم على مركزه العلمي، ومدى تقدمه التربوي، وفاعليته في تحمل المسؤوليات، ومدى قربه أو بعده من تحقيق الأهداف المرغوب فيها والتي يرمي إليها الفرد وتحتاج الجماعة إلى تحقيقها.

٢- منذ أن وُضع اختبار الذكاء المعروف وجد التربويون وسيلة فعّالة لتقييم قدرات التلاميذ، فوُضع بذلك الأساس السليم للتعامل التربوي مع التلاميذ من حيث تنظيمهم في مجموعات لمعرفة مدى التقارب والتباعد بين مستوياتهم واستعداداتهم في جميع النواحي، مما يسهل التعامل معهم تربويًا، ويهدي إلى أحكام التخطيط الدراسي لنموهم.

٣- مساعدة الآباء في معرفة مدى نمو أبنائهم والوقوف على نقاط الضعف فيهم. كما أن مسألة التقويم تعين المعلم على تشخيص مواطن الضعف في التلميذ في مختلف النواحي العلمية. ومما ساعد على نجاح هذا التشخيص ما وصل إليه المدرسون من مرحلة يمكنهم فيها فهم عملية التعليم المعقدة وتحليل مشكلاته.

٤- الكشف عن مواطن الضعف والقوة أو النجاح والإخفاق في المناهج التعليمية فيما يرشد إلى أسس العلاج التربوي الناجح، ويؤدي إلى تطوير المناهج وتحسينها في تحقيق أهدافها. ولا شك أن تحليل نتائج الاختبارات ومقابلة بعضها ببعض من أهم ما يُعتمد عليه في هذا الصدد، كما أن مناقشة نقاط الضعف وأسباب القصور التي تكشف عنها عملية التقويم، من الأمور التي تسدي أفضل القيم التربوية لكلٍّ من المدرسة والمدرسين والتلاميذ، وتأخذ بيد جميع الأطراف في تَعَرُّف الطرائق القويمة في إصلاح المناهج واقتراح التعديلات المناسبة.

ومما يجدر ذكره أن تشخيص نتائج عملية التقويم تهم المدرس كموظف دولة أصبحت عملية تقييم تدريسه أمرًا مهمًا في تقييم كفاءته. وينتج من ذلك الاحتفاظ بالمدرسين الناجحين ومكافأة المنتجين. أما غير الأكْفاء فتستغني الدولة عنهم حتى لا يكونوا عقبة في توجيه الشباب توجيهًا تربويًا حقيقيًا.

٥- تحديد ما حصّله التلاميذ من نتائج التعليم وتحديد مدى استفادتهم مما تعلموه، ومن ثم موازنة هذا بالأهداف التي تسعى المدرسة إلى تحقيقها، مع الحصول على المعلومات اللازمة لتقسيم التلاميذ وقبولهم وتوجيههم توجيهًا تعليميًا أو مهنيًا.

٦- الحكم على قيمة الأهداف التعليمية التي تتبناها المدرسة والتأكد من مراعاتها لخصائص الفرد المتعلم ولفلسفة المجتمع وحاجاته وطبيعة المادة الدراسية، كما يساعد التقويم على وضوح هذه الأهداف وترتيبها حسب الأولوية.

٧- توضيح الأهداف التعليمية والتأكد من أن ما تقوم المدرسة بتنفيذه من مناهج مرتبط ارتباطًا عضويًا بالأهداف المنشودة.

٨- تسهيل التغير التربوي وذلك من خلال ما يقدمه التقويم من معلومات عن الأوضاع التعليمية السائدة في المجتمع، ودراسة حاجات الأفراد واحتياجات المجتمع في ضوء تطور العصر والاحتكام إلى بعض النماذج المتقدمة في النظرية والتطبيق التربوي، ومحاولة تطويعها للبيئات المحلية.

٩- الحكم على مدى فاعلية التجارب التربوية التي تطبقها الدولة على نطاق ضيق وذلك قبل تعميمها على مستوى المجتمع، فكثير من التجارب التي تُنَفَّذ على مستوى واسع، ودون تقويمها على مستوى ضيق، لا تحقق الهدف منها، ومن ثم تصبح عبئًا على النظام التعليمي من ناحية، ومصدرًا لتشكيك المجتمع في قيمة التجريب التربوي من ناحية أخرى، ومن هنا يمكن القول بأن التقويم وسيلة لضبط التكلفة في التعليم.

١٠- الاستخدام السابق للتقويم من شأنه أن يدرب المدرس على طرائق التدريس الحقيقية أو الدراسة المنتجة. واستخدام طرق التقدير للكشف عن مواطن الضعف في التدريس أثبت أنه من أحسن الطرق التي يمكن اللجوء إليها لتحسين نتائج عملية التعليم.

١١- قياس مدى كفاية أجهزة المدرسة ووسائلها وبيان النقص فيها.

١٢- التحقق من صحة الفروض التي تقوم عليها العملية التعليمية، فلا شك أن هناك مسلمات خاطئة تحكم ممارساتنا التربوية، وهذا يؤكد دور التقويم في تحسين التطبيق التربوي من ناحية، وفي تطوير النظرية التربوية من ناحية أخرى.

١٣- يمكن أن يكون التقويم مجالاً يتدرب فيه التلميذ على النقد الذاتي، وذلك إذا أسهم في الحكم على نفسه وأعماله، وتقدير مدى تحقيقه للأهداف التي يرسمها في حياته بصفة عامة.

عملية التقويم في التربية تتحدد في ضوء الفلسفة التربوية التي تؤمن بها المدرسة، ولذلك فهناك ارتباط وثيق بين عملية التقويم والأهداف التربوية التي تعمل المدرسة في حدودها

في ضوء ما تقدم نرى أن الحكم على أي عملية تعليمية لا يمكن أن يكون صائبًا ما لم تتعرف الأهداف التي تسعى المدرسة إلى تحقيقها. وعليه يمكن أن نقول: إن عمل المدرسة، أو عمل التلميذ منتج أو غير منتج. وعملية التقويم في التربية عملية حيوية في توجيه نشاطنا التعليمي، فهي عملية مستمرة لدراسة أساليبنا وطرقنا التي نستخدمها لتحقيق أهدافنا المرسومة، والتقويم بهذا الوضع لازم وأساسي للنمو والتطور.

أسس التقويم

لكي يؤدي التقويم وظائفه التربوية ينبغي أن يقوم على الأسس التالية:

١- التفرقة في دراسة المناهج بين شيئين:

أ- المعلومات، وتقاس بمدى تحصيل المتعلم إياها.

دور التقويم
في العملية التربوية

ب ـ التعلم وهو نتيجة هذا التحصيل، كما هو نتيجة تمرس التلميذ بالمناشط التربوية العديدة التي تقدمها له المناهج المدرسية؛ ومن هنا يأتي ارتباط التقويم بالأهداف التعليمية التي نسعى إلى تحقيقها، وهو بهذا الفهم عملية شاملة لجميع أنواع ومستويات التعلم أو السلوك؛ فمن الخطأ الشائع أن تركز الامتحانات المدرسية ـ وهي إحدى وسائل التقويم ـ على النواحي المعرفية، وعلى المستويات البسيطة منها، كالتذكر والفهم؛ مما سيدفع التلاميذ إلى الحفظ والاستظهار وإغفال المستويات العليا للتفكير كالتحليل والتركيب والتقويم.

لذا فكل من النقطتين (أ) و(ب) يجب أن يحسب التقويم حسابها في دائرتها الخاصة، ولكن بمقدار ما يؤدي ذلك إلى نمو شخصية المتعلم، وقوة تكيفه مع مواقف الحياة. كذلك لا بد أن نهتم ـ عند تقويم التلاميذ ـ بطريقة التفكير حتى يحوّل التعليم من اختزان واسترجاع، إلى استكشاف واكتشاف، وإلى نشاط يساعد الفرد على تحقيق ذاته؛ لكي يصبح فرداً منتجًا يفكر ويبتكر ويضيف ويخترع، وليس إنسانًا يحفظ ويسترجع ما سمعه ورآه من المدرس.

٢ـ يحتل التقويم مركزًا مناسبًا في المنهج التربوي ووضع الخطة الدقيقة له عند وضع هذا المنهج وشموله لكل أجزائه، وذلك أنه ضروري لإتمام العملية التربوية ونجاحها، وتأكيد أغراضها وتحقيق الهدف منها، فلا بد أن نستفيد من نتائج التقويم في تحسين التعليم وتطويره، وفي تصحيح المسار في أثناء التنفيذ على جميع المستويات، وفي تخطيط البرامج وإعادة المناهج.

٣ـ تَعَرُّف الهدف المقصود من المنهج التربوي وإدراكه إدراكًا واضحًا، لأنه الأساس الجوهري في التقويم؛ وعدم تَعَرُّفه يؤدي ـ لا محالة ـ إلى الانحراف والتضليل.

ويشمل التقويم أكثر من مستوى، فهناك التقويم البنائي الذي يصاحب الأداء، ويُطلق عليه أداء التصحيح الذاتي. وهناك نوع أو مستوى آخر هو تقويم التباين أو التطابق لأنه يبحث في مطابقة الأداء للهدف.

والمستوى الثالث يبحث في تقدير أثر الضغوط الاجتماعية أو الثقافية على المدرسة واتخاذ قرارات فعّالة للتعامل مع تلك الضغوط، ويُعرف هذا المستوى بتقويم الاحتمالات.

٤ـ استمرار عملية التقويم وملازمتها للمواقف التربوية التي تتضمنها المناهج؛ لأن التقويم ـ كما ذكرنا ـ جزء من المنهج الدراسي بتفاصيله، فإذا انفصل التقويم عن أي جزء من المنهج كان هذا الجزء مبتورًا، وأحرى به ألا يحقق الهدف منه.

٥ـ اشتراك كل من يتأثر بدراسة المناهج التربوية من تلميذ ومدرس ومدير مدرسة وولي أمر؛ بل المجتمع بأسره. ولما كانت المناهج التربوية تعتمد على الظواهر الاجتماعية والعناصر الثقافية، ويتأثر المجتمع كله في النهاية بنتائجها، فإن الجماعات المختلفة المكون منها المجتمع لها حق النقد وإبداء وجهات النظر في مدى تأدية المناهج التربوية رسالتها في أي مرحلة دراسية.

٦ـ لا بد أن يكون التقويم عملية إنسانية إذ إنه خطة (استراتيجية) فعّالة ليعرف الإنسان نفسه ويحقق ذاته، وهي مرآة تعكس المقدرة الفردية على التعلم والابتكار واكتشاف الجديد، وهو وسيلة لتنمية العلاقات الإنسانية والاحترام المتبادل بين المتعلمين وأولئك الذين يساعدونهم على التعلم.

٧ـ لا بد أن تكون أدوات التقويم متنوعة، فكلما تنوعت هذه الأدوات، زادت معلوماتنا عن المجال الذي نقوّمه، وأن يتوافر في أدوات التقويم صفات الصدق والثبات والموضوعية والشمول. كما يجب أن تكون هذه الأدوات صالحة؛ لأن التشخيص الصحيح يتوقف على صلاحها، كما يتوقف على احتمال التفسير الدقيق والعلاج القويم.

٨ـ يتصل بما سبق أن نتائج التقويم يجب أن تُستخدم في تحسين عملية التعليم بما تتضمنه من تلاميذ ومدرسين ونشاط مدرسي، وهذا يؤكد لنا الجانب البنائي العلاجي في عملية التقويم.

ويجب ألاّ ننظر إلى التقويم على أنه مجرد تشخيص أو وزن أو تقرير مصير، إنما يجب أن نتخذه وسيلة للإصلاح. ومن ثم فإن التقويم لا يرادف القياس، وإن كان القياس جزءاً منه. إن العلاقة بين التقويم بهذا المعنى وكلمة التقويم بمعنى الإصلاح في معاجم اللغة أكثر من مجرد علاقة لفظية.

لا بد من تَعَرُّف الهدف المقصود من المنهج التربوي وإدراكه إدراكًا واضحًا، لأنه الأساس الجوهري في التقويم؛ وعدم تَعَرُّفه يؤدي ـ لا محالة ـ إلى الانحراف والتضليل

٩ـ يعاد النظر في برنامج التقويم في ضوء التغيرات التي تطرأ على المنهج والعوامل الخارجية التي تؤثر في التلاميذ، كما يجب أن يكون البرنامج مرنًا بحيث يتعدل تبعًا لما يحدث من تطور في وسائل التقويم.

١٠ـ بما أن المبدأ الأساسي في التقويم هو: كيف يمكننا تحسين طرقنا في العمل لكي نحقق للتلاميذ النمو المطلوب، فإن جميع الأشخاص الذين يشملهم التقويم لا بد أن يكون لهم نصيب في وضع القواعد التي يبنون التقويم على أساسها.

استناداً إلى ما ورد ذكره يمكننا القول بأن التقويم هو وسيلة لتحسين المنهج أو البرنامج التربوي، حيث إنه يمثل تقديرات وعبارات تلخص سلوك التلميذ فيما يتصل بالأهداف التربوية، وينبثق من ذلك أن تكون هذه التقديرات الوصفية مما يمكن موازنته بتلك التي سبق الحصول عليها في اختبارات أو ملاحظات أو أيّ وسيلة تقويم أخرى سابقة. حيث يمكن أن تُبيِّن التغير الحادث، ومعرفة ما إذا كان تقدُّم تعليمي قد حدث فعلاً.

أخيراً أود أن أشير إلى ازدياد استخدام عمليات التقويم لتحديد التغيرات التي تحدث مثلاً لدى التلاميذ نتيجة التعلم، ومعرفة مدى النجاح في تحقيق أهداف المنهج، وتَعَرُّف أنواع التعديلات التي يلزم إدخالها على المناهج لتحسينها ولتوفير برنامج تربوي ذي فعالية وكفاءة عالية.





عبدالرحيم محمود شاعرٌ ومعركة

خليل محمود الصمادي

عبّر كثير من الشعراء عما تعانيه أمتهم من مشكلات وكوارث ومآس حتى عُرف هذا اللون من الأدب بالشعر الملتزم؛ ولكن قلَّ منهم من ترجم ما قاله على أرض الواقع. ومن هؤلاء الذين جاهدوا بسيفهم وقلمهم: الشاعر عبدالرحيم محمود.

مولده ونشأته

وُلد الشاعر عبدالرحيم محمود في قرية «عنبتا» في قضاء طولكرم سنة ١٩١٣م، وتربى في كنف والده الشيخ محمود عنبتاوي الذي كان له دراية بالأدب والشعر، فأحاطه بالرعاية والعناية منذ صغره. فبعد أن أكمل عبدالرحيم المرحلة الابتدائية في مدرسة القرية أرسله والده إلى مدرسة طولكرم ليتابع تعليمه في المرحلة المتوسطة، ثم أرسله إلى مدينة نابلس ليتابع تعليمه في المرحلة الثانوية، وكانت وقتئذ معقلاً للمدرسين النابغين.

أنهى عبدالرحيم دراسته الثانوية في مدرسة النجاح الوطنية سنة ١٩٣٣م، وقد تبلورت شخصيته في هذه المرحلة، إذ صار أكثر محبةً لوطنه. وكيف لا يكون كذلك وقد كان تلميذاً لرجال الحركة الوطنية أمثال إبراهيم طوقان وقدري حافظ طوقان وغيرهم من حاملي مشاعل التحرير ضد الظلم والطغيان.

ونظراً لنبوغ الشاعر عبدالرحيم في دراسته ووطنيته اختارته إدارة المدرسة - بعد تخرجه - معلماً للغة العربية والأدب العربي بعد أن كان قبل أشهر تلميذاً على مقاعد الدراسة.

مارس عبدالرحيم التعليم حتى سنة ١٩٣٦م حيث اشتعلت الثورة في أنحاء فلسطين فقرر أن يترك التدريس والكلام عن حب الوطن إلى ممارسة الجهاد الحقيقي. وفي أثناء ذلك تفجرت طاقته الشعرية بعاطفة جياشة جعلت أغلب مواطني فلسطين من طلاب وعمال وفلاحين وموظفين يرددون قصائده الرائعة؛ وفي أثناء تلك المرحلة تسارعت الأحداث السياسية التي تجلت في السماح ليهود العالم بالهجرة إلى فلسطين لاتخاذها وطناً قومياً لهم بتشجيع من الدول الغربية.

زيارة الملك سعود لفلسطين

خلال تلك المرحلة وتحديداً في ٢٤/٨/١٩٣٥م قام الملك سعود - يوم كان ولي عهد المملكة العربية السعودية - بزيارة إلى فلسطين بتوجيه من الملك عبدالعزيز - رحمه الله - رغبةً منه في الوقوف مع أهل فلسطين ضد الهجمة الشرسة. وقد عرّج الأمير سعود على القدس الشريف، وأقيم له احتفال جماهيري غفير ألقى خلاله الشاعر عبدالرحيم قصيدة تجلت فيها المعاني الرائعة، واستشف من خلالها ما آلت إليه المدينة المقدسة بتشجيع من القوى الاستكبارية العالمية مع عجز السياسات العربية عن فعل أي شيء لهذه المدينة، ولغيرها من مدن فلسطين. قال في قصيدته التي عنوانها «نجم السعود»:

نجم السعود وفي جبينك مطلعهْ
أنّى توجه ركبُ عزّك يتبعهْ
سهلاً وطئتَ ولو نزلت بمحل
يومًا لأمرع(١) من نزولك بلقَعُهْ(٢)
والقوم قومك يا أميرُ إذا النّوى
فرقته، آمالُ العروبةِ تجمعهْ
يا ذا الأمير أمام عينك شاعر
ضُمّت على الشكوى المريرةِ أضلُعُهْ
المسجدُ الأقصى: أجئتَ تزوره
أم جئتَ من قبل الضياعِ تودّعه؟
حرمٌ تباحُ لكل أوكَعَ آبقٍ
ولكلّ أفّاقٍ شريدٍ أربُعُه
سر يا أميرُ ورافقتك عناية
نجم السعود وفي جبينك مطلعهْ

في أثناء سنوات الثورة (١٩٣٦-١٩٣٩م) أبدع الشاعر إبداعًا كبيرًا في جل قصائده، واشترك في فعاليات الثورة؛ إذ كان يجاهد فيها بحثّ الناس على الإضراب والاجتماعات الوطنية، وإلى اتخاذ القرارات التي من شأنها توعية السكان بمخاطر الهجرة اليهودية ووجوب المحافظة على الأراضي، والتصدّي لممارسات الصهاينة والانتداب بكل قوة.

نفي الشاعر إلى العراق

لما توقفت الثورة سنة ١٩٣٩م صار الشاعر عبدالرحيم على قائمة المطلوبين لحكومة الانتداب، فطاردته في كل مكان، فاضطر إلى مغادرة البلاد إلى العراق، وقد أقام هناك ثلاث سنوات التحق خلالها بالكلية العسكرية، وتخرج فيها ضابطًا برتبة ملازم. وبعد تخرجه تشوق للعودة إلى بلاده ليطبق ما درسه على أرض الواقع، ونظرًا لعدم تمكنه من العودة؛ ولتفوقه في مجال الأدب والشعر اختارته الحكومة العراقية مدرسًا للأدب العربي في بغداد والبصرة.

وقد التقى الشاعر عبدالرحيم محمود خلال وجوده في المنفى كبار الشعراء العراقيين أمثال الرصافي والجواهري، ولم ينس وطنه يومًا، ولم تغب صورة البلاد عن عينه لحظة، وقد عبَّر من خلال شعره عما تعانيه بلاده في قصيدة قال فيها:

تلك أوطاني وهذا رسمها
في سويداء فؤادي تُحتضرْ
يتراءى لي على بهجتها
حيثما قلّبتُ في الكون النَّظَرْ

عودة الشاعر إلى فلسطين

في سنة ١٩٤١م كفّت حكومة الانتداب عن ملاحقة الوطنيين رغبة منها في تهدئة الأحوال، فأصدرت عفوًا شاملاً عن المنفيين خارج فلسطين، فعاد الشاعر إلى بلده، وقد كان متشوقًا لذلك، ورجع إلى عمله الأول مدرسًا في مدرسة النجاح، وأعاد سيرته الأولى في تلقين طلابه ما كان يلقيه عليهم سابقًا.

خلال ذلك تابع عبدالرحيم مسيرته الشعرية ونظم قصائد حماسية عديدة كان أكثرها يدور حول الانتداب البريطاني والثورة وغيرها. ومما قاله:

لا تأمنوا المستعمرين فكم لهم
حربٌ تقنَّع وجهُهَا بسلامِ
حرب على لغة البلاد وأرضها
ليستَ تُشَنُّ بمدفع وحسامِ
إن تسألوا عني إلى من أنتمي
فإلى رعاة النوق والأغنامِ

وله من قصيدة أخرى:

وأُغمض العينين عن عالمٍ
لا يعتلي فيه سوى الفاسق
قد محق العدلَ فلا عادل
أما لأهلِ الأرض من ماحق
متى أرى الحقَّ وأصحابه
يعلون من أدنى إلى شاهق؟!
وأبصرُ الشر وأربابه
يهوون من أعلى إلى ساحق؟!

تركه للتدريس والتحاقه بالجهاد

ظل عبدالرحيم مدرسًا إلى أن صدر قرار التقسيم سنة ١٩٤٧م، وهنا تنبه إلى ما آلت إليه البلاد من خراب وضياع، عندها فَضَّل أن يترك مهنة التدريس ليلتحق بركب المجاهدين، فترك قلمه وشعره وحمل سلاحه يُطلق منه قصائده الملتهبة بأزيز الرصاص.

سافر في بداية عام ١٩٤٨م إلى بيروت ومنها إلى دمشق حيث شارك المتطوعين السوريين والمصريين مدربًا ومتدربًا، وقد أتم هناك عدة دورات عسكرية في معسكرات قطنا، ثم التحق بجيش الإنقاذ برتبة «ملازم أول»، وقاد سرية من المجاهدين خاض معها عدة هجمات على بعض المستعمرات اليهودية في «بيار عدس» ومستعمرة «ملبس» قرب قرية «رأس العين»، وبعد هذه الهجمات الناجحة عُيّن في شهر نيسان/ أبريل ١٩٤٨م آمرًا للانضباط في مدينة «طولكرم».

كان ينتقل من قرية إلى قرية، ومن مدينة إلى مدينة ينظم قوات المجاهدين ويضع لهم الخطط العسكرية. ولم ينس الشاعر الأدب في المعارك، فقد كان يبث بين صفوف المقاتلين القصائد الحماسية الملتهبة التي تعطيهم - بإذن الله - اندفاعًا في قتالهم مع العدو، بالإضافة إلى أنه كان يدون مشاهداته في مذكرات يومية.

معركة الشجرة

عندما اشتدت المعارك بين العرب واليهود في أنحاء البلاد كان أشدها المعركة التي وقعت في قرية «الشجرة»(٣) بسبب توسطها بين مجموعة من القرى المهمة في الجليل مثل لوبيا، وطرعان، وكفر كنا، وعين ماهل، وغيرها.. وكان يقوم على مقربة من القرى العربية عشرات المستوطنات اليهودية مثل «السجرة»(٤) ومسحة - سارونا - والشعارة..

كانت معركة الشجرة من أشد المعارك، فقد قامت بين أهل قرية الشجرة ومستعمرة السجرة في بداية آيار/ مايو ١٩٤٨م، وقد حشد اليهود في هذه المعركة مقاتلين وأسلحة عتيدة وتحصينات جمة.

اجتمعت القيادة العربية وقررت إرسال الشاعر عبدالرحيم محمود مع مجموعة من المجاهدين منهم الفلسطيني والسوري والسعودي والبوسني، ودارت معارك حاسمة، إذ بلغت التضحيات مداها واستبسل المجاهدون في الدفاع عن القرية وعن القطاع كله.

واشتد لهيب المعركة ووقع مئات القتلى من الطرفين، وعندما شعر اليهود بجسامة الخسائر سارعوا إلى عقد هدنة في ١٩٤٨/٦/١١م استطاعوا خلالها تنظيم صفوفهم والحصول على نجدات عظيمة من رجال وأسلحة كان من بينها بعض الطائرات.

انتهت الهدنة في ١٩٤٨/٧/٩م، ونشبت المعركة من جديد، وكانت القوة إلى جانب اليهود؛ إذ قاموا بشن هجوم واسع، وحاول المجاهدون الدفاع عن مواقعهم دفاع الأسود، ولكنهم لم يستطيعوا الصمود أكثر من طاقاتهم، فما لبث أن سقطت الشجرة مع عدد من القرى المحيطة بها، وتم عزل مدينة الناصرة عن القطاعات العربية.

وفي أثناء المعارك أصيب الشاعر عبدالرحيم بقذيفة أقعدته جريحًا، وحاول أصدقاؤه إسعافه فانطلقت إحدى السيارات به مسرعة للوصول إلى مستشفى مدينة الناصرة، وبعد لحظات سقطت السيارة في واد سحيق، ولفظ الشاعر أنفاسه الأخيرة وهو يردد:

سأحمل روحي على راحتي
وألقي بها في مهاوي الردى
فإما حياة تسر الصديق
وإما ممات يغيظ العدا

وقد امتزجت الدماء المسلمة في هذه المعركة، إذ سقط مئات الفلسطينيين بالإضافة إلى عدد من المجاهدين السوريين والمصريين والسعوديين(٥)، والبوسنيين(٦) وغيرهم؛ برهنوا بدمائهم على أن قضية فلسطين هي قضية العرب والمسلمين.

رحم الله شاعرنا عبدالرحيم محمود، ورحم الله المجاهدين الذين سطروا بدمائهم صفحات خالدة تقرؤها الأجيال من بعدهم ليستخلصوا دروسًا في الجهاد والتضحية.

الهوامش:

١- أمرع: أخصب.
٢- البلقع: الأرض القفر التي لا شيء فيها.
٣- الشجرة: قرية عربية تقع غربي طبرية، دمرها اليهود عام ١٩٤٨م وأجلوا سكانها عنها.
٤- السجرة: مستعمرة يهودية أقامها اليهود عام ١٩٠٢م، وتُعرف اليوم باسم أبلانيا.
٥- الشهداء السعوديون في معركة الشجرة: محمد بن سعد الدوسري، شلاش بن غانم العنزي، عايد بن هنيس الشمري، عبد الرضى بن علي الشقراني، سلطان بن إبراهيم بن عويفل، علي بن وقبان الشمري، مصلح بن صالح الحربي، كريم بن علي النحاس القرشي.
٦- من الجرحى البوسنيين: رفعت بكربش: بُترت يمينه ثم لجأ إلى دمشق.

المراجع:

١- بلادنا فلسطين، مصطفى مراد الدباغ.
٢- الأدب العربي المعاصر في فلسطين، د. كامل السوافيري.
٣- ديوان عبدالرحيم محمود، د. كامل السوافيري.
٤- سجل الشرف، فهد المارك.
٥- الأعلام، خير الدين الزركلي.



من أطباء الأطفال في الحضارة العربية

إعداد: الزبير مهداد

أ

أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن أبي خالد القيرواني، ابن الجزار:

طبيب مؤرخ من أهل القيروان، توفي عام ٣٥٠هـ. له كتب في الطب والتاريخ كثيرة.

من مؤلفاته المهمة مصنفه الشهير «سياسة الصبيان وتدبيرهم»، وهو كتاب في طب الأطفال والعناية بهم بدنيًا ونفسيًا وتربويًا، سلك فيه الكاتب مسلكًا تخصصيًا بخلاف الكتابات التي سبقته. قسَّم كتابه اثنين وعشرين بابا، تحدث في الأبواب الستة الأولى عن حفظ صحة الطفل وتدبيره عند الولادة وشروط المرضعة واللبن. وابتداء من الباب السابع تحدث عن الأمراض التي تصيب الأطفال وطرق مداواتها على ترتيب أعضاء الجسم من الرأس إلى الأسفل. وخص الباب الثاني والعشرين للحديث عن طباع الصبيان، وتربيتهم مميِّزًا بين مفهومي الطبع والتطبع، ومبيِّنًا حدود تدخل الفعل التربوي(١).

أبو الحسن أحمد بن محمد الطبري:

ولد وعاش في طبرستان وإليها ينتسب. عاصر علي بن العباس المجوسي وتلمذ لأبي ماهر موسى بن يوسف بن سيار. كان طبيبًا للأمير ركن الدولة، واكتسب في طبرستان شهرة واسعة لما اتصف به من براعة وخبرة وبعد نظر وعمق في المعرفة الطبية. وبها شهد له كل من ترجم له. يقدر تاريخ وفاته بحدود عام ٣٦٦هـ.

صنف كتابه الشهير «المعالجات البقراطية» فذكر في مقدمته أدب صناعة الطب. وصنف الأطباء نوعين: الطبيب الفيلسوف والطبيب الذي ليس بفيلسوف. فقال عن الأول: «إنه يسمو بعلمه وإدراكه إلى طلب الغاية ولم يقتصر من كل صناعة على أقل ما يمكن». أما الطبيب الذي ليس فيلسوفًا، فهو «من يقتصر عمله وهمته على علاج الداء فحسب، مع قلة المعرفة والبعد عن الفلسفة».

وفي كتابه السالف الذكر قسم خاص بالأطفال أكد في مقدمته ضرورة معالجة الطفل المريض نفسه وعدم الاكتفاء بعلاج المرضع، خلافًا لما كان جاريا العمل به آنذاك. وهذا يُعدّ سبقًا في حقل معالجة الأطفال لم يسبقه إليه أحد.

أبو العباس أحمد بن محمد بن يحيى البلدي:

ينتسب إلى مدينة بلد جنوبي العراق. عاش في القرن الرابع الهجري، ولا يُعرف بالتحديد تاريخ ولادته ووفاته.

درس الطب في الموصل على يد أبي جعفر أحمد بن أبي الأشعث في أوائل العقد الخامس من القرن الرابع الهجري، فدخل في جملة من يتفقه في علم صناعة الطب.

انتقل إلى مصر الفاطمية حيث التقى الوزير يعقوب بن يوسف بن كلِّس، وزير المعز الفاطمي، وجمعته به وشائج المودة، فأهداه مؤلفه الطبي القيم «تدبير الحبالى والأطفال والصبيان وحفظ صحتهم ومداواة الأمراض العارضة لهم»، وهو كتاب يحتل مكانة متميزة في تاريخ طب الأطفال عند العرب. يتناول البلدي في كتابه بالبحث المسائل الطبية المتعلقة بالأمومة والطفولة، إلى جانب المسائل التربوية التعليمية والمشكلات النفسية المتعلقة بالطفولة ومراحل نموها وتطورها. ينفرد الكتاب بذكر معلومات وحقائق علمية جديدة في الموضوع لم يُسبق إليها، وتتعلق بمراحل نمو الجنين في الرحم، واختلاف تأثير الأدوية باختلاف مراحل العمر، وارتباط صحة الجنين بصحة الحامل، وأثر الحالة النفسية في الحالة البدنية(٢).



ح

أبو علي الحسين بن عبدالله بن سينا الملقب بالشيخ الرئيس:

ولد عام ٣٧٠هـ وتوفي عام ٤٢٨هـ. اشتهر بسعة علمه في الفلسفة والطب وعلم النفس. ويقرن في معالجته الأمراض خبرته بالطب وعلم النفس، ويعترف له الطب بتطويره للفحص النفسي وإدراكه لآثار الاضطرابات النفسية في الصحة البدنية. وضع كثيرًا من الكتب في مختلف العلوم، أشهرها كتابه الكبير «القانون» في الطب

الذي نُشر بالعربية وباللاتينية، وكان العمدة في الدراسات الطبية ستة قرون.

أسهم الشيخ الرئيس في تطوير مهنة التوليد (القبالة) التي خصها بأبحاث مبينًا أهميتها ودورها في صحة المولود، كما خص بالبحث حياة الصبيان ومشكلات نموهم. ولم يكتف ابن سينا بذلك، بل أفاض أيضًا في الحديث عن مشكلات الأطفال التربوية، وكان أول من تحدث عن الاختبارات النفسية في تاريخ الطب والتربية في رسالته الشهيرة «السياسة».

أبو زيد حُنين بن إسحاق العِبادِيّ:

طبيب مؤرخ من أهل الحيرة. ولد عام ١٩٤هـ لأب صيدلاني، وسافر إلى البصرة فأخذ العربية عن الخليل بن أحمد والطب عن يوحنا بن ماسويه وغيره. كان يتقن اللغات اليونانية والسريانية والفارسية. جعله المأمون رئيسًا لديوان المترجمين، وأمده بالكتب والمال والمترجمين المساعدين. فأثمرت جهودهم كثيرًا من المترجمات والملخصات عن كتب جالينوس وأبقراط. توفي في بغداد عام ٢٦٠هـ مخلفًا عدة كتب ورسائل أكثرها في العلوم الطبية، منها« «كتاب المولودين لثمانية أشهر» وقد خالف فيه آراء أبقراط في الولادة المسبقة وفندها بالأدلة على المشاهدة(٣).



أبو سعيد عبيدالله بن جبرائيل بن عبيدالله بن بختيشوع:

طبيب وفيلسوف نسطوري من أهل ميافارقين. توفي نحو عام ٤٥٣. أخذ الطب عن والده ثم التقى ابن بطلان وصادقه. خلف عدة كتب ورسائل في علوم مختلفة. منها كتاب «التواصل إلى حفظ التناسل»(٤).

عَريب بن سعد القرطبي:

طبيب مؤرخ من أهل قرطبة من أصل نصراني (إسباني). أسلم آباؤه واستعربوا وعُرفوا ببني التركي. حظي بثقة العلماء ورجال الدولة واحترامهم.

خلف كتبًا مهمة، وفي مجال طب الأطفال وضع مصنفه «كتاب خلق الجنين وتدبير الحبالى والمولودين» الذي يُعدّ أوسع شمولاً وأكثر اختصاصًا في طب الأطفال من كتاب الطبري المسمى «المعالجات البقراطية».

خص القرطبي أمور الحمل والولادة بسبعة فصول كاملة من كتابه، وضمنها معلومات يمكن عَدّها مقدمة مهمة لطبابة أمراض الطفل. وتحدث في الفصول الأخرى عن صحة الطفل ومراحل نموه ومعالجة أمراضه.

ويتضمن الكتاب حديثًا عن مشكلات النمو التي يتعرض لها الطفل والأمراض التي تصيبه، مع وصف العلاجات والأدوية. كما يتضمن نصائح وتوجيهات للقائمين على تربية الطفل حول كيفية التعامل معه خلال الصحة والمرض. توفي عريب عام ٣٦٩هـ.

أبو الحسن علي بن أحمد بن علي بن عبدالمنعم المهذَّب، المعروف بابن هبل:

طبيب من العلماء. وُلد لأسرة بغدادية في محلة باب الأزج ببغداد عام ٥١٥هـ، وبها نشأ وترعرع. درس في نظامية بغداد الحديث والأدب، وأخذ صناعة الطب على أبي البركات هبة الله بن علي بن ملكا البلدي المعروف بأوحد الزمان، فبرع فيه ثم اتخذه مهنة ففاق أطباء عصره، حتى أصبح أوحد وقته وعلامة زمانه في الطب والعلوم والحكمة. انتقل إلى الموصل وفيها ألف كتابه «المختار في الطب»، ومن الموصل توجه نحو خلاط عاطمة أرمينية ولقي فيها عيشًا رغدًا، ثم عاد إلى الموصل حيث كان يعلم الناس الحديث والأدب والطب حتى توفي عام ٦١٠هـ.

يُعدّ كتابه «المختار» موسوعة طبية شملت تطبيب الإنسان بذكر الأمراض التي تصيبه ووصف علاجاتها. وسيرًا على النهج الذي بدأه شيوخ ابن هبل؛ ضمّن الكتاب فصولاً متعددة حول الطفولة ومشكلاتها الصحية، والأمومة، ومشكلات الحمل وطرق التوليد.

أبو الحسن علي بن ربن الطبري:

طبيب سرياني من طبرستان. عاش في القرنين الثاني والثالث الهجريين. قدم سامراء ونادم المتوكل العباسي، وذكر ابن النديم أنه أسلم على يد المعتصم. له كتاب «فردوس الحكمة» في الطب العربي فيه إشارات لتكون الجنين في الرحم ومراحل نموه وتطوره. توفي عام ٢٤٧هـ(٥).

عيسى بن ماسة:

طبيب له كتاب بعنوان «مسائل في النسل والذرية»، وكتاب آخر بعنوان «الرؤيا» ضمنه أسباب عدم معالجته الحوامل، واختلاف الرأي في هذا الموضوع(٦). وقد ذكر العلامة الزركلي في الأعلام (٥/١١٠) طبيبًا اسمه عيسى بن يحيى المسيحي الجرجاني (ت:٤٠١هـ)، وأن ابن سينا أخذ عنه صناعة الطب. له مؤلفات يتشابه بعضها في عناوينه مع مؤلفات عيسى بن ماسة المذكور. فلعله هو، ولعله غيره.



أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد الأندلسي (الحفيد):

فيلسوف فقيه وطبيب من أهل قرطبة. ولد عام ٥٢٠ وتوفي عام ٥٩٥هـ مخلفًا وراءه نحو خمسين كتابًا. عُني بفكر أرسطو وترجمه إلى العربية ونقحه بزيادات كثيرة. لم يخلف ابن رشد كتبًا في التربية، لكنه تحدث في كتبه المختلفة عن قضايا تحتل أهمية كبرى في فلسفة التربية مثلما تحتل في الفسلفة البحت.

في طب الأطفال خلف شرحًا لطيفًا لأرجوزة ابن سينا، حيث كان منهجه يقوم على شرح النص الأصلي لابن سينا والتعقيب عليه بالزيادة وأحيانًا بالتصحيح. كل ذلك بلغة سهلة ميسرة غير مبهمة، حرصًا منه على تقريب العلوم الطبية من عامة القراء والناس الذين لا يملكون ناصية العلوم الطبية. وفي هذا الشرح نبه ابن رشد على أهمية التربية البدنية مبينًا مزاياها وفائدتها في الحفاظ على الصحة(٧). تعدّ كتبه مراجع موثوقة في الفقه والفلسفة والطب.

أبو عبدالله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن سعد الزُّرْعي الدمشقي، ابن قيِّم الجوزيَّة:

فقيه موسوعي، عالم بالأصول والحديث والطب وعلم الكلام، كثير التصانيف. ولد



عام ٦٩١هـ وتوفي عام ٧٥١هـ. من كتبه: «تحفة المودود بأحكام المولود». في هذا الكتاب برهن ابن القيِّم على معرفته بعلوم الطب والحديث والفقه والفلسفة من خلال النصوص والشواهد التي أوردها وحللها وعلق عليها.

ويتضمن الكتاب نصائح في العناية بصحة الصبي البدنية والنفسية خلال مختلف مراحل نموه وتطوره. وأهمية العلاقات التي تربط الوالدين الواحد بالآخر، وبالطفل وأثرها في صحته وسلامة تكوينه النفسي وتربيته، وأهمية البيئة المحيطة به وأثر مكوناتها في تشكيل سلوكه وتكوين ردود فعله من فزع وخوف أو إقبال وأمن، مما يؤثر سلبًا أو إيجابا في قوته العاقلة. وقدم النصح حول كيفية تفادي المؤثرات السيئة والتخفيف من أضرارها على الطفل. كما تحدث عن تغذية الطفل وتدبيره ورياضته وغير ذلك من الأمور المهمة في تنشئته وتدبير صحته. شرح الكتاب تقي الدين يحيي بن محمد المعروف بابن الكرماني (ت ٨٣٣هـ) تحت عنوان «المقصود من تحفة المودود»(٨).

أبو بكر محمد بن زكريا الرازي:

فيلسوف من الأئمة في صناعة الطب. ينتسب إلى مدينة الري التي ولد بها عام ٢٥١هـ وبها تعلم. أولع بالموسيقى والكيمياء، وفي بغداد تفرغ لبحوثه الطبية وعكف عليها حتى برع، فتولى تدبير مارستان الري، ثم رياسة أطباء البيمارستان المقتدري ببغداد. يُعدّ أبًا للطب العربي. وأخذ عنه صناعة الطب عدد من التلاميذ.

خلف بعد موته عددًا كبيرا من المصنفات الطبية، وصف فيها عدة أمراض وبائية وصفًا جيدًا دقيقًا، وطور الجراحة بما أدخله من مواد جديدة كالفتائل والأنابيب لتصريف القيح والإفرازات السامة. وقد برز الرازي طبيبًا إخصائيًا بفضل تجاربه في حقل بكر هو «طب الأطفال» الذي قام فيه بعدة أبحاث ودراسات جمعها في مصنف خاص، فكان بذلك أول من فصل بين طب الأطفال والأمراض النسائية، فجعله يأخذ شكلاً مستقلاً بذاته بذلك المصنف. أُختلف في وفاته بين ٢٩٠هـ ونيف و٣٢٠هـ. وذكر ابن أبي أصيبعة أن له كتبًا كثيرة سمّى منها ٢٣٢ كتابًا ورسالة، أجلّها كتاباه: «الحاوي» في صناعة الطب، و«الطب المنصوري» وقد نُشرا باللاتينية بعد ترجمتهما.

أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن سعيد السلماني الغرناطي الأندلسي المعروف بلسان الدين ابن الخطيب:

وزير مؤرخ أديب نبيل. ولد على مقربة من غرناطة سنة ٧١٣هـ من أسرة شامية الأصل، وشب بين العلماء وبرع في كثير من العلوم فكان فقيهًا أديبًا طبيبًا. استوزره ملوك بني الأحمر في غرناطة، وتعرض لمحن مختلفة، فلجأ إلى المغرب فأكرمه سلطان بني مرين، وفي المغرب أيضًا تعرض لمحن أخرى. فقُتل مخنوقًا عام ٧٧٦هـ. خلف لسان الدين ابن الخطيب كتبًا عديدة في التاريخ والأدب والتصوف والطب.

في طب الأطفال تنسب إليه «رسالة تكوين الجنين» ذكرها محمد كامل شبانة ضمن مؤلفاته في مدخل كتاب «معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار». وله أيضًا كتاب «عمل من طَبَّ لمن حَبَّ» تناول فيه مباحث تتعلق بأمراض الأطفال وتطبيبهم(٩).

ي

أبو زكريا يوحنا بن ماسويه:

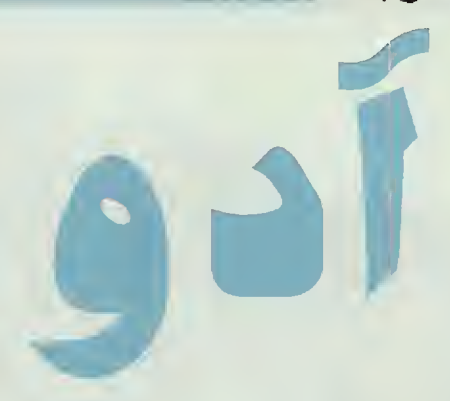
من علماء الأطباء. سرياني الأصل عربي المنشأ، ولد لأب صيدلاني. اشتغل في نيسابور وخوزستان ومنها انتقل إلى بغداد وخدم الرشيد. في بغداد نشأ يوحنا ونبغ، فانتدبه هارون الرشيد لترجمة كتب الطب القديمة في أنقرة وعمورية وغيرها من بلاد الروم. وجعله أمينًا على الترجمة ورتب له كتَّابًا مساعدين. وبعد الرشيد خدم المأمون ومن خلفه فاكتسب شهرة واسعة. توفي عام ٢٤٣هـ في سامراء مخلفا وراءه عدة كتب في العلوم الطبية. منها كتاب «لم امتنع الأطباء عن علاج الحوامل في بعض شهور حملهن»، وكتاب «علاج النساء اللواتي لا يحملن حتى يحملن» وكتاب «الجنين»(١٠).

الهوامش:

١- مخطوط الخزانة الحسنية، الرباط، ١٠٤٤/٣. وأبحاث المؤتمر الخامس لتاريخ العلوم عند العرب.
٢- محمود الحاج قاسم: الأسلوب العلمي عند البلدي. والبلدي: كتاب تدبير الحبالى.
٣- مخطوطة رقم ٨٠٥ بميونخ. والسامرائي: الأمراض النسوية في التاريخ القديم، ص٣٨.
٤- هدية: ج٢ ص٢٨٣. وموسوعة العلوم الإسلامية ص٥٥.
٥- السامرائي ص٣٤.
٦- السامرائي ص٤٨.
٧- أحمد شحلان: أبو الوليد بن رشد (ضمن مراكش). وسعيد إسماعيل علي: أصول التربية ص٢٢٦.
٨- عبدالناصر عيسوي، مجلة منار الإسلام، الإمارات العربية المتحدة، عدد ١٤٠٢/١١هـ ص٦٨، وهدية: ٥٤٧/٢.
٩- مخطوط الخزانة الحسنية، الرباط: ٣٤٧٧/١.
١٠- السامرائي ص٣٦.

المراجع:
١- محمود الحاج قاسم: الأسلوب العلمي عند البلدي، مجلة «الفيصل» عدد ٤٣، ص٦٨-٧١.
٢- البلدي، أحمد بن يحيى: تدبير الحبالى والأطفال، تحقيق محمود الحاج قاسم، بغداد: دار الرشيد للنشر، ١٩٨٠م.
٣- جامعة حلب: أبحاث المؤتمر السنوي الخامس لتاريخ العلوم عند العرب (٢٠ رجب ١٤٠٢هـ)، معهد التراث العلمي العربي، ١٩٨٣م.
٤- عبدالرحمن الفاسي: منتخبات من نوادر المخطوطات، الرباط: الخزانة الحسنية، القصر الملكي ١٣٩٨هـ.
٥- كمال السامرائي: الأمراض النسوية في التاريخ القديم، بغداد: دار الجاحظ ١٩٨١م. (سلسلة الموسوعة الصغيرة: ٩١).
٦- إسماعيل باشا البغدادي: هدية العارفين إلى أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، استانبول: وكالة المعارف الجليلة ١٩٥١م.
٧- لسان الدين ابن الخطيب: معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار، تحقيق محمد كمال شبانة، الرباط: صندوق إحياء التراث الإسلامي. د.ت.
٨- ابن سينا: القانون في الطب، بيروت: دار صادر.
٩- مركز الدراسات والأبحاث حول مراكش: مراكش: أشغال الملتقى الأول حول مراكش، ١٩٨٨م، مراكش: جامعة القاضي عياض ١٩٨٩م
١٠- هبة عنايت (مشرف): موسوعة العلوم الإسلامية والعلماء المسلمين. القاهرة: دار المستقبل.


الجزيرة
الجزيرة
تكفيك
المسائية
تثري
مساءك
تصدران يوميا عن مؤسسة الجزيرة للصحافة والطباعة والنشر.. ص.ب: ٣٥٤ الرياض: ١١٤١١ هاتف .. تلكس ٤٠١٤٧٩ جزائي اس جي.



آدو

بقلم: **جيلاني بانو(*)**
ترجمة: **شوكت علي يوسف**

أحس آدو أنه شخص كبير ومهم بشكل غير اعتيادي. خُيِّل له الآن أن كل شيء ملك يمينه. فهو غني، كأي سيد حقيقي، في جيبه روبية بالتمام والكمال! حتى صار يمشي لاوياً قامته احتراماً إلى جهة الجيب الذي استلقت فيه الروبية. الآن فقط صار واضحاً له لماذا تطير الطائرة بنفسها دون حبل، وتتحرك سيارة رب عمله إلى الأمام، ويحمل الرجل في السيرك الفيل على صدره. حقًا ما يقوله العم ماستان: «هذه كلها يا أخ قوة المال».

خال آدو نفسه أطول قامة مما هو عليه. مشى في سوق الخضار رافعًا رأسه بخيلاء، ضارباً الأرض بقدمية بثبات واعتداد. بدأ يسأل بلهجة الواثق من نفسه البائعين المنتشرين على الرصيف:

ـ كم سعر كيلو الجزر؟

ـ كم بطيخة تعطي مقابل روبية؟

ـ هل لديك بوظة بروبية؟

أحس آدو، وهو يطرح هذه الأسئلة، ببرودة في داخله كما لو أنه التهم كأساً كاملاً من (البوظة). عندما كان يذهب بصحبة سيدة البيت إلى السوق (البازار) كان يدهش من كثرة ما يُعرض من الفواكه و(البوظة) والحلويات، ويدهش من سيدته أيضاً التي لا تسيطر عليها شهوة تجريب هذه الأطعمة التي لا يقدر هو على مقاومة إغرائها، علماً أن في محفظتها ما يكفي من النقود. يمكنه الآن شراء كل شيء يشتهيه، يستطيع شراء كل شيء. لا داعي إذن للتسرع، لم يعد طفلاً صغيراً كالسابق يصرف ما يتوافر له من نقود على الفور في لحظة واحدة. الثروة تعلّم الإنسان القدرة على التحمل. أعاد آدو الروبية إلى جيبه وأحس نفسه أكثر هدوءاً.

في الصباح عندما أيقظته سيدته بركلة من رجلها كالمعتاد، لم يكن يدري أن هذا الصباح سيحمل معه تغييراً في مصيره، وكل شيء لأنه يقول الصدق دوماً. كان قد أقسم، آخذاً بتعاليم (مولاي صاحب)، ألاّ يكذب، قطع على نفسه عهداً ألاّ يأخذ مال غيره أو رزقه. كان إذا برزت لديه مثل هذه الرغبة، يتناول القرآن بخشوع ويتلو منه آيات فيزول ما في نفسه من شهوة. يقول مولاي صاحب: إن أبواب الجنة مفتوحة لمن لا يسرق ولا يكذب. وهكذا يعتقد آدو أن ثيابه المهلهلة سوف يعبق بها مستقبلاً أريج الجنة وشذاها. فهذه الدنيا الفانية ليست سوى ملاذ مؤقت للإنسان. وستحل نهاية عذاب الحياة على الأرض، وأمام البررة تُفتح أبواب الجنة.

كم مرة جذبت الفواكه المحمولة على الطبق آدو، كم مرة أغرته الحلوياتُ على (الطاولات). وعندما عثر على قطعة نقود معدنية صغيرة بينما كان يمسح أرض المنزل حرقت أصابع يده كقطعة الفحم المتوهجة. هل يُعقل أن يعرّض نفسه لعذاب جهنم بسبب بضعة قروش!!

في بعض الليالي لم يكن آدو يستطيع النوم من فرط الإرهاق، فكان يتقلب متفكراً: «آه متى سيأتي العيد. عندها سيعطيني سيدي حتماً ثماني آنات(١). السيدة لا تعطيني أكثر من أربع أبداً. يمكن أن يعطيني ابنهما ـ السيد الشاب ـ أربعاً فيصبح معي بذلك روبية كاملة. بثماني آنات يمكنني شراء قطعة بوظة كبيرة، بعشر بايسات أشتري حمصاً مملحاً وبأربع آنات شراباً بارداً. آه.. كلا! هذا حرام. لم الإسراف هكذا؟ سآخذ هذه الروبية لأختي لتصرفها على ابنها الصغير.

أختي مسكينة تعسة صارت جلداً على عظم من فقرها. ذات مرة قدم آدو في زيارة لها، قطع طريقاً طويلاً ـ مسافة خمسة أميال ـ على رجليه، لكن لم تبدُ أنها سُرت بمجيئه.. حوّلت نظرها عنه وقالت:

ـ آدو! لا تأتِ إليّ بعد الآن. يقرّعني والد زوجي، يسألني دوماً: «وما الهدية التي جلبها أخوك معه؟». وهكذا قرر الآن أن يذهب في العيد إلى أخته حاملاً معه لابنها روبية.

وعد صاحبُ البيت خادمه آدو منذ زمن أن يعطيه أربع آنات لأنه يدفع له السيارة في الصباح مسافة نصف ميل تقريباً. لم يكن محرك سيارته يدور من دون ذلك. للمرة الثانية يعده ويؤجل الدفع للمرة التالية.

في هذا اليوم كان آدو، وهو يلهث دافعاً السيارة إلى الأمام، نهباً للحيرة والتردد: «هل يُذَكِّر السيد بالآنات الأربع؟». لكن السيد تذكر من تلقاء ذاته على ما يبدو. تناول محفظة نقوده، غاصت أصابع يده في زاويتها. وعندما لم يجد قطعاً معدنية صغيرة أعاد المحفظة إلى مكانها وانطلق بسيارته. تنفس آدو بعمق وفرك يديه الوسختين إحداهما بالأخرى. شعر بألم في ناحية صدره من دفع السيارة به كل يوم. عندما استدار باتجاه بوابة المنزل وقع نظره على الأرض، وفي الحال انحنى ملتقطاً ما رأى. وفي لحظة ضمّ قبضة يده على ورقة

نقدية. كانت تلك روبية. أحس بالروبية الورقية ثقيلة لدرجة أنه لم يستطع التحرك خطوة إلى الأمام. حقًا كم يعاني من الصعوبات أولئك الذين يملكون مالاً كثيرًا! اختفت سيارة صاحب المنزل عن النظر، ولم يكن ثمة خلف البوابة المفتوحة على مصراعيها أحد.

ما إن قبض بيده على الروبية حتى هدّ كيانه الشكُّ والخوفُ. صار وحيدًا مع ثروته ضد عالم كامل من قطاع الطرق. اتجه ببطء نحو السوق (البازار) جارًا رجليه بصعوبة، ثم جلس على جانب الطريق وراح يتفحص لقياه باهتمام.

طواها من جديد عدة طيات، لفّها باحتراس في ورقة ثم وضعها في جيبه. استيقظت في ذاته كل عقلانية الإنسان الثري، أحسّ في فمه على الفور مذاق عدة طعوم، لكن غشّى بصره ضبابُ الرعب.

في حانوت الشاوش(٢) المقابل كان ثمة فتاة تشتري جوز هند. سار تلقائيًا باتجاه الحانوت.

- وأنا أيضًا أريد جوز هند بروبية.

لم يسمع الشاوش، بسبب ازدحام الناس، كلماته. رجع إلى الخلف وسُرَّ في دخيلة نفسه لأن البائع لم ينتبه له. فلو أنه أكل الجوزة المشتراه مقابل هذه الروبية لجعله الله يمسك في يديه يوم القيامة جمرًا لاهبًا.

بسرعة سحب آدو يده تمامًا كما لو مستها نار، فسقطت الروبية على الأروض. التقطها بسرعة وراح ينظر إليها باهتمام. كان على الروبية الورقية صورة ثلاثة أسود، بدت كأنها حرّاس يحرسونها كيلاً يقتنصها أحد ما من طريق الخديعة.

مر بمحاذاته عابر سبيل. نظر إليه كما لو كان يتهمه بسرقة. ماذا لو أخبر عنه الشرطة. سيضعون القيد في يديه ويقتادونه إلى القسم. ارتعدت فرائص آدو من الخوف. راح آدو يردّد متمتمًا: «ارحمني يا الله! ارحمني يا الله».

هذا هو الزقاق الذي يعيش فيه. يمكن أن تسأله أمه: من أين لك هذه الروبية؟ سيكذب.. السرقة والكذب.. أحس آدو لشدة هلعه بالبرودة تسري في كيانه.

دقت الساعة الحادية عشرة.. لاشك أن صاحبة البيت غاضبة تتساءل: أين اختفى آدو هذا؟ من يجلب اللحم والخضار؟ من يأخذ الفطور إلى الأطفال في المدرسة؟ انطلق راكضًا كأنما سمع صوت سيدته.

كان اسمه آدم علي خان. لكن السيدة كانت تسخر منه وتناديه: آدو. خطر بباله ثانيةً ابن اخته: «كلا سأقدم هذه الروبية هديةً لابن أختي الصغير. يمكن أن تفرح أختي بذلك وتقدم لي طعامًا».

أحس آدو بالجوع بشدة: مر نصف نهار ولم يذق الطعام بعد. لكن أخته تعيش في مكان بعيد - قرابة خمسة أميال من هنا - تتكسر رجلاه قبل أن يصل إليها.

مع ذلك ذهب مستمتعًا بحلم تقديم هدية لابن أخته. لذعت حجارة الجسر الساخنة باطن قدميه. ألا يمكن شراء صندل بروبية؟ لكن من أين (البوظة) بعد ذلك؟

في طريقه مرّ بشخص واقف بجانب الطريق يبيع الموز بالقطعة. منذ زمن طويل يحلم آدو بتذوق الموز. اشترى واحدة. عندما أعاد له البائع قطعتي نقود معدنيتين - ثمان وأربع - خفق قلبه: «طارت الروبية.. بقي منها قطعتان معدنيتان». سارع بإرجاع قطعة الموز إلى الكومة.. وقبض على الروبية مخاطبًا البائع:

- لا أريد موزًا..

توقّف آدو في منتصف الطريق وقد أنهكه الهلع والجوع والعطش. بعد قليل جرّ قدميه الواهنتين في الاتجاه الآخر مبتعدًا عن بيت أخته.

فجأة سمع صوتًا يناديه:

- أيْ.. آدو! أين كنت؟ لم يرك أحدٌ منذ الصباح الباكر. سيدتك غاضبة جدًا.

دسّ آدو الروبية في جيبه وقد بدا عليه الهلع والارتباك. اقتربت منه الخادمة ملقية عليه نظرة شك واتهام:

- هل سرقت شيئًا وهربت؟

- ما بك! ولماذا أسرق؟

شرد آدو للحظة: ماذا لو فكرت السيدة أيضًا أنه سرق روبية وهرب؟ تستدعي الشرطة طبعًا ويقول الجميع عني:

- لص..لص.

يجب الإسراع فورًا بتسليم الروبية للسيدة. لا شك أنها ستمتدحه ويصل إلى أسماع جميع سكان الحي خبر نزاهته وأمانته. سيُعدُّ مثال الخادم الأمين وستفتح أمامه أبواب الجنة.

دخل آدو الدار بخطى غير واثقة. كان الجميع على علم بقدومه، فاجتمع في منزل السيدة، بانتظار المحاكمة، حشدٌ من الخدم العاملين في المنازل المجاورة.

أسرع فورًا نحو سيدة المنزل واضعًا أمامها الروبية المدعوكة المبللة بالعرق:

- وجدتها قرب البوابة الخارجية..

كانت تلك جالسة في مقعد وثير على الشرفة تقرأ الصحيفة، رفعت رأسها، طوت الصحيفة وعاجلته بصفعة قوية على وجهه:

- لص! قل الحقيقة. كم من النقود سرقت اليوم أيضًا؟ أين صرفت الباقي؟ أين تسكعت طوال يوم كامل؟

الهوامش:

(*) جيلاني بانو: كاتبة هندية وواحدة من أهم الكاتبات بلغة الأردو. ولدت عام ١٩٣٦م. صدرت لها ثلاث مجموعات قصص قصيرة، وقصتان طويلتان، ورواية واحدة «قصر الغزلان» التي منحت عليها الجائزة الأدبية السنوية عام ١٩٨٠م.

١- آنة: عملة معدنية كانت متداولة في الهند كأجزاء من الروبية - وحدة النقد الأساسية -، وكانت الروبية تساوي ١٦ آنة.

٢- الشاوش: جماعة من السكان في «حيدر آباد» يرجعون بأصولهم إلى شعوب منطقة الشرق الأوسط، ويمتهنون التجارة عمومًا.



خادم الحرمين الشريفين
الملك فهد بن عبدالعزيز
يصدر أمرًا ملكيًا كريمًا بإنشاء جامعة في أبها
سمو ولي العهد
يطلق اسم الملك خالد على الجامعة ويفتتح مشروعات تنموية في عسير ويواصل رعايته للأدباء السعوديين وأسرهم


الملك خالد بن عبد العزيز يرحمه الله

رعى صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبدالعزيز، ولي العهد نائب رئيس مجلس الوزراء رئيس الحرس الوطني، في اليوم التاسع من محرم الماضي حفل وضع حجر أساس المدينة الجامعية بأبها.

وقد أعلن معالي وزير التعليم العالي الدكتور خالد بن محمد العنقري صدور الأمر السامي الكريم لخادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز - يحفظه الله - بدمج فرعي جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية وجامعة الملك سعود في جامعة واحدة جديدة تحت اسم: جامعة الأمير عبدالله بن عبدالعزيز.

وعقب ذلك أعلن سمو ولي العهد إطلاق اسم الملك خالد بن عبدالعزيز - يرحمه الله - على هذه الجامعة في كلمة قال فيها:

«بسم الله الرحمن الرحيم

لخالد بن عبدالعزيز آل سعود في نفوسنا جميعًا مكانة مميزة؛ لذلك أعلن تسمية هذه الجامعة باسمه بدلاً من اسمي».

معارض تشكيلية

شهدت مدينتا الرياض وجدة عددًا من المعارض التشكيلية خلال شهر محرم المنصرم.

ومن أبرز المعارض: معرض الجاردة التشكيلي الذي شارك فيه عدد من الفنانين التشكيليين السعوديين يتقدمهم صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل بن عبدالعزيز الذي قدم نحو خمسة عشر عملاً فنيًا.

وفي الرياض رعى صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن فهد بن عبدالعزيز نائب الرئيس العام لرعاية الشباب المعرض الرابع عشر للفن السعودي المعاصر الذي نظمته الرئاسة في معهد العاصمة النموذجي وعُرض فيه قرابة ٧٠ عملاً فنيًا.

كما أقيم في مركز كرا بجدة برعاية صاحبة السمو الملكي الأميرة عتاب بنت سلطان بن عبدالعزيز معرض «المواسم الأربعة» بمشاركة مجموعة متميزة من الفنانين والفنانات.

واستضاف قصر طويق بحي السفارات في الرياض معرضًا لرسامي البحرية الفرنسية الرسميين، شارك فيه ٢٦ فنانًا.

المعرض الأول للكتاب في مكة المكرمة

نظمت جامعة أم القرى في مكة المكرمة أول معرض دولي للكتاب يُقام في العاصمة المقدسة بمشاركة نحو أربعين دولة.

من أبرز المعروضات التي ضمها المعرض: مجموعة نادرة من المخطوطات والكتب القديمة عرضتها الجامعة، كما عرضت مكتبة الحرم المكي الشريف في جناح خاص صورًا



خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز



صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبد العزيز

وبعد تسلمه هدية تذكارية من وزير التعليم العالي بهذه المناسبة، وضع سموه حجر أساس المدينة الجامعية لجامعة الملك خالد بن عبدالعزيز، كما وضع سموه حجر أساس المقر الرئيسي لصحيفة «الوطن» في أبها.

وقد رفع صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل بن عبدالعزيز أمير منطقة عسير برقية شكر وتقدير لصاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبدالعزيز ولي العهد نائب رئيس مجلس الوزراء رئيس الحرس الوطني على تفضله بوضع حجر أساس المدينة الجامعية لجامعة الملك خالد واعتماد عدد من المشروعات التنموية في منطقة عسير؛ وقال سموه: «سيدي.. تعيش هذه المنطقة بكل قبائلها ومشايخها ومواطنيها فرحة اللقاء بسموكم الكريم وزيارتكم التفقدية. وقد غمرتهم السعادة بوجودكم بينهم، وعندما سمعوا بصدور الموافقة الملكية الكريمة على توحيد فرعي جامعتي الملك سعود وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ودمجهما في جامعة واحدة تحمل اسم جامعة الأمير عبدالله بن عبدالعزيز، وإعلان سموكم الكريم بأن تكون باسم جامعة الملك خالد، وكذا صدور الأوامر السامية باعتماد عدة مشروعات للطرق بالمنطقة والعمل على تنفيذها؛ توافدوا واتصلوا بإمارة المنطقة معبرين عن شكرهم وامتنانهم لسموكم الكريم ولحكومة خادم الحرمين الشريفين على هذه المكرمات الغالية».

وكان سمو ولي العهد قد افتتح عددًا من المشروعات التنموية في المنطقة، تضمنت افتتاح مشروع تحلية المياه والقوى الكهربائية وخط نقل المياه المحلاة إلى منطقة عسير، وافتتاح مشروع مؤسسة المحطة المركزية لتوليد الطاقة الكهربائية، ومشروع محطة التمويل الفرعية بمنطقة عسير، ووضع حجر أساس مشروع ازدواج المرحلة لطريق أبها المطار أحد رفيده، وطريق خميس مشيط المنطقة الصناعية، وافتتاح عدد من المنشآت العسكرية الجديدة.

وفي لفتتين كريمتين تفضل صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبدالعزيز، ولي العهد نائب رئيس مجلس الوزراء رئيس الحرس الوطني، بزيارة الشاعر محمد حسن فقي خلال علاجه في مستشفى الملك خالد للحرس الوطني بالرياض.

كما تفضل سموه بزيارة أسرة الأديب الراحل عزيز ضياء، عرفانًا لما قدمه الأديب الراحل للأدب السعودي وثقافة الوطن.

وقد عبَّر كثير من الأدباء السعوديين عن امتنانهم وتقديرهم للزيارتين اللتين شكلتا إضافة جديدة للرصيد الكبير لسموه في قلوب أدباء الوطن ومثقفيه.

للمصحف العثماني الأصلي وأخرى لمخطوطات نادرة، إضافة إلى صور قديمة وحديثة للحرمين الشريفين.

وفاة الأديب سعد الثوعي

توفي في يوم ٧ محرم الماضي بمدينة الطائف الشاعر والأديب والصحفي سعد الثوعي الغامدي عن عمر ناهز ٥١ عامًا بعد معاناة مع مرض القلب.

والأديب الراحل من مواليد قرية الجادية بالباحة في عام ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٧م، وقد حصل على الشهادة الثانوية من دار التوحيد بالطائف، وشهادة إعداد المعلمين بمكة المكرمة، وعمل بالتدريس. وهو عضو مؤسس بنادي الطائف الأدبي، وبدأ عمله الصحفي بجريدة عكاظ، وأشرف على الصفحة الشعبية المتخصصة فيها، ثم تولى إدارة مكتب عكاظ بالطائف ؛ كما عمل بجريدتي الجزيرة والبلاد.

له مجموعة من المؤلفات منها: مرافعات ضد العشق (شعر)، مسكينة (شعر شعبي)، هلا هيلة (شعر شعبي).

اجتماع تأهيلي لمقدمي خدمات الإنترنت

نظمت مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية بالرياض اجتماعًا هو الأول في نوعه لتأهيل مقدمي خدمات الإنترنت في السعودية تم خلاله شرح عملية التأهيل وتوزيع اللوائح والنماذج.

يأتي الاجتماع في إطار سلسلة اجتماعات تسعى إلى تبادل الآراء من أجل الوصول إلى نظام عادل يُرضي الشركات ومدينة الملك عبدالعزيز التي تمثل الجانب الحكومي.

يُذكر أن الهدف من التأهيل تأكيد ثلاثة مطالب رئيسية لا بد من توافرها في مقدم الخدمة هي: السعر المعقول، والجودة، وتوافر الحماية.

كتب جديدة

معجم التراث: السلاح، تأليف سعد بن عبدالله الجنيدل.

جدة خلال الفترة من ١٢٨٦- ١٣٢٦هـ ١٨٦٩- ١٩٠٨م: دراسة تاريخية وحضارية في المصادر المعاصرة، تأليف صابرة مؤمن إسماعيل.

صدر الكتابان السابقان عن دارة الملك عبدالعزيز في الرياض.

الدرر الثمينة في أخبار المدينة، تأليف الإمام الحافظ أبي عبدالله محمد بن محمود بن النجار

شكر من المثقفين البوسنيين لخادم الحرمين الشريفين



صاحب السمو الملكي
الأمير سلمان بن عبد العزيز

قدم المثقفون البوسنيون شكرهم وتقديرهم لخادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز - يحفظه الله - على تفضله باستضافة عدد من المثقفين البوسنيين ضمن حجاج البوسنة والهرسك.

جاء ذلك في خطاب بعث به رئيس جمعية المثقفين البوسنيين البروفيسور عاطف بروفيتارا إلى المشرف الإقليمي في سرايفو الأستاذ ناصر ابن عبدالرحمن السعيد. ومما تضمنه الخطاب: «الشكر العظيم ندين به لخادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز - حفظه الله - الذي يسّر لنا أداء فريضة الحج وزيارة الأماكن المقدسة تحت ضيافته طوال فترة الحج، ورجوعنا مكرمين إلى عوائلنا وبلدنا البوسنة والهرسك».

كما تضمن الخطاب شكر المثقفين البوسنيين لصاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز أمير منطقة الرياض رئيس الهيئة العليا لمساعدة البوسنة والهرسك ومعاونيه الذين لم يألوا جهداً في توفير الراحة لأعضاء الجمعية.

البغدادي، اعتنى به حسين محمد علي شكري، وطُبع على نفقة المرحوم الشيخ إسماعيل جمال الحريري ليوزع مجاناً، وصدر عن دار المدينة المنورة للنشر والتوزيع.

المسائل الاعتزالية في تفسير الكشاف للزمخشري في ضوء ما ورد في كتاب الانتصاف لابن المنير (٦٣٠-٦٨٣هـ)، جزآن، تأليف صالح بن غرم الله الغامدي، توزيع مكتبة الأندلس بالباحة.

نصائح وزمنيات، ديوان لمحمد بن عبدالرحمن الحميدان، صدر باكورة سلسلة «كتاب الأمل» عن مستشفى الأمل بالرياض.

البحث عن أدب حديث: يصلح الأرض العربية ولا يُفسد فيها، تأليف د. محمد بن عبدالرحمن الشامخ، صدر ضمن سلسلة «كتاب الرياض» عن مؤسسة اليمامة الصحفية.

الإمارات

معرض عائم للكتاب

افتتح وكيل وزارة الإعلام صقر غباش في مطلع الأسبوع الثاني من شهر محرم الماضي أكبر معرض عائم للكتاب.

أقيم المعرض على متن السفينة «م. تي. دولوس» التي رست في ميناء زايد البحري بأبو ظبي، وضم قرابة نصف المليون كتاب موزعة على أربعة آلاف عنوان في شتى مجالات المعرفة، واستمر عشرة أيام.

الترشيح لجائزة العويس

أعلنت الأمانة العامة لمؤسسة سلطان العويس الثقافية عن فتح باب تلقي الترشيحات للجائزة في دورتها السادسة لعام ١٩٩٨/١٩٩٩م في مجالات: الشعر، القصة، الرواية، المسرحية، الدراسات الأدبية، النقد، الدراسات الإنسانية والمستقبلية.

وتُمنح الجائزة لمجمل أعمال المبدع، ولا يُقبل ترشيح من نال جائزة عربية مشابهة إلا بعد مرور ثلاث دورات على نيله إياها، ويستمر تلقي الترشيحات حتى نهاية فبراير/ شباط ١٩٩٩م.

الظاهري.. رئيساً لاتحاد الكتاب

انتُخب الأديب تامر الظاهري رئيساً لاتحاد

محاضرات وندوات

«دفاع عن الفقهاء المجتهدين وما خلفوه من ثروة فقهية متميزة»، عنوان محاضرة ألقاها الشيخ عطية محمد سالم في نادي مكة المكرمة الأدبي.

«تزكية النفس»، عنوان محاضرة ألقاها د. سعود بن عبدالرحمن التركي في مندوبية الدعوة والإرشاد بمحافظة خليص.

«وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وما فيها من عبر»، عنوان محاضرة ألقاها د. عبدالعزيز بن عبدالله الحميدي في مسجد الحمودي بمطار جدة القديم.

«مصر والعالم في مفترق الطرق»، عنوان محاضرة ألقاها د. أسامة الباز في جامعة القاهرة.

«أقدم مخطوطة لديوان ابن الفارض»، عنوان محاضرة ألقاها جوزيبا سكاتولين في المركز الثقافي الإيطالي بالقاهرة.

«نبذة عن تاريخ القضاء في المملكة العربية السعودية»، عنوان محاضرة ألقاها الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز العقيل في مقر ضيافة رابطة العالم الإسلامي في منى.

«تكامل الروح والمادة في الحكمة والعدل»، عنوان محاضرة ألقاها ندرة اليازجي في المركز الثقافي في المزة بدمشق.

«خطر انتشار الأسلحة على الأمن الداخلي والدولي»، عنوان محاضرة ألقاها د. محمود كارم في الجامعة الأمريكية بالقاهرة.

«نابليون والإسلام»، عنوان محاضرة ألقاها د. عبدالحسن الأب في ديوان الكوفة في لندن.

«تجربتي كمراسل صحفي في الشرق الأوسط»، عنوان محاضرة ألقاها روبرت فيسك في الجمعية الجغرافية الملكية في لندن.

«الترابط بين الهندسة والرياضيات: تطبيقات الرياضيات في



كُتّاب الإمارات وأدبائها في إطار مجلس إدارة جديد حل محل المجلس السابق المستقيل.

يضم المجلس في تشكيله الجديد: إبراهيم الهاشمي نائبًا للرئيس، وناصر العبودي أمينًا للسر، ومحمد المطوع مسؤولاً للقضايا الفنية، وحسن المرزوقي أمينًا للصندوق، وعائشة البوسميط مسؤولة للعلاقات الخارجية، وحارب الظاهري مسؤولاً للجنة الثقافية.

مأساة الشعب البوسني في معرض فوتوغرافي

أقيم في المجمع الثقافي بأبو ظبي معرض فوتوغرافي بعنوان «البوسنة والهرسك من الحرب إلى السلام»، نظمته بالتعاون مع المجمع، المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين في إطار أسبوع للمفوضية.

ضم المعرض نحو خمسين صورة فوتوغرافية ملونة وغير ملونة، مختلفة الأحجام، تعكس المعاناة الصعبة، والمأساة الكبرى التي عاشها الشعب البوسني على امتداد أربعة أعوام من الحرب القذرة التي شنّها ضده الصرب، في إطار خطتهم للتطهير العرقي.

وتأتي الصور شاهد عيان على ما ارتُكب في حق الشعب البوسني بعامة، وأطفال البوسنة ونسائها بخاصة من مجازر وتعذيب يشيب لهولها الولدان.

جائزة للمرأة المبدعة وملتقى لشاعرات الخليج

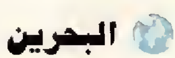
ما يزال باب المشاركة مفتوحًا أمام المبدعات العربيات لنيل جائزة إبداع المرأة العربية في مجالات: الشعر، القصة، الرواية، الدراسة الأدبية، وأدب الأطفال، التي أعلنت عنها حرم سمو حاكم الشارقة، رئيسة مجلس إدارة أندية الفتيات.

تقدم الأعمال المشاركة في شكل مخطوطات معدة للإصدار، من ثلاث نسخ مطبوعة على الآلة الكاتبة أو الحاسب الآلي، مع نبذة من السيرة الذاتية في موعد غايته ٧ ربيع الآخر ١٤١٩هـ (٣١ يوليو/ تموز ١٩٩٨م)، إلى أمين عام جائزة أندية الفتيات بالشارقة: ص.ب ٥٥٨٨، الشارقة، الإمارات، فاكس (٣٧١١٩٩).

من ناحية ثانية شاركت مجموعة من الشاعرات الإماراتيات واليمنيات والخليجيات في ملتقى بالشارقة للمرأة والشعر.

رمى الملتقى إلى إيجاد مناخ مناسب على صعيد مشترك لقراءة العلاقة الإبداعية بين المرأة والشعر، وتسليط الضوء على تجربة المرأة في مجال كتابة الشعر.

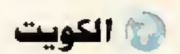
 البحرين



بيئات البحرين في مهرجان «التراث والبيئة»

عاشت المنامة أيامًا تراثية بافتتاح مهرجان التراث السابع الذي نظمته وزارة شؤون مجلس الوزراء والإعلام - مؤخرًا - تحت عنوان «التراث والبيئة».

اهتم المعرض الذي أقيم على شاطئ الخليج العربي بجوار المتحف الوطني بثلاث بيئات شعبية: الزراعية والصحراوية والبحرية، حيث عُرضت نماذج من الحرف اليدوية والصناعات التقليدية لتلك البيئات، إضافة إلى النشاطات التي تمثلها والفنون الشعبية المنطلقة منها.

 الكويت

مؤتمر دولي حول «طفل الروضة»

برعاية ولي العهد، رئيس مجلس الوزراء سمو الشيخ سعد العبدالله الصباح، نظمت كلية التربية الأساسية بالهيئة العامة للتعليم التطبيقي المؤتمر الدولي الأول حول «طفل الروضة».

شارك في المؤتمر ٢٥٠ باحثًا من مختلف أنحاء العالم، وناقشوا ٣٦ ورقة علمية تتركز حول خمسة محاور رئيسية بحثت أبرز معوقات التنشئة لطفل الروضة منها: دور الأسرة والروضة في نمو الطفل من النواحي الانفعالية والعقلية واللغوية والاجتماعية، والمشكلات النفسية والتربوية التي تعترض النمو السليم لطفل الروضة، والصعوبات التي يعاني منها

الحاسب الآلي»، عنوان محاضرة ألقاها د. صباح جاسم في قاعة مانديلا كنج ستريت في لندن بدعوة من جمعية الكندي للمهندسين.

«الديموقراطية اللبنانية والانتخابات البلدية والاختيارية»، عنوان محاضرة ألقاها علي الخليل في قاعة الكلية الجعفرية في صور.

«العولمة والكويت والمستقبل»، عنوان محاضرة ألقاها د. عادل حسون في لجنة زكاة عثمان بمنطقة حولي في الكويت.

«فضل الدعوة وصفات الداعية»، موضوع محاضرة ألقاها الشيخ الدكتور عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين في مقر مؤسسة الحرمين الخيرية في جدة.

«التطور النحوي للكلمات العربية في الإسبانية»، عنوان محاضرة ألقاها د. رياض شرف الدين في معهد سرفانتس التابع للمركز الثقافي الإسباني بدمشق.

«المكتبات المدرسية في الكويت: النشأة - الواقع - سبل التطور»، عنوان محاضرة ألقاها أحمد عبدالله العلي في رابطة الأدباء بالكويت.

«المثقفون الفلسطينيون والنكبة»، عنوان محاضرة ألقاها إبراهيم أبو لغد.

«النكبة في الرواية الفلسطينية: خبرة شخصية»، عنوان محاضرة ألقاها يحيى يخلف.

ألقيت المحاضرتان السابقتان في مركز خليل السكاكيني الثقافي في رام الله.

«الحياة البرلمانية في الأردن»، عنوان محاضرة ألقاها زيد الرفاعي في كلية الحرب الملكية الأردنية.

«المستقبل العربي في ضوء تطور الصراع العربي/ الإسرائيلي»، عنوان محاضرة ألقاها د. جورج جبور في مقر المركز الثقافي الإسلامي في بيروت.

«أسباب تمزق الهوية الثقافية في البلدان العربية»، عنوان محاضرة ألقاها سليم مطر في ديوان الكوفة في لندن.

طفل الروضة وأساليب مواجهتها، وصور الرعاية الممكنة للموهوبين في الروضة، والاتجاهات الحديثة في إعداد معلمة الروضة.

كتب جديدة

المرايا المحدبة: من البنيوية إلى التفكيك، تأليف د. عبدالعزيز حمودة، صدر ضمن سلسلة عالم المعرفة.

المعلوماتية بعد الإنترنت: طريق المستقبل، تأليف بيل جيتس، ترجمه إلى العربية عبدالسلام رضوان، وصدر ضمن سلسلة «عالم المعرفة».

لماذا ينفرد الإنسان بالثقافة؟ الثقافات البشرية: نشأتها وتنوعها، تأليف مايكل كاريذرس، ترجمه إلى العربية شوقي جلال، وصدر ضمن سلسلة «عالم المعرفة».

التصريحات الكاذبة، مسرحية ماريفو، ترجمها إلى العربية يوسف البدري وصدرت ضمن سلسلة «المسرح العالمي».

الخادمات، مسرحية جان جينيه، ترجمتها إلى العربية د. حنان قصاب، وصدرت ضمن سلسلة «المسرح العالمي».

صدرت الكتب الخمسة السابقة عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

قطر

مهرجان للصحافة النسائية الخليجية

استضافت جامعة قطر ـ مؤخرًا ـ أعمال «مهرجان الصحافة النسائية الخليجية ١٩٩٨م».

كانت الندوة الرئيسية للمهرجان بعنوان «الصحافة النسائية الخليجية على أبواب القرن الحادي والعشرين»، بمشاركة كاتبات وصحفيات من دول مجلس التعاون الخليجي.



مصر

العولمة والثقافة: مؤتمر بلا توصيات!

اختتم مؤتمر «العولمة وقضايا الهوية الثقافية» أعماله بالقاهرة ـ مؤخرًا ـ بمشاركة ٤١ مفكرًا من ١٤ دولة عربية وأجنبية دون أن تصدر عنه أية توصيات.

الشيء الوحيد الذي كشفه المؤتمر يتمثل في وجود مخاوف من تيار الثقافة الإنسانية وطغيان ما يُطلق عليه «ثقافة الكوكاكولا»، وما عدا ذلك فقد كان المؤتمر مسرحًا لاختلافات في الطرح والفهم لا يمكن حصرها، ربما مرجعها إلى غموض معنى المصطلح نفسه. فحتى الآن تتباين الآراء حول معناه وما يُقصد منه، لذا كان طبيعيًا أن يعجز ذلك الحشد الكبير من المفكرين عن الخروج بتوصية محددة.

ناقش المؤتمر عدة محاور منها: حوار الثقافات أم صراعها؟ التدفق الثقافي ذو الاتجاه الواحد، عوائق التنمية الثقافية، والثقافة الوطنية والتعددية، وموضوعات أخرى.

العثور على ثلاثة آلاف مخطوطة نادرة في جامعة القاهرة

اكتشف فريق علمي مصري في أحد مخازن مكتبة جامعة القاهرة ما يقارب ثلاثة الآلاف مخطوطة نادرة معظمها باللغة العربية، وبعضها باللغتين التركية والفارسية.

وكانت هذه المخطوطات قد أُهديت إلى المكتبة من قِبَل أحد أفراد الأسرة المالكة السابقة. لكنها، لسبب غير معلوم، أُهملت وبقيت في المخازن حتى نُسي أمرها، إلى أن عثر عليها الفريق في أثناء العمل في مشروع لتطوير المكتبة.

دعوة لإنشاء مركز للوثائق والمخطوطات والبرديات العربية

أوصى المؤتمر الدولي حول التاريخ الاقتصادي للمسلمين في ختام اجتماعاته بالقاهرة بإنشاء مركز للوثائق والمخطوطات والبرديات العربية يُلحق بجامعة الأزهر.

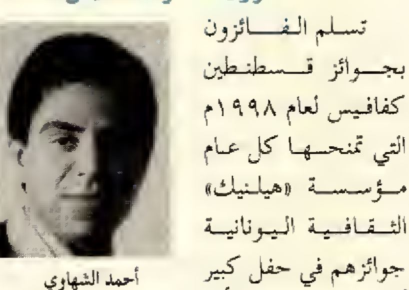
وطالب المؤتمر الذي نظمه مركز الاقتصاد الإسلامي بجامعة الأزهر بإدخال مقرر دراسي لتاريخ المسلمين الاقتصادي في كليات الجامعات الإسلامية، وتكثيف الجهود لإصدار معجم للمصطلحات الاقتصادية في التراث الإسلامي مقارنًا بالمصطلحات الاقتصادية المعاصرة وترجمتها إلى اللغات الأجنبية، مع السعي لإعداد موسوعة للتاريخ الاقتصادي الإسلامي.

التراث الشعبي بين الأصالة والحداثة

نظم المركز الحضاري لعلوم الإنسان والتراث الشعبي بجامعة المنصورة مؤتمرًا بعنوان «التراث الحضاري بين الأصالة والحداثة» خلال شهر محرم الماضي.

ناقش المؤتمر عدة موضوعات منها: القضايا النظرية والمنهجية في جميع عناصر التراث الشعبي، والمعتقدات والمعارف الشعبية، والعادات والتقاليد الشعبية، وإنسانية التراث الشعبي، والأدب الشعبي وفنون المحاكاة، والفنون الشعبية والمادية، ومجالات استلهام عناصر التراث الشعبي، والتاريخ في التراث الشعبي.

الفائزون بجائزة كفافيس



أحمد الشهاوي

تسلم الفائزون بجوائز قسطنطين كفافيس لعام ١٩٩٨م التي تمنحها كل عام مؤسسة «هيلنيك» الثقافية اليونانية جوائزهم في حفل كبير أقيم في دار الأوبرا المصرية في إطار مهرجان كفافيس.

وكانت الأمانة العامة للجائزة قد أعلنت عن منحها في مجال الشعر العربي للشاعر محمد الفيتوري، وفي مجال الشعر المصري للشاعرين أحمد الشهاوي وجمال القصاص، وفي مجال الدراسات الأدبية للروائي إدوارد الخراط عن دراساته في مجال المسرح اليوناني القديم.

يذكر أن قسطنطين كفافيس شاعر يوناني عاش حياته في مدينة الإسكندرية المصرية.

مؤتمر محمد عبدالحليم عبدالله والرواية الرومانسية

استضاف مجمع مبارك الثقافي في مدينة دمنهور مؤتمرًا بعنوان «الرواية الرومانسية: محمد عبدالحليم عبدالله نموذجًا» في النصف الأول من شهر محرم الماضي ١٤١٩هـ.

ترأس المؤتمر الروائي يوسف القعيد، وتناولت البحوث المقدمة البناء الدرامي في أعمال محمد عبدالحليم عبدالله، وتأثره بالمعجم القرآني في لغته الأدبية، إضافة إلى سيرته الذاتية ومواقفه، وذكريات بعض الأدباء معه.

جائزة أندلسية للإبداع الأدبي

أعلنت مؤسسة «أندلسية للثقافة والعلوم» عن فتح باب الاشتراك في دورتها الثانية لمسابقة للإبداع الأدبي على مستوى مصر في مجالي:

أفضل ديوان شعر، وأفضل مجموعة قصصية قصيرة.

يُشترط أن يكون الإنتاج المرشح باللغة العربية الفصحى، وأن يتقدم المشترك بديوان شعر واحد أو مجموعة قصصية واحدة؛ على أن يكون صدورهما خلال السنوات الثلاث السابقة على الجائزة، وألا يكون العمل المرشح قد سبق فوزه بأية جائزة مماثلة، وتحدد يوم السادس من شهر صفر الجاري (١ يونيو/ حزيران ١٩٩٨م) موعداً نهائيًا لاستقبال الترشيحات على عنوان الجائزة: ١ شارع متحف النيل، الروضة، القاهرة.

ويتم تسليم الجوائز في احتفالية تقام خلال شهر أكتوبر/ تشرين الأول ١٩٩٨م (جمادى الآخرة - رجب ١٤١٩هـ).

كتب جديدة

المتواليات: دراسات في التصوف، تأليف د. يوسف زيدان، صدر عن الدار المصرية اللبنانية في القاهرة.

أزمة المؤسسة الدينية في مصر، تأليف د. محمد سليم العوا.

ومضات من القديم والجديد، تأليف محمد أبو سنة.

صدر الكتابان السابقان عن دار الشروق.

فيليب لاركن: مختارات شعرية، ترجمها إلى العربية د. محمد مصطفى بدوي.

عالم الماك: المواجهة بين التأقلم والعولمة، تأليف بنجامين باربر، ترجمه إلى العربية أحمد محمود.

صدر الكتابان السابقان ضمن سلسلة المشروع القومي للترجمة عن المجلس الأعلى للثقافة.

عصفور الحب، ديوان للشاعرة نجاة خليل، صدر عن مطبوعات الفجر.

الخيط في يدي، ديوان لفتحي عبدالسميع، صدر ضمن سلسلة «إبداعات» عن الهيئة العامة لقصور الثقافة.

دراسات في الفكر الفلسفي المعاصر: من الوجودية إلى التفكيكية، تأليف د. محمد علي الكردي، صدر عن دار المعرفة الجامعية في الإسكندرية.

الأكراد والعلاقات العربية - الكردية، تأليف عدنان المفتي، صدر عن مركز المحروسة للبحوث.

علاقات مصر العربية ١٩٧٠-١٩٨١م، تأليف د. حسن أبو طالب، صدر عن مركز دراسات الوحدة العربية.

حُسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تأليف جلال الدين السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، صدر في طبعة جديدة عن دار الفكر العربي.



العراق

مصحف مخطوط

انتهى - مؤخراً - العمل في مصحف مكتوب بخط اليد، تصل أبعاد صفحاته إلى ٥٠×٧٠ سنتيمتراً مجلد بجلد الغزال، ومذهب ومزخرف بطريقة عصرية.

نفذت المصحف جمعية الخطاطين العراقيين، ورُسمت حروفه بخطي النسخ والثلث، والرسم الكتابي عن سند مضبوط يرجعه الرواة إلى الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وكُتبت الآيات بحبر خاص ثابت اللون، طيب الرائحة، قاتم السواد.



سورية

رحيل نزار قباني

توفي في لندن في ٤ محرم الماضي الشاعر السوري نزار قباني عن خمسة وسبعين عامًا، وشُيِّعت جنازته ودُفن في مسقط رأسه بدمشق.



نزار قباني

وولد نزار في حي مأذنة الشحم بدمشق في ٢١ مارس/ آذار ١٩٢٣م، وبدأت رحلته مع الشعر وهو بعد ابن السادسة عشرة من عمره في أثناء رحلة على متن باخرة إلى إيطاليا. وعلى حبه للشعر إلا أنه التحق بكلية الحقوق بالجامعة السورية وفيها تخرج عام ١٩٤٤م، وعمل عقب تخرجه في السلك الدبلوماسي. ثم ألحق بسفارة بلاده في القاهرة، حيث توطدت علاقاته بأدبائها وفنانيها. واستمر في عمله الدبلوماسي، متنقلاً من بلد إلى آخر، منذ عام ١٩٤٥م إلى أن تقاعد عام ١٩٦٦م وهو بدرجة مستشار ليؤسس دارًا للنشر تحمل اسمه في بيروت.

كان نزار واحدًا من أبرز الشعراء العرب في النصف الثاني من القرن الميلادي الحالي الذين شغلوا الرأي العام، واختلفت حولهم الآراء. ومنذ ديوانه الأول «قالت لي السمراء» ١٩٤٤م، وإلى الأعمال الكاملة التي صدرت في مجموعات عن دار النشر التي يمتلكها قبيل وفاته، أصدر نزار قرابة ٣٥ مجموعة شعرية، تُرجم بعضها إلى عدد من اللغات الأجنبية، كما شملت كتاباته المسرحية مثل: «جمهورية جنونستان» ١٩٨٨م، والدراسات الأدبية: «شعراء الأرض المحتلة»، والكتابات النثرية الأخرى: «الشعر قنديل أخضر»، و«قصتي مع الشعر».

وكرمته بيروت التي عاش فيها أجمل أيامه - كما صرح بذلك - قبل أشهر باحتفالية كبرى بمناسبة صدور مجلدي «نزار قباني.. شاعر لكل الأجيال» اللذين صدرا في ١١٢٢ صفحة ضمت نحو ٢٦ دراسة نقدية وقرابة ٧٠ شهادة لمعاصريه.

وكانت كلية دار العلوم بجامعة القاهرة قد ناقشت عام ١٩٩٠م رسالة ماجستير قدمها الباحث عبدالرحمن الوصيفي بعنوان «نزار قباني.. شاعرًا سياسيًا».

كتب جديد

الحرب الخفية في الشرق الأوسط، تأليف أندرو راثميل، ترجمه إلى العربية عبدالكريم محفوض، وصدر عن دار سلمية للكتاب في دمشق.

الذاكرة والاقتلاع: فلاشا إثيوبيا - التاريخ والأسطورة والمنفى، تأليف محمد حافظ يعقوب.

الإنسان والجدار، تأليف بدر عبدالملك.





صدر الكتابان السابقان عن دار المدى.

حركة القوميين العرب، تأليف محمد جمال باروت، صدر عن المركز العربي للدراسات الاستراتيجية.

الثقة: الفضائل الاجتماعية ودورها في خلق الرخاء الاقتصادي، تأليف فرانسيس فوكوياما، ترجمه إلى العربية د. مجاب الإمام ومعين الإمام، وصدر عن دار رام.

الإعلام العربي وتحديات العولمة، تأليف د. تركي صقر، صدر عن وزارة الثقافة.

لبنان

ندوة الصراع العربي ـ الإسرائيلي

تبدأ في التاسع من شهر صفر الجاري ولمدة أربعة أيام أعمال ندوة «مستقبل الصراع العربي ـ الإسرائيلي» التي تقام في إطار مهرجان ثقافي يستمر ثلاثة أشهر وبدأ قبل شهر بمناسبة مرور نصف قرن على احتلال فلسطين.

يشارك في أعمال الندوة مجموعة من المفكرين من أقطار عربية مختلفة.

كتب جديدة

الاحتلال الإسرائيلي في لبنان: الاقتطاع ومسألة الانسحاب، تأليف عدنان السيد حسين، صدر ضمن سلسلة «دراسات» عن مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق في بيروت.

مقدمة إلى الحوار الإسلامي المسيحي، تأليف محمد السماك، صدر عن دار النفائس.

حياة في الإدارة، تأليف د. غازي بن عبدالرحمن القصيبي، صدر عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

ديوان الاحتمالات، للشاعر شوقي عبدالأمير، صدر عن دار الفارابي.

مرتقى الأنفاس، ديوان لأمجد ناصر، صدر عن دار النهار.

كذبة السامية وحقيقة الفينيقية، تأليف فرج صالح ديب، صدر عن دار نوفل.

الغيمة الرصاصية، الرواية الأولى لعلي الدميني، صدرت عن دار الكنوز الأدبية.

الأردن

مؤتمر «العرب والغرب»

نظمت الجامعة الأردنية بالتعاون مع معهد أورتيجا جاسيت في إسبانيا ومركز دراسة الإسلام والعلاقات الإسلامية المسيحية التابع للجامعة برنامجهام مؤتمرًا علميًا في مقر الجامعة الأردنية بعمان تحت عنوان «العرب والغرب».

ناقش المؤتمر ثمانية محاور تدور حول العرب في وسائل الإعلام الأوربية، والأوربيين في وسائل الإعلام العربية، وصورة العرب في المسرح الأوربي المعاصر، وصورة الأوربيين في المسرح العربي المعاصر، ونماذج التشابه الثقافي والاختلاف بين العرب والأوربيين، واتجاهات الطرفين من النواحي: السياسية والاجتماعية والتربوية والاقتصادية.

من الكتب الجديدة

مكان ضيق.. شديد الضيق، مجموعة قصصية لإبراهيم زغرور، صدرت عن منشورات وزارة الثقافة.



فلسطين

أول مؤتمر دولي نقدي عن الرواية الفلسطينية

تستضيف كلية هند الحسيني بالقدس الشريف أعمال أول مؤتمر دولي للنقد الأدبي حول الرواية الفلسطينية في القرن العشرين خلال يومي ١٦، ١٧ جمادى الأولى المقبل (٧-٨ سبتمبر/ أيلول ١٩٩٨م).

يعقد المؤتمر بالتعاون بين اتحاد الكُتّاب الفلسطينيين ودائرة اللغة العربية في كلية الآداب بجامعة القدس، وشكلت لجنة تحضيرية للمؤتمر برئاسة عميد الكلية د. حسن السلوادي حيث اتفق على أن تتوزع موضوعات المؤتمر على ثلاثة محاور رئيسية: نشأة الرواية الفلسطينية وتطورها، قضايا فنية في الرواية الفلسطينية، شهادات وتجارب حول الكتابة.

من الكتب الجديدة

ماء القلب، مجموعة شعرية لمحمد القيسي،

رسائل جامعية

«أثر الثقافة التنظيمية في فعالية عمليات التدريب في الأجهزة الأمنية السعودية»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت في أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية بالرياض، تقدم بها أحمد مصطفى النعيمي.

«شهادة المرأة في الفقه الإسلامي»، عنوان رسالة ماجستير نوقشت في قسم الدراسات العليا الشرعية في كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بمكة المكرمة، تقدم بها ثناء الله حكيم خير الله.

«تأثير القيم كما تعكسها إعلانات التلفزيون»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الإعلام بجامعة القاهرة، تقدمت بها نجوى محمد الجزار.

«دور حوافز التصدير في تنمية الصادرات المصرية»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في جامعة حلوان المصرية، تقدمت بها منال كمال كريم.

«التنظيم القانوني للانتخابات المحلية: دراسة مقارنة»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في جامعة المنصورة في مصر، تقدم بها محمد فرغلي محمد.

«التلفزيون وتبسيط العلوم للأطفال»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت في كلية الإعلام بجامعة القاهرة، تقدمت بها أميرة محمد إبراهيم.

«شعر الزهد في الأندلس في عصر الموحدين والمرابطين»، عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية التربية بجامعة عين شمس، تقدم بها عبدالرحيم حمدان.

«دراسة أدبية لمسرح شيلا ديلاني»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت في كلية الألسن بجامعة عين شمس، تقدمت بها بتول سمير خطاب.



صدرت عن وزارة الثقافة.

عبدالله التلالي، رواية لعزت الغزاوي، صدرت عن دار الفاروق للثقافة والنشر في نابلس.

 تونس

ندوة الإسلام والنصرانية في عصر النهضة

شارك عشرون باحثًا من تونس والجزائر وألبانيا وفرنسا وبلجيكا وهولندا والسويد في أعمال الندوة العالمية الثالثة حول «النصارى والمسلمين في عصر النهضة الغربية».

نظمت الندوة مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، ودارت البحوث حول المجابهة بين الديانتين الإسلامية والنصرانية عبر المقارنات والنقد والخلافات، وما يمكن أن توفره المقارنة من قيم بناءة، ووضعية المناطق الحدودية في وسط أوربا التي تشهد بتعدديتها العرقية والدينية، والعلاقات التاريخية بين الأشخاص من نصارى ومسيحيين.

الملتقى الثالث للمبدعات العربيات

اختُتمت أعمال الملتقى الثالث للمبدعات العربيات الذي بدأ في مدينة سوسة في الأسبوع الأخير من ذي الحجة ١٤١٨هـ، وانتهى في السادس من شهر محرم الماضي بمشاركة مختصين في النقد الأدبي والكتابة الروائية في أقطار عربية مختلفة.

حمل الملتقى عنوان «الرواية النسائية العربية: خصائصها ومميزاتها ومواقعها واتجاهاتها»، وتضمن مداخلات ناقشت: نشأة الرواية العربية في مصر والشام في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، وما تتميز أو تنفرد به الرواية النسائية العربية، ونواحي الالتقاء والاختلاف بين روائيات مشرق العالم العربي ومغربه. كما أقيمت على هامش الملتقى أمسيات شعرية، ومعرضان تشكيليان لميسون صقر ووحيدة بنت عبدالسلام.

جائزة كومار لـ «شمس القرميد»

مُنح الكاتب محمد علي يوسف جائزة كومار الذهبي الثقافية لعام ١٩٩٨م عن روايته «شمس القرميد».

وجاءت الكاتبة سعاد قلوز في المركز الثاني بروايتها «مريم أو موعد بيروت».

يذكر أن الجائزة تأسست في العام الماضي حيث نالها، في عامها الأول، الروائي علي بشر عن روايته «أيام الوداع».

معرض دولي للكتاب

شاركت ٣٧٩ دار نشر من مختلف أنحاء العالم في الدورة السادسة عشرة لمعرض تونس الدولي للكتاب.

بلغ عدد الكتب المعروضة ما يزيد على ٧٣ ألف كتاب ما يقارب ٧٥٪ منها باللغة العربية، وأقيمت على هامش المعرض نشاطات فكرية وثقافية؛ منها ندوة فكرية عن «الكتاب وتقنية الاتصال الحديث».

كتب جديدة

على نار هادئة، رواية لمحمد البارودي، صدرت ضمن سلسلة «عيون المعاصرة».

اللغة والشعر في ديوان أبي تمام، تأليف حسين الواد، صدر ضمن سلسلة «مفاتيح».

صدر الكتابان السابقان عن دار الجنوب للنشر.

الإماء الشواعر، طبعة جديدة، تأليف أبي الفرج الأصبهاني، تحقيق د. جليل العطية، صدر عن دار المعارف في سوسة.

فتنة الكلمات، تأليف د. عبدالسلام المسدي، صدر عن مؤسسة عبدالكريم بن عبدالله.

 المغرب

المؤتمر الثامن للتعريب

نظم مكتب تنسيق التعريب التابع للمنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة المؤتمر الثامن للتعريب في مدينة مراكش خلال المدة من ٨ إلى ١٢ محرم الماضي (٤ ـ٨ مايو/ آيار ١٩٩٨م).

ناقش المؤتمر عددًا من البحوث المتعلقة بواقع

«إنتاج وتقييم فطريات عش الغراب من النوع المحاري واستخلاص قيمة غذائية عالية منه»، عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الزراعة بجامعة القاهرة، تقدمت بها أمل شفيق خالد.

«التعليم في الحجاز في العصر المملوكي»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في قسم التربية الإسلامية في كلية التربية بمكة المكرمة، تقدم بها محمد عبدالله العمرو.

«مدن قناة السويس بين عامي ١٨٨٢ـ ١٩١٤م»، عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية البنات بجامعة عين شمس، تقدمت بها وفاء عبدالمتجلي.

«تأثير جي دي موباسان على رواد القصة القصيرة في مصر»، عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية الآداب بجامعة حلوان في مصر، تقدمت بها رشا السيد جودة.

«الموضوع الشعري عند الجيل الثاني من شعراء الشعر الجديد»، عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية التربية بجامعة عين شمس، تقدمت بها عزة أبو النجا.

«أهمية تأثير البعد الاجتماعي لتجار الجملة في تخطيط وتصميم الأسواق»، عنوان رسالة ماجستير في تخطيط المدن نوقشت في كلية الهندسة بجامعة القاهرة، تقدمت بها ناهد عمران.

«تطوير موجة سبائك الألومنيوم»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت في كلية الهندسة بجامعة الأزهر، تقدم بها أسامة الخطيب.

«سياسة اللا عنف في استقلال الهند»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في جامعة الزقازيق بمصر، تقدم بها منير صادق.

«نظرة الفرنسيين في كتاب وصف مصر»، عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الآداب بجامعة القاهرة، تقدمت بها منال محمد خضر.

اللغة العربية في القرن الميلادي المقبل، وعدداً من المعاجم التي أعدها خبراء المكتب.

«الإشارة» و«الكرامة» مجلتان جديدتان

أصدر اتحاد كُتّاب المغرب العدد الأول من مجلته الثقافية الإبداعية الجديدة «الإشارة» التي سبقتها في الصدور شقيقتها «آفاق»، كما صدر العدد الأول من المجلة الشهرية الحقوقية «الكرامة».

تضمنت «الإشارة» نصوصاً إبداعية متنوعة وقراءات نقدية ودراسات أدبية، وأشار رئيس الاتحاد عبدالرفيع جواهري في افتتاحية المجلة أن المقصود من صدورها أن تكون «حديقة يتنفس فيها كل أعضاء الاتحاد وأصدقاء الاتحاد هواء جديداً، ويتناوبون على تغيير تربتها وأزاهيرها ويمارسون من خلالها شغبهم الجميل».

أما «الكرامة» فهي مجلة ثقافية حقوقية «تهدف لإرساء ثقافة حقوقية والتعريف بمختلف أوجه النضال لإرساء دولة الحق والقانون»، ويرأس تحريرها عبدالعزيز بناني.

ألمانيا

مسابقة دولية بست لغات

تنظم مجلة «الأدب الدولية» التي تصدر في برلين - بمناسبة إعلان مدينة فايمار الألمانية مدينة أوربا الثقافية لعام ١٩٩٩م - مسابقة دولية بالاشتراك مع «فايمار٩٩» ومعهد جوتة، تأخذ شكل مقالة تعالج المسألة التالية: تحرير المستقبل من الماضي، تحريرالماضي من المستقبل.

ويمكن للكُتّاب والكاتبات المشاركة في المسابقة بمقالاتهم في واحدة من اللغات الست المعتمدة في الأمم المتحدة: العربية، الفرنسية، الإنجليزية، الإسبانية، الروسية، الصينية، إضافة إلى اللغة الألمانية، حيث تُمنح ثلاث جوائز كالتالي:

٥٠ ألف مارك، ٣٠ ألف مارك، ٢٠ ألف مارك، ويحصل الفائزون وكاتبو النصوص المتميزة على منحة للسفر إلى ألمانيا في زيارة علمية تستغرق شهوراً.

ويصدر كتاب يضم نخبة من المقالات التي اختيرت لمرحلة التحكيم النهائي، وتحددت غرة شعبان المقبل ١٤١٩هـ (٢٠ نوفمبر/ تشرين الثاني ١٩٩٨م) موعداً نهائياً لاستقبال الأعمال المشاركة على عنوان الأمانة العامة للمسابقة في نسختين مطبوعتين:

INTERNATIONAL Essay prize
CONTEST
Rosenthaler STR.13
D-10119 BERLIN, GERMANY.

معرض لايزغ للكتاب

عاشت مدينة لايزغ بولاية سكسونيا - مؤخراً - أياماً ثقافية عامرة بإقامة معرضها الدولي الثامن والتسعين للكتاب الذي يُعدّ ثاني أكبر معرض للكتاب في ألمانيا بعد معرض فرانكفورت وينظمه اتحاد الناشرين الألمان.

أقيم المعرض هذا العام تحت شعار «اكتشاف صفحات جديدة» بمشاركة نحو خمسمئة دار نشر تنتمي إلى أربعين دولة من مختلف أنحاء العالم، ليس من بينها دولة عربية واحدة، حيث تقتصر المشاركة العربية - عادة - على معرض فرانكفورت.

وكما جرت العادة كل عام في اختيار دولة للاحتفاء بأدبها؛ اختيرت رومانيا لتكون البلد الضيف.

وعلى الغياب العربي إلا أن ما يقرب من ثلاثين دار نشر ألمانية تهتم بالتراث العربي شاركت تحت سقف واحد في عرض مخطوطات وكتب عربية مترجمة إلى الألمانية تحت شعار «الشرق يلتقي مع لايزغ»، واختتمته بمهرجان ثقافي غنائي أقيم تحت عنوان «جلال الدين الرومي يلتقي بهاينرخ فون مورينجن». ومورينجن لمن لا يعرفه مُغنٍ اشتهر في ليبزغ ومات فيها.

أحدث الكتب

البرلمان الأوربي، تأليف هارتموت هاوسمان، صدر عن دار نشر بندستاج في بون.

إيريش ميلكه: الرجل الذي جسّد جهاز شتازي، تأليف هربرت شفان، صدر عن دار كنادر فرلاج.

حول الألم، مجموعة قصصية لزيجفريد لينتش، صدرت عن دار هوفمان كامبة.

الجواهري: شاعر من القرن العشرين، تأليف د. جليل العطية، صدر عن دار الجمل.

إسبانيا

ملتقى الإبداع الثقافي والتغيير في المجتمعات العربية

شارك قرابة مئة ناقد وأديب عربي ومجموعة من المستشرقين في أعمال ملتقى «الإبداع الثقافي والتغيير في المجتمعات العربية في نهاية القرن» الذي استضافته مدينة غرناطة خلال شهر محرم الماضي.

نظم المؤتمر معهد الدراسات الإقليمية للشرق الأوسط وشمال إفريقية وآسيا الوسطى بالتعاون مع مركز البحوث العلمية في إسبانيا وقسم الدراسات العربية والإسلامية بجامعة مدريد.

ناقش المؤتمرون دور الإبداع الثقافي في تكوين علاقات وقيم ومؤسسات جديدة، والمخيلة الفنية في الشعر والرواية والفن التشكيلي والمسرح، وإعادة النظر في مفهوم الذات ومفهوم الآخر، وفي النظرة إلى الثقافات غير العربية، وموضوعات أخرى

فرنسا

ندوة عن: الإسلام وحقوق الإنسان

نظم المجلس الإسلامي العالمي بالتعاون مع اتحاد المنظمات الإسلامية في فرنسا ندوة بعنوان: الإسلام وحقوق الإنسان خلال يومي ٣ و٤ محرم الماضي.

أقيمت الندوة في باريس، وتركزت مناقشاتها حول أهمية الإسلام وكونه أفضل نظام رباني يحفظ للإنسان كرامته وحقوقه.

وفاة الفيلسوف ليوتار

توفي الفيلسوف جان فرانسوا ليوتار عن عمر ناهز ٧٣ عاماً إثر صراع طويل مع مرض السرطان.

وليوتار المولود في العاشر من أغسطس/ آب ١٩٢٤م من جيل دولوز، وميشال فوكو، وجاك دريدا، وعُرف بتبنيه وتعميقه لمفهوم «ما بعد الحداثة».

وقد عمل بعد حصوله على شهادة الكفاءة الفلسفية من جامعة السوربون عام ١٩٥٢م مدرساً في قسنطينة بالجزائر، وأمضى في ذلك



البلد العربي المسلم عامين اكتمل خلالهما - كما عبَّر بنفسه عن ذلك لاحقًا - وعيه السياسي وأصبح مناضلاً ضد الظلم. وقد عمل في السنوات الأخيرة من حياته أستاذًا متنقلاً بين جامعات فرنسا والولايات المتحدة.

أحدث الكتب

الضوء الهارب، رواية د. محمد برادة، ترجمتها إلى الفرنسية كاترين شاروه، وصدرت عن دار سندباد - أكت سود في باريس.

سكان العالم، تأليف جان لويس ماثيو، صدر عن دار أرمان كولن.

مبدأ السيادة، تأليف جيرار مايريه، صدر عن دار نشر فوليو.

الحب - الحب، رواية للكاتبة الفرنسية الجنسية الجزائرية الأصل ماري كاردينال، صدرت عن دار نشر جراسيه.

بريطانيا

مخطوطة مفقودة لابن ماجد في مزاد

ظهرت مخطوطة مفقودة للرحالة والبحار العربي أحمد بن ماجد في مزاد أقامته - مؤخرًا - في لندن دار كريستيز للمزادات ضمن مجموعة من المخطوطات والتحف الإسلامية النادرة.

تحمل المخطوطة عنوان «خزينة الأسرار في قواعد علم البحار ومعرفة سير السفن على منازل الكواكب والأقمار»، وقد كُتبت بخط محمد طراد بن محمد حسين الأنصاري من بلدة جلفار - التي تُعرف حاليًا باسم رأس الخيمة - عام ١٠٣٢هـ.

تتناول المخطوطة طرق السفن من شواطىء الجزيرة العربية إلى البلدان التي عرفها المسلمون والعرب - آنذاك - إضافة إلى سير السفن وحركة النجوم والكواكب، كما يحدد ابن ماجد أماكن الخطر والصخور في قاع البحر في أثناء سير السفن.

مؤتمر يبحث آفاق إعلام ما بعد عام ٢٠٠٠م

نظمت المجموعة الأوربية الإعلامية المؤتمر الدولي الرابع للدراسات الإعلامية في لندن تحت شعار «وسائل الإعلام ما بعد عام ٢٠٠٠م».

ناقش المؤتمر ١٧ ورقة عمل تتناول مستقبل الإعلام في العقد الأول من الألفية الثالثة والطروحات المتوقعة أوالمطلوبة. وشارك في المناقشات ستون خبيرًا من دول المجموعة الأوربية وأمريكا.

جائزة حرية الصحافة لصحافية سجينة

مُنحت الصحافية كريستين آنيانو، السجينة حاليًا في نيجيريا، جائزة حرية الصحافة لعام ١٩٩٨م.

تسلم الجائزة، نيابة عن صاحبتها، الأديب النيجيري الحائز جائزة نوبل للآداب وولي سوينكا في حفل رعاه مدير اليونسكو فيدريكو مايور.

أحدث الكتب

الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية (نجد والحجاز)، المجلد الثالث (١٩١٧-١٩١٨م) اختيار وترجمة وتحرير نجدة فتحي صفوة.

صدمة الاحتكاك: حكايات الإرسالية الأمريكية في الخليج والجزيرة العربية ١٨٩٢-١٩٢٥م، إعداد وترجمة خالد البسام.

العرب والسياسة: أين الخلل، تأليف د. محمد جابر الأنصاري.

سيكولوجية الجماهير، تأليف جوستاف لوبون، ترجمه إلى العربية هاشم صالح.

صدرت الكتب الأربعة السابقة عن دار الساقي.

سراب الاستقلال في بلاد الشام ١٩١٨-١٩٢٠م، تأليف حسن الأمين، صدر عن دار رياض الريس للكتب.

الحرية قبل الليبرالية، تأليف كونتين سكنر، صدر عن منشورات جامعة كمبردج.

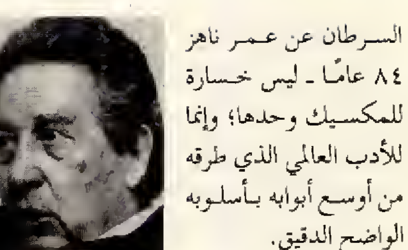
القاتل والضحية: مثيولوجيا وشعر، تأليف محمد الجزائري، صدر عن دار الوراق.

المكسيك

أوكتافيو باث يغادر «متاهة العزلة»

برحيل الأديب الشاعر أوكتافيو باث الحائز جائزة نوبل للآداب عام ١٩٩٠م يختفي آخر جيل العمالقة من أدباء أمريكا اللاتينية.

وفَقْد باث - الذي مات بعد صراع مع



أوكتافيو باث

السرطان عن عمر ناهز ٨٤ عامًا - ليس خسارة للمكسيك وحدها؛ وإنما للأدب العالمي الذي طرقه من أوسع أبوابه بأسلوبه الواضح الدقيق.

وليست نوبل الجائزة الوحيدة التي نالها باث، إذ إن سجله يحوي جوائز أخرى لا تقل عنها قيمة مثل: جائزة سيرفانتس الإسبانية وجائزة ت .س. إليوت الأمريكية.

وإذا كان ديوانه «متاهة العزلة» قد سرق الأضواء من أعماله الأخرى، فإن للقارئ أن يتساءل عن صدى أعماله الأخرى، والتي بدأها عام ١٩٣٨م بنشر قصائده ودراساته الأدبية، ذلك أنه لم يكن فذًا في الشعر فقط وإنما في النثر أيضًا، وساعده عمله الدبلوماسي سفيرًا لبلاده في أكثر من دولة على اكتساب خبرات حياتية أمدته بزاد لا ينضب من المعارف الإنسانية التي أسهمت في إكساب أدبه صفة العالمية، حيث تأثر بصفة خاصة باللغة الإسبانية والموشحات الأندلسية. وعلى ارتباطه بشعراء فرنسا مثل بودلير وملارميه؛ إلا أنه كان أقرب إلى الأدب الأندلسي والشعر الإسباني.

وقد عُرف عن باث مناهضته الشديدة للشيوعية والأنظمة الدكتاتورية. ومن أشهر أعماله: حرية الكلام، القمر البريء، جذورالإنسان، تحت ظله الأبيض، وأشعار المكان.

الولايات المتحدة

د. زويل يتسلم أكبر وسام علمي في أمريكا

في احتفال عالمي أقامته مؤسسة فرانكلين العلمية في مدينة فيلادلفيا، بحضور أكثر من ١٥٠٠ عالم وشخصية من مختلف أنحاء



العالم، تسلم العالم المصري د. أحمد حسن زويل (٥٢ عامًا) وسام بنيامين فرانكلين، أعرق جائزة علمية أمريكية، والتي يعود تاريخ بدء منحها إلى ما قبل ١٨٠ عامًا.

وبحصوله على الوسام ينضم د. زويل - الذي سبق أن فاز بجائزة الملك فيصل العالمية في مجال العلوم عام ١٩٨٩م - إلى قائمة من أكبر علماء العالم الذين حظوا بشرف نيل هذا الوسام، ومنهم: ألكسندر جراهام بل، وتوماس إديسون، وألبرت أينشتين، ومدام كوري، والأخوان رايت، وستيفن هوكنج، وغيرهم.

معرض لأعمال جاسبر جونز

استضاف متحف دالاس للفنون في ولاية تكساس - مؤخرًا - معرضًا لأعمال رائد فنون النحت والخط الأمريكي المعاصر جاسبر جونز.

ضم المعرض ما يزيد على مئة وثلاثين عملاً فنيًا نفذها جونز، ويظهر فيها بوضوح الطابع النقدي الساخر لسلبيات المجتمع ومساويه، مع تسليط الضوء على أعماله في مجالي النحت وفنون الخط، وما تتميز به هندسيًا من تناسق بديع، وحرفية فنية عالية.

أحدث الكتب

لا تخبر أبي، تأليف بيترفوندا (ابن الفنان السينمائي الراحل هنري فوندا) صدر عن دار نشر هيبوريون.

جوع، رواية كلنات هامسون، صدرت بالإنجليزية عن دار نشر فايار وستراوس وجيرو في نيويورك.

قارئ باخ الجديد، إعداد هانز ديفيو وآرثر مندل وكريستوف وولف، صدر عن دار نشر نورتن.

البرازيل

الإسلام في أمريكا اللاتينية موضوع ندوة دولية

استضافت مدينة ساوباولو أعمال الندوة الدولية حول «الإسلام في أمريكا اللاتينية: الأبعاد الحضارية والعلاقات الإنسانية» خلال المدة من ٥ إلى ٨ محرم الماضي (١-٤ مايو/ آيار ١٩٩٨م).

نظمت المؤتمر منظمة المؤتمر الإسلامي بمشاركة ممثي مندوب لجمعيات ومراكز إسلامية وأساتذة جامعات من الولايات المتحدة وكندا والبرازيل.

سعت الندوة إلى إبراز دعوة الإسلام للحوار بين الأديان وتشجيعه للتعاون بين الأمم بما يغني الحياة الإنسانية، إضافة إلى مطالبة الجاليات الإسلامية بالمشاركة في الحياة العامة والنهضة الوطنية بكل الوسائل، وربط المسلمين في أمريكا اللاتينية بقضايا العالم الإسلامي.

السويد

ترجمة لمعاني القرآن الكريم باللغة السويدية

يقوم سفير السويد السابق في المغرب كنوت محمد بيرنستروم حاليًا بتنفيذ أول ترجمة سويدية لمعاني القرآن الكريم.

يُنتظر أن تصدر الترجمة خلال خريف العام الحالي مشفوعة بتعليقات السفير الذي أشهر إسلامه عام ١٩٨٣م.

يذكر أن عدد المسلمين في السويد نحو أربعمئة ألف نسمة من إجمالي عدد السكان البالغ ثمانية ملايين ونصف المليون نسمة.

مؤتمر الثقافة والتنمية

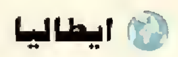
اختُتم - مؤخرًا - في استوكهولم «المؤتمر الدولي حول السياسات الثقافية» الذي نظمته منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو)، بمشاركة قرابة ١٤٠ دولة ومئة منظمة حكومية وأهلية وما يزيد على خمسين وزيرًا للثقافة .

انطلق المؤتمر من فكرة أساسية تتمثل في إعادة صوغ مفهوم التنمية لتندرج في إطاره خطة عمل للحقوق والممارسات الثقافية بحيث تصير الثقافة عنصرًا أساسيًا في استراتيجيات التنمية.

وتمكنت الوفود العربية المشاركة من تحقيق نجاح في الحد من سلطان نموذج المجتمع الثقافي العالمي على الوثيقة الأساسية للمؤتمر من خلال نسق الجمل والفقرات التي منحت حقوق التعبير الذاتي الحر والمستقل عن الهويات الثقافية المتنوعة داخل الدولة .

ومن محاسن المؤتمر أيضًا تأكيده الحقوق الثقافية لدول العالم الثالث، ومنها حق استعادة التراث المسروق منها بصورة غير شرعية.

يُذكر أن المؤتمر هو الأول من نوعه منذ المؤتمر الدولي في شأن السياسات الثقافية الذي استضافته نيومكسيكو عام ١٩٨٢م،



ايطاليا

غياب الروائية آن ماريا أورتيس

توفيت الكاتبة الإيطالية آن ماريا أورتيس عن عمر ناهز ٨٤ عامًا.

وآن ماريا من مواليد ١٩١٤م، وقضت طفولتها في طرابلس بليبيا؛ حيث هربت عائلتها من بطش الديكتاتور موسوليني، وعملت في بداية حياتها في مجال الاقتصاد، ثم صحافية، حتى بدأت في كتابة الرواية. وحققت روايتها «نواح الطائر المغرد» مبيعات كبيرة وصلت إلى ما يقارب ٢٠٠ ألف نسخة، كما نالت روايتها «البحر لا يصل إلى نابولي» نجاحًا مماثلاً؛ مما أهلها لنيل أكثر من جائزة، كما أنها مارست كتابة الشعر والقصة القصيرة؛ فحظيت بجائزة ستريجا للترجمة، وجائزة تباريجيو. نشرت سيرتها الذاتية عام ١٩٧٥م تحت عنوان «سياج طليطلة»، وكان آخر أعمالها: «آلام الإنسانية في العالم» ١٩٩٦م.



روسيا

العدول عن نشر «آيات شيطانية»

نجحت حملة شنتها المنظمات الإسلامية في روسيا في إقناع دار لينبوس برس للنشر في بطرسبرج بالعدول عن نشر كتاب سلمان رشدي «آيات شيطانية».

ونُقل عن الدار قولها: إنها لا تريد جرح مشاعر المسلمين في روسيا.





د. محمد بن عبدالرحمن الربيّع في «منتدى الفيصل»

نبذة من سيرته:

- من مواليد الرياض ١٣٦٦هـ.
- حاصل على الدكتوراه في الأدب والنقد من كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر.
- عمل مدرسًا بمعهد مكة المكرمة العلمي ١٣٨٨هـ، ومعهد الرياض العلمي ١٣٨٩هـ، ومديراً للدراسات والمعلومات بالنيابة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٣٩٥هـ، ومديراً للبعثات بالنيابة بالجامعة نفسها ١٣٩٦هـ، وأستاذًا مساعدًا ١٣٩٩هـ، وأستاذًا مشاركًا بقسم الأدب بكلية اللغة العربية ١٤٠٥هـ، وعميدًا للبحث العلمي ١٤٠٥-١٤١١هـ، ورئيسًا لتحرير مجلة الجامعة للبحوث العلمية، ومستشارًا في الأمانة العامة لمجلس التعليم العالي، ومستشاراً غير متفرغ بوزارة الإعلام.
- يعمل حاليًا وكيلاً لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية للدراسات العليا والبحث العلمي.
- عضو في عدد من المجالس واللجان العلمية، فهو:

أمين مجلس الجامعة، ورئيس المجلس العلمي بها. عضو لجنة الموسوعة العربية الإسلامية. رئيس لجنة تطوير مناهج كلية اللغة العربية. عضو اللجنة العلمية لمكتبة الملك عبدالعزيز العامة. عضو هيئة تحرير مجلة «الدراسات الدبلوماسية» التي يصدرها معهد الدراسات الدبلوماسية بوزارة الخارجية. عضو هيئة جائزة مكتب التربية العربي لدول الخليج. عضو اللجنة العلمية لدارة الملك عبدالعزيز. عضو مجلس أمناء معهد العلوم الإسلامية والعربية بواشنطن. عضو مراسل لمجمع اللغة العربية بالقاهرة.

- شارك في عدد كبير من الندوات والمؤتمرات العلمية في المملكة والدول العربية والأجنبية؛ وأشرف على عدد من رسائل الماجستير والدكتوراه.
- له دراسات ومقالات منشورة في الدوريات المحلية، ويشارك في بعض البرامج الإذاعية، وفي المراجعة العلمية لعدد من الكتب العلمية والمدرسية.

- من مؤلفاته:

ابن طباطبا الناقد ١٣٩٩هـ، أبو الحسن التهامي: حياته وشعره ١٤٠٠هـ، ديوان أبي الحسن التهامي (تحقيق) ١٤٠٢هـ، الاتجاه الإسلامي في شعر محمد العيد آل خليفة، الأدب العربي وتاريخه للسنة الثانية الثانوية بالمعاهد العلمية، من قضايا البحث العلمي في الجامعات السعودية ١٤١٥هـ، اللغة العربية في العصر الحديث ١٤١٥هـ، المبالغة في الشعر العباسي ١٤١٦هـ، شعر شوقي بين التدين والمجون ١٤١٦هـ، جذور الأدب المقارن في تراث الجاحظ، خمائل وأزهار، أدب المهجر الشرقي.

ومن آرائه:

• إن الأدب العربي قد شرّق وغرّب، فعرفنا عن الأدب المهاجر إلى الغرب الشيء الكثير، وقصرنا عن معرفة الأدباء العرب الذين شرّقوا، واستوطنوا المشرق والشرق الأقصى؛ وظلوا يحنون إلى موطن العرب وإلى الجزيرة العربية. فما أحرى أبناء هذه الجزيرة بأن يقوموا بالواجب، ويقدموا لنا دراسات علمية وأدبية جادة عن (أدب المهجر الشرقي)، وإنا لمنتظرون..

خمائل وأزهار ص ١٨٦.

• وما دمنا نتحدث عن الاستشراق فلنختم الموضوع بالدعوة إلى حركة علمية مضادة للاستشراق في الاتجاه، مستفيدة منه في التخطيط، وأعني بها المحاولة الجادة لفهم (الغرب)، وأسباب تقدمه، وتفوقه، وعوامل ضعفه، وموقفه من المسلمين الذين يعيشون بين ظهرانيه، وموقفه من الحركات الإسلامية والنشاط الإسلامي العام، وهو ما يُطلق عليه علم (الاستغراب)؛ أي دراسة الغرب في مقابل (الاستشراق)؛ أي دراسة الشرق وشؤونه وأحواله.

من قضايا البحث العلمي ص٩٤.

• يجب العناية بإعداد الباحث السعودي الشاب في وقت مبكر جدًا، وهذا لن يتم على الوجه الأكمل إلا إذا عوّدنا الطلاب - منذ المراحل التعليمية المبكرة - القراءة والبحث والتلخيص، وأكثرنا من المسابقات البحثية الصغيرة بين طلاب التعليم العام، وعودناهم ارتياد المكتبات والبحث عن المعلومات، لأن ذلك يساعد على الاكتشاف المبكر للمواهب والقدرات العلمية، حتى إذا ما وصل الطالب إلى المراحل الجامعية لم يفاجأ بمادة (البحث)، وما يطالب به من إعداد البحوث الجامعية. وما الضعف الظاهر في بحوث طلاب المرحلة الجامعية إلا نتيجة لعدم العناية بالبحوث الصغيرة والجزئية في مراحل التعليم العام.

من مقدمة كتاب من قضايا البحث العلمي ص٩.

• كيف نُدَرِّس مواد اللغة العربية لطلبة أقسام الإعلام؟! وهل وظفنا المادة اللغوية التي تُقدَّم لهم لخدمة التخصص في الإعلام؟

هل استطعنا تطوير مواد تخدم العربية والتخصص معًا؟ أين البلاغة الإعلامية؟ أين الخصائص الأدبية لمواد الإعلام؟ أين الأصول النقدية للحديث الإذاعي والتلفازي؟ أين الأخطاء الشائعة في لغة الصحافة؟ أين تعريب المصطلحات الإعلامية؟ تساؤلات لازلنا بعيدين عن الإجابة عليها. فلا زلنا نقدم المواد اللغوية لطلبة الإعلام كما نقدمها لطلبة أقسام اللغة العربية، وإن حصل اختلاف فهو في الكم.. وما هكذا تورد الإبل..

اللغة العربية في العصر الحديث ص٧٧.

• وفرق كبير بين الالتزام والإلزام، فالالتزام نابع من ذات الأديب الملتزم، أما الإلزام فهو ناتج عن القهر والتعسف وغلبة العوامل الخارجية على طبع الأديب، مما يجعله ينتج أدبًا خاليًا من الروح ومن حرارة الإيمان ووهج العقيدة وصفاء النفس..

خمائل وأزهار ص١٤٨.

• دعوة صادقة أوجهها إلى من يكتبون لأطفالنا بأن يلتفتوا إلى تراثنا الخالد وما فيه من قصص البطولة والفداء، فينهلوا من معينه، ويستلهموه، ويعيدوا صياغته، وتقديمه، فذلك خير من هذا الغثاء والتخريف الذي لا يربي جيل المستقبل ولا يربطه بأمجاد أمته الخالدة.

خمائل وأزهار ص٢٠٠.

قصة قصيرة

المحاكمة

إسحاق أحمد فضل الله

الشابان المضطجعان على أرض الحديقة قريبًا من مقعدي كان أحدهما يقول للآخر:

ـ إنها تجعل الربيع السخيف ينال جزاءه... لماذا جاء!!

كانا يقصدان الإنجليزية البدينة التي تمشي وهي ترتدي فستانًا يشبه ما ترتديه لاعبات التنس.. كانت ضخمة لكن وجهها المسطح الشديد الاحمرار كان يلفت النظر عن ضخامتها البالغة.. كانت قد جعلت في يسراها حقيبة من السعف يبدو أنها ظلت طويلاً تنتظر بها أول شمس تشرق في يوركشير.. كما يبدو أنها استعجلت زوجها الذي كانت تجره وراءها وهو يتبعها في استسلام صامت.

الأنفاس المتسلطة حول المرأة لم تلبث طويلاً قبل أن تتدفق في مشاجرة ساخنة مع إحدى الفتيات.. النزاع تحول بسرعة من صراخ نسائي إلى اشتباك بالأيدي وضجيج ونقاط دم وشرطي خرج من مكان ما.. وبعد ساعة وجدت نفسي أقف شاهدًا في المحكمة..

كان الزوج حتى تلك اللحظة قد ظل صامتًا في يأس.. حتى في أثناء الاشتباك بين زوجته والآخرين، كان يقف بجسمه بين الأيدي المقتتلة ويداه نصف مرفوعتين كأنه ليس متأكدًا مما يفعل، أو أنه لا فائدة.. في لحظة واحدة استطعت أن أرى مشاهد البؤس الطويلة التي عاشها الزوج المسكين مع النمرة الضخمة المزمجرة هذه والتي كانت تنزف الآن.. لعل غيظي وحزني على الزوج هو الذي جعلني أقول دون وعي وأنا أبدأ شهادتي أمام القاضي قائلاً:

ـ المرأة الحمراء الوجه كانت...

القاضي كان امرأة خفيضة الصوت قاطعتني في رقة وهي تقول:

ـ نرجو أن يتكرم الشاهد باختيار كلماته.

عيوني التقت فجأة بعيون الزوج.. التقطت عيناي تنهيدة مسروقة هناك كأنها الظامئ يتذوق أول جرعة من شراب بارد وهو يتلفت خائفًا.

اكتشافي المفاجئ الصغير هذا واكتشافي لفرصة الانتقام التي أمسك بها كانت هي التي جعلتني أتظاهر بجهلي باللغة الإنجليزية لأقول في اللحظات التالية:

ـ المرأة السمينة كانت قد بدأت السباب...

مرة أخرى قاطعتني المرأة التي ترأس المحكمة قائلة:

ـ أيها السيد.. أرجو أن تكون أكثر حرصًا في حديثك.

المرأة البدينة التي كانت مشغولة بأنفها الجريح كانت قد أخذت تفقد الاهتمام به وعيونها تنغرس في وجهي.. لكن نظرات الزوج المتسللة التي تتمسح بي مثل القطة المتوددة كانت هي ما يشغلني.. اكتشفت فجأة أنني أثأر للزوج المسكين ثأرًا لا يحلم به أكثر الموجوعين في الدنيا.. ثأرًا علنيًا أمام المحكمة والمشاهدين الذين كان واضحًا أن الكثيرين منهم يعرفون المرأة البدينة مثل كل الناس في المناطق الريفية، والذين انفجروا بالضحك مرات كلما وصفت المرأة بوصف يجعلها تجفل ويجعل المحكمة تنبهني.. كنت قد قررت أن أستل كل الخناجر التي غرستها المرأة في قلب الزوج المسكين على طول السنوات، وأجعل المرأة البدينة المتسلطة تسهر طويلاً وهي تتذكر ما أقوله في وصفها بالإنجليزية التي أتقنها جيدًا وأتقن كذلك التعثر فيها متى أردت.

قلت للمحكمة:

ـ المرأة قالت في بذاءة..

القاضي قاطعتني وهي تقول في هدوء:

ـ هل هذه هي الكلمة المناسبة؟

قلت وأنا أتظاهر بحفر ذهني بحثًا عن كلمة مناسبة:

ـ في وقاحة...

المرأة على المنصة قالت وهي تتنهد:

ـ يبدو أن حصيلة السيد الشاهد من اللغة الإنجليزية ليست عظيمة.. تُرفع الجلسة حتى حضور مترجم.

أمام المحكمة لحتهما يمشيان.. كانت المرأة تمشي منحنية الظهر ووجهها يتدلى إلى أسفل، وشعرها المغضن يغطي جانب وجهها.. كانت عيونها ذاهلة، وكان واضحًا أنها تتلمظ جرعات الذل الحارقة وأن ضحكات المشاهدين التي لن تنساها بقية عمرها ترن في سراديب روحها.. لكن ما أخذ عيني كان هو وجه الزوج..

الزوج الذي كان يمشي أمام المرأة بخطوتين.. نظر إلى وجهي ثم إلى وجه المرأة البائس ثم انفجر يضحك في قسوة رنانة تكرع من الإعلان عن نفسها في استمتاع.. كان الزوج يسخر مني ومن المرأة ومن كل شيء لسبب لا أعلمه... ثم علمته فجأة.

المرأة بوغتت وهي تراني أقفز أمامها في لحظة مهتاجًا مندفعًا في اعتذار لاهث نازف عميق. كان وجه الزوج قد كشف لي فجأة مقدار الخطأ المؤلم الذي ارتكبته..

المرأة تصلبت في مكانها وهي تستمع لي ويدها على أنفها. وجهها غمرته الدهشة ثم الفهم، ثم اضطرم الوجه الأحمر فجأة بألم عميق مكتوم الأنفاس.. ظلت تستمع إليّ حتى سكت وأنا ألهث.

من تحت كفها التي تمسك بقطعة القطن على الأنف قالت بخفوت هامس:

ـ إذن.. فأنت تجيد الانجليزية!!

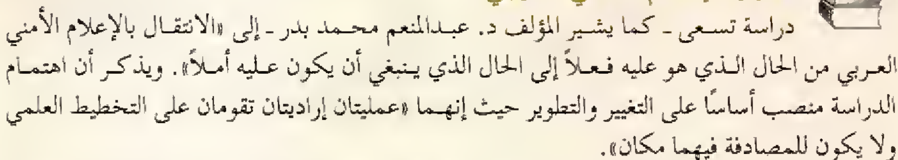
الزوج انفجر في ضحكة مثل ضربة السوط القاطع قاسية وقحة طويلة.

أدركت أنا متأخرًا أن المرأة كانت تقصد أن تقول: إذن فأنت تعني فعلاً كل ما وصفتني به!!

حتى نهاية الطريق تابعت عيناي الزوج وهو يضحك وأكتاف المرأة تنحني إلى الأمام وهي تهتز في بكاء خافت.. ليال طويلة بعد ذلك ظللت أتذكر أن نزيف أنفها اشتد في تلك اللحظة حين كانت تستمع إلى اعتذاري الذي كان يغرس الخناجر في قلبها دون أن أنتبه، وأن دموع عينيها حين انحدرت على أنفها اختلطت بالدم، وأن ضحكة الزوج اختلطت بصورة ما بالدم والدموع على قطعة القطن..

مسكينة المرأة التي لا أعرف اسمها والتي لن ألتقي بها أبدًا في الدنيا.. لعلّي الإنسان الوحيد الذي يحمل لها عطفًا هائلاً.. والإنسان الوحيد الذي لا يستطيع أن يلقاها أبدًا..

تطور الإعلام الأمني العربي



دراسة تسعى ـ كما يشير المؤلف د. عبدالمنعم محمد بدر ـ إلى «الانتقال بالإعلام الأمني العربي من الحال الذي هو عليه فعلاً إلى الحال الذي ينبغي أن يكون عليه أملاً». ويذكر أن اهتمام الدراسة منصب أساسًا على التغيير والتطوير حيث إنهما «عمليتان إراديتان تقومان على التخطيط العلمي ولا يكون للمصادفة فيهما مكان».

تشتمل الدراسة على أربعة فصول. عرض المؤلف في الفصل الأول مداخل الدراسة، وجاء الفصل الثاني بعنوان: الإعلام والإعلام الأمني الفاعل، وضمن هذا الفصل ناقش الموضوعات التالية: الإعلام ظاهرة اجتماعية، أهمية الإعلام وتنامي تأثيره، الإعلام الفاعل. وتناول في الفصل الثالث واقع الإعلام الأمني العربي، وناقش مسيرته التطويرية، والصعوبات التي تواجه هذا النوع من الإعلام.

وخصص المؤلف الفصل الرابع من دراسته لعرض تصوره لتطوير الإعلام الأمني العربي، وأوضح أن هذا التصور، الذي يتشكل من مدخلات محددة ومخرجات متوقعة، ينطلق من ثلاثة أسس: الأول: الصعوبات التي بدت واضحة في كيان الإعلام العربي بعامة والإعلام الأمني العربي بخاصة، والثاني: النتائج التي أسفرت عنها الملتقيات الإعلامية العربية العامة والأمنية، ولاسيما ما يتعلق منها بالتوعية الأمنية. وأما المنطلق الثالث لهذا التصور فهو: رؤية تنمويه تطويرية متكاملة. ومن أبرز ما جاء في هذا التصور تلك الدعوة التي طرحها المؤلف لقيام آلية عليا ـ مجلس أعلى للإعلام الأمني والتوعية الأمنية، في كل بلد عربي، ويتشكل من هذه المجالس والآليات مجلس عربي موحد للإعلام الأمني العربي والتوعية الأمنية، يتولى وضع الخطوط العريضة لما ينبغي أن تكون عليه مسارات الإعلام الأمني العربي، وتلتزمها الكيانات ذات العلاقة بهذا النوع من الإعلام.

تقع الدراسة في ١٢٦ صفحة من القطع المتوسط، وقد صدرت عن مركز الدراسات والبحوث بأكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية في الرياض.

فهرس مخطوطات مكتبة مكة المكرمة

بدأت مكتبة مكة المكرمة رسالتها الحضارية منذ صدر أمر الملك عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ بإنشائها عام ١٣٧٠هـ، ونظرًا لموقعها المميز في العاصمة المقدسة، فقد تهيأ لها من المجموعات والمكتبات الخاصة ما يندر أن يتاح لغيرها من المكتبات. فقد جمعت هذه المكتبة ذخائر الكتب التي تعود إلى كبار العلماء والأدباء المكيين البارزين في القرن الماضي، ممن كان لهم دور كبير في الحركة العلمية وإسهامات جليلة في التأليف.

ويعد قسم المخطوطات أحد أهم أقسام مكتبة مكة المكرمة، إذ يضم ما يزيد على ٢٠٩٨ عنوانًا في مختلف العلوم العربية والإسلامية. وتزيد محتويات هذا القسم كل عام بما يُهدى للمكتبة من نفائس المخطوطات. وتتميز محتويات هذا القسم بمجموعة من الخصائص، لعل من أهمها أن من بينها مخطوطات نادرة، لم يرد لها ذكر في فهارس المخطوطات الإسلامية والعالمية، لأنها كانت ملكيات خاصة.

وقد قامت مكتبة الملك فهد الوطنية بعمل فهرس موحد لمخطوطات مكتبة مكة المكرمة، لإفادة الدارسين والباحثين في شؤون المخطوطات العربية، مستفيدة من الأعمال السابقة التي أنجزت في سبيل فهرسة مخطوطات مكتبة مكة المكرمة، ثم تبويب محتويات الفهرس الأول إلى: علوم القرآن، والحديث وعلومه، والعقيدة، والفقه وأصوله، ومواعظ وأخلاق، والمنطق، واللغة وعلومها، والأدب، والتاريخ والسيرة، وعلوم مختلفة (طب ـ رياضيات ـ فلك)، وقد ذيل الفهرس بكشافين الأول للأعلام والآخر للعناوين.

يقع الفهرس في ٥٩١ صفحة من القطع المتوسط، وهو الإصدار (٣٢) من السلسلة الثالثة من مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية.

نحو مشروع مجلة رائدة للأطفال

بحث يتضمن مواصفات واقتراحات لإيجاد عمل إعلامي ريادي للطفل العربي المسلم، يتمثل في إصدار مجلة تتوافق مع حساسية الطفولة، وحاجاتها والأهداف التربوية المتوخاة.

والبحث الذي أعده الدكتور مالك إبراهيم الأحمد هو ثمرة تجربة ميدانية في إعلام الطفل المقروء، فنتيجة لوقوفه على واقع إعلام الطفل المكتوب، وتعرفه مشكلات الكتابة للأطفال بعامة، بوصف هذا النوع من الكتابة فنًا وتخصصًا قائمًا بذاته، طرح الباحث منطلقات محددة لإنتاج إعلام مميز للطفل المسلم، يكون واضح الأهداف، مؤطرًا بالشرعية، وملتزمًا الرؤية الإسلامية في ضبط مسيرته، للإسهام في تشكيل الطفل ومخاطبته، من خلال استيعاب خصائص مراحله العمرية، واهتماماته وقابلياته، ورعاية هذه الاهتمامات والقابليات وتنميتها.

عالج الباحث موضوعه في ثلاثة فصول وخاتمة، ففي الفصل الأول الذي جاء بعنوان: مقدمة عامة، ناقش موضوعات: عالم الطفولة، الطفل والقراءة، أدب الأطفال. وأفرد الفصل الثاني لمجلات الأطفال، وناقش دورها الإعلامي، وخصائصها الموضوعية والفنية، وعرض واقع مجلات الأطفال في العالم العربي، كما قدم لمحة عن مجلات الأطفال في الغرب. وفي الفصل الثالث عرض الباحث مواصفات مجلة للطفل المسلم تكون رائدة.

وختم البحث بتأكيد حساسية الكتابة للأطفال، إذ يقول: «عندما نكتب للأطفال علينا أن نرفع رؤوسنا قليلاً لنتجاوز ما نراه من حاجة الأطفال إلى الترفيه والتشويق، وميلهم للعب واللهو، فننظر إليهم رجالاً بالغين، وقد تعلقت بأعناقهم حاجات أمتهم».

يقع البحث في ١٥٧ صفحة من القطع الصغير، وهو الإصدار (٥٩) في سلسلة كتاب الأمة التي تصدر عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة قطر.




كن مع
المنهل
AL MANHAL
مجلة العرب الأدبية

للاشتراك املأ هذه القسيمة (عنوان الاشتراك من الخلف)

الاسم: ....

مسابقة مجلة

الفيصل

١- جوائز كثيرة تقدمها المجلة لأصحاب الحلول الفائزة على النحو التالي:

أ - ثلاث جوائز مالية تمنح لثلاثة فائزين (500 ريال، 350 ريالا، 150ريالا).

ب - خمس جوائز اشتراك مجاني في المجلة مدة عامين (24 عددًا).

ج - عشر جوائز اشتراك مجاني في المجلة مدة عام واحد (12 عددًا).

د - خمس جوائز عبارة عن مجموعات من إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض.

2- ترسل الإجابات على العنوان التالي في مدة أقصاها 60 يومًا:

مسابقة مجلة «الفيصل» ص ب (3) الرياض (11411) المملكة العربية السعودية

(مع ضرورة ذكر رقم المسابقة على المظروف)

أجوبة مسابقة العدد ٢٥٧

ج ١ : من الأحاديث التي وردت في فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم:

* ما رواه مسلم في صحيحه عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من صلّى عليّ صلاة صلّى الله عليه بها عشرًا».
* وما رواه الترمذي عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم عليّ صلاة».
* وما رواه الإمام أحمد عن أبي طلحة الأنصاري رضي الله عنه قال: أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم يومًا طيّب النفس يُرى في وجهه البشر، قالوا: يا رسول الله أصبحت اليوم طيّب النفس يُرى في وجهك البشر. قال: «أجل، أتاني آت من ربي عز وجل، فقال: من صلّى عليك من أمتك صلاةً كتب الله له بها عشر حسنات، ومحا عنه عشر سيئات، ورفع له عشر درجات، ورد عليه مثلها».

والأحاديث في فضل الصلاة عليه - صلى الله عليه وسلم - كثيرة، فداه أبي وأمي.

ج ٢ : هو حسن كامل بن توفيق الصبّاح (١٣١٢-١٣٥٤هـ = ١٨٩٤-١٩٣٥م): عالم بالكهرباء، من أهل النبطية (بجبل عامل). تعلّم ببيروت، وولع بالرياضيات والطبيعيات، وتجند في الحرب العامة الأولى، فنُقل إلى الآستانة، وعمل في التلغراف اللاسلكي مع قائد ألماني. انتقل إلى سورية بعد الحرب، فدرّس الرياضيات في المدرسة السلطانية بدمشق، ثم الحساب في الجامعة الأمريكية ببيروت سنة ١٩٢٠م. هاجر إلى أمريكا، فوُظّف في شركة «جنرال إلكتريك» بنيويورك؛ ولم يلبث أن كان له «مختبر» خاص به، وسجلت الشركة عدة اختراعات له. اشتهر حتى قيل إنه سائر في طريق توماس إديسون العالم المشهور. قُتل في حادث سيارة في نيويورك، وقيل في حادث طائرة في أثناء عودته إلى بلاده كي يفيد بني وطنه من أبحاثه في مجال الطاقة الشمسية. نُقل جثمانه إلى النبطية، ودفن بها.

نتائج مسابقة العدد ٢٥٧

أ - فازت بالجائزة المالية الأولى، وقدرها ٥٠٠ ريال سعودي؛ لمياء إبراهيم النفيسة، الرياض، المملكة العربية السعودية.

وفاز بالجائزة المالية الثانية، وقدرها ٣٥٠ ريالاً سعوديًّا، المولدي بن علي المولدي الخليفي، بئر المشارقة، تونس.

وفازت بالجائزة المالية الثالثة، وقدرها ١٥٠ ريالاً سعوديًّا، نهى نعمة حاتم، سترة، البحرين.

ب - وفاز بجائزة الاشتراك المجاني في المجلة مدة عامين (٢٤ عددًا)، كل من:

١- عائشة يحيى أحمد رفيع، القامشلي، سورية.
٢- كاستونة وعيد بصري، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية.
٣- نور بنت غالب أبو عابد، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة.
٤- علوية عبدالله حسن، كسلا، السودان.
٥- بوجي عبدالرزاق بن السعيد، المسيلة، الجزائر.

ج - وفاز بجائزة الاشتراك المجاني في المجلة مدة عام واحد (١٢ عددًا)، كل من:

١- مزين كمال الشاويش، عمّان، الأردن.
٢- حمدي خليل علي، القاهرة، مصر.
٣- زكوراً عمر بن الحسين، أغادير، المغرب.
٤- محمد بن إبراهيم بن هزاع الهزاع، عنيزة، المملكة العربية السعودية.
٥- محمد صالح بن محمد البدوي، دمشق، سورية.
٦- زينب بولنوار الزيوش، بوسعادة، الجزائر.
٧- نورا أحمد صلاح المؤدي، صنعاء، اليمن.
٨- الصادق محمد حامد أحمد، الدوحة، قطر.
٩- جمال محمد بوسلامة، المنستير، تونس.
١٠- تسنيم رجب سيد عبدالعزيز، المنيا، مصر.

د - كما فاز بجائزة مجموعة من إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض، كل من:

١- تي عبدالرحمن عبدالله، كيرالا، الهند.
٢- حامد عبدالله أحمد الغريبي، عمّان، الأردن.
٣- رضوان أحمد مسكيرة، تطوان، المغرب.
٤- هويدا محمد موسى إسحق، الخرطوم، السودان.
٥- إبراهيم علي حمد الربيع، الأحساء، المملكة العربية السعودية.

أسئلة مسابقة العدد ٢٦٠

(سؤالان فقط)

س١ : حث الإسلام على أداء السنن، وبيّن عظم ثوابها. اذكر حديثين شريفين في فضل سنّة الفجر.

س٢ : يُعَدُّ أبو القاسم الزهراوي من نوابغ الجراحين العرب. أين ولد، وما أهم مؤلفاته؟

قسيمة
مسابقة مجلة
الفيصل
العدد ٢٦٠
مجلة الفيصل - ص.ب: (٣) الرياض ١١٤١١ - المملكة العربية السعودية

ويأتيك بالأمثال

غَثُّكَ خيرٌ من سَمِيْن غَيْرِك

أي إن ما عند المرء ولو كان قليل النفع أقرب له نفعًا مما عند غيره ولو كان كثير المنفعة.

قالوا: كان بين مذحج وبين حيٍّ من العرب حرب شديدة فَمَرَّ معن بن عطية المذحجي في وقعة من وقائع تلك الحرب برجل صريع من أعدائه فاستغاث الرجل به فأقامه، وسار به حتى أبلغه مأمنه.

ثم عطف هؤلاء الأعداء على مذحج فهزموهم وأسروا معنًا وأخاه فيمن أسروا، وكان اسمه روق، وكان ضعيفًا أحمق جبانًا، وانصرفوا بالأسرى؛ فإذا ذلك الرجل الذي أغاثه معن وأنجاه أخو رئيس القوم، فعرف الرجل معنًا، وأراد أن يرد جميله فقال لأخيه الرئيس: هذا منقذي بعدما أشرفت على الهلاك فهبه لي، فوهبه له فخلّى سبيله، ثم قال له: إني أحب أن أجعل جزاءك مضاعفًا فاختر أسيرًا آخر أطلقه لك وكان في الأسرى سيد مذحج وقائدها، فلم يختر معن إطلاقه واختار إطلاق أخيه روق. وانطلق معن وأخوه عائدين فمرًا بأسرى قومهما، فسألوه عن حال سيد القوم فأخبرهم الخبر، فصاحوا به: قبحك الله تدع سيد القوم لا تفك أسره، وتفك أخاك هذا الجبان؟

فقال معن: «غَثُّك خير من سمين غيرك».

لا أدري

سُئل الشعبي يومًا عن مسألة فقال: لا علم لي بها!

فقيل له: ألا تستحي أن تقول لا علم لي وأنت العالم الكبير؟

فقال رحمه الله: ولِمَ أستحي يا ابن أخي مما لم تستح منه الملائكة حين قالت لربها: *لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنا*.

من أقوالهم

قال لقمان لابنه: لا تعاشر الأحمق وإن كان ذا جمال، فإنه كالسيف: حَسَنٌ مخبره قبيحٌ أثره.

قال زيد بن خالد: ليس أحد أحمق من غنيٍّ قد أمن الفقر، وفقير قد يئس من الغنى.

قال ابن المعتز:

أبوك أبي وأنت أخي ولكن
تفاضلت المناكب والرؤوس

قال يحيى بن معاذ: الإخلاص يميز العمل من العيوب كتميز اللبن من الفرث والدم.

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: من لم يصلح خلائقه لم ينفع الناس تأديبه.

قال أبو الريحان البيروني: مدارسة أخلاق الحكماء والعلماء تحيي السنة الحسنة، وتميت البدعة السيئة.

قال المأمون: أَحَبّ الإخوان إليَّ من يكفيني مؤونة التحفظ.

قال ابن عائشة القرشي: مجالسة الإخوان مسلاة للأحزان.

مخاطبة حاكم

خرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه يومًا ومعه المعلّى العبدي، فلقيته امرأة من قريش فقالت له: يا عمر.. فوقف لها، فقالت: كنا نعرفك عُميرًا ثم صرت من بعد عمير عمر، ثم صرت بعد عمر أمير المؤمنين، فاتق الله وانظر في أمور الناس؛ فإنه من خاف الوعيد قرب عليه البعيد، ومن خاف الموت خشي الفوت. فبكى عمر..

فقال المعلّى: صه يا أمة الله؛ فقد أبكيت أمير المؤمنين.

فقال له عمر: اسكت! أتدري من هذه؟ ويحك. هذه خولة بنت ثعلبة التي سمع الله قولها من فوق سبع سماوات، فعمر أحرى أن يسمع قولها ويقتدي به.

الغني والفقير

قال الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في الغنيّ والفقير:

دَعِ الحرصَ على الدنيا
وفي العيش فلا تطمع!
ولا تجمع من المال
فلا تدري لمن تجمع!
ولا تدري أفي أرضـ
ـك أم في غيرها تزرع!
فإن الرزق مقسوم
وسوء الظن لا ينفع!
فقيرٌ كلُّ من يطمع
غنيٌ كل من يقنع!

الطفل الأول

أظهرت دراسة حديثة الصفات التي يتمتع بها كل طفل بحسب ترتيبه بين إخوته في الأسرة، فالطفل الأول يميل إلى الكمال، والمتوسط يتميز بالمرونة والاعتدال وقابلية التأقلم مع الظروف المختلفة، كما يتميز بموهبة التعامل والتفاوض مع أطراف متعددة. والطفل الأخير يكون واثقًا من البداية بأنه محبوب، كما يتميز بقدرات هائلة على الإقناع والإبداع والمرونة.

سبحان الله

ورد أن أبا حنيفة رحمه الله تعالى خاصم جماعة من الدهريين، وأراد أن يُبيِّن لهم ضلال ما يذهبون إليه وشناعته فقال لهم:

ما تقولون في رجل يقول لكم: إني رأيت سفينة مشحونة بالأحمال، مملوءة بالأثقال، قد أحاطت بها في لجة البحر أمواج متلاطمة، ورياح مختلفة، وهي من بينها تجري مستوية ليس لها ملاح يجري بها، ولا متعهد يدفعها، فهل يجوز ذلك في العقل؟!

فقالوا في صوت واحد: لا.. لا.. هذا شيء لا يقبله العقل!

فقال أبو حنيفة: سبحان الله! إذا لم يجز في العقل سفينة تجري في البحر مستوية من غير متعهد ولا مُجر، فكيف يجوز قيام الدنيا، على اختلاف أحوالها، وتغيُّر أعمالها، وسعة أطرافها، وتباين أكنافها، من غير حافظ ولا صانع؟!

علامات المتقين

يصف الإمام علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه علامات المتقين بقوله:

استراحة العدد

فمن علامة أحدهم أنك ترى له قوة في دين، وحزمًا في لين، وإيمانًا في يقين، وطلبًا في حلال، ونشاطًا في هدى، وتحرّجًا في طمع. قرة عينه فيما لا يزول، وزهادته فيما لا يبقى. الخير منه مأمول، يعفو عمن ظلمه، ويعطي من حرمه، ويصل من قطعه. بعيدًا فُحشُه، غائبًا منكَرُه، حاضرًا معروفه، مقبلاً خيرُه، مدبرًا شرّه. في الزلل وقور، وعلى المكاره صبور، وفي الرخاء شكور. لا يحيف على من يبغض، ولا يأثم فيمن يحب، يعترف بالحق قبل أن يشهد عليه، ولا ينابز بالألقاب، ولا يضار بالجار، ولا يشمت بالمصائب، ولا يدخل بالباطل، ولا يخرج من الحق، ليس تَبَاعُدُه بكِبْر وعظمة، ولا دُنُوُّه بمكر وخدعة.

الجبل والحصاة

سمع أحد الحكماء رجلاً ينعت آخر بالضآلة ساخرًا منه فاستوقفه وقال له: يا أخي.. لا تحقر شيئًا أبدًا لصغر جثته، ولا تستصغر قدره لقلة ثمنه، واعلم أن الجبل ليس بأدل على الله من الحصاة، ولا الفلك المشتمل على عالمنا هذا بأدل على الله من بدن الإنسان، وإنّ صغير ذلك ودقيقه كعظيمه وجليله، ولم تفترق الأمور في حقائقها وإنما افترق المفكرون فيها.

الأشعث وشُرَيح

يروى أن شُريحًا كان يحترم مجلس القضاء احترامًا شديدًا؛ ولم يكن يفرق في أثناء القضاء بين كبار القوم وصغارهم، ولم يكن يستثني أحدًا؛ فالكل عنده سواء في مجلس الحكومة!

وذات يوم دخل الأشعث بن قيس - وهو من كبار القوم وسادتهم - على شريح في انعقاد المجلس، فقال: مرحبًا وأهلاً بشيخنا وسيدنا. وأجلسه معه باحترام شديد، وبينما هو جالس إذ دخل رجل يتظلم من الأشعث فقال له شريح: قم فاجلس مجلس الخصم وكلم صاحبك الذي يشكوك!

فقال الأشعث: بل أكلمه من مجلسي الذي أجلستني فيه!

فقال شريح في صرامة: لتقومنّ.. أو لآمُرنّ من يقيمك؟!

فقال له الأشعث غاضبًا: لشدّ ما ارتفعت!

فقال شريح بهدوء: فهل رأيت ذلك ضرَّكَ؟

قال الأشعث: لا.

فقال «شريح» في شبه عتاب: فأراك تعرف نعمة الله على غيرك وتجهلها على نفسك؟

عشرة في عشرة

قال حكيم: عشرة في عشرة هي فيهم أقبح منها في غيرهم: الضيق في الملوك، والغدر في ذوي الأحساب، والحاجة في العلماء، والكذب في القضاة، والغضب في ذوي الألباب، والسفاهة في الكهول، والمرض في الأطباء، والاستهزاء في أهل البؤس، والفخر في أهل الفاقة، والشح في الأغنياء.

عمر الحاكم

كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه رفيقًا بالناس؛ ومن أمثلة ذلك أن المسلمين أصابتهم مجاعة في عهده، فحرم السمن واللبن على نفسه وأكل الزيت حتى تغير لونه، فلما خاطبوه في ذلك وطلبوا إليه أن يرفق بنفسه قال: والله لا أذوق السمن حتى يذوقه فقراء المسلمين!

وقال أحد الصحابة: لو لم تُرفع هذه المجاعة لظننا أن عمر يموت همًا بأمر المسلمين!



قطعة من مشق تعليمي بخطي الثلث والنسخ من تركيا
من مقتنيات مكتبة الملك فهد الوطنية



يقصد الباب إلى تشجيع المواهب الناشئة التي تتلمس لها سبيلاً إلى الإبداع الفني والكتابة الأدبية، ولذلك تقوم تباشير باختيار عمل أدبي أو أكثر وفق معايير فنية محددة وحسب المساحة المتاحة، ومن ثم يُعرض على أحد النقاد المعروفين الذي يتناوله بالمتابعة النقدية أو التعليق أو التوجيه لتكون خطوة ثابتة لهذه المواهب في طريق الإبداع.
وهذه دعوة للمواهب الأدبية الناشئة للمشاركة في هذا الباب، علماً بأن هناك مكافأة رمزية تشجيعية للعمل الذي يحظى بالنشر.

قصيدة

وعصفور..

شعر: نجاح عبدالقادر سرور
مدرسة أحد الابتدائية، تبوك.

وعـصـفـورٍ بديع الصـوت.. نقّر فـوق نـافـذتي
وأسكَبَ من عـيـون الحب ألحـانًا بـباديتي
فـأحـيـا كلَّ صـحـرائي.. وأنبت كلَّ زاهرةِ
حـملتُ البلبل الشـادي جنينًا بين خـاطرتي
جنين فـيـه أحـلامي.. وأسئلتي وأجـوبتي
جنين فـيـه آلامي.. وأمطاري.. وعـاصـفـتي
يطوّف بي.. ويسعدني.. ويسكرني بصافيةِ
ويحـملني إلى دنيـا من الأحـلام سـاكنتي
وفي نهـر من الأسـحـار يلقى كل مُـبكيَـةِ
ولما تمَّ بي طفـلاً.. به من كل فـاتنةِ
ألح عليَّ.. ناداني.. وقـال: الآن خـاتمتي
فـقلتُ: تريد دنيـانا.. ودنيـانا مـعـذبتي؟!
شـقـاء أيهـا العـصـفـور لا تركن لشـقـيـةِ
فـقـال الطيـر: لا تخش.. وردّ عليّ في ثقـةِ:
صـديقي إنني شـعـر.. ولي وزني وقـافـيـتي
أنا مـا كنت خـفـاشًـا بعين غيـر مـبـصـرةِ
أنا مَلَكٌ وأجنحـتي من الأسـحـار واللغـةِ
وألحـانٌ من الفـردوس والمأوى على شـفـتي
معاني الحب أشجاني.. خيالاتي.. وعـاطفتي
سأبقى دائمًا طفلاً.. فهلاّ فيكمو صفتي؟
مـداد الحـبـر والأقـلام والأوراق قـابلتي
وصدحي فوق أشجار من الأنوار مُرضعتي
أنا مـا زلت دولتكم.. وعمق الليل عـاصـمتي
ألح عليّ عـصـفوري ليخـرج صوب زائلةِ
هنيئًا أيهـا العـصفور فاخرج من مُـخَيلتي
ولما تسكن الأوراق في «رف» بمكتـبـتي
ستصرخ لاعنًا قيدًا: أهذا الرف حاضنتي؟!
فـقـال :الشعر يكفيني.. وهذا كل أمنيتي!

التعليق: «وعصفور..» قصيدة تنبئ عن مولد شاعر واعد.. فالفكرة فيها من الجدة والحداثة ما يدعو إلى الدهشة، وهي دهشة مطلوبة ومستحبة في

الشعر، كما أن جرسها الموسيقي متميز وشائق؛ حيث إن الشاعر نسج قصيدته من بحر الهزج ذي الإيقاع الراقص (مفاعيلن مفاعيلن)، وقد أجاد في استخدامه لهذا البحر فلم نلحظ أية أخطاء عروضية إلا في القليل النادر، وهذا مما يُحسب للشاعر. كما أن لغة الشاعر صحيحة خالية من تلك الهنات التي يقع فيها الكثير من شعراء الشباب، إضافة إلى دقة اختياره للألفاظ المناسبة للمعاني، مع تمكنه من بناء قصيدته فيما يشبه التكامل والتجانس العضوي، فجاءت أفكاره في ترتيب وتسلسل لا خلل فيهما.

أما عن فكرة القصيدة فعنصر الجدة فيها يتمثل في تشبيه الشعر بالعصفور الذي يتخلَّق جنينًا في مخيلة الشاعر وتشبيهه بالطفل الذي ينمو ويخرج إلى حيز الوجود بعد ما كان رهن خياله وحبيس أفكاره. كما أنها تتمثل أيضًا في هذا الحوار الذي تتعدد فيه الأصوات الشعرية بين الشاعر والعصفور، وهذا التحذير الصادر من الشاعر إلى عصفوره (الشعر) وكأنه يخشى عليه من الخروج من مخيلته حتى لا يصير رهن الأوراق والمكتبات. هذا الحوار في حد ذاته يدل على أن الشاعر يملك ذلك الحس الدرامي الذي قد يكون له أثر عظيم في المستقبل لو أنه اهتم به وصقله مما يضاعف من عمق موهبته.

بقي أن نقول لشاعرنا: إنه سمح لنفسه في بعض الأبيات باستخدام بعض التعبيرات غير المألوفة أو غير الواضحة مثل قوله:

ولما تم بي طفلاً.. به من كل فاتنة

فنلاحظ هنا مدى ركاكة أسلوبَ هذا البيت وكأنما أتى به مكرهًا لاستكمال المعنى المقصود ولكن دون توفيق، وكذلك قوله:

ألحَّ عليَّ عصفوري ليخرج صوب زائلة

ولكننا نرى أن الشاعر نجاح عبدالقادر يمكنه تدارك مثل هذه الزلات بالمزيد من ممارسة الكتابة، وكذلك بالاطلاع على المدارس الشعرية المختلفة والاهتمام بالأسلوب عند بناء القصيدة.

عبدالجواد طايل

الأخ ربيع عبدالفتاح أحمد، بني سويف، مصر:

إنّ أولى محاولاتك القصصية فيها - وهذا طبيعي - كثير من نقاط الضعف التي نرجو أن تتجاوزها في محاولاتك المقبلة.

إن ما تسميه قصة قصيرة ليس - في حقيقة الأمر - سوى سرد تقريري ليس له سمة الفن القصصي الذي يقتضي بناءً دراميًا متناميًا وحبكة قصصية مشوّقة، ويعتمد التلميح دون التصريح، والتكثيف اللغوي؛ فالقاص كالحائك ينسج قصته بإحكام تتداخل فيه الخيوط لتكوّن قطعة فنية رائعة.

إن لغتك بحاجة إلى ضبط، وأسلوبك بحاجة إلى صقل، ولن تدرك ذلك إلاّ بالقراءة الواعية المستمرة، وينبغي أن تتوافر لك جرأة تمزيق كثير مما تكتبه في هذه المرحلة، وأن تديم النظر في أعمال المتمكنين من كتاب القصة والرواية وغير ذلك من فنون الأدب، فقد رأينا في قصتك كثيرًا من المخالفات اللغوية، والانحرافات الأسلوبية، والأخطاء الإملائية التي ينبغي أن يتجنبها من يتصدّى للكتابة الإبداعية. مع تمنياتنا لك بالتوفيق في محاولاتك المقبلة.

الأخ عمر عثمان عمر العمودي، جدة:

فكرة قصتك تقليدية يحسب من يقرؤها أنّه يشاهد أحد الأفلام المصرية التي فرَّغت هذا النوع من القصص من مضمونه فلم يبق فيه بقية تأمُّل لمتأمل ولا بقية متعة لمستمتع.

استغرقت في وصف الجزئيات، وكان يمكن أن تختصر تلك الإطالة وأن تُعَبِّر بطريقة أكثر إيجازًا؛ فتقلّ بذلك أخطاؤك ويصبح بناؤك أكثر متانة. أخطاؤك كثيرة الإملائية منها والنحوية. نرجو أن تنتبه إليها وأن تقرأ أكثر مما تكتب، وأن تكون لديك الشجاعة لرمي كثير ممّا تكتب. كما نرجو أن تقرأ القصص القصيرة والطويلة والأدب الروائي في سبيل إتقان أفضل لفن القصة وأسلوبها ولغتها. مع تمنياتنا لك بالتوفيق

الأخ عبدالله الردادي، ص.ب ١٥٢٦٩، المدينة المنورة:

يبدو أن قصتك «هروب القروي» هي محاولتك الأولى، والطريق ما زالت أمامك طويلة؛ فقصتك ليست سوى سرد تقريري لا أثر فيه لتقنيات القصة القصيرة، إضافة إلى الأخطاء الإملائية المنتشرة في جنبات القصة، والأسلوب الضعيف الذي يكاد يقترب من العامية في كثير من المواطن.



الأخت مها هاشم عيسى هاشم، دبي، الإمارات العربية المتحدة:

سوف يصل إليك عدد «الفيصل» المتضمن للحوار الذي أجري مع الأديب الإماراتي محمد المر. والمجلة تشكر لك ثقتك بها، وتأمل دائمًا أن تتمكن من تلبية رغبات قرائها؛ فمرحبًا بك صديقة للمجلة، بأمل مشاركتك مستقبلاً بالكتابة فيها.

الأخ محمد جوير، تونس:

نشرت المجلة في أعداد كثيرة سابقة مقالات تتناول تاريخ المملكة العربية السعودية قبل التوحيد وبعده، وما بذله الملك عبدالعزيز - يرحمه الله - من جهود عملاقة لبناء هذا الكيان. وإذا كان قد فاتك الاطلاع عليها، فإننا نعدك بإرسال بعض هذه الأعداد إليك، لعلك تجد فيها مبتغاك. كما أن المجلة اعتادت أن تنشر مقالات عن اليوم الوطني، احتفالاً به وبفضل الذين قادوا هذه البلاد إلى أن وصلت إلى ما هي عليه من أمن وتقدم وازدهار.

الأخ ياسر محمد صهيوني، بانياس الساحل، سورية:

نطمئنك أولاً أنه لا يوجد مكان خفي لرسائل القراء، وأن كل رسالة تجد اهتمامًا كبيرًا من المجلة، ولا يخفى عليك أن كثيرًا من صفحات المجلة يحررها قراؤها، أما المسرحية التي كتبتها فقد حُوِّلت إلى المراجع المختص، وسوف يصل إليك الرد المناسب بعد مراجعتها. ولكن الملاحظة المبدئية أنك تكتب على وجهي الورق، وهذا أمر غير مقبول في العرف الصحفي، وكان من المتوقع أن تكون على علم به ما دمت تقول إنك تكتب في مجالات متعددة كالشعر والرواية والقصة القصيرة والمقالة. واللهجة التي كتبت بها رسالتك نأمل ألا تتجاوز حدود الثقة بالنفس إلى الغرور، لأن ذلك - كما تعلم - بداية النهاية لأية موهبة لا تزال تتلمس طريقها في مجال الإبداع. مع التمنيات لك بالتوفيق في تحقيق ما تأمله وتصبو إليه إن شاء الله.

الأخ يحيى حميد الفحام، بغداد، العراق:

نشكر لك مشاعرك الكريمة واهتمامك بالتواصل مع المجلة، ونأمل أن نتلقى مشاركاتك قريبًا إن شاء الله. وسوف تصل إليك بعض أعداد المجلة الصادرة مؤخرًا؛ ذلك أنك أرفقت مع رسالتك قسيمة مسابقة العدد ١٥٦، بينما هذا العدد من المجلة هو (٢٦٠)، مما يوضح بُعد عهدك بالمجلة، لذا سوف نرسل إليك بعض الأعداد الحديثة لتطلع عليها، وتحقق ما وعدت به من تواصل.

الأخ محمد كرزون، حلب، سورية:

نعتذر لك من عدم تمكننا من العثور على عنوان «رواق عوشه بنت الحسين»، وقد يفيدك أحد الإخوة من قراء «الفيصل» في دولة الإمارات العربية المتحدة، لذا سوف نورد عنوانك حتى يمكن لمن يستطيع مساعدتك الاتصال بك:

والعنوان هو: ص.ب ٦١٠٤ حلب، سورية، هاتف ٧٢٨٥٩٣، فاكس ٢١٩٩٥٦.

الأخ أحمد حسن الخميسي، حلب، سورية:

ترحب المجلة بالمقالات التي يمكنك كتابتها في المجالات المذكورة في رسالتك، ونحن في انتظار مشاركاتك؛ داعين الله لك أن يوفقك لتسخير علمك لخدمة دينه.

الأخ عبدالعظيم محمد زين الفكي، أبورف، أم درمان، السودان:

من العجائب أن يصل إليك خطاب «الفيصل» حول الاستفسار عن مادة لك وما إذا كانت قد نُشرت أم لا بعد ستة أعوام! وهو حدث فريد يستحق تضمينه في كتاب الأرقام القياسية، وكنت نتوقع أن يصل ردك بعد المدة نفسها، إلا أنه جاء أسرع مما ظننا، إذ لم يستغرق أكثر من ٢٥ يومًا! فهل يعذرنا الإخوة القراء الذين يشكون مُرّ الشكوى مما يظنونه تجاهلاً من المجلة، في حين أن كل رسالة يتم الرد عليها عقب ورودها مباشرة؟ عمومًا سوف ننظر في أمر قصتك، ونأمل أن يكون صبرك شفيعًا لك لكي تجد طريقها إلى النشر.

الأخت خديجة شوابنه، ولاية قالمة، الجزائر:

أحيلت رسالتك إلى القسم المختص، حتى ينظر في أسباب تأخر استلامك الجائزة التي فزت بها، ونأمل أن تصل إليك إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية قريبًا.

الأخوين رابح بو كلام، الأخضرية، بو بصلة عبدالغني، قسنطينة، الجزائر:

ترحب المجلة بكل القراء على امتداد الوطن العربي والعالم، ونأمل من كل من يستطيع المشاركة أن يبعث إلى المجلة بمشاركته، وسوف تجد الاهتمام التام منها. أما بخصوص الاشتراك، فإن قيمته وكل ما يتعلق به مذكور في الصفحة الثالثة من المجلة. وتعتذر المجلة من عدم القدرة على تلبية الطلبات الخاصة بالاشتراكات المجانية، نظرًا لكثرة ما يصل إليها من هذه الطلبات.

الأخ رائد أحمد عبدالله مكاوي، عمّان، الأردن:

سبق أن نشرنا لك أكثر من طلب في زاوية «بين القارئ والقارئ»، لذا نعتذر لك من عدم نشر طلباتك لأنها واحدة في مضمونها، وحتى تتيح الفرصة لغيرك من إخوانك القراء، فمعذرة ومرحبًا بك دومًا صديقًا للمجلة.

بين القارئ والقارئ

أرغب في الحصول على أحد كتب التفسير للقرطبي أو ابن كثير، شاكرًا لإخواني القراء.

فتحي بن صالح راشد
٣٠ نهج الحبيب الدّبابي
٣٢٠٠ تطاوين، تونس.

أرغب من قراء «الفيصل» الأفاضل مساعدتي من خلال اقتراحاتهم للحصول على الكتب التي تتناول لغة الصحافة بالعربية والإنجليزية، وسوف أقوم بالحصول عليها من دور النشر.

اختكم: قمر النساء أنصاري
P.O BOX 18
YERAWADA
PUNE 411006 - INDIA

أرغب في أن يساعدني الإخوة القراء في الحصول على بعض الكتب والمؤلفات التي تهتم بالخط العربي عامة والمشرقي منه خاصة، أو تلك التي تهتم بموضوع التنمية البشرية، ولديّ استعداد لمبادلتها بما يتوافر عندي من كتب في قضايا مختلفة.

المصطفى لضميم
ص.ب ٦٠٦
تارودانت، الرمز البريدي ٨٣٠٠٠، المغرب.

أرغب في الحصول على كتب الشيخ البشير الإبراهيمي الجزائري، ولا سيما كتابه: «من قلب المعركة».

الطاهر الأدغم
الجامعة الإسلامية العالمية، إسلام آباد
TAHAR LADGHEM
P.O. Box 1260 _ ISLAMABAD
PAKISTAN

ملحوظة:

تسعى هذه الزاوية «بين القارئ والقارئ» إلى إيجاد قناة مباشرة بين القراء أنفسهم لتبادل المعلومات عن الكتب النادرة أو المجلات التي توقفت عن الصدور أو نفدت أعدادها.

عناوين

الأخ خليل نقاش، ميلة، الجزائر:
عنوان مجلة المجتمع الكويتية:
ص.ب ٤٨٥٠ الصفاة، الكويت.
الرمز البريدي ١٣٠٤٩
هاتف: ٢٥١٩٥٣٩/ ٢٥٧٣٠٢٦
ونعتذر لك من عدم وجود عناوين المجلات الأخرى لدينا.

الأخ إبراهيم بن عبدالعزيز أبو عمار، الرياض:
عنوان الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء:
ص.ب ٢٢٥٧١ الرياض ١١٤١٦
هاتف: ٤٥٧١٥٨٤
عنوان مجلة النور:
ص.ب ٢٤٩٨٩، الصفاة ١٣١١٠
بيت التمويل الكويتي:
هاتف: ٢٤٦٠٤٢٨/ ٢٤٥٢٨١٢
فاكس: ٢٤٠٩٤١٤

الأخ خليل بوجنان، طنجة، المغرب:
عنوان نادي الطائف الأدبي:
ص.ب ١٢٠٢
هاتف: ٧٣٢٣٧٧٦
فاكس: ٧٣٣٥٧٣٩
عنوان نادي الباحة الأدبي:
الباحة، ص.ب ٩٠١
هاتف: ٧٢٧٠١١٠
فاكس: ٧٢٧٠٠٤٤
عنوان الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون:
ص.ب ٣٦٥٩ الرياض ١١٤٨١
هاتف: ٤٤٧٩٠٥٩
فاكس: ٤٧٧٣٨٣٣

إيضاحات

تعتذر المجلة سلفاً من عدم تقديم اشتراكات مجانية، ومن عدم التجاوب مع طلبات الحصول على إصدارات أخرى (كتب ومجلات) لاعلاقة لها بها.

المسائل الشخصية كطلب وظائف أو مساعدات مالية أو إعانة على زواج، أو ماشابه ذلك والتعارف بين هواة المراسلة، ليست من اختصاصات المجلة ولا اهتماماتها، ومن حقها عدم الالتفات إلى رسائل تختص بهذه الأمور أو الرد عليها.

يتعذر على المجلة الرد الشخصي البريدي على جميع القراء الذين يراسلونها وذلك لكثرة الرسائل، وتكتفي بالرد عليهم من خلال «ردود خاصة»، أو بنشر مشاركاتهم في الصفحات المخصصة لذلك.

الرسائل ذات العلاقة بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية أو بأي نوع من خدماته، يُرجى توجيهها إليه مباشرة على عنوانه: ص.ب ٥١٠٤٩ الرياض ١١٥٤٣ المملكة العربية السعودية.

عند مراسلة الصفحات المخصصة للقراء (مناقشات وتعليقات، بريد، المسابقة، تباشير، ردود خاصة ـ بما في ذلك زواياها الجديدة: بين القارئ والقارئ، عناوين) يرجى ذكر اسم الباب أو الزاوية على المظروف، مع شكرنا للجميع.

حولَ تصويباتِ عَدَدٍ سابق



إلى حَبيبَتنا (الفيصل) وحَبيبَيْنا رئيس تحريرها ومُرَاجعها اللغوي داما سالمَيْن غانمَيْن

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. أما بعد:

فإشـارةً إلى التـصـويـبـات التي كَـتَـبْتُ في (الفيصل) ع (٢٥٥) ص١٣٢ لأخطاء معيَّنة في ع (٢٥٢) أشكر رئيس التحرير صادقًا على ما أبداه من لطف وثناء ورغبة من قُرَّاء المجلة ومُتَلَقِّيها المشاركةَ فيها، وإبداءَ الرأي من أجل الإسهام، وإن قليلاً، مع القائمين عليها، في السعي لتبوُّئها مقامًا مرموقًا من الرَّصانة والرَّزانة، والإصابة والدِّقَّة. كما أشكره على ما أبداه لي شـفـاهًا من شكر وروح أخوية. والواقع أن هذا لطفٌ من سعادته، فما ذلك إلا نزرٌ يسيرٌ من الواجب الملقى على عواتقنا نحن المتخصصين في العَرَبيَّة وعلومها.

وأما الأستاذ عاصم البيطار، وهو زميلٌ كريمٌ في قسم اللغة العربية بجامعة الملك سعود عدة سنوات، فأشكر له جهدَهُ وجِدَّهُ، وأجدها نُهزةً طيبةً للالتقاء به عَبْرَ صفحات (الفيصل)، حينَ عَزَّ اللقاء خارجَها، لمطارحته الحديث في الشطر المتعلق به من الرَّدِّ، مطارحةً أرجو ألا يشوبَها شائبٌ من نزوعٍ إلى جدلٍ عقيمٍ، أو رغبة في انتصار رأيٍ على حقٍّ، وإنما غايتها الفائدةُ العلميَّة.

١ـ العنوان الذي وُضع للتصويبات لم يَبْدُ دقيقًا إذ أوحى بأنها جميعًا تَصُبُّ في قالَب واحد، بينا هي متنوعةٌ، ولا تتصل كلُّها بتمييز العدد؛ وكان ينبغي وضع عنوان أدقَّ مثل (تصويبات أخطاءٍ في العدد ٢٥٢) أو (ملحوظاتٌ على العدد ٢٥٢)، ولا يضير (الفيصل) إن دلَّ على اعتراف بخطأ بل، بخلاف ذلك، يعطي دليلاً ناصعًا على تقبُّلها النقد، وحُبِّها إصلاحَ الخَلَل.

٢ـ ورد في التعقيب: «أخذتم على المجلة ستةَ أخطاء تتعلق بتمييز العدد، والصحيح ما ذُكر في المجلة لأننا ـ نحن العربَ ـ نقرأُ الأعداد كما نقرأ الكلام من اليمين إلى اليسار، والتمييز إنما يستجيب للرقم الذي يأتي قبله مباشرة، عكس اللغات الغَرْبيَّة فهي تُقرأ من اليسار إلى اليمين. قال تعالى: *إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً*. **سورة ص:٢٣**، وقال عنترة:

فيها اثنتانِ وأربعونَ حَلُوبةً
سودًا كخافيَةِ الغُرَابِ الأسْحَم

أما في الإنجليزية والفرنسية فتُذكر التسعون والأربعون قبل الآحاد، وعلى هذا فالصحيح في العربية أن نقول: للأفراد خمسون ومئةُ ريالٍ إلخ» اهـ.

قلت: أما العدد المركَّب من رقمين، وهو الذي استدللتم بالآية وبيت عنترة على قراءته من اليمين، فمعلومٌ أن هذا شأنه؛ ولم نُشِرْ في تصويباتنا إلى شيءٍ منه؛ وأما ما رأينا قراءته من الشِّمال فالعدد المؤلَّف من ثلاثة أرقام فأكثر، لأننا بذلك نوافق الاستخدام المتَّبع السائدَ وهو صحيحٌ، وما دام صحيحًا فلماذا نَدَعُه إلى طريقةٍ، على صحتها، متكلَّفَة وغيرِ مستعملة.

على أن لديَّ إحساسًا بأنه لم يكن القصدُ قراءةَ الأرقام من اليمين، وإلا فما تفسيركم، دام فضلكم، لنصب التمييز في عبارة: «أو قرابة ٥٠٠ ميلاً» الواردة في ص١٤ من العدد المُومأ إليه، وهي من بين التصويبات، وقد غضَضْتُم الطَّرف عنها فلم تشيروا إليها؟ أليس تمييز المائة والمائتين... والألف والألفين إلخ مفردًا مجرورًا؟

وأما أن الأرقام المركبة من ثلاثة أعداد فأكثر لا تُقرأ في اللغة العربية من اليسار، وأن ذلك ليس من شأنها وإنما هو شأنُ لغات أجنبية، وأن الصحيحَ القولُ: للأفراد خمسون ومائةُ ريالٍ حَسْبُ، فليس بصحيح، بل يجوز قراءة تلك الأرقام من الشِّمال، وعليه فيصحُّ القولُ مثلاً: للأفراد مائةٌ وخمسون ريالاً، وهو، عندي، أولى لأنه، مع صحته، يستخدمه الصغير والكبير، كما سلف.

ودونكم أمثلة من استخدام عددٍ من العلماء المسلمين قديمًا هذه الطريقة، وذلك على سبيل المثال:

أـ قال الزبير بن بكَّار (١٧٢ـ٢٥٦هـ) في (جمهرة نسب قريش وأخبارها) تحقيق محمود شاكر، ص١١٠: «... فأعطياني مائة دينارٍ وخمسين دينارًا»، وص١٦٤: «وذلك ألفُ ألفِ دينارٍ ومائتا دينار»، وص٣٥٧: «فأقام [أي حكيم بن حزام] على شَرْبَةٍ واحدةٍ حتى بلغ مائةً وعَشْرَ سنين».

ب ـ استخدم ابن قتيبة (٢١٣ـ٢٧٦ هـ) في كتاب (المعارف) تحقيق ثروت عكاشة، هذه الطريقة مرات عديدة: ففي ص٢٢: (ولبثَ في الفُلك مائةً وخمسين يومًا) و(فلما كان في سنة ستِّمائة سنة وسنة)، وص٢٣: (وكانت في الماء مائةً وخمسين يومًا)، وص٢٤: (وكان بين موت آدم عليه السلام إلى أن غرقت الأرض ألفا سنة

ومائتا سنةٍ واثنتان وأربعون سنةً) و(وفي التوراة أن نوحًا عاش بعد الطوفان ثلاثمائة سنة وخمسين سنةً). وفيه جمل أُخَر إحداها ص٢٤ أيضًا والبقية على الصفحات: ٣٠- ٣١- ٣٢ (أربع جمل) - ٣٤- ٣٨- ٣٩- ٤٠، على سبيل التمثيل لا الاستيفاء، كُتب فيها جميعًا العدد من الشِّمال إلى اليمين. فتأملْ، هُديتَ، كثرةَ استخدامِ ابن قتيبة، رحمه الله، وهو مَنْ هو، هذه الطريقة!

جـ - سَرَدَ الإمام ابن حزم رحمه الله في (جوامع السيرة)، تحقيق إحسان عباس وناصر الدين الأسد؛ ٣٧ مثالاً على الصفحات: (٢٧٥-٢٧٨) سار فيها على هذه الطريقة معدِّدًا الأحاديث التي رواها الصحابة رضوان الله عليهم، كقوله: (أبو هريرة [رضي الله عنه]: خمسةُ آلاف حديث وثلاثمائة وأربعةٌ وسبعون حديثًا)، وقوله: (عبدالله بن عمر بن الخطاب [رضي الله عنهما]: ألفا حديث وستُّمائة وثلاثون حديثًا).

د - في تاريخ الطبري (٤١٧/٢): «دفن سنة ١٤هـ ألفان وخمسمائة من أهل القادسية وأهل الأيَّام»، و(٤٢٤/٢): «... عن أبي كعب الطائي عن أبيه قال: أُصيبَ من الناس قبل ليلة الهرير ألفانِ وخمسُمائة»، وفي الموضع نفسه: «... وكانت قيمتها ألفَ ألفٍ ومائتي ألف».

هـ - قال ابن حبيب في (المنمَّق) ص٣٦: «والفَرْق، مسكَّنة الراء: مائة وعشرون رطلاً».

و - قال النويري في (نهاية الأرب) ٧٨/٢٢-٧٩: «فقتل منهم مائةٌ وخمسون رجلاً»، وقال ص٩١-٩٢: «قال ابن الأثير: وكان مقدار النفقة على بنائها [يعني بغداد]، وبناءِ المسجد... أربعةَ آلاف وثمانَمائة وثلاثةً وثلاثين درهمًا».

ز - قال صاحب كتاب (الجيش والقتال في الإسلام) (ص٥٠٣) نقلاً ثلاثة أخباريِّين هم الواقدي والطبري وابن سعد: «أما من شهد القادسية فكان عطاؤه ألفين أو ألفًا وخمسَمائة»، وفي ص٥٠٤: «وفرض [يعني عُمَرَ] للرَّوادفِ الربيع على مائتين وخمسين».

ح - قال الدكتور مصطفى النحاس في كتابه (العدد في اللغة) ص٢١٦ مقتبِسًا من (شرح الكافية) قول صاحبه الرَّضي الأستراباذي: «عادةُ ألفاظ العدد إذا ترادفت أن يُجْتَزَأَ بمُمَيِّز العدد الأخير من جملتها تقول: مائةٌ وثلاثةٌ وثلاثون رجلاً، والأصل: مائةُ رَجُلٍ وثلاثةُ رجالٍ وثلاثون رجلاً».

وإخال هذه الأمثلة كافيةً لإثبات صحة قراءة الأعداد ذات الثلاثة الأرقام فأكثر من الشِّمال، فهل سلك الزبير بن بكار أو ابن قتيبة أو ابن حزم مسلك لغات غربية أو تأثروا بها؟

لكنْ عليَّ قبلَ الفراغ من هذه المسألة الإقرارُ بأن قولي في التصويبات المذكورة فيما يتعلق بقراءة تلك الأعداد: «ورد كذا، والصواب كذا» لم يكن دقيقًا، إذ أوحى بأن الطريقة الأخرى خطأ، وكان ينبغي أن أقول: «والأَوْلى كذا»، وهو أَوْلى، في نظري، لما سبق تبيانه.

٣- قلتم عن (أحمد بن دُوَاد) أن الحقَّ فيما ذكرناه من أن صوابه بالتسهيل، ثم ندمتم فعدتم وتشبَّثتم بما ذكرناه في التصويبات، من أن صاحب (الخزانة) ذكره مرة واحدة بالهمز فقلتم: «إن استعماله بالهمز خلاف الأولى لكنه لا يُنْسَب إلى الخطأ المحض». لكن استخدامَ البغداديِّ إيَّاهُ بالهمز مرة واحدة لا يدلُّ على صحة هَمْزِه ما دام أكثر ما استخدَمَهُ مسهَّلا، كما بَيَّنَّا، إذا علمنا أن وروده في جُلِّ معاجم اللغة بالتسهيل مع تبيان بعضها معنى (الدُّوَاد)، وربطها بينه وبين تلك الكُنْية، ففي الصِّحاح للجوهري ص٤٧١ ورد بالتسهيل، كما ورد بالتسهيل في (لسان العرب: دود) وجاء فيه: «الدُّواديُّ مأخوذٌ من «الدُّوَاد» وهو الخَضْفُ الذي يخرج من الإنسان، وبه كُنِّي أبو دُوَادالإياديّ».

وورد بالتسهيل في بعض كتب الأدب القديمة كمجمع الأمثال حيث جاء فيه المثل: «جارٌ كجارِ أبي دُوَاد» بالتسهيل (١٦٣/١) وكرره، وأورد قول قيس بن زهير:

أُطَوِّفُ ما أُطَوِّفُ ثم آوي

إلى جارٍ كجارِ أبي دُوَادِ

وأورده الأصبهاني في أغانيه (ط دار الكتب) بالتسهيل. ينظر١٣٤/٢٠ و١٤٥ و٢٧١ و٤٦٣ و٥٦/٢٣.

على أنه ورد، على قلة، مهموزًا في بعض المصادر كالدُّرَّة الفاخرة (٣٠/١): المثل السابق، وديوان طرفة، تحقيق درية الخطيب ولطفي الصقال، ص١٧٧؛ لكنَّ الأرجح أن ذلك تحريفُ خطَّاطين أو محقِّقين غيرِ مدقِّقين.

٤- في فقرة (٣) ما يوحي بإلقاء اللوم تارةً على (المُنَضِّد) لأن كلمة (ابن) لم تك في الأصل في أول سطر فجعلها كذلك، وتارةً على ضعف الإنسان الذي لحظتم أثره فيما كتبتُ إذ ورد الرقم (١٨٣) بدلاً من (١٠٣)، وسقطت ألف من (إحداهما)؛ ثم جاء تهوين من شأن تلك الهفوات مع أن (لكل عالم هفوةً) بنعتها بـ(الهَنَات البسيطة النادرة)، وأنها مما (لا يجهله الشُّداةُ وصغارُ المتعلمين)!

قلت: إن كان المنضِّد وضَعَ لفظًا في غير موضعه مما يستلزم تعديلَه فأين المراجعة النهائية لتجارب الطبع ليَتِمَّ بذلك تعديلُه؟ وأما (الضعف الإنسانيُّ) فشأنٌ لا خلاف فيه، فكلُّنا سُهَاةٌ خطَّاؤُن، وخيرنا التَّوَّابون، كما ورد في الأثر الشريف؛ وأما التدليل على ذلك الضعف بوجود خطأين تطبيعيَّيْن فيما كتبت، فهما أهونُ من أن يَدُلاَّ دلالة كافيةً على ضعفي كبشرٍ، أسأل الله تعالى أن يرحم ضُعفي وضعف كل مسلم. وحَبَّذا، بالمناسبة، لو أُصْلِحا ولم يُنْشَرَا مُبْرَزَيْن بالبَنْط الأسود!

وأما وصف التصويبات بأنها (هَنَاتٌ وبسيطة ونادرة) فيبدو لي أن الحكم عليها من حقِّ القارئ،

وكيف تكون نادرةً وهي بضعة عشر خطأً في صفحات معدودات حدث أن قرأها قارئٌ على عَجَل؟

ويُشَمُّ ومن وصف بعض تلك الأخطاء بأنها (مما لا يجهله الشُّداة وصغار المتعلمين) مزيدٌ من التهوين من شأنها. فإذا كان هذا حالَها فكيف لم تُصْلَحْ في (تجربة) الطباعة؟ ثم أيُفْتَرَضُ من القارئ ألاَّ يُنَبِّهَ إلاَّ على الجليل الفاضح من الأخطاء؟ إن المُتَمَنَّى أن تكون (الفيصل) نِدًّا لمثيلاتها من المجلات العالمية التي يَنْدُرُ، برغم الضَّعف الإنسانيِّ، أن يواجِهَ مُطالِعُها خطأً حتى ولو في وضع حرفٍ صغيرٍ في غير موضعه، أو إحلالِ علامةِ ترقيمٍ غير محلها، أو إغفالها. إنَّ من بين تلك الحركات ما وقع في آية كريمة مثل الشَّدَّة التي أُسقطت من النون في (زيَّنَّاها) في قوله تعالى: [أفلم يَنْظُروا إلى السَّماء فوقهم كيف بَنَيْنَاها وزيَّنَّاها وما لها من فُرُوج]. والمَدَّة التي سقطت من كلمة (آذان)، وسقوطها يوحي لمن لا يعرفون وجه الصواب فيها، وهم كُثْرٌ، بأن ألِفَها غير ممدودة. وهذه اللفظة مما يفشو فيه الخطأ فينبغي الحرصُ على كتابتها على الوجه الصحيح هي وأمثالها من كلمات تلتبس بأشباه لها فلا يكاد يتوقف ارتكاب الخطأ فيها مثل (نَفَذَ) بالذَّال المعجمة ومشتقاتها (ونَفِدَ) بالمهملة، و(الغَدَاء) و(الغِذَاء) و(تَيم) و(تَميم) و(عَنَزَة) و(عُنيزة) و(الخَيْرة) و(الحيرة) وهَمَذَان وهَمْدَان، وإن لم تَخْفَ على (كبار المتعلمين).

وأما (بَهْجَت) العَلَمُ الشائع الآن بالتاء المبسوطة، فلسنا معكم بأن رسمه بها غير جائز، وأنه (من آثار الرطانة التركية) فهم علم مستخدم على هذا النحو بدليل التلفظ بالتاء في حال الوقف أيضًا، فيورَد على الحكاية، ولا شأن لنا بأصله وفصله: أهو من آثار رطانة أم لا؟ حتى وإن كانت رطانةً (تركيَّةً)، وإن كان الكاتب من أكثر أبناء أمته استياءً من سياسة الحكومة التركية العلمانية الحالية حتى بَغَّضَتْ إليه كُلَّ ما هو تركيٌّ ما عدا ما له صلة بالدِّين، حتى قاطعَ العَسَلَ والطماطمَ التركيَّ بل وحتى (النِّعالَ) التركيَّة، فما بالك بالألفاظ! وها هو اسم (رفعت الأسد) الذي تردد ذكره في الأيام الماضيات في الأخبار، لتجريده من مناصبه، لم تَرَ تاءَهُ مربوطةً بل مفتوحةً كالباب الذي فتح له للخروج من موقع الحَلِّ والعَقد؛ وكذلك (ثروت عكاشة) الوزير المشهور الوارد ذكره في صدر هذا التعقيب.

هذا، وما أخشاه أنَّ هذا التعقيب ربما نَمَّ، بدون قصد من كاتبه، على رغبة في تزكية النفس، أو تحيُّز لرأي، أو تَعالُم وتجهيلٍ لـ(الآخر) المحاور، وأعوذ بالله تعالى من مثل هذا المَنْحَى، وأسأله البراءة من العُجْب بالنفس والاغترار، وإنما العربيةُ وعلومُها يَمٌّ متلاطم الأمواج لا يُصيبُنا منه إلا رَذَاذُ رَذَاذه. وللفيصل العزيزة وأسرتها التقدير التامُّ والإكبار، والحق أن وجود هذه الكَبَوات اليسيرات إنما يدل على رُقيِّ الأداء فيها، ودقة النظر في موادها، موازنةً بسواها من مُشابِهاتها من المجلات العربية، لكنَّ المنشودَ صَوابٌ أكثر، وخطأٌ أندَر؛ والله تعالى على التوفيق أقدر، وبالعون أجدر، وصلى الله على النَّبيِّ الهاشميِّ الأطهر، والآل والصحب ذوي الذِّكر الأعطر.

د. محمد بن سليمان السديس.

التحرير:

لأننا جميعًا نتوخَّى الحق وندعو إليه فقد نشرنا رسالة الدكتور السديس (كما وصلت إلينا بالضبط) دون تعقيب منَّا، اكتفاءً بما نشرناه من قبل، لنتيح المجال لأصحاب الاختصاص ليروا رأيهم؛ إغناء للموضوع، وترسيخًا لقيم الحوار البنَّاء. والله الموفق.

مفارقة أكثر من عجيبة !!

يسرني ويسر كل القراء العرب أن تُطرح قضية الساعات الحاسبة للزمن وموضوع الوقت وقيمته بصفة عامة على صفحات مجلة «الفيصل» الفيحاء. ذلك أن الاستاذ عمر فتَّال مسَّ بمقاله الدسم «مفارقة عجيبة» في العدد ٢٥٤ موضوعًا يجب أن يكون مركز اهتمام العرب في الساعة الراهنة؛ إذ إن الزمن ليس زمنًا آليًا فقط تحسبه الآلات الحاسبة، وتكبر قيمته أو تصغر بقدر حاجتنا إليه في أداء مشاغلنا اليومية، حتى لو كانت غير ضرورية، وإنما الزمن هو نسيج الوجود؛ أي إن علاقة الأشياء والكائنات الحية - على مختلف مراتبها - بالزمن ليست مثل علاقة ظرف يحوي مظروفًا ما؛ بمعنى أن علاقتنا بالزمن ليست علاقة خارجية، وإنما هي علاقة داخلية متأصلة في ذواتنا، إذ إن الوجود في حد ذاته وجود زماني، ولعلَّ ذلك ما حدا بالفيزيائي أينشتين إلى حساب الزمن أحد الأبعاد الأربعة للكائن.

فإذا ما تمثلنا وأدركنا الزمن بهذه الصفة استطعنا إدراك مدى عمق مقال الأستاذ عمر الفتال، مشكورًا، واهتدينا بذلك إلى أسباب

نكسة العرب وتخلفهم، وعلمنا أن تقدم أمة ما يُقاس بمدى احترامها للوقت. فنحن نرى اليابان قد نجحت خلال قرن في قطع المسافة التي كانت الأمم الغربية قد قطعتها على امتداد ثلاثة قرون أو أربعة، وأن دول جنوب شرقي آسيا اختزلت المسافة في نصف قرن تقريبًا!

وفي تقديري فإن التطور الحضاري لأمة ما يبقى رهينًا بإحساسها بمدى انتسابها وتقديرها للزمن.

عبد السلام اليزيدي

وزارة الصحة العمومية، إدارة الدراسات والتخطيط - باب سعدون ١٠٠٦، تونس.





كنت في يوم ٢٤ سبتمبر/ أيلول ١٩٩٧م أتجاذب أطراف الحديث مع الأخ فرج المبروك القائم بأعمال سفارة خادم الحرمين الشريفين في تشاد حول احتفالات المملكة بعيدها الوطني، وبعد اللقاء أهداني مجلتكم الغراء والدوحة المعطاء ونهر العلم الذي لا ينضب: «الفيصل». وكان أول ما وقع عليه ناظري مقالكم «اللغة العربية وإرادة أمتها»؛ فقرأته بإمعان وتفحص عدة مرات ووقفت طويلاً عند بعض فقراته مثل: «تتنافس الدول المتقدمة فيما بينها تنافسًا كبيرًا في سبيل نشر لغتها في أكبر مساحة من هذا العالم، بعد أن أوضحت لها تجارب التاريخ أن اللغة أهم وسيلة لنشر ثقافتها وقيمها وأساليب حياتها، والأداة الفاعلة لمد نفوذها المادي. ومما يستحق ذكره في هذا المقام تلك العبارة التي تُنسب إلى الجنرال ديجول القائلة: «إن من يتحدث اللغة الفرنسية سوف يشتري البضاعة الفرنسية، ويتعصب لكل ما هو فرنسي».... ولقد كان إدراك الاستعمار أهمية هذا البعد سببًا في اهتمامه بإنشاء المؤسسات التعليمية التي تطبق منهجه وتنشر لغته في البلاد المحتلة، ومن بينها كثير من الدول العربية...

ومما يجدر الانتباه إليه أن هناك دولاً إسلامية عديدة يتوق أبناؤها إلى تعلّم العربية لفهم أمور دينهم فهمًا صحيحًا... إلى جانب أن تلاوة القرآن الكريم لا تتم إلا باللغة العربية، ومن ثم فإن هذه الدوافع الدينية توفر ظروفًا مواتية لنشر اللغة العربية في هذه الدول الإسلامية.... ومما يعين على سهولة نشر العربية في هذه البلاد أن أكثر من ٤٠٪ مما تحويه لغات كثير منها هي كلمات ومفردات عربية الأصل؛ ومن جانب آخر، يوجد عدد كبير من المسلمين ينتشرون في القارة الإفريقية لهم لغاتهم التي لا تعرف التدوين، مما يجعل من الصعب عليهم فهم تعاليم دينهم، وإذا حاول بعضهم ذلك، فإنه لا يتهيأ لهم تحقيق هذا الهدف إلا من خلال لغة أخرى تشتمل على ترجمات لمعاني القرآن الكريم، وكتب في العلوم والقضايا الإسلامية المختلفة، واستعمال مثل هذه اللغة الوسيطة يزيد من احتمالات سوء الفهم لحقيقة التعاليم الإسلامية، فيترتب على ذلك انتشار البدع والخرافات بينهم، وبعدهم من قيم الإسلام ومبادئه...

وإذا كان من الضروري تعليم المسلمين لغة دينهم من أجل تمكينهم من فهم أصوله وقيمه وتعاليمه، وتعريفهم تراثهم وحضارتهم، وتحقيق الاتصال الفاعل بينهم لما فيه صالح قضاياهم، وصيانة هويتهم....».

هذه الفقرات التي اخترتها، تمثل تمامًا الواقع الحقيقي الذي تعيش فيه دولتنا تشاد. تلك الدولة التي تقع في غرب إفريقية وشهدت قيام أولى الممالك الإسلامية في غرب إفريقية، وهي مملكة وداي عام ١٦١٥م، ومملكة كانم برنو في القرن السادس عشر الميلادي، ومملكة باقرمي ١٨٨٥م. هذه الممالك ظلت تحكم البلاد بالشريعة الإسلامية، وتتعامل باللغة العربية لغة رسمية لها إلى أن جاء الاستعمار الفرنسي عام ١٩٠٠م ليقضي على مملكة وداي عام ١٩١٢م بعد أن حكمت البلاد مدة خمسة قرون بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وتعاملت مع العالم الخارجي باللغةالعربية.

وأول ما فعله الاستعمار بعد القضاء على مملكة وداي هو فرض لغته وقتل العلماء فيما عُرف بمذبحة (الكيكب) ١٩١٧م في منطقة وداي بمدينة أبشي العاصمة؛ حيث قُتل أكثر من مئة عالم.

لقد وقعت المذبحة نتيجة لمواجهة العلماء للمستعمر الذي حاول طمس اللغة العربية والثقافة الإسلامية؛ فتصدى له العلماء بتحريض المواطنين على عدم التعامل مع المستعمر الدخيل، وعدم إدخال أبنائهم في

مدارسه، وأن من يفعل ذلك يعد غير وطني؛ لأن المدارس الفرنسية تفسد أخلاقيات الأولاد وتقتل فيهم الروح الوطنية ولا تُدرس فيها المواد الدينية. ودعا العلماء المواطنين إلى إرسال أبنائهم إلى الخلاوي والمدارس العربية الملحقة بالمساجد. وحتى اليوم فإن أغلبية المدارس العربية ملحقة بالمساجد حتى في العاصمة، وأغلبها لا يتبع وزارة التربية، وقد حدثت عدة مشكلات بشأن الاعتراف بها رسميًا من قبل الدولة التي تطالب بفصل المدارس عن المساجد.

المهم أن المستعمر استطاع أن يفرض لغته بالقوة حينًا وبالخديعة حينًا آخر، فصارت اللغة الرسمية للدولة، واختفت العربية من التعامل الرسمي، وبذلك استطاع أن ينشئ جيلاً لا يعرف ولا يعترف إلا باللغة الفرنسية، وأي لغة عدا الفرنسية تعد معرفتها نوعًا من الجهل. فالذي لا يحمل دبلومًا فرنسيًا هو جاهل مهما كان تخصصه ودبلومه، ويجد صعوبة في التعيين في دواوين الحكومة، وبخاصة إن كان الدبلوم باللغة العربية. فالطبيب والمهندس والمحامي والفني الحاصل على الدبلوم العربي محله إما المسجد، وإما المدرسة العربية. ولكن هذا الوضع تغيَّر بحمد الله نوعًا ما الآن، على الصعوبات والعراقيل التي يلاقيها المنافحون عن العربية، والتي وصلت إلى حد التشكيك في انتمائهم للوطن!

وظلت هذه المعاملة سائدة حتى عقد المؤتمر الوطني المستقل يوم ١٥ يناير/ كانون الثاني ١٩٩٣م، حيث كانت هناك مؤامرة قد أعدَّت للقضاء على اللغة العربية نهائيًا فيه. إلا أن العناية الإلهية يسّرت بعض الغيورين على اللغة العربية للوقوف في وجه هذه المؤامرة، وطالب المؤتمر بأن تكون اللغتان الرسميتان للدولة هما الفرنسية والعربية، وتم تضمين هذه المادة في الدستور (المادة التاسعة من الدستور) الذي أجيز يوم ٣١ مارس/ آذار ١٩٩٦م من قبل الشعب؛ فكان أن كتب الله للغة العربية النصر المبين. وحتى هذه اللحظة يوجد من يطالب بالإلغاء أو تعديل هذا الدستور لسحب اللغة العربية منه، وهؤلاء يرفعون أصواتهم في كل مرة يجدون فيها الفرصة مواتية.

إزاء هذا الوضع الخطير، وانتهازاً للمناخ الديمقراطي الذي تعيشه بلادنا منذ الفاتح من ديسمبر/ كانون الأول عام ١٩٩٠م قمنا - نحن بعض الشباب المسلم - بتأسيس صحيفة عربية اختير لها اسم «أنجمينا اليوم»، وتشرَّفتُ برئاسة تحريرها منذ يوم ١٩٩٣/١/١٢م حتى اليوم.

وهذه الصحيفة تصدر أسبوعيًا بالعربية، وغيرها من الصحف، التي يبلغ عددها خمسًا، تصدر باللغة الفرنسية وتجد الدعم الكافي والتشجيع من الجهات الغربية والكنسية التي تمولها بسخاء غير محدود. ولا توجد لدينا صحيفة يومية لعدة أسباب منها: قلة الخبرة، وعدم وجود القارئ؛ إذ إن نسبة الأمية تشكل ٨٠٪ من المجتمع الفقير. فالغالبية تفضل شراء طعام يمسك رمقها بثمن الصحيفة، لذا نجد أن النشرة التي تصدرها وكالة الأنباء الرسمية للدولة غير منتظمة هي الأخرى، ولا تصدر يوميًا مع أن الدولة وفرت لها الأطر والإمكانات، وهي - للعلم - تصدر باللغة الفرنسية فقط.

لقد واجهتنا في البداية، ولا زالت تواجهنا حتى اليوم، مشكلة الإمكانات المادية والمعدات، فالصحيفة قامت على أساس تبرعات فردية لمجموعة من الشباب ساءهم أن يروا لغتهم تُقتل على أيدي أذناب الاستعمار وأبواقه الذين يرون أن أية لغة غير الفرنسية هي لغة غير معترف بها.

لقد وجدنا في مقالكم تشجيعاً وحافزًا عظيمًا يدفعنا للاستمرار والنضال للدفاع عن لغة القرآن الكريم، وهو نضال بدأناه منذ خمس سنوات ولا نزال.

يوسف مختار دهب
رئيس تحرير صحيفة «أنجمينا اليوم»
ص.ب ١٥٤، تشاد.

تعليقات مناقشات وتعليقات مناقشات وتعليقات مناقشات

حول: حبوب اللقاح غذاء ودواء



أمتعنا الأخ درويش مصطفى الشافعي بمقالته «خبز النحل غذاء ودواء» في العدد ٢٥٦. وحرصًا منًّا على أن تكون المعلومات التي تتناولها «الفيصل» دقيقة في أبحاثها عميقة في نفعها؛ أردت أن أشير على الكاتب - وفقه الله - أنه من الأصح أن يجعل عنوان بحثه «حبوب اللقاح غذاء ودواء»، لأن خبز النحل هو خليط مكون من العسل وحبوب اللقاح والماء

تقوم العاملات بصنعه وخلطه من أجل تغذية اليرقات التي يزيد عمرها على ثلاثة أيام، باستثناء يرقات الملكة التي تستمر العاملات بتغذيتها على الغذاء الملكي خلافًا للذكور والعاملات(١).

كما أن العاملات تقوم بعمل خليط آخر من الشمع وحبوب اللقاح لتغطية اليرقات التي دخلت في طور العذراء، وهذا الغطاء يسمح للعذراء بالتنفس من خلال مساماته؛ خلافًا للعسل الناضج الذي يُغَطَّى بطبقة من الشمع الكتيم حتى يتسنى تخزينه مدة طويلة(٢).

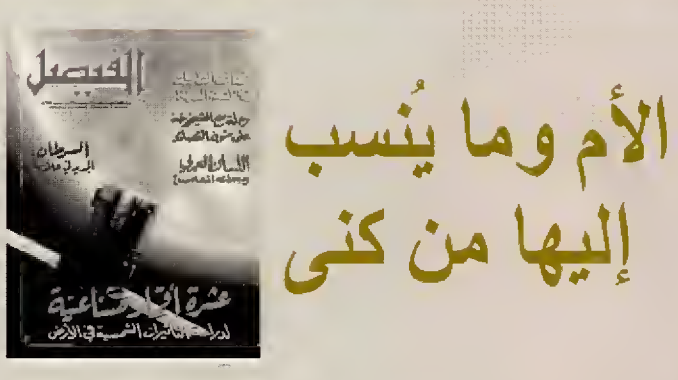
كما يُلاحظ أن آخر صورة من البحث قد كُتب تحتها «يضع مربو النحل مصائد خاصة على باب الخلية لجمع حبوب اللقاح»، فالصورة تُظهر بابًا بلاستيكيًا يتم وضعه بهذا الشكل عندما يُراد ترحيل النحل إلى المناطق الرعوية. ومن الجدير بالذكر أن لمصائد الطلع (اللقاح) فتحات خاصة (نجمة ذات ثمانية أضلاع) تقوم بنزع معظم الطلع المحمَّل من قبل العاملات وتُبقي لها الشيء القليل لتدخل به داخل الخلية(٣).

المراجع:

١- العسل غذاء وعافية، جان لوي داريغول، ترجمة دار طلاس، ط١، ١٩٩١م، ص٣٤.
٢- تربية النحل وإنتاج العسل، د. نبيل عرقاوي ومحمد وليد قاسو، ط٣، ١٩٩٣م، ص٤١.
٣- حبوب الطلع: جمعها، خواصها، استعمالاتها. آلان كاياس، ترجمة دار طلاس، ط١، ١٩٨٧م، ص١٠٤.

عمر الفاروق غصن الشمري
عضو جمعية النحّالين السوريين
سرغايا، دمشق، سورية.

الأم وما يُنسب إليها من كنى



قرأت في العدد ٢٥٤ من مجلة «الفيصل» الغراء دائرة المعارف «الكنى في التراث العربي: الأم وما يُنسب إليها من كنى وبيان مدلولاتها». وإذ أشكر للكاتب مادته الممتعة، فإنني أذكر تتمة للموضوع؛ ولكنني أود بداية الإشارة إلى أن «أم عامر» مثلما هي كنية الضبع، كذلك هي استعارة للمقبرة، ومن كنى الضبع أيضًا: أم عمرو، وأم الرُّبَيْق، بالإضافة لما أورده الكاتب، من أن أم رُبَيق: هي الحرب (اللسان: أمم).

أما الإضافات التي لم يوردها الكاتب، وهي عن اللسان (أمم) لابن منظور، فهي: أم كل شيء: أصله وعماده، وأم القوم: رئيسهم، وأم التنائف: المفازة البعيدة، وأم مثوى الرجل: صاحبة منزله الذي ينزله؛ وفي حديث ثُمامة: أتى أمَّ منزله؛ أي إمرأته ومن يدبِّر أمر بيته من النساء. وأم الحرب: الرَّاية، وأم الرُّمح: اللواء وما لُفَّ عليه من خِرقة؛ قال الشاعر:

وسلبنا الرُّمْح فيه أمّه
من يد العاصي وما طال الطِّوَل

وأم القردان: النُّقرة التي في أصل فِرْسن البعير، وأم الرأس: الخريطة التي فيها الدِّماغ، وأم الدُّماغ: الجلدة التي تجمع الدماغ، وأم الصبيان: الريح؛ وفي الحديث: لم تَضُرَّه أمُّ الصبيان، يعني الريح التي تعرض لهم فربما غُشي عليهم منها. وأم كلبة: الحُمَّى؛ وفي الحديث أنه قال لزيد الخيل: نعم فتًى إن نجا من أم كلبة، يعني الحُمَّى. وأم صبّار: الحَرَّة، وأم عُبيد: الصحراء، وأم عطية: الرَّحى، وأم شملة: الشمس، وأم الخُلْفُف: الداهية، وأم ليلى: الخمر، وأم بحنة: النخلة، وأم رجيه: النحلة، وأم رياح: الجرادة، وأم جابر: السُّنبلة، وأم طِلْبة: العُقاب، وكذلك أم شعواء. وأم حُبَابَ: الدُّنيا، وكذلك أم وافرة؛ وأم سمحة: العنز، وأم غياث: القدْر، وكذلك أم عُقبة، وأم بيضاء، وأم رسمة. وأم جرذان: النخلة، وهي أم خبيص، وأم سويد، وأم عزْم، وأم عقاق، وأم طبيخة، وهي أم تسعين. وأم حلس: كنية الأتان، وأم البَيْضَ: النعامة؛ قال أبو دُواد:

وأتانا يسعى تَفَرُّش أم الـ
ـبيض شدًّا، وقد تعالى النهار

وأم الأربعة والأربعين (بالعامية) دويبة كثيرة الأرجل، واسمها العلمي: SCOL-OPENDRA CINGULATA وهي من فصيلة MYRIZPODA. وأم قويق: كنية الفأرة، وذلك لاعتقاد العامة أن الفأرة أصلها يهودي مُسخ لأعماله الخبيثة في ممارسة السحر والشعوذة (عن الجاحظ، الحيوان ٥٦٦/٦). وأم العثمان: الحية، وأم قيس: كنية الرخمة، وأم حُبين: أنثى الحرباء، وربما قيل لها: حبينة، قال الطرمّاح:

كأم حُبَين لم يَرَ الناسُ غيرَها
وغاب حبينٌ حيث غابت بنو سعد

(عن ديوانه، ص١٩٢، تحقيق الدكتور عزة حسن).

أحمد إبراهيم اليوسف
الرقة، سورية.

«الأدب الأصفر»!!



د. حلمي محمد القاعود

إذا كانت الصحافة الصفراء قد أزعجت المجتمع، وجعلت عقلاءه يتنادون لوقف خطرها على الجيل الجديد، فإن «الأدب الأصفر» يمثل خطرًا أعظم، بحكم أنه يخاطب النخبة المأمول أن تقود المجتمع فكريًا وثقافيًا في المستقبل.

ملامح «الأدب الأصفر» ظهرت منذ نصف قرن، واشتدت في السبعينيات وما بعدها، ولعلّي عالجت بوادر هذه الملامح في كتابي «الورد والهالوك» من خلال شعراء السبعينيات، حيث أبرزت التردي الذي وصل إليه الشعر عند بعضهم مضمونًا وشكلاً.

و«الأدب الأصفر»، بصفة عامة، تخلّى عن قضايا المجتمع، واحتقر جهاد الأمة، واستهان بقيم الدين والأخلاق، وازدرى التاريخ والماضي، وأطاح بالتقاليد الأدبية والفنية، فأصبح النثر الرديء شعرًا عظيمًا، وصارت الركاكة اللغوية «حساسية جديدة»، وتحولت الثرثرة الهابطة إلى سرد فني.. وهكذا انقلبت المعايير إلى حالة بدائية فجة قبيحة!

في الصيف الماضي قرأت رواية طويلة صاحبتها دعاية كبيرة، فلم أر فيها شخصية مضيئة، ولا حدثًا يهدي إلى الخير، ولا عبارة سليمة، ولا صورة مشرقة.. الشخوص والأحداث تدور في عالم من الفجور غريب على الأمة، والشر يرفرف بجناحيه على كل سطور الرواية، وكل قوى المجتمع مضروبة في أخلاقها وقيمها وسلوكها، وإلا ما بالك برواية يقوم فيها الولد بدور «القوّاد» لأمّه التي أنجبته؟ وما بالك برواية تجعل أكبر دعاة الإسلام في صورة «لوطي» يبعثر أمواله على الغلمان؟ وما بالك برواية ترى فيها وطنك شاذًا ومهووسًا بالجنس الحرام؟

إن معظم الروايات والأشعار التي ظهرت في السنوات الأخيرة تحتفي بلغة الجنس والشذوذ، معجمًا وصياغة ودلالة وبناءً، لذات الجنس والشذوذ، ولا تسل عن مفهوم الفن أو غايته أو دوره الاجتماعي.. فـ«الأدب الأصفر» يرفض أن يكون للفن أو الأدب دور اجتماعي أو غاية أو مفهوم. إنه سيولة جسدية لا تتورع عن الدخول إلى الحمامات ووصف مايجري فيها بكل قبحه وإثارته للتقزز والاشمئزاز، لدرجة دفعت بعض الكتاب إلى إطلاق مُسمى «شعر المراحيض» على بعض هذا «الأدب الأصفر»!

فماذا يريد القوم بالضبط؟!

لقد ألحوا - وما زالوا - على التجديف في حق الذات الإلهية باسم «حرية الإبداع»، وأعلنوا أنه لا معنى للهوية أو القومية أو الوطن.. بل وصفوا وطنهم وصفًا مملوءًا بالاحتقار والزراية والسخرية حين أطلقوا عليه: «هذا البلد»! لقد هان عندهم وعليهم كل شيء حتى الوطن..

فلمصلحة من هذا الأدب؟ ولمن يتوجه؟ وما غايته في آخر الأمر؟

والأدهى من ذلك أن كُتّاب «الأدب الأصفر» كانوا من قبل يصنفونه تحت مسميات أدبية أو مذهبية، ولكنهم اليوم لا يأبهون لأية تسمية؛ بل يطرحون أنفسهم مباشرة دون مواربة أو تمويه، بعد أن أتيحت لهم فرص النشر الهائلة عبر المؤسسات الرسمية وغيرها، ووجدوا تشجيعًا من جهات محلية وأجنبية، واهتمامًا من أجهزة الدعاية الغربية، وتقريظًا نقديًا من المشاهير يقدمهم إلى الجمهور على أنهم فرسان الغد في مجال الأدب!

المفارقة أن هذا «الأدب الأصفر» ضمَّ إلى ساحته عددًا غير قليل من الفتيات والسيّدات لا همَّ لهن ولا شاغل، غير الكتابة الجنسية الفجة الرخيصة، ومحاربة قيم المجتمع التي يرين أنها تقف ضد حريتهن وإبداعهن!! وقبل أسابيع طالعت رواية لإحداهن، وصفت فيها مضاجعة البطلة للرجال وتنقلها من واحد إلى آخر، وكأنها تفتح قلاعًا حصينة، وتحرز انتصارات عظيمة، وفي الوقت ذاته تنثر بعض الكلمات التي لا معنى لها عن الوطن في تضاعيف السطور!

إذا كانت الصحافة الصفراء قد وجدت من يقف في مواجهتها، ويكشف طبيعتها وآثارها المدمرة؛ فمن يقف ضد «الأدب الأصفر» وإفرازاته المقززة المخربة؟